الدكتورة خديجة الحديثي

أبو حيان النحوي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

منشورات - مكتبة النهضة - بغداد

أبو حيان النحوي

الطبعـــة الاولى

١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٦ م

● طبع بمطابع دار التضامن ـ بغداد

الاهداء

الى

القائد العربي العظيم ، وبطل الاندلس الخالد
طارق بن زياد

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي القاريء :

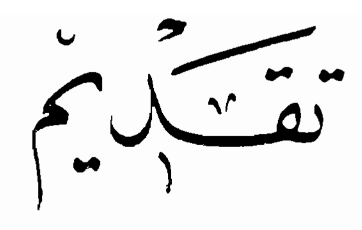
في صبيحة يوم الخميس ٢ كانون الثاني ١٩٦٤ (شعبان ١٣٨٣) نوقش هذا البحث في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ونال درجة الدكتوراه بمرتبة « الشرف الاولى » • وكانت اللجنة المناقشة برياسة الاستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف «المشرف» وعضوية الاستاذين الفاضلين الدكتور خليل نامي والدكتور محمد القصاص •

واليوم اقدمه بين يديك ــ عزيزي القاريء ــ كما قدمته الى اللجنة المناقشة قبل عامين ، لأني مؤمنة بان هذا البحث يمثل فترة من حياتي الفكرية • فان وجدت فيه بغيتك ، ووقع من نفسك وقعا حسنا فذلك ما اردته وسعيت اليه • ومن الله التوفيق •

خديجة الحديثي

دكتوراه في الآداب بمرتبة الشرف الاولى

بغداد في :
٢٢ كانون الثاني ١٩٦٦م
اول شوال ١٣٨٥هـ



للاستاذ الجليل
الدكتور شوقي ضيف

هذه محاولة علمية ثانية للدكتورة خديجة الحديثي ، أما محاولتها الاولى فكانت دراسة « أبنية الصرف في كتاب سيبويه » وكأنما كانت إرهاصاً لتلك المحاولة الجديدة التي نهضت فيها بدراسة المذهب النحوي لابي حيّان الاندلسي ، ودراسة آرائه النحوية دراسة جادة مخلصة .

وليست دراسة نحويٍّ من نحاة القرن الثامن الهجري النابهين شيئا هَيِّناً ، بل هي عمل مُرْهِق ، إذْ لا بُدَّ من التسلح لهذه الدراسة بالتعمق في النحو ومدارسه المتعددة وأصوله وفروعه المتشابكة. فاذا عرفنا أنَّ أبا حيَّان خَلَّفَ آثاراً نحوية كثيرة ، وأنّه لم يُنْشَر منها إلا كتاب وبعض كتاب ، وأنَّ جمهورها لا يزال مخطوطا تحتفظ به رفوف المكتبات بعيداً عن الأيدي والأعين ، وأنَّ من مصنفاته المخطوطة ما يؤلف مجموعة ضخمة من المجلدات عرفنا الى أي حد تكلفت الدكتورة خديجة الحديثي جهداً ومشقة وعناء . غير أنها

صَبَرَتْ نفسها دون أنْ يصيبها أي وهن أو ضعف ، ومضت تجمع الرأي الى الرأي والنص الى النص ، باحثة فاحصة حتى استوت لها هذه الدراسة الخصبة .

وقد وضعت بين يديها تعريفاً بحياة أبي حيان في موطنه الاصلي الاندلس ، ثم في موطنه الجديد القاهرة التي استقر فيها ، اذ كان من علماء الاندلس الذين وفدوا على مصر وتحولوا بها يدرسون ويعلّمون ويحاضرون . ومعروف ان مصر ضَمَّتْ الى صدرها ــ مع غارات الصليبيين على بلدان الاندلس والشام ، ومع سقوط البلدان الاسلامية في آسيا بأيدي التتار ــ علماء كل تلك البلدان الذين لجأوا اليها ، وشجعتهم على مواصلة الدرس والبحث بما فَرَضت لهم من رواتب هيّأت لهم الفراغ للتأليف والتصنيف والقاء الدروس والمحاضرات في المدارس والمساجد . ونبَّهتها طامّةُ التتار الى أنَّ واجبها أن تحافظ على الحضارة العربية بجميع فروعها العلمية والأدبية والفنية ، وتحميها من الضياع . وسرعان ما عمدت الى تدوين الآداب والفنون والعلوم في موسوعات كبرى مثل « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العمري ، و « نهاية الارب » للنُّوَيْري ، و « إرشاد القاصد الى أسنى المقاصد » لابن الأكفاني وهو مختصر لستين فناً أو علما . وأكثرتْ من صُنْع المختصرات أو المتون التي اختصر فيها علماؤها مادة العلوم المختلفة ، وعادوا اليها يشرحونها ، وقد يشرحون الشرح . وبذلك نشأت فكرة المتون والشروح ، وشروح الشروح المسماة بـ « الحواشي » .

وأسهم أبو حيان بدوره في هذا الصنيع ، فوضع في النحو بعض المتون وعمد الى شرح بعض المختصرات فيه ، فشرح غير كتاب لمواطنَيْه ابن عصفور وابن مالك ، موجزاً تارة ، ومطنبا تارة ثانية، بل مسرفا في الإطناب احيانا حتى ليتحول شرحه لكتاب ابن مالك المسمى بـ « التسهيل » الى موسوعة نحوية كبرى تجمع أصول النحو وفروعه المتشعبة ، وآراء النحاة على مدى العصور المتعاقبة . واختصر هذه

الموسوعة بعض الاختصار في موسوعة ثانية سماها « ارتشاف الضرب من لسان العرب » .

وعلى كل هذا التراث أكبت الدكتورة خديجة الحديثي تُنَقِّب وتفحص وتجمع ، محاولة أنْ تستخرج آراءه التي خالف فيها سالفيه من النحاة ، وأن تستنبط مذهبه النحوي الذي تَفَرَّدَ به . وقد جَلَّتْ آثاره النحوية وغير النحوية خير تجلية ، واستطاعت ان ترسم له مذهبا واضحاً في النحو ، وهو مذهب يقوم على تأثره بمذهب الظاهرية وامتداده عند ابن مضاء القرطبي في كتابه « الرد على النحاة »، ملاحِظةً تأثره بهذا الكتاب في رفضه للتمارين النحوية غير العملية ، وللعللِ الثواني والثوالث ، مما لا يفيد منه النحو فوائدمحققة.ولاحظت أنَّه كان يُقَدِّم السماع على القياس اذا تعارضا ، مع ارتباطه الى حد كبير بمذهب البصرة النحوي . وبسطتْ آراءه النحوية في أناةٍ ورَيْثٍ ودقة ، وتحدثت في تفصيل عن مؤيديه في آرائه ، ومعارضيه من تلاميذه وخالفيه .

وأنا أُهَنِّئُها بما أنفقت في هذه الدراسة من جهد ، وبما أدَّتْ بها للمباحث التأريخية في النحو والنحاة من نفع

الدكتور شوقي ضيف

القاهرة في ١٩٦٥/١١/٢٩

المقدمة

لم يحظ النحو باهتمام كبير في الدراسات الجامعية ، وما يزال كثير من موضوعاته غير مدروس دراسة تقوم على الرصـــد العلمي الدقيق والنظرة العميقة الشاملة ، ولعل مرد ذلك صعوبته وتشـعب مسائله وغموض مباحثه . وكأننا بالباحث اليوم لا يزال يردد أقوال ذلك الرجل الذي قال لصاحبه حينما أراد قراءة كتاب سيبويه « هل ركبت البحر ؟ » استصعابا وتعظيما للكتاب . وعندما قدر لنا أن ندخل باب الدراسات العليا استهوانا النحو فخضنا لججه مبتدئين باول كتاب وصلنا فيه ، وكتبنا بحثا في « أبنية الصرف في كتاب سيبويه »[1] . وكان علينا وقد دخلنا هذا المضمار أن نستمر فيه لعلنـــا نقوم ببعض ما يفيد العربية ويسهل النحو على أهلها ويجعله حَيًّا بعد أن نضج ولم يحترق ، كما يقول الشيخ بدرالدين الزركشي .

---

(١) بحث نلنا به درجة الماجستير في الآداب من جامعة القاهرة في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٦١ وقد طبع في بغداد لاول مرة سنة ١٩٦٥ م ـ ١٣٨٥ هـ

وقد رأينا ان يُبْدَأ بدراسة الجزئيات قبل كل شيء فيتفرغ الباحثون لموضوع خاص أو لنحوي كبير له قيمته وأثره في الدراسات النحوية • ووقع اختيارنا على علم كبير له اهميته في النحو هو « أبو حيان الغرناطي الاندلسي » • ولان هذا الرجل الفذ واسع الثقافة عظيم الاطلاع ، رأينا ان نقصر بحثنا على ناحية معينة من نواحي حياته العلمية، هي الجانب النحوي ، وكان « ابو حيان النحوي » موضوع البحث الذي تتقدم به اليوم الى جامعة القاهرة للحصول على الدكتوراه في الآداب •

ونستطيع ان نوجز الاسباب التي دعتنا الى اختيار هذا الموضوع وتحديده هذا التحديد بما يأتي

١ ـ ان ابا حيان كان شخصية اندلسية فذة تستحق الدراسة •

٢ ـ وانه كان مفسراً ولغويا ونحويا ومؤرخا وأديبا ، وليس من الدقة العلمية ان نبحث هذه الجوانب كلها في كتاب واحد فاقتصرنا على الجانب النحوي وحده ليكون عملنا اكثر دقة وأقرب الى طبيعة التخصص العلمي •

٣ ـ وانه يمثل اتجاها في النحو بدأه ابن حزم الاندلسي وابن مضاء القرطبي وأحيا بعض رسومه ابو حيان •

ولذلك كله رأينا ان ندرس هذا الجانب لنرى تأثير الظاهرية في اتجاه النحو في الاندلس ، ولنصور هذا التأثير وتلك النزعة ، ولنرى الى أي مدى سارت وكيف استقرت •

هذه الاسباب وغيرها دفعتنا الى الخوض في دراسة : « ابي حيان النحوي » وقد استطعنا بعد دراسة كتبه المخطوطة والمطبوعة ان نحصر البحث في بابين :

الباب الاول

أبو حيــان وآثــــاره

ويقع هذا الباب في ثلاثة فصول

الاول في أبي حيان ، وقد تحدثنا فيه عن مدينة غرناطة حديثـا عابرا واتخذنا هذا الحديث سبيلا ممهداً للكلام على حياته في الاندلس وفي الامصار الاخرى . وقد استطعنا في هذا الفصل ان نصور سيرة ابي حيان تصويراً دقيقا وان تتحدث عن حياته الاولى في الاندلس وعن رحيله الى الاقطار العربية واستقراره في مصر اخيرا ، وان نتكلم على صفاته واخلاقه وثقافته وعقيدته وشعره ، وبذلك جاء الفصل حافــلا بمعلومات كثيرة عن هذا الرجل وعن كل ما يتصل بحياته وعلاقته بالناس والعلماء منهم خاصة .

والثاني في آثاره النحوية واللغوية ، وقد حاولنا في هذا الفصل أن نجمع آثاره المتعلقة بالدراسات النحوية واللغوية ونتكلم عليها كلاما طويلا لنلقي الضوء عليها وعلى ما فيها من معلومات مفيدة ونشير الى المطبوع والمخطوط منها والى ما أثارت من نشاط علمي . ويقع هــذا الفصل في تسعة أقسام هي شروح ابي حيان وتلخيصاته لكتب ابن عصفور ، وشروحه على مصنفات ابن مالك ، والارتشاف ، وغايـــة الاحسان في علم اللسان ، وشرحه ــ النكت الحسان ــ ، وكتيبـات ورسائل نحوية ، وكتب لغوية ، وكتب مفقودة ، وكتب في لغات مختلفة .

والثالث : في آثاره الدينية وفي فنون مختلفة ، وقد سرنا في البحث هنا على هدى الفصل السابق ، وتحدثنا عن كتبه في هــذه الفنون ، وذكرنا اهميتها وقيمتها العلمية ثم قسمناها سبعة أقســام هي كتب التفسير ، وكتب الحديث والفقه ، وكتب القراآت ، وكتب التـأريخ والتراجم ، وكتب النقد والبلاغة ، وكتب الشعر ، والكتب المختلفة .

وكان الباب الثاني في

منهج أبي حيـان النحوي

وهو في اربعة فصول

الاول ابو حيان والمدارس النحوية ، وقد تكلمنا باختصار على نشأة النحو العربي وتعرضنا للمدارس النحوية وعقدنا للبصرية والكوفية والبغدادية والاندلسية والمصرية بحوثا تحدثنا فيها عن نشأتها، وعن أهم آرائها ورجالها الاعلام .

وتكلمنا على موقف ابي حيان من كل مدرسة ، وعلى آرائه في رجالها ومذاهبهم وانتهينا الى انه كان شديد الميل الى المدرسة البصرية والى سيبويه بوجه خاص ، ولكنه لم يسلّم بكل الآراء البصـرية بل عرضها وناقشها واخذ منها ما رآه اقرب الى الدقة والصواب ، وترك كل رأي ضعيف لم يدعمه برهان ناصع وحجة قوية .

والثاني منهج ابي حيان وتأثره بظاهريته وقد افضنا الحديث فيه عن منهجه في كتبه النحوية عامة وعرضنا لمنهجه وآرائه في اصول النحو، وتكلمنا على أثر الظاهرية في هذا المنهج وفي تصور ابي حيان للقياس والسماع والعلّة والشاهد والضرورة . وانتهينا الى انه كان صاحب منهج سليم واضح لم يتابع فيه المتقدمين كل المتابعة ولم يقلدهم كـل التقليد ، وانما اخذ ما رآه صوابا وما فيه النفع والفائدة .

والثالث آراء ابي حيان ، وقد تحدثنا فيه عن آرائه في المسائل النحوية وقسمناه قسمين : الاول في آرائه الانفرادية، والثاني: في آرائه الاجتهادية ، وانتهينا الى ان له آراء خاصة وآراء تابـع فيها المتقدمين واخذها عنهم أخذا فيه ادراك واجتهاد .

والرابع ابو حيان بين مؤيديه ومعارضيه ، وقد تكلمنا في هـذا الفصل على ما أثاره من نشاط علمي ، وذكرنا تلاميذه الذين اطالوا

الثناء عليه ، والذين انتقدوه • ثم تعرضنا للنحاة الذين اســتفادوا منه كالسيوطي والازهري •

وجعلنا للبحث خاتمة لخصنا فيها عملنا وابرزنا فيها النتائج التي تَوَصَّلْنا اليهــا •

أما مصادر البحث فهي كثيرة ولا يزال معظمها مخطوطاً ، ويمكن تصنيفهــا الى

١ـ كتب التراجم والتأريخ ، وقد اعتمدنا على القديم منها وما كان قريبا الى عصر ابي حيان ، واتخذناها الاساس في تصوير حياتــه وعرض آثاره ، ولم نعتمد على الحديث منها الا ما كان قريبا من القديم في دقته وصحة معلوماته •

وأهم الكتب التي اعتمدنا عليها في ترجمة حياته فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ، ونكت الهميان في نكت العميان، واعيان العصر وأعوان النصر ، والوافي بالوفيات للصفدي ، والدرر الكامنــــه لابن حجر ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، وبغية الوعاة للسيوطي ، ونفح الطيب للمقري •

٢ ـ كتب النحو وهي كثيرة ، وقـــد طفنــا بمعظمهـــا ولكن المادة الرئيسة لبحثنا هي كتب ابي حيان المخطوطة والمطبوعــة نفسها ، ولم نعتمد على غيرها اعتماداً كبيراً الا عندما كنا نوازن بينه وبين غيره من النحاة ، او عندما كنا نتحدث عن أثره ومكانته في الدراســات النحويــة •

ولسنا ندعي بعد هذا كله اننا قمنا بما ينبغي ان نقوم به في خدمة لغتنا المجيدة •

والله نسأل ان يأخذ بيدنا لما فيه خير لغة الضاد ، انه سميع مجيب•

خديجة عبدالرزاق الحديثي

القاهرة :
٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٣
٣ جمادى الاولى ١٣٨٣ هـ

الباب الأول

أبو حيان وآثاره

ابو حيان

اتجه المسلمون بعد فتح مصر الى شمالي افريقية ينشرون رسالة السماء ويبشرون بالدين الجديد الذي جاء ليجعل من البشر أمة واحدة. ولم تكن البحر ليثنيهم عن فتح الاندلس ، ففي سنة ٩١ هـ أرسل موسى بن نصير عاملاً على افريقية فصمم على ان يفتح الاندلس ، وقد تم له ذلك حيث أرسل طارقاً بن زياد الذي وقف على ساحل البحر قائلا لجنوده ان البحر من ورائهم ، وان الاعداء من امامهم وليس لهم الا ان يقتحموا هذه الجزيرة وينشروا فيها دين الله .

وأصبحت الاندلس ولاية تابعة لدمشق عاصمة الخلافة الاسلامية، وعندما سقطت دولة بني أمية سنة ١٣٢هـ ونُكل بالامويين التجأ عبدالرحمن

الداخل الى الاندلس واقام فيها الدولة الاموية• وازدهرت هذه الدولة واقامت حضارة عربية اسلامية لها اصالتها وارتباطها بحضارة العرب في بلاد الشرق• وتوالى على حكم الاندلس أمراء وخلفاء كثيرون حتى اذاما دب الضعف والوهن في هذه الدولة العربية الشامخة ، انقسمت الى طوائف وسادت الفتن والاضطرابات واخذت قواعد الاندلس تسقط في أيدي المسيحيين ، ولكن بقعة واحدة من تلك البقاع ظلت شـامخة ابية تصد هجوم المعتدين وتقيم سلطانا يظلل العرب والمسلمين ، وتلك البقعة هي « غرناطة » التي شاء الله ان يجعلها قبلة العرب والمسلمين في ذلك الفردوس المفقود •

فما هذه المدينة العظيمة التي اخرجت العلماء والادباء ؟

غرناطـــة

غرناطة مدينة كورة إلبيرة اعظم كور الاندلس ، وهي بفتح الغين وسكون الراء، ويقال إغرناطة وكلا الاسمين اعجمي ، ويقال انمعنى غرناطة « الرمانة » بلسان عجم الاندلس سمي البلد لحسنه بذلك[1].

وقد اختلف المؤرخون في فتحها فقال ابن القوطية إن يثليان الرومي الذي ندب العرب الى غزو الاندلس طلبا لوتره من ملكها لذريق قال لطارق بن زياد مفتتحها عندما كسر جيش الروم « قد فضضت جيش القوم ودوخت حاميتهم وصيرت الرعب في قلوبهم فاصمد لبيضتهم ، وهؤلاء ادلاء من اصحابي ففرق جيوشك في البلدان بينهم واعمد انت الى طليطلة بمعظمهم ، واشغل القوم عن النظر في امرهم والاجتماع الى ولي رأيهم »[2] . وقد افتتحها العرب بعد انتصارهم على القوطبقيادة طارق بن زياد في موقعة « شريش » في رمضان سنة ٩٢هـ « تموز سنة ٧١١ م » .

وكانت غرناطة في أيام الدولة العربيـــة الاســـلامية جنـــة من جنات الدنيا تغص بالبساتين والرياض المرعة يقول عنها ابن بطوطة بعد أن عاد اليها من رحلته الطويلة « غرناطة قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها ، وخارجها لا نظير له في بلاد الدنيا وهو مسيرة اربعين ميـــلا

---

(١) ينظر الاحاطة في اخبار غرناطة ص ٩٩ ، ونفـــح الطيب ج١ ص ١٤١ ، ومعجم البلدان ج٥ ص ٢٨٠

(٢) الاحاطة ص ١٠٦

يخترقه نهر «شنيل» المشهور وسواه من الانهار الكثيرة، والبساتين والجنان والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة • ومن عجيب مواضعها «عين الدمع» وهو جبل فيه الرياض والبساتين لا مثل لها بسواها• قال ابن جزي لولا خشيت ان انسب الى العصبية لاطلت القول في وصف غرناطة ، ولله در شيخنا ابي بكر محمد بن احمد بن شيرين البستي حيث يقول

رعى الله من غرناطة متبوءاً ... يسر حزينا او يجير طريدا
تبرم منها صاحبي عندما رأى ... مسارحها بالثلج عدن جليدا
هي الثغر صان الله من اهلت به ... وما خير ثغر لا يكون برودا[1]

وذكر الوزير لسان الدين بن الخطيب ان جنات غرناطة الشهيرة كانت تبلغ في عصره زهاء ثلثمائة قرية عامرة ، منها ما كان يبلغ سكانه الالوف، ومنها ما كان يملكه مالك واحد او ملاك قلائل ، يقول : « ويحف بسور هذه المدينة المعصومة بدفاع الله تعالى البساتين العريضة المستخلصة ، والادواح الملتفة فيصير سورها من خلف ذلك كأنه من دون سياج كثيفة، تلوح نجوم الشرفات اثناء خضرائه • وذلك ما قلت فيه في بعض الاغراض :

بلدٌ يحفُّ به الرياض كأنه ... وجهٌ جميلٌ والرياض عذارُه
وكأنما واديه معصم غادةٍ ... ومن الجسور المحكمات سوارُه

فليس تعرى جنباته من الكروم الا ما لا عبرة به مقدار غلوة ، أمّا ما حازه السفل من جوفيه فهي عظيمة الخطر ، متناهية القيم ، يضيق جده من عدا أهل الملك عن الوفاء باثمانها ، منها ما يغل في السنة الواحدة نحو الالف من الذهب »[2] •

---

(١) تحفة النظار ج٢ ص ١٨٩ ، وينظر الاحاطة في اخبار غرناطة ص ١٠٤ ، ونفح الطيب ج١ ص ١٦٦

(٢) الاحاطة في اخبار غرناطة ص ١٢١

وكان لجمال هذه المدينة وضواحيها وقراها أثر كبير في نفوس الناس ، ونظم الشعراء فيها القصائد الكثيرة ، ومن ذلك ما قاله ابو الحجاج يوسف بن سعيد بن حسّان

أحنُّ الى غرناطة كلما هفت — نسيمُ الصَّبا تُهدي الجوى وتشُوق
سقى اللهُ من غرناطة كلَّ منهلٍ — بمنهلِّ سُحب ماؤهن هَريق
ديار يدور الحسن حيامِنها — وارض لها قلبُ الشجي مَشوق
أغرناطةَ العلياء بالله خبِّري — أللهائم الباكي اليك طريق
وما شاقني الا نضارةُ منظر — وبهجة وادٍ للعيون تروق(١)

وبقيت غرناطة في عهد الدولة الاموية بالاندلس مدينة متواضعة حتى كانت ايام الفتن بعد انهيار الدولة الاموية في اواخر القرن الرابع الهجري ، فوقعت في قبضة البربر واستولى عليها زعيم صنهاجة الحاجب المنصور ابو مثنى زاوي بن زيري بن مناد واتخذها دار ملكه ، ولما ظهر المرتضى وهو من بني امية ودعا لنفسه بالخلافة سار في جماعة الامويين والموالي الى غرناطة لانتزاعها واتخاذها دار ملكه ، فرده عنها صاحبها في موقعة دموية سنة ٤٠٨ هـ . واستقر زاوي في حكم غرناطة واعمالها بضعة اعوام ، ثم غادرها الى دار قومه في تونس ، واستخلف عليها ابن اخيه حبّوس بن ماكسن ، وكان حازما داهية فحكمها الى ان مات سنة ٤٢٩هـ ، وخلفه في ولايتها ولده باديس ، ولما توفي خلفه في حكم غرناطة واعمالها عبدالله بن بلكين بن باديس الى ان خلع عام ٤٨٣هـ عندما عبر المرابطون البحر الى الاندلس واستولوا على غرناطة وقواعد الاندلس الاخرى ، وبذلك انتهت دولة الطوائف وحكمها المرابطون .

وتصير امرها الى ابي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك لمتونة ، ثم الى ولده عليٌ بن يوسف . وتنوَّب امارتها جملة من ابناء الامراء اللمتونيين وقرابتهم كالامير ابي الحسن علي بن الحاج واخيه موسى ،

---

(١) ينظر الاحاطة في اخبار غرناطة ص ١٢٣ وما بعدها

والامير ابي زكريا يحيى بن ابي بكر بن ابراهيم ، والامير ابي الطاهر تميم ، والأمير أبي محمد ابن مزدلي ، والأمير أبي بكر بن محمد بن أبي محمد ، وابي طلحة الزبير بن عمر ، وعثمان بن بدر اللمتوني • وانتقل الحكم في عام ٥٤٠ هـ الى الموحدين، والى ملكهم ابي محمد عبد المؤمن ابن علي ، فتناوبه بنوه وقرابته كالسيد ابي عثمان بن الخليفة ، والسيد ابي اسحاق بن الخليفة ، والسيد ابي ابراهيم بن الخليفة ، والسيد ابي محمد بن الخليفة ، والسيد ابي عبدالله ، الى ان انقرض امر الموحدين من غرناطة • وتملكها المتوكل على الله امير المؤمنين ابو عبدالله محمد بن يوسف بن هود سنة ٦٢٠هـ ، ثم امير المسلمين الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي الى ان توفي عام ٦٧١هـ ، ثم ولي الامر بعده ولده محمد بن محمد المتوفى سنة ٧٠١ هـ ، ثم ولي بعده سميه محمد الى ان خلع يوم عيد الفطر من عام ٧٠٨هـ ، ثم ولي بعده أخوه نصر ابن امير المسلمين ابي عبدالله ، ولكن ابا الوليد اسماعيل بن فرج غلب على الامارة ثاني عشر ذي القعدة من عام ٧١٣هـ ، وانتقل نصر الى وادي آش مخلوعا وبقي ابو الوليد في الحكم حتى وثب عليه بعض قرابته فقتله وتولى الملك بعده ولده محمد واستمر سلطانه الى شهر ذي الحجة من عام ٧٤١هـ ، وولي بعده اخوه السلطان ابو الحجاج ثم ولده محمد اكبر بنيه • وقد بقي بنو نصر يحكمون غرناطة واستطاعوا ان يقيموا فيها مملكة شامخة وان يصونوها من الفتن التي كانت تضطرم في كل مكان حتى سنة ٨٩٢ هـ حين استولى فرديناند وايزابلا على غرناطة[1] •

وكانت مملكة غرناطة عند قيامها في اواسط القرن السابع الهجري تضم القسم الجنوبي من الاندلس القديمة وتمتد فيما وراء نهر الوادي الكبير الى الجنوب حتى شاطيء البحر المتوسط ومضيق جبل طارق ، ويحدّها من الشمال ولايات جيّان وقرطبة واشبيلية ومن الشرق ولاية

---

(١) ينظر الاحاطة في اخبار غرناطة ص ١٤٦–١٤٩ ، ونهاية الاندلس ص ٢٢–٤٦ ، وظهر الاسلام ج٣ ص ٣١٦ وما بعدها

مرسية وشاطيء البحر المتوسط الممتد منها الى الجنوب ، ومن الغرب ولاية قادس وارض الفرنتيرة •

وكانت تشتمل على ثلاث ولايات كبيرة هي ولاية غرناطة الواقعة في الوسط واهم مدنها العاصمة غرناطة ، وولاية المرية وتمتد من ولاية مرسية حتى البحر واهم مدنها برشانة ، وولاية مالقة وتقع على البحر غربي غرناطة واهم مدنها ثغر مالقة[1] •

وقد تمكنت مملكة غرناطة بعد قيامها ان تبعث النشاط في الحياة الفكرية فنشأ فيها ادباء وعلماء كثيرون ، ولكن الادب في باديء الامر لم يتح له أن يصل الى مستوى رفيع فيها ، لان اصحاب الأمر فيها كانوا من طوائف البربر ومع ذلك ظهر في سمائها من اعلام الادب والعلم غرباء عن الاندلس مثل المغامر المشرقي أبي الفتوح الجرجاني، ورجال من جنس آخر ولغة اخرى مثل اليهودي صمويل بن النغريلة ، واندلسيون مثل الفقيه أبي الاسحاق الالبيري أما الشعراء والكتاب ذوو المواهب العالية من أهل غرناطة فقد اضطروا الى اللجوء الى بلاد المرية[2] •

ومن أشهر شعراء غرناطة وأدبائها في اواخر القرن السابع واوائل القرن الثامن الوزير ابن الحكيم (٧٠٨هـ) وولده أبو بكر محمد ، وابو عبدالله محمد بن خميس التلمساني (٧٠٨هـ) ، وأبو حيان الاندلسي (٧٤٥هـ) ، وابو الحسن علي بن الجياب (٧٤٩هـ) ، وأبو عبدالله محمد ابن جابر الاندلسي الضرير •

وظهر من أقطاب اللغة في هذه الفترة أبو بكر محمد بن ادريس القضاعي (٧٠٧هـ) وأبو جعفر احمد بن ابراهيم الحافظ النحوي شيخ ابن الخطيب (٧٠٨هـ) الذي انتهت اليه رياسة العربية بالاندلس ، وأبو الحسن علي بن يحيى الفزاري (٧٥٠ هـ) ، وابو عبدالله محمد بن علي

---

(١) ينظر نهاية الاندلس ص ٤٧

(٢) ينظر تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٥

الالبيري (٧٥٤ هـ) شيخ النحاة بالاندلس في عصـــره وعليه درس الكثيرون كابن الخطيب وابن زمرك •

ونبغ من علماء الدين والفقه القاسم بن عبدالله الانصاري الاشبيلي (٧٢٥هـ) ، وأبو القاسم عبدالله بن جزي الغرناطي (٧٤١هـ)•وظهر في غرناطة في هذا العصر متصوفون ومؤرخون كثيرون •

أما العلوم فلم تزدهر كازدهار الادب ولكن الحركة الفكريـة الاندلسيةفيغرناطة شهدت مرحلة النضج في اواسط القرن الثامنالهجري ووصلت ذروة قوتها وازدهارها في اواخره••وقد بدأت هذه الحركة في عصر السلطان أبي الحجاج بن اسماعيل أعظم سـلاطين بني نصـــر (٧٣٣ ــ ٧٥٥ هـ) وكان أشد السلاطين حماسة في ازدهار الحركـة الفكرية في غرناطة[1] •

وفي هذه البيئة التي كانت تسودها الفتن والاضطرابات حينـا وتزدهر فيها الحركة الفكرية أحيانا نشأ ابو حيان النحوي •

---

(١) ينظر نهاية الاندلس ص ٤٣٤ وما بعدها ، وتأريخ الفكر الاندلسي ص ٢٥ ، ١٨٥ ، ٢٥١ ، ٤٠٩

أبو حيــان في الاندلس

من هو ؟

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي اثير الدين أبو حيان الاندلسي الجياني النفزي • وقد اتفق معظم من ارخوا له على هذا النسب واللقب[1] ، ولكن ابا الفدا وابن الوردي والسيوطي يسمونه أبا حيان المغربي[2] •

ويتضح مما ذكره المؤرخون ان أبا حيان كان جياني الاصل فهو يرجع الى مدينــة جيّان احــدى مدن الاندلس الوســطى ، يقول ياقوت الحموي « جَيّـــان ــ بالفتح ثم التشديد وآخره نون ــ مدينــة لها كورة واســعة بالاندلس تتصل بكورة البــيرة مائلة عن البيرة الى ناحية الجوف شرقي قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشــر فرسخا وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة »[3] ، ويذكر المقري انه كان لجيان شأنها منذ اول الفتح العربي حتى قيل ان طارقا بن زياد ذهب لفتحها بنفسه مع خيرة من اصحابه ليخلص منها الى طليطلة[4]

وليس في الكتب التي ترجمت لابي حيان ذكر للاسباب التي دعت ذويه الى الهجرة عن جيان والذهاب الى غرناطة التي عظم شأنها في القرن السابع

---

(١) ينظر غاية النهاية ج٢ ص ٢٨٥ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٢ ، وبغيـة الوعاة ص ١٢١ ، وتأريخ ابن الوردي ج٣ ص ٣٣٩ ، وشـــذرات الذهب ج٦ ص ١٤٥ ، ونكت الهميان ص ٢٨٠ ، وأعيان العصر وأعوان النصر ج٧ ، وطبقات الشافعية للاسنوي (مخطوطة الاوقاف ببغداد ص ٩٧)

(٢) الاشباه والنظائر ج٤ ص ١٠ ، وتأريخ ابي الفدا ج٤ ص ١٤٢

(٣) معجم البلدان ج٣ ص ١٨٥

(٤) ينظر نفح الطيب ج٢ ص ١٩٦

الهجري ، ولعل ما كان يجري من احداث وفتن واضطرابات فيالاندلس وسقوط المدن الاسلامية الواحدة بعد الاخرى بيـــد المسيحيين دفع هؤلاء القوم الى مملكة غرناطة والى العاصمة بالذات فاستقروا فيها . وقد اشار القدماء الى ذلك وذكروا ان غرناطةاصبحت ملاذ الناس بعـد الفتن التي اشتعلت في البلاد ، يقول لسان الدين بن الخطيب متحدثاعن « البيرة » وخرابها بعد ان كانت عامرة آهلة « ولم تزل الايام تخيف ساكنها والعفاء يتبوأ مساكنها والفتن الاسلامية تجوس أماكنها حتى شملها الحرب وتقسم قاطنها الاعتراب ، وكل الذي فوق التراب تراب. وانتقل اهلها مدة ايام الفتنة البربرية سنة اربعمائة من الهجرة فما بعدها ولجأوا الى مدينـــة غرناطة فصارت حاضرة الصقع وام المصر وبيضة ذلك الحق لحصانة وضعها وطيب هوائها ودرور مائها ووفور مدتها فأمن فيها الخائف ونظم النشر ، ورسخت الاقدام وتأثل المصر،وهلمجرا.فهي بالاندلس قطب بلاد الاندلس ودار الملك وقرى الامارة » . ثم يقول نقلا عن كتاب«تاريخعلماءالبيرة»لابي القاسم المليحي بعد ذكر البيرة « وقد خلفها بعد ذلك كله مدينة غرناطة من اعظم مدنها واقدمها عندما انقلبت العمارة اليها من البيرة ودارت افلاك البلاد الاندلسية ، فهي في وقتنا هذا قاعدة الدنيا وقرارة العليا وحاضرة السلطان وقبة العـدل والاحسان . لا يعدلها في داخلها ولا خارجها بلد من البلـدان ولا يضاهيها في اتساع عمارتها وطيبقرارتها وطن منالاوطان »[1] .

فابو حيان من هذه الناحية ينسب الى جيان مدينة اهله وذويه وقد بقي هذا اللقب ملازما لأسمه في كثير من الأحيان .

أما لقبه الثاني وهو « الغرناطي » فيرجع الى مدينة غرناطة التي نشأ وترعرع فيها . وجاء لقب « النفزي » من انتسابه الى «نفز »احدى قبائل البربر ، وكثيرا ما يلقب ابو حيان بالاندلسي نسبة الى موطنه الكبيرالاندلس.وقديلقب بالمالكي والشافعي ، لانه كان مالكيا في اول

---

(١) الاحاطة في اخبار غرناطة ص ١٠٠ ـ ١٠١

[illegible] يتدين سكان مواطنيه الدين قال عنهم لسان الدين بن الخطيب: «احوال هذا القطر في الدين واصلاح العقائد احوال سنيّة، والنحل فيهم معروفة مذاهبهم على مذهب مالك بن انس امام دار الهجرة جارية»[1] • ثم مال ابو حيان الى المذهب الظاهري الذي بدا اثره واضحا في تفسيره وفي بعض آرائه النحوية ثم تحول الى المذهب الشافعي بعد ان رحل الى مصر ووجد المذهب الظاهري مهجورا فيها •

فابو حيان جياني الاصل ، غرناطي المولد والنشأة ، اندلسي الانتماء، مالكي فظاهري فشافعي •

وأما كنيته بابي حيان فترجع الى ولده « حيّان » ومن هنا غلبت عليه هذه الكنية ولازمته • ولم ينفرد صاحبنا بهذه الكنية بل لازمت رجالا آخرين كابي حيّان التوحيدي الكاتب المشهور ، ومحمد بن عزيز ابن السلاتي (٧٦٤هـ) ، ومحمد بن محمد المعروف بابن السراج[2] •

اين ولـــد ؟

ولد أبو حيان في « غرناطة » ولكن بعضهم يذكـــر انه ولد في « مطخشارش »[3] ، ويبدو ان مطخشارش ليست مدينة مستقلة بذاتها وانما هي حي من أحياء غرناطة أو ضاحية من ضواحيها ، يقول المقري مناقشا الصفدي « وما ذكره رحمه الله تعـــالى في موضـــع ولادة أبي حيان غير مخالف لما ذكره في الوافي انه ولد بغرناطة ، الا ان قولـــــه مدينة مطخشارش فيه نظر ، لانه يقتضي انها مدينة وليس كذلك وانما هي موضع بغرناطة ، ولذا قال الرعيني ان مولد أبي حيـــــان بمطخشارش من غرناطة وهو صريح في المراد ، وصـــاحب البيت أدرى بالذي فيه ، على انه يمكن ان يرد كلام الصفدي لذلك »[4] • ومهمـــا

(١) الاحاطة في اخبار غرناطة ص ١٤٠

(٢) ينظر روضات الجنات ج٤ ص ٢٠٥ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٧٧ ، وعصر سلاطين المماليك ج٤ ص ١١٣

(٣) اعيان العصر ج٧ ، وبغية الوعاة ص ١٢١ ، وطبقات الشافعية ج٦ ص ٣٢ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٥ ، ومعجم المؤلفين ج١٢ ص ١٣٠ ، ومعجم المطبوعات ص٣٠٦.

(٤) نفح الطيب ج٣ ص ٣١٤

يكن من شيء فلم يكن لمطخشارش ر في أبي حيان ، ولم يعلق به اسم المدينة أو الضاحية وبقيت غرناطة عالقة باسمه حتى اليوم

متى ولد ؟

وكان مولده في العشر الاخير من شوال سنة ٦٥٤هـ (١٢٥٦ م)[١]، ولكن بعضهم يذكر انه ولد في آخر شوال سنة ٦٥٢ هـ[٢]•ونرجح انه ولد سنة ٦٥٤ هـ لامور

الاول ان أبا حيان ذكر في اجازته للصفدي « ومولدي بغرناطة في اخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة »[٣]

والثاني ان معظم الذين ترجموا له ذكروا انه ولد في سنة ٦٥٤هـ،ولم يشذ عنهم الا بعض المتأخرين كاللكنوي الهندي •

والثالث انه ذكر في تفسيره البحر المحيط انه عين مدرساً للتفسير في قبة السلطان الملك المنصور في آواخر سنه ٧١٠ هـ وهي اوائل سنة سبع وخمسين من عمره ، يقول متحدثا عن نفسه « فاتاح الله لي ذلك قبل بلوغي ذلك العقد ، وبلغني ماكنت اروم من ذلك القصد ، وذلك بانتصابي مدرسا لعلم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور — قدس الله مرقده وبلّ بمزن الرحمة معهده — وذلك في دولة ولده السلطان القاهر الملك الناصر الذي ردّ الله به الحق الى أهله ، واسبغ على العالم وارف ظله ، واستنقذ به الملك من غصّابه ، واقرّه في منيف محله وشريف نصابه • وكان

---

(١) غاية النهاية ج٢ ص ٢٨٥ ، وحسن المحاضرة ج١ ص ٢٠٨ وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٦ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٥ ، وبغية الوعاة ص ١٢١ ، والنجوم الزاهرة ج١٠ ص ١١٢ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٢ ، ودائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج١ ص ٣٣٢ ، وتاريخ الفكر الاندلسي ص ١٨٧ ، وتأريخ الادب العربي لبروكلمان (الطبعة الالمانية) ج٢ ص ١٣٣ وطبقات الشافعية للاسنوي ص ٩٧ والوافي بالوفيات

(٢) التعليقات السنية على الفوائد البهية ص ١٩٥

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي (نسخة مصورة عن المتحف البريطاني محفوظة في مكتبة جامعة بغداد المركزية)

ذلك في اواخر عشر وسبعمائة وهي اوائل سنة سبع وخمسين من عمري فعكف على تصنيف هذا الكتاب »[1] •

نشأته وثقافته :

وليس في المصادر التي بأيدينا ما يشير الى أبيه او افراد اسرته ، ويبدو ان أباه لم يكن من ذوي السلطان ولا من ذوي العلم والمكانة الاجتماعية المرموقة ليذكر وتتناقل أخباره الكتب والرواة • وتذكر المصادر ان أبا حيان قد تلقى علومه الاولى في مسقط رأسه غرناطة على شيوخ عصره ، وأغلب الظن انه ابتدأ بدراسة القرآن والحديث وعلوم اللغة العربية ، وكانت أول قراءته سنة ٦٧٠هـ قرأ السبع ببلده على عبد الحق بن علي بن عبدالله الانصاري ، واحمد بن علي بن محمد بن الطباع ، والاستاذ أبي جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير ، والى آخر سورة مريم على احمد بن سعيد بن احمد بن بشير القزاز ، والى آخر سورة الحجر على الحافظ أبي علي الحسن بن عبدالعزيز بن علي بن أبي الاحوص ، وبرواية ورش ثم قالون الى أول سورة الجن على اليسر ابن عبدالله بن محمد بن خلف ، وقرأ عليه المصباح لابي الكرم[2] •

وليس في كتب أبي حيان ما يشير الى انه الف بعضها في الاندلس، وقد حاولنا ان تتلمس في كتبه التي لم يذكر فيها سنة تأليفها بعض ما يمكن الاستفادة منه ولكننا لم نستطع أن نتبين ذلك ونرجح انه الف كتبه بعد رحيله عن الاندلس وهو في الخامسة والعشرين من عمره•

لماذا ترك الاندلس :

ولم يطل المقام بابي حيان في الاندلس فغادرها سنة ٦٧٨هـ أو سنة ٦٧٩ هـ ضاربا في عرض البلاد وطولها حتى استقر المقام به في القاهرة عاصمة المماليك البحرية •

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ٢

(٢) غاية النهاية ج٢ ص ٢٨٥ ، وبغية الوعاة ص ١٢١، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٢، وتذكرة الحفاظ ج٤ ص ٢٦٥ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٦

أما الاسـباب التي دعت أبا حيـان الى ان يترك بلاده ويتجه الى المشـرق فقـد اختلف فيهـا المؤرخون ، فالسيوطي يقول « ورأيت في كتابه النضار الذي ألفه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته ان مما قوى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلمـاء بالمنطق والفلسفة والرياضة والطبيعة قال للسلطان: «اني قد كبرت فاخاف ان أموت فارى ان ترتب لي طلبه اعلمهم هذه العلوم لينتفعوا بها من بعدي »• قال أبو حيان « فنشير الي أن أكون من اولئك وترتب لي راتب جيد وكسوة واحسان فتمنعت ورحلت مخافة أن اكره على ذلك»[1] •

ويذكر المقري ان الكثيرين من المؤرخين يذكرون ان سبب رحلته ما نشأ بينه وبين ابن الطباع فرفع امره للامير محمد بن نصـر المدعو بالفقيه وكان ابو حيان كثير الاعتراض عليه ايام تلمذته له فنشأ شر عن ذلك • وقد عزم السلطان على التنكيل بأبي حيان وامر باحضاره ولكنه احس بما اعتزم عليه السلطان فاختفى ثم ركب البحر ولحق بالمشرق[2] • وهكذا هاجر ابو حيان عن وطنه ، ولم يكن اول من اتجه الى المشرق فقد سبقه الكثيرون طلبا للرزق او العلم والجاه ، وتزخر الكتب القديمة باسماء مئات الاندلسيين الذين رحلوا الى المشرق عن الاندلس •

واذا كان أبو حيان قد ترك الاندلس اضطرارا او طلبا للعلم والسعة في الرزق فانه لم ينس موطنه الاول ومرتع احلامه ولم يغب عن خياله وهو في المغرب او مصر ، وظل يذكره طويلا • وكان كثيراً ما يدافع عن أهل الاندلس ، يروى أن ابن دقيق العيد قال مرة لابي حيّان « فيكم يـا أهل اندلس خصلتان شرب الخمر وحب الغلمان » فقال أبو حيان «اما الخمر فوالله ما عصيت الله فيها ، اما الغلمان فما أشك أن أهل مصـر أفسق منا »[3] ، وهـذه الحادثة تدل على دفاعه عن نفسه وعن ابنـاء جلدته •وكان ابو حيان كثيراً ما يذكر أهل الاندلس بعلو الهمة في العلم

(١) شذرات الذهب ج٦ ص ١٤٦ •
(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٤١
(٣) ابن دقيق العيد ص ٤١ •

والدنيا ، وقد نقل المقري من خط أبي حيان حكاية فيها دلالة على ذلك يقول « ومن حكاياتهم في علو الهمة في العلم والدنيا انه دخل ابو بكر الصائغ المعروف بابن باجة جامع غرناطة وبه نحوي حوله شباب يقرأون فنظروا اليه وقالوا له مستهزئين به : ما يحمل الفقيه ؟ وما يحسن من العلوم ؟ وما يقول ؟ فقال لهم أحمل اثني عشر الف دينار وها هي تحت ابطي ، واخرج لهم اثنتي عشرة ياقوتة كل واحدة منها بالف دينار . وأما الذي احسنه فاثنا عشر علماً أدونها علم العربية الذي تبحثون فيه ، وأما الذي أقول فانتم كذا ، وجعل يسبهم[1] .

وكان يدافع عن اخلاق أهل الاندلس في تفسيره للقرآن الكريم ، وكان يستشهد ببعض الحوادث التي حدثت في بلاد الاندلس على عهده ويذكر عادات اهل الاندلس واخلاقهم[2] .

وهذه الشواهد وغيرها تدل دلالة واضحة على ان أبا حيان لم ينسَ وطنه الاول وهو يطوف في البلاد متجرعا غصص الغربة وألم الفراق .

---

(١) نفح الطيب ج٤ ص ٣٢٥ .

(٢) ينظر البحر المحيط ج٣ ص ٢٦٤ ، ٥١٧ ، ٥٢٦ ، و ج٥ ص ٢٩٩ ، و ج٧ص٢٣٧، ٤٧٢ .

رحيلـــه عن الاندلس

وفي سنة ٦٧٨هـ أو ٦٧٩ هـ ألقى أبو حيان النظرة الأخيرة على بلاد الاندلس وعبر البحر ليلقي عصا الترحال في بلاد جديدة لا يعرف فيها أحدا ، ولا يعرف مصيره ، وذهب الى فاس ولكنه لم يقم بها الا ثلاثة أيام وأدرك فيها أبا القاسم المزياتي[١] ، وطاف بسبتة وبجايـــة وتونس وبقي يتنقل في مدن المغرب وشمال افريقية ، واتصل بكثير من علمائها كابي عبدالله محمد بن عباس القرطبي ، وأبي عبدالله محمد بن صالح الكناني ، وأبي العباس أحمد بن علي بن خالص الاشبيلي[٢] ويبدو أن أبا حيان لم يجد الراحة في تجواله في بلاد المغرب فقال شعرا يذكر بعض ما كان يجيش به صدره ، ومن ذلك قوله

وأوصاني الرضي وصاة نصح وكان مهـذباً شهما أبيّـــا
بانلا تحسنن ظنا بشـــخص ولا تصحب حياتك مغربيـــا[٣]

الى مصـــر :

واتجه الى مصر وكانت الاسكندرية أول ما دخل من مدنها وسمع فيها عن عبدالوهاب بن حسن بن الفرات[٤] ، وكانت مصر يوم دخلها

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣٤١

(٢) ينظر البحر المحيط ج٣ ص ٢١٣ ، وبغية الوعاة ص ٣٧ ، ١١٩ ، وطبقات الشافعية ج٦ ص ٣٢

(٣) فهرس الفهارس ج١ ص ١٠٩ ، وبغية الوعاة ص ٨٣

(٤) طبقات الشافعية ج٦ ص ٣٢ .

تحت ظل المماليك البحرية الذين استطاعوا ان يصدوا هجمات المغول عن مصر والشام وان يؤسسوا من الاقليمين دولة لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على التراث العربي الاسلامي • ولم يكن الحكم في هذه البلاد يومذاك ملكيا وراثيا مطلقا أو مقيدا ، ولم يكن جمهوريا يرأسه فرد أو جماعة وانما كان غريبا فمرة يتسنم السلطان العرش بالوراثة وتارة ينتزعه انتزاعا ويفرض نفسه فرضا • ومن هنا بقيت الاضطرابات والفتن محتدمة بين المتنازعين على الحكم ، وبقيت المؤامرات تحاك في الخفاء ، ومع ذلك فقد كانت مصر يوم دخلها أبو حيان قبلة انظار المسلمين والعرب ومحط رجاء الوافدين اليها ، لانها اصبحت بعد سقوط بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦هـ وبعد سقوط اكثر مدن الاندلس في ايدي المسيحيين ملاذ العلماء والادباء ، ومن هنا يرى الكثيرون ان الآداب والعلوم انتقلت الى مصر والشام بعد نكبة العراق والاندلس وبلاد المغرب ، ونبغ فيهما عدد كبير من العلماء والادباء الذين نسجوا على أنوال السابقين •ولعل ابن خلدون كان من أقدم الذين صرحوا بهذا واشار في عدة أماكن من مقدمته الى هذه الظاهرة ، يقول « ثم لما انحل نظام الدولة الاسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل أسواقه بها نافقة الى هذا العهد »[1] • ويقول « ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ، ومن جملتها تعليم العلم ، وأكد ذلك فيها وحفظه ماوقع لهذه العصور بها منذ مائتين من السنين في دولة الترك من أيام صلاح الدين وهلم جرا •ان امراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليه من الرق او الولاء ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته ، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يجعلون فيها شركا

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٢٠

لوالدهم ينظر عليها أو يصيب منها مع ما فيهم غالبا من الجنوح الى الخير والتماس الاجور في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طلب العلم ومعلمه لكثرة جرايتهم عنها وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلم وزخرت بحارها »[1] .

وزخرت مصر في عهد المماليك البحرية بالمدارس ، وصار في القاهرة سبعون مدرسة تدرس فيها المذاهب الاربعة حتى ان ابن بطوطة قال حينما زارها « وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها »[2] . ومن مدارس مصر الناصرية والصلاحية والكاملية والقمحية والصاحبية والسيوفية والظاهرية والفاضلية والمنصورية والسلفية والفائزية والمسرورية . وقد ساهمت هذه المدارس مساهمة فعالة في نشر الثقافة وتهذيب النفوس فنشأت طبقة واعية مفكرة أخذت على عاتقها بث العلم والترغيب في التأليف . وكانت المكتبات الى جانب المدارس سببا مهماً في نشر المعرفة والثقافة حيث توفرت للعلماء وسائل التعليم .

وشهدت مصر في هذا العهد حركة عظيمة في التأليف ، وكانت منابع المؤلفين ومادة كتبهم ما خلفه الشرق العربي من تراث ضخم تعاقبت على بنائه الاجيال وما جاء من المغرب وبلاد الاندلس ، وقد صهرت بيئة مصر هذا النتاج وصبته في قالب جديد .

وحظيت الدراسات الدينية بالمنزلة الاولى في التأليف فألفت كتب كثيرة في فقه المذاهب المختلفة ، وشرحت كتب عدة . وكان التأليف في علوم اللغة واضحا جليا غير ان علوم الطب والهندسة والفلك والصناعات والفنون لم تحظ باهتمام بالغ كما حظيت بها الدراسات القرآنية واللغوية .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٤–٤٣٥

(٢) تحفة النظار ج١ ص ٢٠ .

ومن أشهر مؤلفي عصر أبي حيان في مصر والشام الشيخ عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام (٦٦٠هـ)، وابن النحاس (٦٩٨هـ) ،وتقي الدين ابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) ، وابن تيمية الحراني (٧٢٨ هـ) ، وابن قيم الجوزيـة (٧٥١هـ) ، وتقي الدين السبكي (٧٥٦ هـ) ، وابن مالك (٦٧٢ هـ) ، وابن منظور (٧١١ هـ) ، وابن هشام الانصـاري (٧٦١ هـ) ، وابن عقيل (٧٦٩ هـ) .

أما الأدب شعره ونثره فلم يكن في هذا العهد كما كان في العصور الاولى ، فقد جنح الى التقليد واجترار المعاني القديمة ، وكانت تتنازع أدباء هذا العصر ثلاثة اتجاهات هي مدرسة البديع ومدرسة المعاني ومدرسة التشبيه التي أكثرت من هذا الفن البياني[1] . ويمتاز أدب هذه الفترة بصورة عامة بشيوع العاطفة الدينية ونظم المدائح النبويـة والتشبث بالرسول الأعظم (ص) ، وشاع شعر الهزل والفكاهـة والتندر[2]

في هذه البيئة العلمية والادبية استقر أبو حيان وتفاعل معها فكتب وألف كتباً كثيرة في الدراسات القرآنية واللغوية والنحوية .و قد رأى في مصر موطن احلامه وآماله فالقى بها عصا الترحال ، يقول واصفاً حاله في مصر « فكم صدر أودعت علمه صدري ، وحبر أفنيت في فوائده حبري ، وامام اكثرت به الالمام ، وعلاّم اطلت معه الاستعلام ، اشنف المسامع بما تحسد عليه العيون ، وأذيب في تطلاب ذلك المال المصون ، وارتع في رياض وارفة الظلال ، واكرع في حياض صافيـة السلسال ، واقتبس بها من انوارهم ، واقتطف من ازهارهم ، وابتلج من صفحاتهم ، وأتأرج من نفحاتهم ، فجعلت العلم بالنهار سحيري ، وبالليل سميري ، زمان يقصر ساريه على الصِّبا ، ويهب للهو ولا كهبوب الصَّبا ، ويرفل

---

(١) تنظر هذه الاتجاهات في كتاب الحركة الفكرية في مصر ص ٢٨٣

(٢) ينظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٤٠٣ ، والحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام ص ٢٩١

في مطارف اللهو ، ويتقمص أردية الزهو ، ويؤثر مسرات الاشباح على ندات الأرواح ، ويقطع نفائس الاوقات في خسائس الشهوات من مطعم شهي ومشرب روي وملبس بهي ومركب حظي ومفرش وطي ومنصب سني ،وأنا أتوسد أبواب العلماء ، وأتقصد اماثل الفهماء ، وأسهر في حنادس الظلام ، واصبر على شظف الايام ، واوثر العلم على الاهل والمال والولد ، وارتحل من بلد الى بلد ، حتى ألقيت بمصر عصا التسيار ، وقلت ما بعد عبادان من دار »[1] .

واستوطن أبو حيان القاهرة بعد حجه وأنشد لشيخه أبي الحسن الزجاج

رضيت كفافي رتبةً ومعيشةً   فلست اسامي موسراً ووجيها
ومن جَرَّ أثوابَ الزمان طويلةً   فلا بُدَّ يوما أنْ سيعثر فيها

وأنشد لموسى بن أبي تليد

حالي مع الدهر في تقلّبه   كطائر ضم رجلَه شركُ
فهمّه في خلاص مهجتِهِ   يروم تخليصَها فتشتبك[2]

ولقي صاحبنا حظوة من لدن سلاطين مصر وامرائها وحكامها فعين مدرساً في مدارس القاهرة وأصبح مدرسا للنحو في جامع الحاكم سنة ٧٠٤هـ وتولى تدريس التفسير، يقول ابن كثير في حوادث هذه السنة: « وفي يوم الاحد ثالث ربيع الاول حضرت الدروس والوظائف التي انشأها الامير بيبرس الجاشنكير المنصوري بجامع الحاكم بعد أن جدده من خرابه بالزلزلة التي طرأت على ديار مصر في آخر سنة ثنتين وسبعمائة وجعل القضاة الاربعة هم المدرسين للمذاهب ، وشيخ الحديث سعد الدين الحارثي ، وشيخ النحو أثير الدين أبو حيان، وشيخ القراءات السبع الشيخ

(١) البحر المحيط ج١ ص ٤
(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٠

نور الدين الشطنوفي، وشيخ افادة العلوم الشيخ علاء الدين القونوي»[1].
وأصبح منذ سنة ٧١٠هـ مدرسا للتفسير في قبة السلطان الملك المنصور في عهد السلطان القاهر الملك الناصر، يقول أبو حيان «وما زال يختلج في ذكري ويعتلج في فكري اني اذا بلغت الامل الذي يتغضّد فيه الأديم ويتنغص برؤية النديم وهو العقد الذي يحل عرى الشباب المقول فيه اذا بلغ الستين فاياه وإيّا الشواب. ألوذ بجناب الرحمن واقتصر على النظر في تفسير القرآن، فاتاح الله لي ذلك قبل بلوغي ذلك العقد وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد، وذلك بانتصابي مدرسا في علم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور ـ قدس الله مرقده وبَلّ بمزن الرحمة معهده ـ وذلك في دولة ولده السلطان القاهر الملك الناصر الذي ردّ الله به الحق الى أهله، وأسبغ على العالم وارف ظله، واستنقذ به الملك من غصابه، وأقره في منيف محله وشريف نصابه، وكان ذلك في اواخر سنة عشر وسبعمائة وهي اوائل سنة سبع وخمسين من عمري»[2]
وتولّى منصب الاقراء بجامع الاقمر أحد جوامع العصر الفاطمي، وكان قد خلف مشيخة محمد بن النحاس في استاذية النحو[3].

وكان لأبي حيان خصوصية بالامير سيف الدين أراغون النائب الناصري ينبسط معه، ولما توفيت ابنته «نضار» طلع الى السلطان الملك الناصر وسأل منه ان يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقية، فاذن له
ولعله لذلك ألف له كتاب «شرح التسهيل»، يقول وهو يتحدث عن شرح التسهيل «فأخذت في ابتداء الشرح من أول الكتاب وانتدبت اليه أحق الانتداب اذ كانت علائق الخمول قد انقطعت وعوائق الاكتساب قد ارتفعت فحصل ما فيه نقع غليل وبرء عليل وانشراح صدر، وارتفاع

(١) البداية والنهاية ج١٤ ص ٣٣
(٢) البحر المحيط ج١ ص ٣
(٣) ينظر شذرات الذهب ج٦ ص ١٤٦، وخطط المقريزي ج٢ ص ٢٧٨
(٤) الوافي بالوفيات، ونكت الهميان ص ٢٨١، ونفح الطيب ج٢ ص ٢٩٥، والدرر الكامنة ج١ ص ٣٥٢

فدر ، بتيسير ما فيه لمقتنع كفاية[1] وتفسير كتاب الله آية آية،وذلك بما اتاح الله على يدي المقر العالم العالمي العادل السيفي سيف‌الدين أراغون نائب السلطنة المنصورية الناصرية ، أمير ان ذكرت المعارف فهو امامها، أو أسديت العوارف فهو غمامها ، أو فخرت الممالك فهو همامها ، أو جرت السوابق فهو أمامها غيث الورى ليث الشرى محيي العدل محيق الجدب جامع فضيلتي العلم والسيف ، اقتضت له السعادة الالهية ان خلدت اسمه في هذا التصنيف وأعظم به من تنويه وتشريف ، فمحامده تتلى في تصانيف العلوم بألسنة الاقلام وذكره مخلد على مر الليالي والايام اذ فضائله النفسانية هي الباعثة على تصانيف العلوم وفواضله الاحسانية ملقحة الاذهان والفهوم ، أسمح من غمام وانور من بدر تمام :

تيمّن بهامن غرةٍ نورها الشمس	أضاءت دجى الأيام فارتفع اللبس
والمم بمغني دولة ناصريّة	تكنّفها الاقبال والنصر والأنس
تولّى لها التدبير أروعُ ماجد	كثير التوقّي شأنه الجود والبأس
ومن يك سيف‌الدين نائب ملكه	ينَمْ وجفونُ الدهرعن ملكه نُعس
أميرٌ همامٌ ذو وغى وسياسةٍ	تغاير في عليائه الطّرف والطرس
اليه انتمت كل المكارم وانتهت	فبالشخص منه يعجن النوع والجنس
مميت نفوس ان عصت ومعيدها	اذا ما أطاعت فهو يجرح أو يأسو
كأنّ الورى جسم لديك دواؤه	وأمرك في تدبيره الروح والنفس

لا زال للمعارف يبديها ، وللعوارف يسديها ، وللمشكلات يوضحها ، وللمقفلات يفتحها وللفضائل يجدد رفاتها ، وللفضائل يحيي مواتها ، وللممالك يدبرها ويرأبها ، ولاشتات الخيرات يجمعها ويشعبها »[2] .

وتنقل أبو حيان بعد ذلك في بلاد عدة،فذهب الى مكة المكرمة ولقي فيها

(١) في المطبوع ج١ ص ٩ : فيسيرها فيه .
(٢) التذييل والتكميل ج١ ص ٥ .

أبا الحسن علي بن صالح الحسيني[1] ، وذهب الى الشام ولا ندري ماذا فعل هناك وبمن اتصل ولكن ابن قطلوبغا يقول في ترجمة احمد بن علي فخرالدين الشهير بابن الفصيح (٧٥٥ هـ) « كتب اليه الشيخ أثير الدين أبو حيان لما قدم دمشق قصيداً منها

شرف الشام واستنارت رباه   بامـام الائمة ابن الفصيـح
كـل يوم لـه دروس علوم   بلسان عذب وفكر صحيح[2]

ومما يؤكد ذهابه الى دمشق ما قاله في مقدمة كتابه « التكميل في شرح التسهيل » في معرض حديثه عن سبب تأليفه هـذا الكتاب « .. ومع ذلك فطالما سألني سائلون من اهل مصر والشام في شرح باقيه وتكميله وانتقاده وتذييله ليكون ذلك عجالة يحظى بها المستوفز ويرضى ببلوغ موعودها المستنجز ويجلو عرائسه في منصة التوضيح ، ويبرز نفائسه من التلويح الى التصريح » .

وقوله بعد ذلك « ومما خوطبت به في دمشق المحروسة كلمـة اولها

تبدّى فخلنا وجهه فَلَقَ الصبح   يلوح لنا من حالك الشعر في جنح

ومن آخرها

اليـك ابا حيـان مني تحيـة   يفوق شذاها مسك دارين في النفح
بدأت بأمـر تمم الله قصـده   وكمله باليمن منـه وبالنجـح
وسـهلت تسهيل الفوائد محسنا   فكن شارحا صدري بتكملة الشرح[3]

ويذكر المقري ان أبا حيان ذهب الى السودان ، يقول « وقال ابن رشيد حدثنا ابو حيان قال حدثنا التاجر أبو عبدالله البرجوني بمدينة

---

(١) ينظر طبقات الشافعية ج٦ ص ٣٢
(٢) تاج التراجم في طبقات الحنفية ص ١٣ (ترجمة ابن الفصيح)
(٣) التذييل والتكميل في شرح التسهيل ص ٢ـ٤ المخطوط . وص ٦ ـ ٨ المطبوع.

عيذاب من بلاد السودان وبرجونة قرية من قرى دار السلام قال كنت بجامع « لولم » من بلاد الهند ومعنا رجل معربي اسمه يونس فقال لي « اذكر لنا شيئاً فقلت له قال علي رضي الله تعالى عنه: « اذا وضع الاحسان في الكريم أثمر خيراً واذا وضع في اللئيم أثمر شراً كالغيث يقع في الاصداف فيثمر الدر ويقع في فم الافاعي فيثمر السم » فما راعنا الا ويونس المغربي قد أنشدنا لنفسه

صنائع المعروف ان اودعت — عند كريم ذكت النعما
وان تكن عند لئيم غدت — مكفورة موجبة اثما
كالغيث في الاصداف درٌ وفي — فم الافاعي يثمر السمّا

قال ابو حيان فلما سمعت هذه الابيات نظمت معناه في بيتين وهما:

اذا وضع الاحسان في الخبّ لم يفد — سوى كفره والحر يجزي به شكرا
كغيث سقى أفعى فجاءت بسمّها — وصاحب أصدافا فاثمرت الدرا

قال أبو حيان وأنشدنا الامير بدرالدين أبو المحاسن يوسف بن سيف الدولة أبي المعالي بن رماح الهمداني لنفسه بالقاهرة

فلا تعجب لحسن المدح مني — صفاتك أظهرت حكم البوادي
وقد تبدي لك المرآة شخصا — ويسمعك الصدى ما قد تنادي

ويقول المقري بعد دلك « وبعد كتبي ما نقله ابن رشيد عن أبي حيان رأيت لبعضهم ان أبا حيان هذا الذي ذكره ابن رشيد ليس هو أبو حيان النحوي الاندلسي وانما هو شخص آخر ، وفيه عندي نظر لايخفى والذي اعتقده ولا أرتاب فيه انه أبو حيان النحوي »[1] .

واستقر أبو حيان في القاهرة يدرس ويؤلف ولا نعرف كيف

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣٣٩

قضى حياته الأخيرة وان كنا نستطيع ان نقول انه انصرف انصرافا تاما الى البحث والتأليف فاخرج كتبا في علوم شتى ما تزال تشهد على مقدرته وسعة اطلاعه .

وفاته :

وشاء الله ان يختم أبو حيان حياته في القاهرة فتوفي رحمه الله تعالى بمنزله خارج باب البحر في يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة ٧٤٥هـ (١١ تموز سنة ١٣٤٥ م)،ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر وصلي عليه بالجامع الاموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر[١] . وكان قد أضر قبل موته بقليل ولذلك ذكره الصفدي في كتاب « نكت الهميان في نكت العميان» .

وذكر الاسنوي في طبقاته أنه توفي عشية يوم السبت السابع والعشرين من صفر سنة خمس واربعين وسبعمائة بمنزله خارج البحر ، ودفن من الغد خارج باب النصر بتربة الصوفية .وقال: «وأنا كثير الزيارة له ، لأنه مجاور لقبر والدتي واخيها ــ رحمهما الله تعالى ــ ولقبر ولدي ايضا »[٢]

وذكر الجزري انه دفن بتربته بالبرقية[٣] .

ويرى بعضهم انه توفي سنة ٧٤٣ هـ ، يقول المقري « وما وقع في كلام كثير من أهل المغرب ان أبا حيان توفي سنة ثلاث واربعين

---

(١) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣٩٢ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٧ ، والمنهل الصافي ج٣ ص ٣٢٦ ب ، وحسن المحاضرة ج١ ص ٣٠٨ ، وتاريخ أبي الفدا ج٤ ص ١٤٢ ، والتعليقات السنية على الفوائد البهية ص ١٩٥ ، وروضات الجنات ج٤ ص ٢٠٥ ، وجلاء العينين ص ١٨ ، وتأريخ ابن الوردي ج٢ ص ٣٣٩ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٦ ، ونكت الهميان ص ٢٨٤ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، والنجوم الزاهرة ج١٠ ص ١١١ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٩١ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣١٠ ، وطبقات الشافعية ج٦ ص ٣٣ ، واعيان العصر ج٧ ، وتأريخ الادب العربي لبروكلمان (الطبعة الالمانية) ج٢ ص١٣٤ والوافي بالوفيات.

(٢) طبقات الشافعية ص ٩٧ .

(٣) ينظر غاية النهاية في طبقات القراء ج٢ ص ٢٨٦

وسبعمائة غير ظاهر ، لان أهل المشرق أعرف بذلك اذ توفي عندهم ، وقد تقدم انه توفي سنة خمس واربعين وسبعمائة ، فعلى كلام أهل المشرق في هذا المعول والله أعلم »[1] .

ويذكر ابن اياس انه توفي سنة ٧٥٣هـ يقول « ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وتوفي في هذه السنة الشيخ شمس الدين الذهبي المؤرخ ، وتوفي الشيخ أثير الدين أبو حيان المغربي »[2] .

وذكر بعضهم ان أبا حيان دفن بتربته بالبرقية ، وقد انفرد الجزري بهذه الرواية في كتابه « غاية النهاية »[3] .

صدى وفاته :

وكان لموت أبي حيان أثر بالغ فحزن عليه الناس واصدقاؤه وتلاميذه ونظموا في رثائه القصائد ، ومن أشهر ما قيل فيه قصيدة تلميذه الصفدي وهي

مات أثير الدين شيخ الورى	فاستعر البارق واستعبرا
ورقَّ من حزنٍ نسيم الصَّبا	واعتلَّ في الاسحار لما سرى
وصادحاتُ الايك في دوحها	رثته في السجع على حرف را
يا عينُ جودي بالدموع التي	تروي بها ما ضمه من ثرى
واجري دما فالخطب في شأنه	قد اقتضى اكثر مما جرى
مات امام كان في علمه	يُرى اماما والورى من ورى
أمْسَى منادَى للبلى مفرداً	فضمه القبر على ما ترى
يا أسفا كان هُدًى ظاهراً	فعاد في تربته مضمرا
وكان جمعُ الفضل في عصره	صحَّ فلما ان قضى كسِّرا
وعرّف العلم به برهة	والآن لما ان مضى نكرا
وكان ممنوعا من الصرف لا	يطرق من وافاه خطب عرا

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣١٥ .
(٢) بدائع الزهور ج١ ص ١٩٩
(٣) غاية النهاية ج٢ ص ٢٨٦

لا أفعل التفضيل ما بينه ... وبين من أعرفه في الورى
لا بدل عن نعته بالتقى ... ففعله كان له مصدرا
لم يدغم في اللحد الا وقد ... فك من الصبر وثيق العرى
بكى له عمرو وزيد فمن ... أمثلة النحو وممن قرا
ما أعقد التسهيل من بعده ... فكم له من عسرةٍ يسرا
وجسر الناس على خوضه ... اذ كان في النحو قد استبحرا
من بعده قد حال تمييزه ... وحظه قد رجع القهقرى
شارك من قد ساد في فنه ... وكم له فن به استأثرا
دأب بني الآداب ان يغسلوا ... بدمعهم فيه بقايا الكرى
والنحو قد سار الردى نحوه ... والصرف للتصريف قد غيرا
واللغة الفصحى غدت بعده ... يلغى الذي في ضبطها قررا
تفسيره البحر المحيط الذي ... يهدي الى وارده الجوهرا
فوائد في فضله جمة ... عليه فيها نعقد الخنصرا
وكان ثبتاً نقله حجة ... مثل ضياء الصبح اذ أسفرا
ورحلة في سنة المصطفى ... أصدق من يسمع ان خبرا
له الاسانيد التي قد علت ... فاستفلت عنها سوامي الذرى
ساوى بها الاحفاد اجدادهم ... فاعجب لماضٍ فاته من طرا
وشاعراً في نظمه مفلقاً ... كم حرر اللفظ وكم حبرا
له معانٍ كلما خطها ... تستر ما يرقم في تسترا
أفديه من ماضٍ لأمر الردى ... مستقبلاً من ربه بالقرى
ما بات في أبيض أكفانه ... الا واضحى سندساً أخضرا
تصافح الحور له راحة ... كم تعبت في كل ما سطرا
ان مات فالذكر له خالد ... يحيى به من قبل أن يقبرا
جاد ثرًى واراه غيث اذا ... مساه بالسقيا له بكرا
وخصه من ربه رحمة ... تورده في حشره الكوثرا[1]

---

(١) الوافي بالوفيات ، ونكت الهميان ص ٢٨٤ ، واعيان العصر ج٧ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٢٩٢ ، وحسن المحاضرة ج١ ص ٣٠٨

زوجـه :

أما أسرة أبي حيان فكانت زوجه زمردة بنت أبرق أم ولده حيان، وقد أسمعها الكثير على الابرقوهي وغيره ،وحدثت وسمع منها انبرزالي وماتت في ربيع الاخر سنة ٧٣٦ هـ ، وكانت تكنى أم حيان وهي والدة نضار ابنته[١]

ولأبي حيان قصيدة يمدحها فيها منها

جننت بها سوداء لون وناظر	ويا طالما كان الجنون بسوداء
وجدت بها برد النعيم وان يكن	فؤادي منها في جحيم ولأواء
وشاهدت معنى الحسن فيها مجسداً	فاعجب لمعنى صار جوهر أشياء
أطاعنة من قدها بمثقف	اصبت وما أغنى الفتى لبس حصداء
لقد طعنت والقلب ساه فما درى	أبالقدّ منها أم بصعدة سمراء

ثم غيّر البيت الاول وانشد

جننت بها سوداء شعر وناظر	وسمراء لون تزدري كل بيضاء[٢]

ولـده

وكان حيّان ولده الكبير ، وهو حيّان بن أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان فريد الدين بن أثير الدين ، اسمعه والده من ابن الصواف وابن مخنف ،وتلا بالسبع على أبيه،وأجاز له وقرأ عليه معظم كتبه ومنها كتابه «غاية الاحسان في علم اللسان» .وعلى نسخة الكتاب المحفوظة في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية اشارة الى انه سمع الكتاب على والده في سنة ٧٢٢هـ ، يقول حيّان « قرأت جميع هذه المقدمة رواية على مصنفها والدي رضي الله عنه في مجلسين آخرهما يوم الاثنين العشرين لجمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة بمنزله من باب البحر بظاهر القاهرة المحروسة » . وعلق أبو

---

(١) الدرر الكامنة ج٢ ص ١١٦

(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٥

حيان نفسه على هذا الكلام بقوله « ما ذكره ابني حيان صحيح واجزت له ان يروي عني جميع مروياتي ومصنفاتي ومختصراتي ومنشئاتي ومقتبساتي وجميع ما يجوز لي وعني روايته بشرطه بفطنته »[1] .

وأجاز لحيان جماعة غير والده منهم محمد بن أحمد بن عبدالخالق ابن علي بن سالم بن مكي المصري الشيخ تقي‌الدين‌بن الصائغ(٧٢٥هـ). وقد جاء في الدرر الكامنة في ترجمة ابن الصائغ : « وكتب التقي‌المذكور في آخر ذلك الاجازة المذكورة لحيان ولد الشيخ أثير الدين ، وكانت القراءة والسماع بمحضر من والده وقد أجزت لهما أن يقرآ بذلك ويُقْرِئا به حيث حَلاّ وكان ذلك في سنة ٧٢٤هـ »[2].

وقد حدّث حيان ومات في اواخر شهر رجب سنة ٧٦٤ هـ .

حفيده :

وكان لحيان ولد هو أبو حيان محمد بن حيّان بن أبي حيّان ، يقول ابن حجر عن أبي حيّان « قلت : حدثنا عن جماعة من شيوخنا منهم حفيد أبي حيان محمد بن حيان بن ابي حيّان »[3] ، وقد أخذ العلم عن جده أبي حيان ، وكانت بين وفاتهما نحو مائة سنة .

نضار :

ولابي حيان ابنة كان يحبها كثيراً هي نضار أم العز ، ولدت في جمادى الآخرة سنة ٧٠٢ هـ وأجاز لها أبو جعفر بن الزبير، وحضرت على الدمياطي وسمعت من شيوخ مصر وحفظت مقدمة في النحو ، وكانت تكتب وتقرأ،وخرجت لنفسها جزءاً من الاحاديث،ونظمت‌شعرا، وكانت تعرب جيداً ، وكان أبوها يقول : « ليت أخاها حيّان مثلها ».

---

(١) غاية الاحسان ص ١

(٢) الدرر الكامنة ج٣ ص ٣٢١ .

(٣) الدرر الكامنة ج٤ ص ٣١٠ .

ماتت في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠ هـ فحزن والدها عليها حزنا عظيماً وجمع في ذلك جزءا سماه « النضار في المسلاة عن نضار » . وكتب عنها البدر النابلسي فقال « الفاضلة الكاتبة الفصيحة الخاشعة الناسكة ، وكانت تفوق كثيراً من الرجال في العبادة والفقه مع الجمال التام والظرف »[1] .

ولما توفيت نضار طلع أبوها — كما قدمنا — الى السلطان الملك الناصر محمد وسأل منه ان يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقية فاذن له في ذلك ، ووجد عليها وجداً عظيماً وانقطع عند قبرها ولازمه سنة ، يقول الصفدي « وكنت بالرحبة لما توفيت فكتبت لوالدها بقصيدة أولها

بكينا باللجين على نُضارِ فسيلُ الدمع في الخدَّين جار
فيا للهِ جاريةٌ تولّت فنبكيها بأدمعنا الجواري[2]

(١) الوافي بالوفيات والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٩٥ ، وينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣١٥ — ٣١٦

(٢) اعيان العصر ج٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣١٥ .

صفاتـه واخلاقـه

كان أبو حيان شيخا حسن العمة ، مليح الوجه ، ظاهر اللون ، مشرباً حمرة ، منور الشيبة ، كبير اللحية مسترسل الشعر فيها •وكانت عبارته فصيحة بلغة أهل الاندلس ويعقد القاف قريبا من الكاف على انه ينطق بها في القرآن فصيحة[1] •

وذكره الرعيني فقال « وهو شيخ فاضل ما رأيت مثله ، كثير الضحك والانبساط ، بعيـد عن الانقباض ، جيد الكلام ، حسـن اللقاء ، جميل المؤانسة ، فصيح الكلام ، طلق اللسان ، ذو لمة وافرة وهمة فاخرة ، له وجه مستدير ، وقامته معتدلة التقدير ، ليس بالطويل ولا بالقصير »[2] •

وكان ثقة عادلا ولعل هذه الصفات الحميدة هي التي حببته الى الناس وجعلتهم يخالطونه ويجتمعون به •

حسن دينـه :

وأمتاز أبو حيان بحسن دينه وعقيدته ، وكان لا يتعاطى الخمرة والمسكرات والحشيشة ، ولا يلعب النرد والشطرنج ، لانه يراها محرمة، يقول عن المخدرات « وأما المخدرات كالبنج والسيكران واللفـاح

---

(١) المنهل الصافي ج٣ ص ٣٢٢ ، والوافي بالوفيات ، وأعيان العصر ج٧ ، ونكت الهميان ص ٢٨١ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٢٩٥ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٦

(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢١

وورق القنّب المسمى بالحشيشة فلم يصرح فيها أهل العلم بالتحريم ، وهي عندي الى التحريم أقرب لأنها ان كانت مسكرة فهي محرمة بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما أسكر كثيره فقليله حرام »[1] • ويقول في تفسير قوله تعالى « إنّما الخَمْرُ والمَيسِر والأنصابُ والأزلام •• »[2]

« وقد شاهدنا من يلعب بالنرد والشطرنج ويجري بينهم من اللجاج والحلف الكاذب واخراج الصلاة عن اوقاتها ما يربأ المسلم عنه بنفسه ، هذاوهم يلعبون بعير جعل شيءلمن غلب فكيف حالهم اذا لعبوا على شيء فأخذه الغالب »[3] •

وكان عفيف النفس أبيا لا يطمع في شيء غير تلاوة القرآن والاعمال الصالحة ، والى ذلك يشير بقوله :

أريد من الدنيا ثلاثاً وانها لغاية مطلوب لمن هو طالب
تلاوة قرآن ونفس عفيفة واكثار اعمال عليها أواظب[4]

خشوعه :

وكان فيه خشوع يبكي اذا سمع القرآن الكريم ، ويجري دمعه اذا سمع أشعار الغزل والحماسة ، وكان يجري على مذهب أهل الادب في الميل الى محاسن الشباب ، وكان يقول : « يؤثّر فيّ من الاشعار ما كان غزلا أو حماسا الا أشعار الكرم فانها لا تؤثر فيّ »[5] •

ومن هنا نجد أبا حيان يكثر من نظم شعر الغزل ، وذكر محاسن النساء والرجال ، ومن شعره في ذلك قوله

لا تعذلاه فما ذو الحبّ معذول العقل مُخْتَبَلٌ والقلب متبول

---

(١) البحر المحيط ج٤ ص ٢٤٢

(٢) سورة المائدة ، الآية ٩٠ •

(٣) البحر المحيط ج٤ ص ١٤

(٤) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٠ •

(٥) الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٩،وينظر اعيان العصر ج٧ ، ونفح الطيب ج٣ص٢٩٧•

هزّت له أسمرا من خَوط قامتها فما انثنى الصبّ إلا وهو مقتول
جميلةٌ فصّل الحسن البديعُ لها فكم لها جملٌ منه وتفصيل
فالنحر مرمرةٌ ، والنّشرُ عنبرةٌ، والثغر جوهرة ، والريق معسول
والطرف ذو غَنَجٍ والعرف ذو أرَجٍ والخصر مختطف والمتن مجدول
هيفاء يستنّ في الخصرِ الوشاح لها دَرماءُ تخرسُ في الساق الخلاخيل
من اللواتي غذاهنّ النعيم فما يَشقَين، آباؤها الصيد البهاليل[1]

وقال

نور بخدك أم توقد نار وضنى بجفنك أم فتور عقار
وشذا بريقك أم تأرج مسكة وسنى بثغرك أم شعاع دراري
جُمعت معاني الحسن فيك فقد غدت قيدَ القلوب وفتنةَ الأبصار
مُتَصاوِنٌ خَفِرًا اذا ناطقته أغضى حياء في سكون وقارِ
في وجهه زَهَراتُ روضٍ تُجتلى من نرجس مَعْ وردة وبهارِ
خاف اختطاف الورد من وجناتها فأدار من آسٍ سياج عذارِ
وتسللت نمل العذار بخده ليردن شهدةَ ريقه المعطار
وبخدّه نارٌ حمته وردها فوقفن بين الورد والاصدارِ
كم ذا أواري في هواه محبتي ولقد وشى بي فيه فرط أُواري[2]

وقال

تعشقته شيخاً كأنّ مشيبه على وجنتيه ياسمين على وردِ
أخا العقل يدري ما يُراد من النهى أمِنتُ عليه من رقيب ومن ضد
وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى لسود اللحى ناس وناسٌ الى المُرد
ألا انني لو كنت أصبو لأمردٍ صبوتُ الى هيفاءَ مائسة القد
وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركا فأحببت ان أبقى بأبيضهم وحدي[3]

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣٣٨
(٢) الكتيبة الكامنة ص ٨٣ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٣٩
(٣) نكت الهميان ص ٢٨٢

تقديره للاذكياء :

وكان أبو حيان عظيم التقدير للطلبة الأذكياء ، وكان يقبل عليهم ويعظمهم وينوّه بقدرهم ، ولعل هذا يرجع الى ذكائه وفطنته فقد اشتهر بهذه الصفة واثنى عليه الناس يقول لسان الدين بن الخطيب: «كان أثير الدين أبو حيان نسيج وحده في ثقوب الذهن وصحة الادراك والاطلاع بعلم العربية والتفسير »[1] .

بخلــه :

وتصور المصادر أبا حيان رجلا بخيلا يهتم بجمع المال وادخاره ، وكان يفتخر بالبخل كما يفتخر الناس بالكرم ويقول « اوصيك احفظ دراهمك ودع يُقالُ بخيل ولا تحتاج الى الارازل » . قال الصفدي « وكان يلومني على بذل الدراهم في شراء الكتب ويقول : « اذا اردت كتابا استعرته من كتب الاوقاف وقضيت حاجتي ، واذا احتجت الى درهم لم أجد من يعيرني اياه »[2] . ولذلك كان أبو حيان يقول :

رجاؤك فلساً قد غدا في حبائلي منيعا رجاء للنتــاج من العقم
أأتعب في تحصيله وأضيعــه اذن كنت معتاضا من البرء بالسقم[3]

ويقول :

أتى بشــفيع ليس يمكن رده دراهم بيض للجروح مراهمُ
تصير صعب الامر أهون مايرى وتقضي لبانات الفتى وهو نائم[4]

ولكن الصفدي يدافع عنه ويقول بعد أن يذكر أخبار بخله: «قلت:

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣٣٧ .

(٢) ينظر اعيان العصر ج٧ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٩ ، ونفح الطيب ج٣ ص٢٩٧، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٦

(٣) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٧ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٩١ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، ونفح الطيب ج١ ص ٢٩٧

(٤) نفح الطيب ج١ ص ٢٩٨ والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ .

والذي أراه فيه انه طال عمره وتغرب وورد البلاد ولا شيء معه ، وتعب حتى حصل المناصب تعباً كثيراً ، وكان قد جرب الناس وحلب أشطر الدهر ، ومرت به حوادث فاستعمل الحزم ، وسمعته غير مرة يقول « يكفي الفقير في مصر أربعة أفلس يشتري له بائتةً بفلسين وبفلس زبيباً وبفلس كوز ماءويشتري ثانييوم ليمونا بفلس يأكل به الخبز»[1]. ولكن أبا حيان كان يؤكد على الزهد في المال وجمعه فيقول

وزهدني في جمعي المال انه اذاماانتهى عندالفتى فارق العمرا
فلا روحه يوماً أراح من العنا ولم يكتسب حمداًولم يدّخرأجرا[2]

سخريته :

وكان أبو حيان مع فضله يسخر بالفضلاء من أهل مصر ويستهزيء بهم ، ولكنهم كانوا يحتملونه لحقوق اشتغالهم عليه ، وكان يقول عن نفسه « أنا أبو حيَّات » ــ بالتاء ــ يعني بعض تلاميذه [3] .

سوء ظنه :

وذكر الادفوي انه كان سيء الظن بالناس كافة ، فاذا نقل له عن أحد خبرا لا يتكيف به وينثني عنه حتى عمن هو عنده مجروح ، فيقع في ذم من هو بألسنة العالم ممدوح ، وبسبب ذلك وقع في نفس جمع كبير منه ألم كثير[4] . ولكن المقري يقول معقبا على كلام الأدفوي : «قلت: أنا لم اسمع منه في حق احد من الاحياء والاموات إلا خيراً ، وما كنت أنقم عليه شيئا الا ما كان يبلغني عنه من الحط على الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، على انني ما سمعت في حقه شيئاً . نعم كان لا يثق بهؤلاء الذين يدعون الصلاح حتى قلت له يوما يا سيدي فكيف تعمل في الشيخ أبي مدين ؟ فقال:هو رجل مسلم ديّن والا ما كان يطير في الهواء

(١) اعيان العصر ج٧ ، وينظر نفح الطيب ج٢ ص ٣٩٨
(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٠
(٣) ينظر تاريخ ابي الفدا ج٤ ص ١٤٢ ، وتاريخ ابن الوردي ج٢ ص ٣٣٩ .
(٤) الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٦

ولا يصلي الصلوات الخمس في مكة كما يدعي فيه هؤلاء الأغمار»[1].

ولابي حيان في هذا المعنى أبيات شعر قالها في أهل عصره :

حلبت الدهر أشطره زمانا ... وأغناني العيان من السؤال
فما أبصرت من خلٍّ وفيٍّ ... ولا ألفيت مشكور الخلال
ذئاب في ثياب قد تبدّت ... لرائيها بأشكال الرجالِ
ومن يك يدعي منهم صلاحا ... فزنديق تغلغل في الضلالِ
ترى الجهّال تتبعهُ وترضى ... مشاركةً بأهلٍ أو بمالِ
فيذهب مالَهم ويُصيب منهم ... نساءَهمُ بمقبوح الفِعالِ
ويأخذ حاله زوراً فيرمي ... عمامته ويهرب في الرمالِ
ويُجرون التيوس وراء رجس ... تقرمط في العقيدة والمقالِ[2]

وقال :

لقد زادني بالناس علماً تجاربي ... ومن جرّبَ الايام مثلي تعلما
واني وتطلابي من الناس راحة ... لكالمبتغي وسط الجحيم تَنَعُّما
سأزهد حتى لا أرى لي صاحبا ... وأنجد حتى لا أُلاقي متهما[3]

وقال

لا ترجونّ دوام الخير من أحد ... فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرءً أسدى اليك ندًى ... من أجل ذاتك بل أسداه للغرض[4]

وصيته :

ولعل وصية أبي حيان الى أهله حينما قدم مصر خير ما يصور أخلاقه ونظرته الى الحياة وسيرته فيها ، وتدفع عنه ما اتهم به من طعن

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٢٩٧ ، واعيان العصر ج٧ .
(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٣
(٣) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٦ .
(٤) نفح الطيب ج٤ ص ٤٠٣

في الناس واتهامهم باطلاً ، يقول « ينبغي للعاقل ان يعامل كل أحدفي الظاهر معاملة الصديق وفي الباطن معاملة العدو في التحفظ والتحرز . وليكن في التحرز من صديقه أشد في التحرز من عدوه ، وان يعتقدأن احسان شخص الى آخر وتودده اليه انما هو لغرض قام له فيه يتعلق به يبعثه على ذلك لا لذات ذلك الشخص . وينبغي ان يترك الانسان الكلام في ستة أشياء في ذات الله تعالى وما يتعلق بصفاته وما يتعلق باحوال انبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وفي التعرض لماجرى بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وفي التعرض أيضا لائمة المذاهب رحمهم الله تعالى ورضي عنهم ، وفي الطعن على صالحي الأمة نفع الله بهم ، وعلى أرباب المناصب والرتب من أهل زمانهم ، وان لا يقصد أذى أحد من خلق الله سبحانه وتعالى الا على حساب الدفع عن نفسه ، وان يعذر الناس في مباحثهم وادراكاتهمفان ذلك علىحسبعقولهم،وان يضبط نفسه عن المراء والاستهزاء والاستخفاف بابناء زمانه،وانلايبحث الا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث ، وان لا يعضب على من لا يفهممراده ومن لم يدرك ما يدركه ، وان يلتمس مخرجا لمن ظاهر كلامه الفساد ، وان لا يقدم على تخطئة ببادي الرأي ، وان يترك الخوض في علوم الاوائل ،وان يجعل اشتغاله بعلوم الشريعة ، ولا ينكر على الفقراء وليسلم لهم أموالهم . وينبغي للعاقل ان يلزم نفسه التواضع لعبيد الله سبحانه وتعالى ، وان يجعل نصب عينيه انه عاجز مفتقر،وان لا يتكبر على أحد،وان يقلل الضحكوالمزاحوالخوض فيما لا يعنيه ، وان يتظاهر لكل بما يوافقه فيما لا معصية لله تعالى فيه ولا خرم مروءة ، وأن يأخذ نفسه باجتناب ما هو قبيح عند الجمهور ، وان لا يظهر الشكوى لاحد من خلق الله تعالى ، وان لا يعرض بذكر أهله ، ولا يجري ذكر حرمه بحضرة جليسه ، وان لا يطلع أحداعلىعمل خير يعمل لوجه الله تعالى ، وان يأخذ نفسه بحسن المعاملة من حسن اللفظ وجميل التغاضي ، وان لا يركن الى أحد الا الى الله تعالى ، وان يكثر من مطالعة التواريخ فانها تلقح عقلا جديدا والله سبحانه وتعالى

أعلم »[1] .

علاقاته :

وكانت لابي حيان علاقات وصلات كثيرة بعلماء عصره بسبب عدالته ، وحسن سيرته ، وغزارة علمه وفضله . ومن اشهر علماء عصره الذين كانت له صلة بهم ابن تيمية العالم الكبير ، وكانت له فيه مدائح كثيرة . يروى أن أبا حيان جاء الى ابن تيمية والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالا

لما أتينا تقيَّ الدين لاح لنا	داعٍ الى الله فرد ماله وَزَر
على محياه من سيما الالى صحبوا	خير البرية نور دونه القمر
حَبر تسربل منه دهره حبَراً	بحر تقاذفُ من أمواجه الدرر
قام ابنُ تيميَّةٍ في نصر شرعتنا	مقامَ سيد تيمٍ اذعصت مُضَرُ
وأظهر الحق إذ آثاره اندرست	وأخمد الشر إذ طارت له شرر
كنا نُحدَّثُ عن حَبْرٍ يجيءُ فها	أنت الامامُ الذي قد كان يُنتظر[2]

ثم انحرف أبو حيان فيما بعد عن أبن تيمية ومات وهو على انحرافه . ولذلك أسباب منها :انه قال له يوما:كذا قال سيبويه ،فقال: يكذب سيبويه ، فانحرف عنه وعاد ذاماً له وصير ذلك ذنبا لا يغفر . ويقال أن ابن تيمية قال له ما كان سيبويه نبيّ النحو ولا معصوما بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً أما تفهمها أنت ؟ فكان ذلك سبب مقاطعته اياه . ويقال ان سبب ذلك ما جاء في كتاب « العرش» لابن تيمية[3] .

ما قيل فيه :

وقد مدح أبا حيان كثير من الشعراء والكبار والفضلاء منهم

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢١

(٢) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣٣٥ ، والدرر الكامنة ج١ ص١٥٢، وجلاء العينين ص٩

(٣) ينظر اعيان العصر ج٧ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٨، ونفح الطيب ج٣ ص ٢٩٦ ، ٣٣٥ ، وجلاء العينين ص ١٧ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٦.

القاضي محيي الدين بن عبدالظاهر بقصيدة منها

قد قلت لمّا ان سمعت مباحثا   في الذات قررها أجل مفيـد
هذا أبو حيان قلت صدقتمو   وبررتمو هذا هو التوحيـدي

ومدحه الشيخ صدرالدين بن الوكيل بقوله

قالوا أبو حيـان غير مدافع   ملك النحاة فقلت بالاجماعِ
اسم الملوك على النقود وانني   شاهدت كنيته على المصراعِ

ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطولة أولها

اليك أبا حيـان اعملت أنيقي   وملت الى حيث الركائب تلتقي
دعاني اليك الفضل فانقدت طائعاً   ولبيت أحدوها بلفظي المصدق

ومدحه نجم الدين اسحاق التركي وسأله تكملة شرح التسـهيل وارسلها اليه من دمشق واولها

تبدّى فقلنا وجهُهُ فَلَقُ الصبح   وكمَّله باليُمنٍ منـه وبالنجحِ
وسهَّلت تسهيل الفوائد محسنا   فكن شارحاً صدري بتكملة الشرح

ومدحه مجيرالدين عمر بن اللمطي بقصيدة أولها

يا شيخ أهل الأدب البـاهر   من ناظم يُلفى ومن نـاثـر

ومدحه نجم الدين يحيى الاسكندري بقصيدة اولها

ضيفٌ ألَمَّ بنا من أبرع الناسِ   لا ناقضٌ عهد أيامي ولا ناسـي
عارٍ من الكِبر والأدناس ذو شرف   لكنه من سـرابيل العلى كاسي

ومدحه نجم الدين الطوفي بقصيدتين أول الاولى

أتراه بعد هجران يصـل   ويرى في ثوب وصل مبتذل
قمر جار على أحلامنـا   اذ تولاه بقـد معتـدل

وأول الثانية

اعذروه فكريم من عـــذر   قمرته ذات وجــه كالقمـــر

ومدحه بهاءالدين محمد بن شهابالدين الخيمي بقصيدة أولها

ان الاثير أبا حيـــان أحيانا   بنشره طيّ علم مات أحيـــانا

ومدحه القاضي ناصرالدين شافع بقصيدة أولها

فضضت عن العذب النمير ختامها   وفتحت عن زهر الرياض كمامها

يقول الصفدي « ومدحه جماعة آخرون يطول ذكرهم ، وكتبت أنا اليه من الرحبة سنة تسع وعشرين وسبعمائة في ورق احمر

لو كنت أملك من دهري جناحين   لطرت لكنه فيــكم جنى حيني
يا سادة نلت في مصر بهم شـرفا   أرقى به شرفا ينـــأى عن العين
وانجرى لسما كيوان ذكر علاً   أحلني فضلهم فوق الســـماكين
وليس غير أثـــير الدين أثّله   فشاد ما شـــاد لي حقــاً بلا مين
حبر ولو قلت ان الباء رتبتهــــا   من قبل صدّقك الاقوام في ذين
أحيا علوما أمات الدهر أكثرهـــا   مذ خلدت خلدت ما بين دفـــين
يا واحد العصــر ما قولي بمتّهم   ولا أحاشي أمرءً بين الفريقـــين
هذي العلوم بدت من سيبويه كما   قالوا ، وفيك انتهت يا ثاني اثنين
فَدُم لها وبودي لو أكون فدى   لمــا ينالك في الايـــام من شين
يا سيبويه الورى في الدهر لاعجب   اذ الخليل غدا يفــديك بالعين

يقبل الارض وينهي ما هو عليه من الاشواق التي برحت بألمهـــا واجرت الدموع دما . وهذا الطرس الاحمر يشهد بدمهـــا ، وأربت سحبها على السحائب واين دوام هذه من ديمها ، وفرقت الاوصال على السقم لوجود عدمها .

فيا شوق ما ابقى ويــــا لي من النوى
ويا دمـــع ما أجــرى ويا قلب ما أصبى

ويذكر ولاءه الذي تسجع به في الارض الحمائم،ويسير تحت لوائه مسير الرياح بين الغمائم ، وثناءه الذي يتضوع كالزهر بين الكمائم ، ويتسنم تسنم هامات الربا اذ لبست الربيع ملوّنات العمائم، ويشهد الله على ما قد قلته والله سبحانه نعم الشهيد • فكتب هو الجواب عن ذلك ولكنه عدم مني »[1] •

وقال احمد بن علي بن عبدالكافي بهاءالدين السبكي يمدح شيخه أبا حيان من قصيدة

فداكم فؤاد حان للبعـــد فقده وصب قضى وجداً وما حال عهده
وقلب جـــريح بالغـــرام متيم وطرف قريح طال في الليل سهده

فاجابه الشيخ أبو حيان بقوله

أبو حامد حتم على الناس حمده لما حاز من علم به بان رشـــده
غذيّ علوم لم يزل منذ نشـــئه يلوح على أفق المعارف ســـعده
ذكيّ كأن قد جاحم النـــار ذهنه ذكاء ومن شمس الظهيرة وقـــده
ومن حاز في سن البلوغ فضائلاً زماناغتدى بالعي والجهل ضده[2]

وهذه المدائح وغيرها تدل دلالة أكيدة على ما كان يتمتع به أبو حيان من منزلة عظيمة وقدر كبير بين رجال عصره وعلمائه •

---

(١) اعيان العصر ج٧ ، وينظر نكت الهميات ص ٢٨٥-٢٨٦ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٢٢٩ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٧

(٢) بغية الوعاة ص ١٤٩

ثقافتـــه

كان أبو حيـان نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه . ومعنى هذا انه كان على جانب عظيم من الثقافـــة والاطلاع ، وقد قال القدماء عنه بانه « ثبت فيما ينقله ، محرر لما يقوله، عارف باللغة ، ضابط لالفاظها . واما النحو فهو امام الناس كلهم فيه لم يذكر معه في أقطار الارض غيره في حياته ، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم خصوصا المغاربة وتقييد اسمائهم على ما يتلفظون به من امالة وترقيق وتضخيم لانهم يجاورون بلاد الافرنج واسماؤهم قريبة من لغاتهم والقابهم »[1] .

وكان اشتغال أبي حيان بالعلم في موطنه الاندلس ، وأول قراءته سنة ٦٧٠هـ حيث بدأ بدراسة القرآن على شيوخ عصره،فقرأ القراءات على الخطيب أبي محمد عبدالحق بن علي بن عبدالله نحواً من عشرين ختمة افراداً وجمعاً ، ثم على الخطيب الحافظ أبي جعفر احمد الغرناطي المعروف بالطباع بغرناطة ، ثم قرأ السبع الى آخر سـورة الحجر على الخطيب الحافظ أبي علي الحسين بن عبدالعزيز بن محمـــد بن أبي الاحوص[2] . وسمع عن كثيرين بعد أن طاف في ارجاء البلاد ، وقد

---

(١) اعيان العصر ج٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٢٩٥ ، وينظر الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٣، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٨٨ ، وبغية الوعاة ص ١٢١ ،وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٦ والوافي بالوفيات

(٢) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٢٩٤ ، وينظر غاية النهاية ج٢ ص ٢٨٥

ذكر الفقيه المحدث أبو عبدالله محمد بن سعيد الرعيني الاندلسي في برنامجه ان أبا حيان قال « سمعت بغرناطة ومالقة وبلش والمريةوبجاية وتونس والاسكندرية ومصر والقاهرةودمياط والمحلة وطهرمسوالجيزة، ومنية ابن خصيبودشنا وقنا وقوص وبلبيس ، وبعيذاب من بلاد السودان ، وينبع ومكة شرفها الله تعالى وجدة وايلة »[١] .

وذكرأبو حيان اسناد قراءته القرآن فيكتابه«البحرالمحيط»،يقول: « وقد تقدم اني قرأت كتاب الله تعالى على جماعة من المقرئين رحمهم الله تعالى ، وأنا الآن أسند قراءتي القرآن من بعض الطرق واذكر شيئاً مما ورد في القرآن وفضائله وتفسيره على سبيل الاختصار فأقول:قرأت القرآن برواية ورش وهي الرواية التي ننشأ عليها ببلادنا وتتعلمها أولا في المكتب على المسند المعمر العدل أبي طاهر اسماعيل بن هبةالله بن علي المليحي بمصر . وقرأها على أبي الجود غياث بن فارس بن مكي المنذري بمصر . وقرأها علي أبي الفتوح ناصر بن الحسن بن اسماعيل الزيدي بمصر . وقرأها على أبي الحسين يحيى بن علي بن أبي الفرج الخشاب بمصر . وقرأها على أبي الحسن احمد بن سعيد بن نفيس بمصر . وقرأها على ابن عدي عبدالعزيز بن علي بن محمد عرف بابن الامام بمصر . وقرأها على أبي بكر بن عبدالله بن مالك بن سيف بمصر . وقرأها على أبي يعقوب بن يوسف بن عمرو بن سيار ـ ويقال يسار ـ الازرق بمصر . وقرأها على أبي عمرو عثمان بن سعيد بنعدي الملقب بورش بمصر . وقرأها على أبي عبدالرحمن نافع بن عبدالرحمن ابن ابي نعيم بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأ نافع على أبي جعفر بن يزيد بن القعقاع بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقرأ يزيد علىعبدالله بن عياش بن أبيربيعة المخزومي بمدينةرسولالله صلى الله عليه وسلم . وقرأ عبدالله على أبي المنذر أبي بن كعب بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقرأ أُبيّ على رسول الله صلى الله

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص٣١٦

عليه وسلم .

هذا اسـناد صحيح دائر بين مصـري ومدني . فمن شـيخي الى ورش مصريون ، ومن نافع الى من بعده مدنيون ، ومثل هذا الاسناد عزيز الوجود بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا ، وهذا من أعلى الاسانيد التي وقعت لي . وقد وقع لي في بعض القراءات ان بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر رجلا وذلك في قراءة عاصم وهي القراءة التي ينشأ عليها أهل العراق، وهو اسناد أعلى ما وقع لامثالنا . وقرأت القرآن على أبي الطاهر المليحي ، قال قرأت على أبي الجود ، قال قرأت على أبي الفتوح الزيدي ، قال قرأت على أبي الحسن علي بن أحمد الابهري ، قال قرأت على أبي الحسن بن ابراهيم الاهوازي ، قال قرأت على أبي الحسن بن علي بن الحسين بن عثمان الغضايري ، وقرأ الغضايري على أبي بكر يوسف بن يعقوب بن خالد بن مهران الواسطي ، قال قرأت على أبي محمد يحيى بن محمد ابن قيس الانصاري العليمي الكوفي ، قال قرأت على أبي بكر بن عياش ، قال قرأت على عاصم وقرأ عاصم على أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي ، وقرأ السلمي على أُبي بن كعب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت ، وقرأ هؤلاء الخمسة على رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1] .

وكان على أبي حيان وهو يدرس القرآن وتفسيره ان يلم بعلوم اللغة العربية وآدابها وتأريخها ، لانها السبيل الموصل الى ادراك ما في القرآن من معـان سامية ، يقول « فجدير لمن تاقت نفسه الى علم التفسير وترقت الى التحقيق فيه والتحرير ان يعتكف على كتاب سيبويه فهو في هذا الفن المعول عليه والمستند في حل المشكلات اليه »[2] .

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ١١-١٢ وقد صححنا ما ورد فيه من تصحيف .
(٢) البحر المحيط ج١ ص ٤

دراســـته :

وكان يرى ان أهم العلوم والمعارف علم كتاب الله ، يقول : « فان المعارف خمسة وهي كلها مهمة واهمها ما به الحياة الابديـة والسعادة السرمدية ، وذلك علم كتاب الله هو المقصود بالذات وغيره من العلوم له كالادوات »[1] • وان السبيل الى تفهم مراميـه هو الاطلاع على علوم شتى ، وقد ذكر أبو حيان هذه العلوم التي درسها على شيوخ عصره وهي

١ــ علم اللغة اسماً وفعلا وحرفا ، وتؤخذ دراسة الحروف من كتب النحاة ، أما الاسماء والافعال فتؤخذ من كتب اللغة ، وأكثـر الموضوعات في علم اللغة كتاب ابن سيده • ومن الـكتب المطولة فيه كتاب الازهري ، والموعب لابن التياني ،والمحكم لابن سيده ، وكتاب الجامع لابي عبدالله محمد بن جعفر التميمي القيرواني المعروف بالقزاز ، والصحاح للجوهري والبارع لابي علي القالي ، ومجمـع البحرين للصاغاني ، يقول « وقد حفظت في علم اللغة كتاب الفصيح لابي العباس احمد بن يحيى الشيباني ، واللغات المحتوي عليهـا دواوين مشاهير العرب الستة امريء القيس والنابغة وعلقمة وزهير وطرفـة وعنترة وديوان الافوه الأودي لحفظي عن ظهر قلب لهذه الدواوين• وحفظت كثيراً من اللغات المحتوي عليها نحو الثلث من كتاب الحماسة، واللغات التي تضمنها قصائد مختارة من شعر حبيب بن أوس لحفظي ذلك »[2] •

٢ــ معرفة الاحكام التي للكلم العربية من جهة افرادها ومن جهة تركيبها ، ويؤخذ ذلك من علم النحو، ويرى أبو حيان ان أحسـن موضوع فيه كتاب سيبويه ،وان احسن ما وضعه المتـأخرون من المختصرات وأجمعه للاحكام كتاب : « التسهيل » لابن مالك ، وأحسن

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ٣

(٢) البحر المحيط ج١ ص ٦

ما وضع في التصريف كتاب « الممتع » لابن عصفور • يقول « وقد أخذت هذا الفن عن استاذنا الأوحد العلامة أبي جعفر احمـــد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي في كتاب سيبويه وغيره »[1]

٣ ــ كون اللفظ أو التركيب احسن وافصح ، ويؤخـذ ذلك من علم البيان والبديع • ويرى ان اجمع مصنف في هـذا العلم ما جمعـه شيخه الأديب الحافظ أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الاندلسي الانصاري القرطاجني في كتابه المسمى « منهاج البلغاء وسراج الادباء» وقد أخذ جملة من هذا الفن عن استاذه أبي جعفر بن الزبير •

٤ــ تعيين مبهم وتبيين مجمل وسبب نزول ونسخ ، ويؤخذ هذا من النقل الصحيح عن الرسول (ص) وذلك من علم الحديث كالصحيحين، والجامع للترمذي ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجة ، وسنن الشافعي ، ومسند الدارمي ، ومسند الطيالسي ،ومسند الشافعي ، وسنن الدار قطني ، ومعجم الطبراني الكبير والصغير ، ومستخرج أبي نعيم على مسلم •

٥ــ معرفة الاجمال والتبيين والعموم والخصوص والاطـلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهي ، ويؤخذ هذا من أصول الفقه ، يقول « وقد بحثت في هذا الفن في كتاب « الاشارة » لابي الوليد الباجي على الشيخ الاصولي الاديب أبي الحسن فضل بن ابراهيم العافري الامام بجامع غرناطة والخطيب به ، وعلى الاستاذ العلامة أبي جعفر ابن الزبير في كتاب « الاشارة » وفي شـــرحها له وذلك بالاندلس • وبحثت أيضا في هذا الفن على الشيخ علم الدين عبدالكريم بن علي بن عمر الانصاري المعروف بابن بنت العراقي في مختصره الذي اختصره من كتاب « المحصول » ، وعلى الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن عبدالرحمن بن خطاب الباجي في مختصره الذي اختصره من كتـاب

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ٦

« المحصول » • وعلى الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الاصبهاني صاحب شرح المحصول ، بحثت عليه في كتاب «القواعد» من تأليفه ـ رحمه الله تعالى ـ »[1] •

٦ـ الكلام فيما يجوز على الله تعالى وما يجب له ومايستحيل عليه والنظر في النبوة ، ويختص هذا الوجه بالآيات التي تضمنت النظر في الباري تعالى واعجاز القرآن ، ويؤخذ هذا من علم الكلام ، وقد سمع منه مسائل على الشيخ شمس الدين الاصفهاني •

٧ـ اختلاف الالفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو اتيان بلفظ بدل لفظ ، ويؤخذ هذا من علم القراءات ، ويرى أبو حيان أن أحسن الموضوعات في القراءات السبع كتاب «الاقناع» لابي جعفر ابن الباذش ، وفي القراءات العشر كتاب « المصباح » لابي الكرم الشهرزوري ، وقد قرأ القرآن بقراءة السبعة بجزيرة الاندلس على الخطيب أبي جعفر احمد بن علي بن محمد الرعيني[2] •

معرفة الادب :

ويضيف أبو حيان الى هذا كله معرفة الادب وكلام العرب من شعر ونثر ، لان معرفة القواعد والاصول اللغوية والنحوية لا تجدي كثيرا في ادراك ما في القرآن الكريم من معانٍ وروعة وجمال ما لم يطلع المفسر على كلام العرب وأساليبهم في التعبير اطلاعا عميقا يؤهله للخوض في تفسير القرآن والبحث في علومه ولذلك نراه يعلق على أحد التخريجات التي خرجت بها قراءة ابن عباس في قوله تعالى « إنّ الدّينَ عِندَ اللهِ الإسلامُ »[3] فيقول « انتهى ما خرجت عليه قراءة ابن عباس أيضا فانظر الى هذه التوجيهات البعيدة التي لايقدر أحد أن يأتي لها بنظير من كلام العرب ، وانما حمل على ذلك العجمة

(١) البحر المحيط ج١ ص ٦ـ٧
(٢) ينظر البحر المحيط ج١ ص٧
(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٩

وعدم الامعان في تراكيب كلام العرب وحفظ أشعارها . وقد أشرنا في خطبة هذا الكتاب الى انه لا يكفي النحو وحده في علم الفصيح من كلام العرب بل لابد من الاطلاع على كلامهم والتطبع بطباعهم والاستكثار من ذلك »[1] .

المواهب والطبع :

وكان يرى أن المواهب لا تؤخذ باكتساب وان أذهان الناس متفاوتة في الادراك فكم من عالم عرف علوم اللغة والبيان واطلع على فنون المعرفة ولكنه لا يستطيع انشاء فقر فصيحة أو ادراك الساقط من الشعر أو الكلام ، يقول متحدثا عن بعض شيوخه « وكان بعض شيوخنا ممن له تحقق بالمعقول، وتصرف في كثير من المنقول، اذ اراد أن يكتب فقرا فصيحة أتى لبعض تلامذته وكلفه ان ينشئها له . وكان بعض شيوخنا ممن له التبحر في علم لغة العرب اذا أسقط من بيت الشعر كلمة أو ربع البيت وكان المعين بدون ما أسقط لا يدرك ما اسقط من ذلك وأين هذا في الادراك من آخر اذا حركت له مسكنا أو سكنت له محركا في بيت ادرك ذلك بالطبع وقال ان هذا البيت مكسور ، ويدرك ذلك في أشعار العرب الفصحاء اذا كان فيه زحاف ما وان كان جائزا في كلام العرب لكن يجد مثل هذا طبعه ينبو عنه ويقلق لسماعه هذا وان كان لا يفهم معنى البيت لكونه حوشي اللغات او منطويا على حوشي فهذه كلها من مواهب الله تعالى لا تؤخذ باكتساب »[2] .

ولم تقتصر ثقافة ابي حيان على علوم الدين واللغة والأدب وانما تجاوزتها الى علوم مختلفة فكان له اطلاع على كتب المتصوفة وكتب الاديان الاخرى كالتوراة[3] ، ولكنه كان ينفر من كتب الفلسفة والمنطق وعلم الهيئة وقد صرح بذلك في كتبه .

---

(١) النهر الماد ج٢ ص ٤٠٩

(٢) البحر المحيط ج١ ص ٨٠ .

(٣) ينظر البحر المحيط ج٦ ص ٧٦ ، والنهر الماد ج٢ ص ٥٠٢

معرفته باللغات :

وكان أبو حيان على اطلاع واسع بلغات اجنبية كالحبشية والفارسية والتركية وقد ألف في ذلك كتباً كثيرة وصل الينا بعضها وضاع البعض الآخر ، يقول « وقد اطلعت على جملة الالسن كلسان الترك ولسان الفرس ولسان الحبش وغيرهم ، وصنفت فيها كتبا في لغتها ونحوها وتصريفها واستفدت منها غرائب »[1] .

وكان له اهتمام عظيم بلهجات المغاربة وتتبعها يقول المقري « وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم خصوصا المغاربة وتقييد اسمائهم على ما يتلفظون به من امالة وترقيق وتفخيم ، لأنهم يجاورون بلاد الافرنج واسماؤهم قريبة من لغاتهم والقابهم كذلك . وقيده وحرره وسأله شيخنا الذهبي اسئلة فيما يتعلق بذلك واجابه عنها »[2] .

شيوخه :

أما شيوخ أبي حيان فكانوا نحو اربعمائة وخمسين شيخا واكثر من ألف مجيز ، وقد ذكر ابو حيان في اجازته مروياته وشيوخه فقال ردا على كتاب الصفدي « وقد اجزت لك ايدك الله جميع ما رويته عن اشياخي بجزيرة الاندلس وبلاد افريقية وديار مصر والحجاز وغير ذلك بقراءة أو سماع او مناولة واجازة بمشافهة وكتابة وجميع ما أجيز لي أن ارويه بالشام والعراق ، وغير ذلك ، وجميع ما صنفته واختصرته وانشأته نظما ونثرا وجميع ما سألت في هذا الاستدعاء.

فمن مروياتي الكتاب العزيز قرأته بقراءة السبعة على جماعة من اعلاهم الشيخ المسند المعمر فخرالدين ابو الطاهر اسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله المصري المليحي آخر من روى القرآن

(١) منهج السالك ص ٢٣١
(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٢٩٥

بالتلاوة على أبي الجود ، والكتب الستة والموطأ ومسند عبد بن حميد، ومسند الدارمي ، ومسند الشافعي ، ومسند الطيالسي ، والمعجم الكبير للطبراني والمعجم الصغير له ، وسنن الدارقطني وغير ذلك • وأما الاجزاء فكثيرة جدا •

ومن كتب النحو والآداب فأروي بالقراءة كتاب سيبويه، والايضاح، والتكملة ، والمفصل ، وجمل الزجاجي، وغير ذلك والاشعار الستة والحماسة ، وديوان حبيب ، وديوان المتنبي ، وديوان المعري •

وأما شيوخي الذين رويت عنهم بالسماع والقراءة فهم كثير واذكر الآن جملة من عواليهم فمنهم القاضي ابو علي الحسن بن عبد العزيز بن ابي الاحوص القرشي ، والمقرىء ابو جعفر احمد بن سعيد ابن احمد بن بشير الانصاري ، واسحاق بن عبدالرحيم بن محمد ابن عبدالملك البغدادي بن درباس ، وابو بكر بن عباس بن يحيى ابن غريب البغدادي القواس ، وصفي الدين الحسين بن ابي المنصور بن ظافر الخزرجي ، وابو الحسين محمد بن يحيى بن عبدالرحمن بن ربيع الاشعري ، ووجيه الدين محمد بن عبدالرحمن بن أحمد الازدي ابن الدهان ، وقطب الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن القسطلاني، ورضي الدين محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي اللغوي ، ونجيب الدين محمد بن احمد بن محمد بن المؤيد الهمداني ، ومحمد ابن مكي بن قاسم بن حامد الاصبهاني الصفار ، ومحمد بن عمر بن محمد بن علي السعدي الضرير ابن الفارض ، وزين الدين أبو بكر محمد ابن اسماعيل بن عبدالله الانماطي ، ومحمد بن ابراهيم بن ترحم بن حازم المازني ، ومحمد بن الحسين بن الحسن بن ابراهيم الدارمي ابن الخليلي، ومحمد بن عبدالمنعم بن محمد بن يوسف الانصاري ابن الخيمي، ومحمد ابن عبدالله بن محمد بن عمر العنسي عرف بابن التين ، وعبدالله بن محمد بن هارون بن عبدالعزيز الطائي القرطبي ، وعبدالله بن نصرالله ابن احمد بن رسلان بن فتيان بن كامل الخزمي ، وعبدالله بن أحمد

ابن اسماعيل بن ابراهيم بن فارس التميمي ، وعبدالرحمن بن يوسف بن يحيى بن يوسف ابن خطيب المزة ، وعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبد العلي المضري السكري ،وعبدالعزيز بن عبدالمنعم بن علي نصر بن الصيقل الحراني ، وعبدالعزيز بن عبدالقادر بن اسماعيل الغيالي الصالحي الكتاني ، وعبدالمعطي بن عبدالكريم بن أبي المكارم بن المنجا الخزرجي، وعلي بن صالح بن أبي علي بن يحيى بن اسماعيل الحسيني البهنسي المجاور ،وغازي بن ابي الفضل بن عبدالوهاب الحلاوي ، والفضل بن علي بن نصر بن عبدالله بن الحسين بن رواحة القشيري ، ومؤنسة بنت السلطان الملك العادل ابي بكر بن ايوب بن شادي ، وشامية بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد التيمية ، وزينب بنت عبداللطيف ابن يوسف بن محمد البغدادي •

وممن كتبت عنهم من مشاهير الادباء أبو الحكم مالك بن عبدالرحمن بن علي بن الفرج المالقي ابن المرحل ، وابو الحسن بن حازم ابن محمد بن حازم الانصاري القرطاجني ، وابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن يحيى بن عبدالله الهذلي التطيلي ، وابو عبدالله محمد بن محمد بن ذنون المالقي ، وابو الحسين يحيى بن عبدالعظيم بن يحيى الانصاري الجزار ، وابو عمرو عثمان بن سعيد بن عبدالرحمن بن تولو القرشي ،وابو حفص عمر بن محمد بن علي بن الحسن المصري الوراق، وأبو الربيع سليمان بن علي بن عبدالله بن ياسين الكومي التلمساني،وابو العباس احمد ابن ابي الفتح نصر الله بن باتكين القاهري ، وابو عبدالله محمد بن سعيد بن محمد بن حماد بن محسن الصنهاجي البوصيري ، وأبو العباس أحمد بن عبدالملك بن عبدالمنعم الفزاري •

وممن اخذت عنه من النحاة أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن الخشني الابذي ، وابو الحسن علي بن محمد ابن علي بن يوسف الكتامي ابن الضائع ، وابو جعفر احمد بن ابراهيم ابن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي ، وابو جعفر احمد بن يوسف

ابن علي بن يوسف الفهري اللبلي ، وأبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن محمد بن نصر الحلبي ابن النحاس .

وممن لقيت من الظاهرية ابو العباس أحمد بن علي بن خالص الانصاري الاشبيلي الزاهد ، وابو الفضل محمد بن محمد بن سعدون الفهري الشنتمري .

وجملة الذين سمعت منهم نحو اربعمائة شخص وخمسين . واما الذين اجازوني فعالم كثير جدا من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار أفريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام »[1] .

نتــاج ثقافتــه :

وكان لثقافة أبي حيان العظيمة والاطلاع الواسع والاتصال بعلماء عصره الأثر الكبير في حياته العلمية ، فألف كتباً كثيرة في علوم مختلفة ذكر بعضها في اجازته فقال : « وأما ما صنفت فمن ذلك : البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم ، وكتاب اتحاف الأريب بما في القرآن العظيم من الغريب ، وكتاب الاسفار الملخص من كتاب الصفار شرحا لكتاب سيبويه ، وكتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل ، وكتاب التخييل الملخص من شرح التسهيل،وكتاب التذكرة ، وكتاب المبدع فيالتصريف، وكتاب الموفور ، وكتاب التقريب ، وكتاب التدريب ، وكتاب غاية الاحسان ، وكتاب النكت الحسان ، وكتاب الشذا في مسألة كذا ، وكتاب الفصل في احكام الفصل ، وكتاب اللمحة ، وكتاب الشذرة ، وكتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء ، وكتاب عقد اللآليء ، وكتاب نكت الأمالي ، وكتاب النافع في قراءة نافع ، وكتاب الأثيرفي قراءة ابن كثير ، وكتاب المورد الغمر في قراءة عمرو ، والروض الباسم في قراءة ابن عاصم ، والمزن الهامر في قراءة ابن عامر ، والرمزة فيقراءة حمزة ، وتقريب النائي في قراءة الكسائي،وغاية المطلوبفيقراءةيعقوب،

---

(1) اعيان العصر ج٧ ، والمنهل الصافي ج٣ ص ٣٢٣ وما بعدها ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٣ وما بعدها

والمطلوب في قراءة يعقوب ، قصيدة،والنشر الجلي فيقراءة زيد بنعلي، والوهاج في اختصار المنهاج،والانور الاحلى في اختصار المحلى،والحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية ، وكتاب الأعلام باركان الاسلام،ونثر الزهر ونظم الزهر ، وقطر الحبى في جواب اسئلة الذهبي ، وفهرست مسموعاتي ، ونوافث السحر في دماثة الشعر ، وتحفة الندس في نحاة الاندلس ، والابيات الوافية في علم القافية، وجزء في الحديث ،ومشيخة ابن أبي منصور ، وكتاب الادراك للسان الاتراك ، وكتاب الافعال في لسان الترك ، ومنطق الخرس في لسان الفرس .

ومما لم يكمل تصنيفه كتاب مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد ، وكتاب منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك ، ونهاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب — رجز — ، ومجاني الهصر في آداب وتواريخ أهل العصر ، وخلاصة التبيان في علمي البديع والبيان — رجز — ، ونور الغبش في لسان الحبش ، والمخبور في لسان اليخمور

وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان »[1] .

هذه هي الكتب التي ذكرها أبو حيان في اجازته للصفدي سنة ٧٢٨هـ ، وهي ليست كل كتبه التي الفها ، فقد ذكر القدماء ان مصنفاته تزيد على خمسين ما بين كبير وصغير[2] ، وذكر بعضهم ان مصنفاته بلغت الخمسة والستين[3] .

ويرى بعض الباحثين انه لم يصل منها الا عدد قليل ، فالمرحوم

---

(١) الوافي بالوفيات ، وأعيان العصر ج٧ ، والمنهل الصافي ج٣ ص ٣٢٦ ، وينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ — ٣٠٨

(٢) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣١٩ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٩٠ ، ومعجم المطبوعات ص ٣٠٧

(٣) ينظر تأريخ علوم اللغة العربية للراوي ص ٢٠١ ، ودائرة المعارف الاسلامية ج١ ص ٣٣٣ ، وظهر الاسلام ج٣ ص ٩٥

الاستاذ احمد امين يقول « وبلغت مصنفاته في العلوم المختلفة نحو ٦٥ كتابا لم يصلنا منها الا نحو عشرة »[١] .

ويقول الاستاذ بلانثيا « ولم يبق لنا من كتب أبي حيان الا كتابان على الرغم من ان من ترجموا له يقولون انه وضع خمسين مؤلفا ، الاول في التفسير وهو مخطوط بمكتبة ليدن ، والثاني في النحو عنوانه فضل النحو ، مخطوط في مكتبة برلين »[٢] .

وما ذكره الاستاذان الفاضلان غير دقيق كما سنرى في الفصول القادمة .

وقد جمع الاستاذ سدني جليزر Sidney Glazer في مقدمة كتاب «منهج السالك في الكلام على الفية ابن مالك»[٣] ما تناثر من كتب أبي حيان وبوبها تبويبا موضوعيا فذكر كتب النحو واللغة فكتب اللغات التركية والفارسية والحبشية ، فكتب الدراسات القرآنية فكتب الحديث، فكتب الشعر والادب فكتب التأريخ فكتب مختلفة .

ويلاحظ في قائمته انه لم يحسن تصنيف كتب أبي حيان فذكر في الكتب العامة « الموفور » ، و « الفصل في احكام الفصل » وهما من الكتب النحوية ، وكرر بعض الكتب في اماكن مختلفة باسماء محرفة .

---

(١) ظهر الاسلام ج٣ ص ٩٥
(٢) تأريخ الفكر الاندلسي ص ١٨٨
(٣) ينظر تمهيد الكتاب ص ٢٥ ـ ٢٧

عقيدتـــــه

ذكرنا أن أبا حيان كان عفاً معروفا بحسن دينه وعقيدته بعيداً عن الملذات ، وكان في أول أمره مالكياً ثم تمذهب بالظاهرية وهو في الاندلس حيث كان هذا المذهب منتشرا يومذاك وكان يقول « محال ان يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه »[1] .ولكنه عندما جاء الى مصر وجد مذهب الظاهر مهجورا فيها فتمذهب للشافعي[2] . وقد سئل عن ذلك فقال « بحسب البلدة »[3] ، حيث كان المذهب السائد في مصر هو المذهب الشافعي ومن هنا اعتنق هذا المذهب الذي كان الاهتمام بــه وبتدريسه كبيرا . وكان أبو حيان يفضل آراء الشافعي وتلاميــذه في تفسير القرآن وعرض الخلافات بين المذاهب المختلفة[4] ، وقد مدحه بقصيدة مطولة منها

غذيتُ بعلم النحو اذ درّ لي ثديا ... فجسمي به يَنمَى وروحي به تحيا
وقد طال تضرابي لزيدٍ وعَمرِه ... وما اقترفا ذنباً ولا تبعـــا غيّا
وما نلت من ضربيهما غيرَ شهرةٍ ... بفنٍّ وما يُجدي اشتهاري به شيّا
ألا ان علم النحو قد باد أهلـُه ... فما أن ترى في الحيِّ من بعدهم حيا

---

(١) الوافي بالوفيات وبغية الوعاة ص ١٢١ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٩٠ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤

(٢) اعيان العصر ج٧ ، ونكت الهميان ص ٢٨١ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٨ ، ونفح الطيب ج١ ص ٥٩٣ ، وبدائع الزهور ج١ ص ١٩٩

(٣) بدائع الزهور ج١ ص ٢٠٠

(٤) ينظر البحر المحيط ج٢ ص ١٥٠ ، ١٩٥ ، و ج٣ ص ١٦٥

سـأتركه تركَ الغزال لظلّه واتركه هجرا وأوسعه نأيا[1]
وأسمو الى الفقهِ المبارك انه ليُرضيك في الاخرى ويحظيك في الدنيا
وما الفقهُ الا أصلُ دين محمد فجرّد له عزما وجدّد له سعيا
وكن تابعاً للشافعيِّ وسالكا طريقته تبلُغ به الغايةَ القُصيا
ألا يا ابنَ ادريس قد اتضح الهدى وكم غامض أبدى وكم دارس أحيا
سميّ الرسول المصطفى وابن عمه فناهيك مجداً قد سما الرتبة العليا
هو استنبط الاصول فاكتسى به الفقه من ديباج انشائه وشيا[2]

ميله الى الامام علي :

ومال أبو حيان الى محبة الامام علي بن أبي طالب (رض) ، وكان يقال انه شيعي ، ولكن ردوده عليهم في كتبه تنفي تشيعه ، ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير قوله تعالى « وإذْ قالَ إبراهيمُ لأبيهِ آزَرَ أتَتَخِذُ أصْناماً آلِهةً إنّي أراكَ وَقَومَكَ في ضَلالٍ مُبينٍ »[3]. يقول « وقيل أن آزر عم ابراهيم وليس بأبيه وهو قول الشيعة ، يزعمون ان آباء الانبياء لا يكونون كفارا ، وظواهر القرآن ترد عليهم ولا سيما محاورة ابراهيم أبيه في غير ما آية »[4] .

نفوره عن الفلسفة :

وكان بعيدا عن الفلسفة والاعتزال والتجسيم والتناسخ حتى انه تعجب من اشتغال أهل مصر بالفلسفة علناً ، يقول « ولما حللت بديار مصر ورأيت كثيراً من أهلها يشتغلون بجهالات الفلاسفة ظاهرا من غير ان ينكر ذلك أحد تعجبت من ذلك اذ كنا نشأنا في جزيرة الاندلس على التبرؤ من ذلك والانكار له وانه اذا بيع كتاب في المنطق انما يباع

---

(١) في طبقات الشافعية ج٦ ص ٣٦ واتبعه هجرا
(٢) طبقات الشافعية ج٦ ص ٣٦ ، وينظر الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٦ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٢٥ ، ويلاحظ ان آخر بيت في القصيدة مختل الوزن .
(٣) سورة الانعام ، الآية ٧٤
(٤) البحر المحيط ج٤ ص ١٦٤

خفية،وانه لا يتجاسر ان ينطق بلفظ المنطق انما يسمونه « المفعل »حتى ان صاحبنا وزير الملك ابن الاحمر أبا عبدالله محمد بن عبدالرحمن المعروف بابن الحكيم كتب الينا كتابا من الاندلس يسألني ان أشتري أو استنسخ كتابا لبعض شيوخنا في المنطق فلم يتجاسر ان ينطق بالمنطق وهو وزير فسماه في كتابه لي بالمفعل »[1] .

ولعل هذا يرجع الى حالة الفلاسفة بالاندلس في عهد أبي حيان وما قبله وما أصابهم من تنكيل ، فعندما ظهر ابن رشد واعتنى بمقالات الفلاسفة وتعظيمهم اغرى به علماء الاسلام بالاندلس حتى اوقع به وضرب وأهين على رؤوس الاشهاد ، فقال فيه بعض الشعراء

خليفتنا جزاك الله خيراً	عن الاسلام والسعي الكريمِ
فحقّ جهاده جاهدت فيه	الى ان فزت بالفتح العظيم
وصيَّرت الأنام بحسن هَديٍ	على نهج الصراط المستقيم
فجاهد في أناس قد أضلّوا	طريق الشرع بالعلم القديم
وحرّق كتبهم شرقاً وغربا	ففيها كامنا شرٌّ العلوم
يدب الى العقائد من أذاها	سموم والعقائد كالجسومِ
وفي أمثالها إذ لا دوام	يكون السيف ترياق السمومِ

وقال

يا وحشة الاسلام من فرقة	شاغلةٍ انفسَها بالسَفَه
قدنبذت دين الهدى خلفها	وادّعَت الحكمةَ والفلسفَه

وقال

قد ظهرت في عصرنا فرقة	ظهورها شؤم على العصر
لا تقتدي في الدين الا بما	سنَّ ابن سينا أو ابو نصر[2]

---

(١) البحر المحيط ج٥ ص ١٥٠ ، وينظر اعيان العصر ج٧

(٢) ينظر البحر المحيط ج٥ ص ١٤٩

وكان أبو حيان يرد على الرازي والزمخشري وغيرهما من علمـــاء المعتزلة ، ولا يرى في آرائهم فائدة لانهم قد ابتعدوا عن ظاهر القرآن وما تنطق به عباراته الواضحة الجلية .

وخلاصة القول انه كان بعيدا عن الفلسفة والفلاسفة والاعتزال ، وانه كان ينحو منحى أهل السنة والسلف ، ومرد ذلك اعتناقه المذهب الظاهري أول الامر ، وتمذهبه للشافعي بعد وصوله الى مصر ،واشتغاله بالعلم والتفسير .

شـــعره

يذكر المؤرخون أن أبا حيان كان له نظم ونثر جيدان وكانت لـه الموشحات البديعة ، ولكننا لم نعثر على ديوان شـــعره الذي يقول الصفدي عنه « وانتقيت ديوانه وكتبته وسمعته منه »[1] . ولو رجعنا الى المصادر القديمة نبحث عن شعره لوجدنا كثيرا منه ، ولكن معظمه ليس بالشعر الجيد،وانما هو شعر العلماءالذي تغلب عليه الصنعة وادخال مصطلحات العلوم ، وقد تنبه القدماء الى ذلك فقال أبو الفدا: « وله نظم ليس على قدر فضيلته ، فمن أحسنه قوله

وقابلني في الدرس أبيض ناعم وأسمر لَدنٌ أورثا جسمي الردى
فذا هزّ من عطفيه رمحا مثقّفاً وذا سَلّ من جفنيه عَضبا مهنّدا[2]

وقال ابن تغري بردى الاتابكي بعد ان اورد موشحة لابي حيان: « قلت ومذهبي في أبي حيان انه عالم لا شاعر ، ولم أذكر هذه الموشحة هنا لحسنها بل قصدت التعريف بنظمه بذكر هذه الموشحة لانه أفحل شعراء المغاربة في هذا الشأن ، وأما الشاعر العالم فهو الارجاني وأبو العلاء المعري وابن سناء الملك »[3] .

(١) نكت الهميان ص ٢٨٢ ، والوافي بالوفيات

(٢) تأريخ أبي الفدا ج٤ ص ١٤٢ وينظر تاريخ ابن الوردي ج٢ ص ٣٣٩ .وجلاء العينين ص ١٨

(٣) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١١٥

ولكننا كثيرا ما نعثر على قطع وأبيات جيدة قالها أبو حيـان في موضوعات وأغراض مختلفة ، ويمكن تصنيف شعره الباقي الىما يأتي:

١ـ مدح الرسول (ص) وعلماء الدين وشيوخه واصدقائه الذين كانت له صلة وثيقة بهم •

٢ـ الغزل بالمؤنث والمذكر •

٣ـ ذم أهل الزمان والتحذير منهم ووصف سلوكهم وما كـانوا عليه من غدر وسوء خلق •

٤ـ التهاني والمطارحات مع اخوانه واصدقائه •

٥ـ الحكم والامثال •

موشحاته :

ولابي حيان عدة موشحات معظمها في الغزل وبث اللوعةوالشكوى ووصف الحبيب ، وقد ذكرنا أمثلة من شعره في اثناء البحث ، وسنذكر أمثلة اخرى لتكون مثالا حيا على شاعريته •

فمن موشحاته

ان كان ليـل" داجْ	وخاننـا الاصبـاح[1]
فنورهـا الوهّـاج	يـُغني عن المصبـاح
سـلافة" تبـدو	كالكوكب الأزهـر
مزاجهـا شـهد	وعـَرفهـا عنبـر
يا حبـّذا الـورد	منهـا وإن أسـكر

* *

قلبي بها قـد هـاج	فمـا تراني صـاح
عن ذلك المنهـاج	وعن هوى يا صـاح
وبي رشـا أهيف	قد لج" في بعـدي

(١) في طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص ٣٧ : وخاننا المصباح

بدر فلا يُخسف … منه سنا الخد
بلحظه المرهَف … يسطو على الأسد[1]

* *

كسطوة الحجاج … في الناس والسفاح
فما ترى من ناج … من لحظه السفاح
علّل بالمِسك … قلبي رشا أحور[2]
منعَّم المَسك … ذو مَبْسِم أعطر
ريّاه كالمِسك … وريقه كوثر[3]

* *

غصن على رَجراج … طاعت له الارواح
فحبَّذا الآراج … إن هبّت الارواح[4]
مهلاً أبا القاسم … علي أبي حيّان
ما ان له عاصم … من لحظك الفتّان
وهجرك الدائم … قد طال بالهيمان

* *

فدمعه أمواج … وسرّه قد باح[5]
لكنه ما هاج … ولا اطاع اللاح[6]
يا رب ذي بهتان … يعذل في الراح[7]
وفي هوى الغزلان … دافعت بالراح
وقلت لا سلوان … عن ذاك يا لاحي

* *

---

(١) في طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص ٣٧ فلحظه المرهف
(٢) في المصدر السابق الجزء والصفحة نفسها : عذاره المسكي فلي رشا احور.
(٣) في فوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٨ : وريقه سكر .
(٤) في فوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٨: ان هبت الارياح ، وفي طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص ٣٧ فحبذا الارواح
(٥) في المصدرين السابقين : وسره قد لاح .
(٦) وفيهما : لكنه ماعاج.
(٧) في النجوم الزاهرة ج١٠ ص ١١٤ يعذلني في الراح

سبع الوجوه والتاج هي مُنيـة الافراح[1]
فاختَر لي يا زجَّاج قمصال وزوج اقداح[2]

* *

وله موشحة عارض بها موشحة شمس‌الدين محمد بن التلمساني

عـاذلي في الاهيَف الأنس لو رآه الآن قـد عَذَرا

* *

رَشَـأٌ قـد زانَهُ الحَوَرُ
غُصُنٌ من فوقـه قمـر
قَمـرٌ من سُحبه الشَعَر
ثَغَـر من فيـه أم دُرَرُ

جال بـين الدُرِّ واللَعَسِ خمـرةٌ مَن ذاقهـا سكِرا

* *

رجَّـة بالردف أم كسـل
ريقـة بالثغـر أم عسـل
وردة بالخـد أم خجـل
كُحُل بالعـين أم كَحَـل

يا لهـا مـن أعـين نُعُس جلبت لنـاظري سـهرا

* *

مُذ نـأى عن مقلتيَّ سَـنِي
ما أذيقـا لذة الوسـن
طـال ما ألقـاه من شـجن
عجبـاً ضِـدّان في بـدن

(١) في المصدر السابق ج١٠ ص ١١٥ : هي منية الارواح
(٢) أعيان العصر ج٧ ، والمنهل الصافي ج٣ ص ٣٢٣ ، والنجوم الزاهرة ج١٠ص١١٤، وطبقات الشافعية ج٦ ص ٣٧ وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٧ ــ ٥٥٩

بفؤادي جـــذوة القَبَس وبعيني المـــاء منفجـــرا

☆ ☆

قـــد أتاني الله بالفـــرج
اذ دنـا منّـي أبـو الفـرج
قمـــر قـد حَـلّ بالمُهَـجِ
كيف لا يخشى من الوَهَـــج

غـــيره لو صـابه نَفَسي ظنَّـه من حرّه شَـــرَرا

☆ ☆

نصبَ العينين لي شَـــــرَكا
فاثنى والقلب قـد مَلَـــكا
قمـــر أضحى لـــه فَلَـــكا
قال لي يوما وقد ضَحِكـــا

أتجي مـــن أرض أنـــدلس نحو مصـــر تعشق القمرا ؟[1]

نماذج من شعره :

وقال الصفدي « وانشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالقاهرة سنة سبعمائة وثمانٍ وعشرين »

لقد ذكرتك والبحر الخِضَمّ طغت أمواجه والورى منه على ســـفر
في ليلة أسدلت جلباب ظلمتهـــا وغاب كوكبها عن أعـين البشرِ
والماء تحت وفوق المُزن واكفُه والبرق يستل أسيافاً من الشـرر
والفلك في وسط الماءين تحســبها عينا وقد اطبقت شَعْراً على شَعَر
والروح من حزن راحت وقدوردت صدري فيا لك من ورد بلا صَدَر
هذا وشخصك لا ينفك في خلدي وفي فؤادي وفي كفي وفي بصري[2]

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣١٠ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٦ .

(٢) الغيث المنسجم في شرح لامية العجم ج٢ ص ٢٤ .

ومن حكم ابي حيان قوله

عداتي لهم فضل علي ومنة ... فلا أذهب الرحمن عني الاعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ... وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا[1]

وقوله :

اذا وضع الاحسان في الخب لم يفد ... سوى كفره والحر يجزي به شكرا
كغيث سقى أفعى فجاءت بسمها ... وصاحب أصدافا فاثمرت الدرا[2]

وقال في ذم الناس وتفضيله الكتب والقرآن الكريم

أعاذل ذرني وانفرادي عن الورى ... فلست ارى فيهم صديقاً مصافيا
ندامای كتبٌ استفيد علومها ... أحبّايَ تُغني عن لقائي الأعاديا
وآنسُها القرآن فهو الذي به ... نجاتي اذا فكرت أو كنت تاليا
لقد جلت في غرب البلاد وشرقها ... أنقّب عمَّن كان لله داعيا
فلم أرَ إلا طالباً لرياسة ... وجمّاع أموال وشيخا مرائيا
قبضت يدي عنهم وآثرت عزلة ... عن الناس واستغنيت بالله كافيا[3]

وقال السبكي « وأنشدنا لنفسه اجازة قصيدته التي عارض بها بانت سعاد ومطلعها

لا تعذلاه فما ذو الحب معذول ... العقل مختبل والقلب متبول
هزّت له أسمرا من خوط قامتها ... فما انثنى الصب الا وهو مقتول
جميلة فُصّل الحسن البديع بها ... فكم لها جمل منه وتفصيل
فالنحر مرمرة والنشر عنبرة ... والثغر جوهرة والريق معسول

---

(١) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٧ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢، والبدر الطالع ج٢ ص٢٩١، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، وطبقات الشافعية ج٦ ص ٣٥ ، واعيان العصر ج٧ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٧ ، وروضات الجنات ج٤ ص ٢٠٥ ، وطبقات الشافعية للاسنوي ص٩٧، وفيه « وهم زقشوني » وينظر لكتيبة الكامنة للسان الدين بن الخطيب ص ٨٥

(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٣٩، وتاريخ الفكر الاندلسي ص ١٨٨

(٣) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٨

والطرف ذو غَنَجٍ والعَرف ذو أرجٍ والخصر مختطف والمتن مجزول
هيفاء تسلس في الخصر الوشاح لها درماء يخرس في الساق الخلاخيل
من اللواتي علاهن النعيم فما يشقين ، اباؤها الصيد البهاليل

ومنها

نزر الكلام عنات للجواب اذا يستل وفد الضحى حصر مكاسيل
فشق حيزوم هذا الليل ممتطياً أخا حزام به قد تبلغ السول
متى أقود يعزى للوجيه له وجه أغر وفي الرجلين تحجيل

ومنها

جُفر حوافره ، مُعر قوائمه شُمر أياطله ، والذيل عسلول

ومنها

واصِل سراك بسير يا ابن اندلس والطرق أدهم بالاسطار معلول
يلاطم الريح منه أبيض لقف له من السحب المربد إكليل
يعلو خطارة منه شامخ جلل سام طفا وهو بالنكباء محمول
كانما هو في طخياء لجته أيمٌ بعدي أديم الماء شمليل

ومنها

فللرسول انشقاق البدر يشهده كما لموسى انفلاق البحر منقول[1]

ومن شعره قوله مادحا البخاري وكتابه الصحيح :

أسامع أخبار الرسول لك البشرى لقد سُدت في الدنيا وقد فُزت في الاخرى
تشنف آذانا بعقد جواهر تَوَدُّ الغواني لو تقلده النحرا
جواهر كم حَلَّت نفوسا نفيسة فحلت بها صدراً وجلّت بها قدرا
هل الدين إلا ما روته أكابر لنا نقلوا الاخبار عن طيب خبرا
وأدوا أحاديث الرسول مصونة
عن الزيف والتصحيف فاستوجبوا الشكرا

---

(١) طبقات الشافعية ج٦ ص ٣٦ – ٣٧

وان البخاريَّ الامــام لجامعٌ بجامعه منهــا اليواقيت والدُّرا
على مفرقِ ا لاسلام تاجٌ مرصع أضاء به شمسا ونار به بــدرا
وبحر علوم يلفظ الدرَّ لا الحصا فأنفِس بها درا ، وأعظم به بحرا
تصانيفه نَوْرٌ ونُوْرٌ لناظر فقدأشرقت زهرا وقد اينعتزهرا
نحاسنَّة المختار ينظم شــتَّها يلخصها جمعا ويخلصها تبــرا
وكم بذل النفسَ المصونةَ جاهدا فجازَ لها بحرا ، وجاب لها برا
فطورا عراقيا وطورا يَمانِيــا وطورا حجازيا وطورا أتى مصرا
الى انحوىمنها الصحيحصحيحه فوافى كتابا قد غدا الآية الكبرى
كتاب له من شرع أحمدَ شرعة مطهرة تعلو السماكين والنسرا(١)

وله اشعار متفرقة سنحاول تصنيفها الىالموضوعات التي قيلتفيها.
فمن شعره في الغزل قوله

سبق الدمع بالمسيل المطــايا إذْ نوى من أحب عني نُقلــه
وأجاد السطور في صفحــة الخد ولِـمْ لا يجيد وهو ابن مقله(٢)

وقوله

يقول لي العذول ولم أُطعــه تسلَّ فقد بدا للحِبِ لحيــه
تخيّــــل أنهــا شــانت حبيبي
وعنــدي إنهــا زين وحليــه(٣)

وقوله

شــوق لذاك المحيــا الزاهــر الزاهي
شــوقي شديد وجسمي الواهن الواهي

---

(١) ينظر نفح الطيب ج٢ ص ٣٣٠
(٢) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٦ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٧ ، ونفح الطيبج٣ ص ٣٠٠ ، والنجوم الزاهرة ج١٠ ص ١١٢ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، وطبقات الشافعيــة الكبرى ج٦ ص ٣٥ ، وأعيان العصر ج٧
(٣) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٦ ، ونكت الهميان ص ٢٨٢

أسهرتَ طرفي ودلّهت الفؤاد هوى

والطرف والقلب مني الساهر الساهي

نهبت قلبي وتنهى أن أبوح بما

تلقاه واشوقه للناهب الناهي

بهرت كل مليح بالبهاء فما

في النيرين شبيه الباهر الباهي

لهجت بالحب لمّا أنْ لهوتَ به

عن كل شيء فويح اللاهج اللاهي[1]

وقوله

راض حبيبي عارض قد بدا   يا حسنه من عارض رائض
وظن قوم ان قلبي سلا   والاصل لا يعتدّ بالعارض[2]

وقوله في مليح أحدب

تعشقته احدباً كيسا   يحاكي نجيبا حنين البغام
اذا كدت اسقط من فوقه   تعلقت من ظهرها بالسنام[3]

وقال ايضا رحمه الله في مليح فحام

وعلّقته مسودّ عين ووفرة   وثوب يعاني صنعة الفحم عن قصد
كأن خطوط الفحم في وجناته   لطاخة مسك في جنيّ من الورد[4]

وقوله في أسود :

علقته بشجيّ اللحظ حالكه   ما ابيضّ منه سوى ثغر حكى الدررا

---

(١) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٦ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٨ .

(٢) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٦ ، والنجوم الزاهرة ج١٠ ص ١١٢ والبدر الطالع ج٢ ص ٢٩١ والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، ونكت الهميان ص ٢٨٢ وطبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص ٣٥ والمنهل الصافي ج٣ ص ٣٢٢ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٧ . ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٨ وفي بغية الوعاة ص ١٢٢ رالض حبي عارض

(٣) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٧، ونكت الهميان ص ٢٨٢ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣٠٢.

(٤) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٥٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣١٠ .

قد صاغه من سواد العين خالقه وكل عين اليه تقصد النظرا[1]

وقوله في تركي

قد سباني من بني الترك رشا جوهري الثعر مسكي النفس
ناظري للورد منه غارس ما له لا يجتني مما غرس
قد حكى شمسا وغصنا ونقى في انبلاج وارتجاج ومَيَس
ضيق العينين تركيهما واسع الوجنة خزيّ المجس
اصبحت عقرب خديه معاً لجنيّ الورد في الخدّ حرس
وغدا ثعبان دبوقته جائلا في عطفه مهما ارتجس
لست اخشى سيفه او رمحه انما ارهب لحظاً قد نعس
اختلسنا بعد هجر وصله ان اهنى الوصل ما كان خلس
لست انساه وقد أطلع من راحه شمسا اضاءت في الغلس
ورمى العمة فالتاحَ لنا صرف شعر دق مبد ما التبس
لمس الكأس لكي يشربها ويحيي الكأس في فرد نعس
وغدا يمسح بالمنديل ما أبقت الخمرة في ذاكَ اللعس
عجبا منها ومنه قهقهت اذ حساها وهو منها قد عبس[2]

وقوله يتغزل بمليح نوتي

كلفت بنوتيّ كأن قوامه اذا ينثني خوط من البان ناعم
مجاذفه في كل قلب مجاذب وهزاته للعاشقين هزائم[3]

وقوله في اعمى

ما ضر حسن الذي أهواه أن نسى كريمتيه بلا شين قد احتجبا

---

(١) نكت الهميان ص ٢٨٣ ونفح الطيب ج٣ ص ٢٩٠

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(٣) نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٠

قد كانتا زهرتي روض وقد ذوتا لكن حسنهما الفتـــان ما ذهبـا
كالسيف قد زال عنه صقله فغـدا أنكى وآلم في قلب الذي ضربا[1]

وله أيضا

الا ان الحاظاً بقلبي عوابثـــــا اظن بهـا هاروت اصبح نافثــا
اذا رام ذا وجـــد سلوّا منعنَهُ وكن على دين التصابي بواعثـا
وقيدن من أضحى عن الحب مطلقاً واسرعن للبلوى بمن كان رائثـا
بروحي رشا من آل خاقان راحل وان كان ما بين الجوانح لابثـا
غدا واحداً في الحسن للفضل ثانيا وللبدر والشمس المنيرة ثالثـا[2]

وقال

اسحر"لتلك العين في القلب ام وخز ولين لذاك الجسم في اللمس ام خزُّ
واملود ذاك القد ام اسمر غـدا له أبداً في قلب عاشـــقه هَزُّ
فتـاة كساها الحسن افخر حلـة فصار عليها من محاسـنها طـرز
واهدى اليها الغصن لـين قوامه فماسَ كأن الغصن خـامره العزُّ
يضوع اديم الارض من نشر طيبها ويخضرّ من آثار قربتهـا الجرز
وتختال في برد الشباب اذا مضت فينهضهـا قدٌّ ويقعدها عجـز
اصابت فؤاد الصب منهـا بنظرة فلا رقية تجدي المصاب ولا حرز[3]

وقال في مليح ابرص

وقالوا الذي قد صرت طوع بنانه ونفسك لاقت في هواه نزاعهـا
به وضح تأباه نفـس اولي النهى وافظـع داء ما ينـافي طباعهـا
فقلت لهم لا عيب فيـه يشـينه ولا علة فيـه يـروم دفاعهـا
ولكنها شمس الضحى حين قابلت محاسـنه القت عليه شـعاعها[4]

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣٠١ – ٣٠٢
(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٩
(٣) نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٩
(٤) نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٩ – ٣١٠

وقال

سأل البدر هل تبدى أخوه ؟ قلت يا بدر لن تطيق طلوعا
كيف يبدو وأنت يا بدر بادٍ أوَ بدران يطلعان جميعاً ؟[1]

وقال

سال في الخد للحبيب عذار وهو لا شك سائل مرحوم
وسألت التثامه فتجنى فانا اليوم سائل محروم[2]

وقال

لم أؤخر عمن احب كتابي لقلى فيه او لترك هواه
غير اني اذا كتبت كتاباً غلب الدمع مقلتي فمحاه[3]

وقال في السود من النساء

لنا غرام شديد في هوى السود نختارهن على بيض الطلا الغيد
لون به اشرقت ابصارنا وحكى في اللون والعرف نفح المسك والعود
لا شيء احسن من آسٍ تركبه في آبنوس ولا اشفى لمبرود
لا تهوَ بيضاء لون الجص واسم الى سوداء حسناء لون الاعين السود
في جيدها غيد في قدها مَيَد في خدّها صيد من سادة صيد
من آل حام حمت قلبي بنار جوًى من هجرها وابتلت عيني بتسهيد[4]

وقال في البيض منهن

اذا مال الفتى للسود يوما فلا رأي لديه ولا رشاد
اتهوى خنفساء كأن زفتاً كسا جلداً لها وهو السواد
وما السوداء الاقدر فرن وكانون وفحم او مداد

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣١٠
(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٤
(٣) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٧
(٤) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٧

وما البيضاء الا الشمس لاحت ... تنير العين منها والفؤاد
سبيكة فضة حشيت بورد ... يلذ السهد مَعْها والرقاد
وبين البيض والسودان فرق ... لدى عقل به اتضح المراد
وجوه المؤمنين لها ابيضاض ... ووجه الكافرين به اسوداد(1)

وقال يتغزل

جن غيري بعارض فترجَّى ... اهله ان يفيق عما قريب
وفؤادي بعارضين مصاب ... فهو داء أعيا دواء الطبيب(2)

وقال

سعت حيّة من شعره نحو صدغه ... وما انفصلت من خده ان ذا عجب
وأعجب من ذا ان سلسال ريقه ... برود ولكن شبّ في قلبي اللهب(3)

وقال

اذا غاب عن عيني أقول سلوته ... وان لاح حال اللون فاضطرب القلب
يهيجني عيناه والمبسم الذي ... به المسك منظوم به اللؤلؤ الرطب(4)

وقال

ويعجبني رشف تلك الشفاه ... وعض الخدود وهصر القوام
محاسن فاقت قضيب الاراك ... وورد الرياض وكأس المدام(5)

وقال

بدر تمّ له على الخدّ خال ... في احمرار ينشقّ منه الشقيق
كتب الحسن بالمحقق معنا ... ه ولكن عذاره تعليق(6)

---

(1) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٨
(2) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٩
(3) نفح الطيب ج٣ ص ٣٣٠
(4) نفح الطيب ج٣ ص ٣٤٠
(5) نفح الطيب ج٥ ص ١٦٤
(6) بدائع الزهور لابن اياس ج١ ص ٢٠٠

وقال ابو حيان وكنت ماشيا بين القصرين مع ابن النحاس فعبر علينا صبي يدعى شهرته بجمال ، وكان مصارعا . فقال البهاء لينظم كل منا فيه ثم قال

مصارعٌ تصرعُ الآساد شهرته تيهـا فكل مليح دونه سمج
لما غدا راجحا في الحسن قلت لهم عن حسنه حدثوا عنه ولا حرج

فنظمت أنا

سباني جمال من مليح مصارع عليه دليل للملاحة واضح
لئن عزَّ منه المثل فالكل دونه وان خفت منه الخصر فالردف راجح[1]

وله أيضا

ايا باخلا حتى بتقبيل كفه على من سخا حتى بمهجته هديا
ألم تدر اني طوع حسنك دائما وقلبي لا يعصيك امرا ولا نهيا[2]

ومن شعره في رثاء بعض معاصريه قوله في رثاء العلامة محمد بن علي بن يوسف الرضي الشاطبي استاذه

راح الرضي الى روح وريحان فليهنه ان غدا جاراً لرضوان
وافى الجنان فوافاها مزخرفة يحفها الاهل من حور وولدان[3]

وقال في رثاء استاذه الشيخ ابي عبدالله محمد بن علي بن يوسف ابن محمد بن يوسف الانصاري الشاطبي البلنسي

نعي لي الرضي فقلت لقد نعي لي شيخ العلا والادب
فمن للغات ومن للثقات ومن للنحاة ومن للنسب

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣٣٦
(٢) المنهل الصافي ج٣ ص ٣٢٣
(٣) بغية الوعاة ص ٨٣

لقد كان للعلم بحـرا فغـار ... وان غؤور البحـار العجب
فقدس من عـالم عامـل ... أثـار لشجوي لمّـا ذهب[1]

ونظم ابو حيان ابياتا في مدح بعض معاصريه وتهنئتهم في بعض المناسبات المفرحة منها

قصيدته الدالية التي نظمها في مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها الى مديح صاحب غرناطة وغيره من اشياخه واولها

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده ... لقـد فاز باغيه وأنجح قاصده

وهي قصيدة جيدة تزيد على مائة بيت كما يقول المقري[2] .

والقصيدة التي مدح بها الشافعي والتي مطلعها

غذيت بعلم النحو اذ دَرَّ لي ثديا ... فجسمي به ينمى وروحي به تحيا

وقد مر ذكرها .

وقصيدته التي مدح بها البخاري وكتابه الصحيح ومطلعها

أسامع اخبـار الرسول لك البشـرى
لقد سدت في الدنيا وقد فزت بالاخرى[3]

وقد تقدم ذكرها .

وقال يخاطب شيخه ابن النحاس وقد أغبَّ زيارته

اعين حيـاتي والذي ببقائه ... بقائي لقد اصبحت نحوك شيّقا
أقمت بقلبي غـير ان لمقلتي ... برؤيتك الحظ الذي يذهب الشقا
وما كان ظني انك الدهر تاركي ... ولو انني اصبحت بين الورى لقا
لطائف معنى في العيان ولم تكن ... لتدرك الا بالتزاور واللقـا

---

(١) الحلل السندسية ج٣ ص ٢٠٧
(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣١٤ والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٦
(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص ٣٦

وقال يخاطب قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي وقد أعيد الى منصب القضاء ، وكان يتطلع اليه رجل يدعى نجم الدين

ذوو العلم في الدنيا نجوم زواهر وانك فيها الشمس حقا بلا لبس
اذا لـحت اخفى نوركم كلّ نيّـر الم ترأن النجم يخفى مع الشمس(١)

وقال يخاطب ابن جماعة ارتجالا عند ولادة ابنه «عمر» بعد بنتين:

حبيت بريحانتي روضة وبعدهما جاء نجل أغر
وسميته اسم امام اذا رآه ابو مرّة منه فر
ولا عجب منك عبدالعزيز اذا كان نجلك سمي عمر
تفرعتما من امام الهدى وبدر الدجى ورئيس البشر
فلا زال يوضح سبل الهدى ولا زلتما تقفوان الاثر(٢)

وقال في املاك علي ابن قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي على أخت ابن جماعة « فاطمة »

هنيئا بتأليف غريب نظامه لقد حار في اوصافه نظم عارف
غدت شمس حسن بنت بدر سيادة تزف لبدر نجل شمس معارف
سميان للزهرا البتول وللرضا علي ونجلا الاكرمين الغطارف
فدام عليّ عالي الجد سيدا ولا زال في ظل من العيش وارف(٣)

وقال يهنيء والد العز بن جماعة بشفائه من مرض اشيع فيه موته:

أدام الاله لك العافيه وصيَّر دور العدا عافيه
اذا لاح من بدركم نوره فكل النجوم به خافيه
تخذت كلام الاله الدوا فآياته كانت الشافيه
تشوّف ناس لمنصبكم ورتبتهم للعلا نافيه

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٦ - ٣٢٧
(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٥ - ٣٢٦
(٣) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٦

فايـن العلوم وايـن الحلوم وخلق موارده صافيـــه
هم عصبة لا تنـــال العــلا ولو انها قد ســعت حافيه
اذا كان خــرق تداركتـــه وليست لمـا مزقت رافيـــه
فان عنَّ خطب ثبتَّ لــــه وآراؤهم عنـده هافيــــه
ســجاياك لـين ورفق بنـا واخلاقهم كلهــا جافيـــه
تصلي على ســبعة منهم وثامنهم نفســـه طافيـــه
يقيمون في تــربهم همــدا وتسفي على قبـرهم سافيـه
فلا زلت في صحـة دائمـا تجر ذيول السنى ضافيـــه
ويوردك الله عين الحيــاة فتحيــا بهـا مائـة وافيـه
فان زاد عشــرا فذاك المنى وعشرون ايضـا هي الكافيه
وهــذي القوافي أتت كمَّلاً فلم‌تبق لي بعدها قافيـــه[1]

وقال في مدح عبد المهيمن الحضرمي

ليـس في الغــرب عــالم مثـــل عبــد المهيمــن
نحـن في العلم اســوة انــا منـــه وهُوْ مِنِي[2]

وقال في مدح تاج‌الدين السبكي صاحب طبقات الشافعية‌الكبرى

الا ان تاج‌الدين تاج معارف وبدر هدى‌تجلى بها ظلم الدهر
سليل‌امام قل في الناس مثله فضائله تربو على الزهروالزهر[3]

وقال ابن قطلوبغا ان ابا حيان مدح ابن الفصيح بقوله

شرف الشام واستنارت رباه بامام الائمـة ابن الفصيــح
كـــل يوم لــه دروس علوم بلسان عذب وفكر صحيح[4]

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٨ – ٣٢٩
(٢) نفح الطيب ج٧ ص ٣٩٠
(٣) طبقات الشافعية ج٦ ص ٣٦
(٤) تاج التراجم في طبقات الحنفية ط سنة ١٩٦٢ بغداد ، تنظر ترجمة احمد بن علي فخرالدين الشهير بابن الفصيح

وقال ابو حيان ابياتا كثيرة في موضوعات مختلفة منهـا قوله في صفات الحروف

أنا هـاوٍ لمستطيل أغنٍّ كلما اشتدصارتالنفس رخوهْ
أهمسُ القولوهويجهر سبّي واذا ما انخفضت أظهر علوهْ
فتح الوصل ثم اطبق جهـراً بصفير والقلب قلقل شجوه
لان دهراً ثم اغتدىذا انحراف وفشا السر مذ تكررت نحوه(١)

وقال ملغزا في قيراط ، زاعما انه لغز لا يفك

وما اسم خماسي اذا ما فككته يصير لنا فعلين امرا وماضيا
بعكس وهو كل وجزء وجمعه بابدال عين حاز فيـه التناهيا
ومع كونه فردا وجمعا فاوّل وآخره اضحى لشخص معاديا
وفي عكسهصوت فتبنيه صيغة وتبني بمعناه وما انت بانيـا
فكم فيه من معنى خفيّ وانما عنيت بذكري للذي ليس خافيا(٢)

وقال فيمن لا يتلقى علومه عن الاساتذة انما يكتفي بمطالعةالكتب:

يظن الغمر ان الكتب تهدي أخـا ذهن لادراك العلوم
وما يدري الجهول بان فيهـا غوامض حيَّرت عقل الفهيم
اذا رمت العلوم بغـير شيخ ضللت عن الطريق المستقيم
وتلتبس الامور عليـك حتى تصير أضلَّ من توما الحكيم(٣)

وقال في ذلك

أمدعيا علمـا ولست بقاريء كتابا على شيخ به يسهل الحزن
اتزعم ان الذهن يوضحمشكلا بلا موضحكلا لقد كذبالذهن
وان الذي تبغيـه دون معلم كموقد مصباح وليس له دهن(٤)

---

(١) فكت الهميان ص ٢٨٢ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٨
(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢١
(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص ٣٥ ونفح الطيب ج٣ ص ٣٢٠
(٤) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٤

وقال يذم الزواج

خلق الانسان في كبد	بوجود الاهل والولد
كل عضو فيه نافعه	غير عضو ضر للأبد
منتج ذلا وفقد غنى	وفراخا جمة العدد
من يمت منهم يذقه اسىً	او يعش ألقاه في نكد
عاش في امن فتى عزب	مستريح الفكر والجسد(1)

وقال :

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا
تجد خطوبا تسلي عنك ما تجد
تجد اكابرهم قد جرعوا غصصا
من الرزايا بها كم فتتت كبد
عزل ونهب وضرب بالسياط وحب
س ثم قتل وتشريد لمن ولدوا
واذ وقيت بحمد الله شهرتهم
فلتحمد الله في العقبى كمن حمدوا(2)

وقال :

ان علما تعبت فيه زماني	باذلا فيه طارفي وتلادي
لجدير بان يكون عزيزا	ومصونا الا على الأجواد

وقال :

ومالك والاتعاب نفسا شريفة	وتكليفها في الدهر ماليس يعذب
ارحها فعن قرب تلاقي حمامها	فتنعم في دار البقا او تعذب(3)

---

(1) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٨
(2) نفح الطيب ج٣ ص ٣٣٠
(3) نفح الطيب ج٣ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١

وقـــال :

أما انه لولا ثلاث احبهـــا ... تمنيت اني لا اعد من الاحيـا
فمنها رجائي ان افوز بتوبـة ... تكفر لي ذنبـا وتنجح لي سعيا
ومنهن صوني النفس عن كل جاهل ... لئيم فلا امشي الى بابه مشـيا
ومنهن اخذي بالحديث اذا الورى ... نسوا اسنة المختار واتبعوا الرأيا
أتترك نصا للرسول وتقتدي ... بشخص؟ لقد بدلت بالرشد الغيا[1]

وقـــال :

يا نفس مالك تهوين الاقامة في ... ارض تعذر كل من مثناك بها
أما تلوت وعجـــز المـــرء منقصـــة
في محكم الوحي (فامشوا في مناكبها)[2]

وقال في بعض المتصوفة :

أيا كاسيا من جيد الصوف نفسه ... ويا عاريا من كل فضل ومن كيس
اتزهى بصوف وهو بالامس مصبح ... على نعجة واليوم امسى على تيس

وقـــال :

وقصّر آمالي مآلي الى الردى ... واني وان طال المدى سوف اهلك
فصنت بماء الوجه نفسـا أبيـةً ... وجادت يميني بالذي كنت املك[3]

وقـــال :

ارحت روحي من الايناس بالناسِ ... لما غنيت عن الاكياس باليـــاس
وصرت في البيت وحدى لا أرى أحدا ... بنات فكري وكتبي هن جلاسي[4]

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٤١٠ ، وص ٣٢٤
(٢) نفح الطيب ج٧ ص ١١٨
(٣) نفح الطيب ج٣ ص ٢٩٠
(٤) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢١

وقـــال :

يا منضي الطرف في ميدان لذتــه ... وناضي الطرف بين الراح والرود
ستنشرت الروح راح الوقت كارهة ... ويذهب الجسم بين الترب في الدود[1]

وقـــال :

تذكري للبلى في قعر مظلمـــة ... اصارني زاهدا في المال والرتب
اني اُسَرُّ بحال ســوف اسلبها ... عما قريب وابقى رمَّة الترب[2]

وقـــال :

اتيت وما ادعى واقبلت ســامعا ... فوائد مولى ســيّد ماجد ندب
واحضر جمعا أنت فيه جمـــاله ... اشنف سمعي منك باللؤلؤ الرطب[3]

وقال فيمن يدعون علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب اتباعهم وهم ناس صبيان العقول يسمون بالشيوخ عجزوا عن مدارك العقـل والنقل واعياهم طلاب العلوم

فارتموا يدعون امرا عظيمـا ... لم يكن للخليل لا والـكليم
بينما المرء منهم في اســتفال ... ابصر اللوح ما به مـن رقوم
فجنى العلم منه غضـا طريـا ... ودرى ما يكون قبل الهجـوم
ان عقلي لفي عقــال اذا مــا ... انا صدقت بافتــراء عظيم[4]

هذه نماذج مختلفة من شعر أبي حيان عثرنا عليها في المظان القديمة، وهي توضح لنا قدرته على النظم وتطوافه في فنون شعرية كثيرة .

☆ ☆

هذا أبو حيان ، وهذه حياته وثقافته ومصنفاته ولعلنا استطعنا ان

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٥
(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٧.
(٣) نفح الطيب ج٣ ص ٣٢٧
(٤) البحر المحيط ج٤ ص ١٤٥ والدر اللقيط ج٤ ص ١٤٥

نصور الرجل تصويرا قريبا الى الواقع وان نلم بثقافته التي كونته .
وستبقى جوانب كثيرة من حياته غامضة حتى يعثر على مصادر اخرى او
على كتاب : « النضار في المسلاة عن نضار » الذي ترجم فيه لنفسه
وشيوخه ومعاصريه ، وعلى كتابه في تأريخ الاندلس الذي تحدث فيه عن
الاندلس وعلمائها ونحاتها .

الفصل الثاني

آثاره النحوية واللغوية

كان القدماء يطلقون علي أبي حيان لقب « أمير المؤمنين في النحو »[1] ، ويعدونه شيخ النحاة ، وهو الذي جسر الناس على قراءة كتب ابن مالك وتداولها . وقد أولى النحو أهمية كبيرة في تفسير القرآن الكريم وتفهم معانيه وادراك أسراره ، فبث في تفسيره الكبير « البحر المحيط » المسائل النحوية الكثيرة ، وأثبت الآراء المختلفة ، ولم يكتف بما ذكره في هذا الكتاب وفي كتبه الخاصة بالدراسات الاسلامية والقرآنية وانما خاض غمار التأليف في اللغة والنحو وترك لنا كتباً كثيرة لها قيمتها واهميتها في دراسة النحو العربي وتطوره.

وكتبه النحوية واللغوية التي وصلت الينا أو وصلت اسماؤهاهي:

---

(١) ينظر اعيان العصر ج٧

شروحه وتلخيصاته لكتب ابن عصفور

اعتنى أبو حيان بكتب ابن عصفور فلخص بعضهاوهذب مسائلها ووضح ما فيها من غموض والف في ذلك كتباً عدة هي

١ ـ تقريب المقرب:

ألف أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي المعروف بابن عصفور (٦٦٩ هـ) كتاباً في النحو سماه « المقرب » ، وقد انتقده جماعة من أهل الاندلس وغيرهم منهم:ابن الضائع وابن هشام وابراهيم ابن أحمد الانصاري والجزري وله عليه « المنهج المعرب في الرد على المقرب » ، ومنهم ابن الحاج وابو الحسن حازم القرطاجني الخزرجي بكتاب سماه « شد الزيار على جحفلة الحمار » ، وابن مؤمن القابسي وبهاءالدين بن النحاس الذي أملى شرحا عليه[١] .

واستفاد أبو حيان من كتاب ابن عصفور ووضع كتاب « تقريب المقرب » ، يقول « وقد جمعت في هذه الاوراق من كتاب المقرب نفائسه ، وجلوت للخطاب عرائسه ، وجردته في رسالة مختصرة اللفظ ميسرة للحفظ ، قريبة المنال عارية عن التعليل والمثال ، يغني البادي ويذكر الساهي ، من غير اصلاح لما وهن من حدوده ولا تحرز عما تعرض اليه من منقوده ، ولا استدراك لما من الاحكام الضرورية اهمل ولا لما من الابواب الشهيرة اغفل . ولعل من قصر باعه في علم اللسان وقصر فهمه عن الترقي الى دروب الاحسان ، يعارض كتابي هذا بالمقرب فيتخيل انني اهمل منه حكما أو أغفل قسما فيسيء به التدادا ويوسعه بعادا . فلينعم هذا المتخيل في نظره كرة بعد كرة وليعمل الفكر مرة ومرة ، حتى عنيت بالتنقيح بالعبارة وحتى غنيت عن التصريح بالاشارة ، وربما قدمت بعضه على بعض لاشتراك في حكم

---

(١) ينظر نفح الطيب ج٥ ص ٢٧٨ وبغية الوعاة ص ٦

أو ملائمة ترصيف ونظم . ولما قربت فيه النازح الى اهله ، وقرنت الشكل بشكله وجاء في نحو ربع أصله سميته « تقريب المقرب » فالى الله اضرع وأرغب في أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، ومعينا على فهم كتابه الحكيم بمنه ويمنه »[1] .

فأبو حيان مع استفادته من كتاب ابن عصفور لم يتبع منهجه وتبويبه للنحو ، لان صاحب المقرب اتبع طريقة اخرى فتكلم على باب المقصور والممدود ، والمذكر والمؤنث ، وما يذكر ويؤنث من أعضاء الحيوان ، وما يذكر من الاعضاء ولا يجوز تأنيثه ، والافعال المهموزة، وأمس ، واسماء الفاعلين والمفعولين،وحروف الرفع ، واقسام المفعولين، ومواضع مَنْ وأي ، والحكاية ، ومواضع « ان » المكسورة الخفيفة ، ومواضع «ان» المفتوحة المخففة،والجواب بـ «بلى» و«نعم»،والصلات، والجمع المكسر ، ومعرفة أقل العدد ، وتكسير ما كان على أربعة أحرف او خمسة ، وابنية المصادر ، واشتقاق اسماء المصادر والمكان ، وأبنية الافعال ، والتصريف ، والادغام .

أما أبو حيان فقد بوب كتابه « التقريب » تبويبا آخر فتكلم في أول الكتاب على أحكام الكلم وهي افرادية وتركيبية وقد تكلم في القسم الاول من التركيبية ـ وهو الاعراب ـ على الكلام،وعددمرفوعات الاسماء ومنصوباته ومجروراته ، ومواضع رفع الفعل ونصبه وجزمه ، ثم تحدث بعد ذلك عن «نعم وبئس»وافعال التعجب . والقسم الثاني منه في البناء ، وقد تحدث فيه عن معنى البناء ومواقعه في الكلمة ، وعن الاسماء المبنية ، والحكاية ، واسناد الفعل الى مؤنث ، والعدد ،والتأريخ في العدد ، وكناية العدد . وعقد بعد هذه الفصول أبوابا صغيرة في الادغام ، ومخارج الحروف ، والوقف .

أما باب الاحكام الافرادية فقد قسمه أبو حيان الى ثلاثة أقسام :

---

(١) تقريب المقرب ص ٣ ـ ١

الاول   ما يلحق أول الكلمة وهو همزة الوصل •

والثاني   ما يلحق آخر الكلمة ومنه باب التثنيــة ، وباب جمع المذكر السالم والمؤنث السالم ، وباب النسب ، وباب نون التوكيد •

والثالث   ما يلحق نفس الكلمة ــ وهو التصريف ــ وقد قسمه الى نوعين

الاول   اختلاف الصيغ لاختلاف المعاني،ومنه باب التصغيروجمع التكسير ، والمصدر ، واسم المكان ، واسم الزمان ، واســم الآلة ، والمقصور والممدود ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والحروف الزوائد•

والثاني   تغيير الكلمة لغير معنى طاريء عليها ومنه   باب الادغام، والابدال ، والقلب ، والنقل ، والضرائر الشعرية •

ولم يطبع كتاب : « تقريب المقرب » بعد • ومنه نسخة مخطوطة في معهد احياء المخطوطات كتبها بخط نفيس سنة ٧١٠ هـ أحمــــد بن عبدالله الزرعي الفيومي وقوبلت بنسخة عليها خط أبي حيــان ، وهي مصورة عن نسخة محفوظة في مكتبة أغا أيوب في ٨٥ ورقة ١٤×١٩•

٢ ــ التدريب في تمثيل التقريب :

وبعد أن هذب أبو حيان كتاب « المقرب » لابن عصفور واستخرج لبه وجوهره ، رأى انه أصبح بايجازه غامضا بعض الاغماض بالنسبة للمبتديء في دراســة النحو فاراد ان يكشف ذلك الغموض ويجلوه ليكون قريب المتناول عظيم الفائدة ، يقول في مقدمة الكتاب   « وبعد فاني لما اختصرت كتاب المقرب في التقريب ، وحصرت المعنى البعيدتحت اللفظ القريب ، عرض فيه بايجاز للمبتديء بعض اغماض ، وربما جرالى الترك والاعراض ، فشفعت « التقريب » بكتاب جلوت فيه عرايسه في منصة التوضيح ، وأبدلت مقايسه من التلويح للتصــــريح ، وابرزت معانيه في صور التمثيل ، وربما المحت بنقدأو دليل ، وقد انجر مع ذلك

شيء من تفسير وتبيين عطف، وعود ضمير ، واسعاف تنبيه في بعض المسائل على الخلاف ، فجاء شرحا مختصرا للمقرب والتقريب عمدة للفاضل وعدة للاريب، يثير كنوزها ويفك رموزها وسميته « التدريب في تمثيل التقريب »[1] .

وسار أبو حيان في منهج هذا الكتاب على منهجه في كتاب «التقريب»، ولم يختلف عنه الا في التفصيل والرد على ابن عصفور في بعض الاحيان. وطريقته في هذا الكتاب انه يذكر القواعد التي ذكرها ابن عصفور في «المقرب» ويمثل لها فان احتاج بعضها الى شرح شرحه ومثل له ، وان لم يحتج اكتفى بالتمثيل وذكر الشواهد . وقد يشير الى رأي من الآراء ويذكر انه على مذهب الفراء او مذهب فلان وفلان من النحاة ، ويذكر آراء النحاة المختلفين في المسألة الواحدة كأن يقول عند كلامه على جواز الفصل بين « ما أفعل » في التعجب وبين المفعول « ومذهب المازني انه لا يفصل بين « أفعل » وبين المفعول بشيء أصلا .. وذهب الجرمي الى انه يجوز الفصل بالظرف والجار والمجرور اذا كانا معمولين للفعل نحو « ما أحسن اليوم زيدا » و « ما احسن في الدار عمرا » ، فان كان الظرف والجار والمجرور معمولا لمفعول فلا يجوز نحو «ما أحسن بالمعروف آمرا » و « ما احسن اليوم مقاتلا » اذا جعلت « اليوم » معمولا لـ « مقاتل ».وأجاز ابن كيسان الفصل بينهما بـ «لولا» نحو « ما احسن ــ لولا بخله ــ زيدا » ، واجاز هشام بن معاوية الفصل بينهما بالحال فأجاز « ما أحسن ــ لونه متغير ــ زيدا » ففصل بين « أحسن » وبين « زيد » بالجملة الحالية . واذا جاز الفصل بالجملة الحالية فلأن يجيز ذلك في المفرد والواقع حالا نحو « ما أحسن ضاحكا زيدا أولى »[2] .

ورد على ابن عصفور في مواضع متعددة ، ومن أمثلة ذلك ما ورد

---

(١) التدريب في تمثيل القريب ص ٢ ــ ا

(٢) التدريب في تمثيل التقريب ص ٦ ــ ب

عند كلامه في عمل اسم الفاعل ، يقول « .. غير ماض مررت برجل ضارب أبوه الآن أو غدا . وهذا قيد ذكره ليخرج به اسم الفاعل الماضي فانه لا يعمل ولا يرفع الفاعل وينصب المفعول ، وليس كما ذكر لانه ان كان فيه « أل » عمل مطلقا ولا يحتاج الى هذا القيد ، وانكان بغير « أل » لم يعمل الا غير ماض فيكون قيدا لا يقصد به التحرز ، لانه لا يقع عاملا ، إلا غير ماضٍ »[1] .

والكتاب غير مطبوع ، ومنه نسخة مخطوطة في معهد احياء المخطوطات كتبت سنة ٧١٨ هـ بخط نفيس وعليها توقيع أبي حيان ،وهي مصورة عن مكتبة بشير أغا ايوب في ٣٠ ورقة ١٤×١٨ سم .

٣ ـ المبدع الملخص من الممتع :

ألف ابن عصفور كتاب « الممتع في التصريف » ، وكان ابو حيان لا يفارقه[2] فلخصه بكتاب سماه « المبدع الملخص من الممتع » .يقول في مقدمته « ولما كان كتاب الممتع احسن ما وضع في هذا الفن ترتيبا، وألخصه تهذيبا ، واجمعه تقسيما ، وأقربه تفهيما ، قصدنا في هذه الاوراق ذكر ما تضمنه من الأحكام بألخص عبارة وأبدع اشارة ليشرف الناظر فيه على معظمه في أقرب زمان ، ويسرح بصيرته في عقائل حسان ، وسميته بـ « المبدع الملخص من الممتع » . ولم أتعرض فيه للتنبيه على ما فيه من الاعتراض ، بل أبرزته بين المغضي عنه والراضي ، وان فسح الله في العمر ، وساعدني سابق القدر ، وضعت في التصريف ما أنا له آمل ، وعلى تحصيل مواده من قديم الزمان عامل ، والله يبلغنا فيما أملنا من ذلك الامنية ، ويخلص لنا في العلم والعمل النية ، لا مرجو الا ثوابه ولا محذور الا عقابه »[3] .

وقد وضح أبو حيان في مطلع كتابه أهمية علم التصريف وفائدته،

---

(١) التدريب في تمثيل التقريب ص ٣ ـ ب

(٢) بغية الوعاة ص ٣٥٧

(٣) المبدع ص ١

وأشار الى انه أخذ هذا الفن بعد أخذ علم الاعراب عن استاذه أبي جعفر ابن الزبير ، وتلقاه من فيه لا من كتاب ، وبقي يتدرب مع استاذه على صعابه شهورا حتى ألم بموضوعاته ومسائله وحل صعبه وفهم مشكله. وشرع بعد ذلك في ذكر أبواب الكتاب فتكلم قبل كل شيء على التصريف وقسمه الى قسمين

الاول يبحث فيه جعل الكلمة على صيغ مختلفة لمعنى .

والثاني تغييرها عن أصلها لا لمعنى .

ثم تكلم على كيفية معرفة الاصلي من الزائد والالفاظ التي لا يدخلها التصريف من الاعجمي ، والحرف والصوت ، والاشتقاق واقسامه ، والثلاثي والرباعي المجردين والمزيدين ، والابنية التي فيها زيادتان ، ومواقع هذه الزيادة مجتمعة ومفترقة ، والاحرف التي تزاد معا في الاسم والصفة ، وابنية المزيد بثلاث زيادات ، والفعل واقسامه ، وحروف الزيادة ، وحروف البدل ، والقلب ، والحذف ، والادغام ، ومخارج الحروف .

والكتاب غير مطبوع ، ومنه نسخة محفوظة بدار الكتب بالقاهرة ضمن مجموعة فيها « غاية الاحسان في علم اللسان » ، و « الموفور من شرح ابن عصفور » وهي بخط أبي حيان نفسه ، وقد جاء في آخرها « تم كتاب المبدع غدوة الجمعة التاسع والعشرين لشهر رجب الاول سنة تسع وتسعين وستمائة على يدي ملخصه أبي حيان وبخطه ». وهي برقم ٢٤ ش .

وفي معهد احياء المخطوطات نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب في ٣٩ ورقة ١٣ × ١٧ سم ، وفيه نسخة اخرى كتبت سنة ٧١٨ هـ بخط نسخ نفيس بجامع الحاكم بالقاهرة وقوبلت على أصل المصنف المنتسخة، وهذه المخطوطة مصورة عن مكتبة بشير أغا أيوب ، وهي في ٢٥ ورقة ١٣ × ١٧ سم .

٤ ـ الموفور من شرح ابن عصفور :

بعد أن اختصر ابو حيان كتاب « المقـــرب » لابي الحسن بن عصفور في كتاب سماه « التقريب » واردفه بشـرح لطيف سماه « التدريب في تمثيل التقريب » واختصر في التصريف كتاب :«الممتع » في كتاب سماه «المبدع» ، رأى ان يختصر كتاب ابن عصفور المسمى بـ « الشرح الكبير » لما فيه من فوائد عظيمة وقيمة كبيرة . يقول أبو حيان في مقدمة الموفور « وبعد فاني لما اختصرت المقرب للاستاذ أبي الحسن بن عصفور في كتاب سميته بـ « التقريب»،واردفته بشرحلطيف وسميته بـ «التدريب»،واختصرتفي التصريف «الممتع »في كتابسميته « المبدع »،، رأيت ان اختصر كتابه المسمى عند الناس بالشرح الكبير وكان قد حوى من الفن الغزير قواعد محررة وفوائد محبرة،يستفيدمنها البادي ويتذكر الشادي ، فاختصرته من غير تنبيه على ما فيه من النقود ولا خروج في اختصاره عن المقصود ، ولم ابالغ في ايجازه فاخـل ولا أسهبت فيه فيمل ، بل ابرزته بين عبارة ملخصة واشارة مخلصة،وتقسيم قسيم وترسيم وسيم . ولما كان كتابه المقرب من أحسن الموضوعات ترتيبا وأكملها تقسيما وتبويبا رتبت هذا المختصر ترتيبه وهذبته تهذيبه ، وما كانفيالشرح من أبواب عري عنها «المقرب»وضعتهافي المكانالذي يليق بها ويقرب . ولما تكمل هذا المختصر في سماء العلوم بدرا وشرف ما بين الموضوعات قدرا ، وكان قد وفر حظه من علم اللسانوجمع فيه ماتشتت من الاحسان سميته بـ « الموفور من شرح ابن عصفور » . والله تعالى أرجو ان يثيبنا على ذلك وان يلطف بنا في الدارين هنــا وهنالك بمنه ويمنه »[1] .

بدأ أبو حيان هذا الكتاب ببحث الكلام ثم أخذ يذكر موضوعات النحو الاخرى كالنكرة والمعرفة ، والفاعل ، والاخبار ، ونعم وبئس ،

(١) الموفور في شرح ابن عصفور ص ٢

والمبتدأ والخبر والاشتغال والنواسخ ، وافعال المقاربة،وما النافية، وان واخواتها ، والافعال المتعدية ، والفصل ، واسم الفاعل ، وصيغ المبالغة ، والمصدر ، والاغراء ، والصفة المشبهة باسم الفاعل ، والمفعول المطلق ، والظرف ، والحال ، والتمييز ، والاستثناء ، والمفعول معه ، والمفعول له ، والنداء والندبة ، وياء المتكلم ، والمضاف الى المنادى، والترخيم ، ولا للتبرئة ، وحروف الجر ، والقسم ، والاضافة ،والتوابع، والاعمال ، واعراب المضارع ، والاسم المنصرف،وغير المنصرف ، والبناء، والحكاية ، والتذكير والتأنيث ، والعدد ، والتأريخ ، وكم وكذا وكأين، والافعال المهموزة ، والوقف ،والتثنية ، والجمع السالم ، والنسب ، ونون التوكيد ، والتصغير ، والتكسير ، وأبنية المصادر ، واسم المصدر ، واسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة ، والمقصور والممدود ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والامالة .

هذه موضوعات كتاب « الموفور » لابي حيان ، ويلاحظ انه لم يتقيد كلّ التقيد بكتاب « المقرب » وشرح ابن عصفور ، وانما استفاد من تبويبهما ورتب كتابه ترتيبا جديدا .

والكتاب غير مطبوع ، ومنه نسخة بخط أبي حيان نفسه ضمن مجموعة فيها « غاية الاحسان » و « المبدع » محفوظة بدار الكتب بالقاهرة برقم ٢٤ ش . وليس في هذه النسخة ما يشير الى سنة تأليفها أو الانتهاء من نسخها لانها ناقصة من الآخر ، ونرجح انه انتهى من تأليفها بعد « المبدع » الذي انتهى منه سنة ٦٩٩ هـ .

وفي معهد احياء المخطوطات نسخة مصورة عن مخطوطة دارالكتب وهي في ٦٣ ورقة .

شروحه لمصنفات ابن مالك

اهتم أبو حيان بكتب ابن مالك النحوية ودرسها لطلابه وجسرهم على الخوض فيها،والاستفادةمنها، وسَهَّلَ لهم ما صعب وفك ما فيها من غموض وابهام ، وقد انصب اهتمامه على كتاب « التســـــهيل » و « الالفية » وألف عليهما عدة كتب هي

١ ـ التذييل والتكميل في شرح التسهيل :

ألف أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله ابن مالك الطائي الجياني (٦٧٢ هـ) كتاب « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » في النحو بدأه بقوله « هذا كتاب في النحو جعلته بعون الله مستوفيا لاصوله ، مستوليا على أبوابه وفصوله فسميته لذلك: «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » فهو جدير بان يلبي دعوته الالباء ، ويجتنب منابذته النجباء ، ويعترف العارف برشد المغرى بتحصيله ، وتأتلف قلوبهم على تقديمه وتفضيله ، فليثق متأمله ببلوغ أمله ، وليتلق بالقبول ما يرد من قبله ، وليكن بحسن الظن آلفا ، ولدواعي الاستبعاد مخالفا ، فقلما حظي متحل بالاستبعاد الا بالخيبة والابعاد. واذا كانت العلوم منحا الهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين أعاذنا الله من حسد من يسد باب الانصاف،ويصد عن جميل الاوصاف ، والهمنا شكرا يقتضي توالي الآلاء ، ويقضي بانتضاء اللأواء ، وها أنا ساع فيما انتدبت اليه مستعيناً بالله عليه ختم الله عليه

ولقارئيه بالحسنىوختم لي ولهم الحظ الأوفى في المقر الأسنى بمنـه وكرمـه »[1] .

وموضوع الكتاب النحو والصرف ، وقد قسمه ابن مالك الى ثمانين بابا تتضمن مائتين واثني عشر فصلا منها خمسة أبواب في التصريف ، ومخارج الحروف ، والامالة والوقف ، والهجاء ، ختم بها الكتاب . وبدأه بباب شرح الكلمة والكلام وما يتعلق به ، وباباعراب الصحيح الآخر ، وباباعراب المعتل الآخر،وباب اعراب المثنى والمجموع على حده ، وباب كيفية التثنية وجمعي التصحيح،وباب المعرفة والنكرة، وباب المضمر ، وباب الاسم العلم ، وباب الموصول ، وباب اسم الاشارة، وباب المعرف بالاداة ، وباب المبتدأ ، وباب الأفعال الرافعة الاسم الناصبة الخبر ، وباب أفعال المقاربة ، وباب الاحرف الناصبة الاسم الرافعة الخبر ، وباب لا العاملة عمل ان ، وباب الافعال الداخلة على المبتدأ والخبر ، وباب الفاعل ، وباب النائب عن الفاعل ، وباب اشتغال العامل عن الاسم السابق بضميره أو ملابسه ، وباب تعدي الفعل ولزومه ،وباب تنازع العاملين ، وباب الواقع مفعولا مطلقا من مصدر وما يجري مجراه، وباب المفعول له ، وباب المفعول المسمى ظرفا ومفعولا فيه ، وباب المفعول معه ، وباب المستثنى ، وباب الحال ، وباب التمييز ، وباب العدد ، وباب كم وكأين وكذا ، وباب نعم وبئس ، وباب حبذا ، وباب التعجب ، وباب أفعل التفضيل ، وباب اسم الفاعل ، وباب اعمال المصدر ، وباب حروف الجر سوى المستثنى بها ، وباب القسم ، وباب الاضافة ، وباب التابع ، وباب التوكيد ، وباب النعت ، وباب عطف البيان ، وباب البدل ، وباب المعطوف عطف النسق ، وباب النداء ، وباب الاستغاثة والتعجب الشبيه بها ، وباب الندبة ، وباب اسماء لازمت النداء ، وباب ترخيم المنادى ، وباب الاختصاص ، وباب التحذير والاغراء وما لحق بهما ، وباب أبنية الافعال ومعانيها ، وباب همزة

---

(1) تسهيل الفوائد ص ١

الوصل ، وباب مصادر الفعل الثلاثي ، وباب مصادر غير الثلاثي وباب ما زيدت الميم في أوله لغير ما تقدم وليس بصفة ، وباب اسماء الافعال والاصوات ، وباب نوني التوكيد ، وباب منع الصرف ، وباب التسمية بلفظ كائن ما كان ، وباب اعراب الفعل وعوامله ، وباب عوامل الجزم ، وباب تتميم الكلام على كلمات مفتقرة الى ذلك ، وباب الحكاية ، وباب الاخبار ، وباب التذكير والتأنيث ، وباب ألفي التأنيث ، وباب المقصور والممدود ، وباب التقاء الساكنين ، وباب النسب ، وباب امثلة الجمع وما يتعلق بها مما لم يسبق ذكره ، وباب التصغير ، وباب مخارج الحروف ، وباب الامالة ، وباب الوقف، وباب الهجاء

وقسم ابن مالك بعض هذه الابواب الى فصول ، ففي باب: كيفيه التثنية وجمعي التصحيح ، يعقد عدةفصول يتكلمفيهاعلى كيفية التثنية، وتثنية المحذوف اللام ، ويختم الباب بفصل يذكر فيه انه لا يجمع بالالف والتاء غالبا ما ليس علما من مؤنث عار من علامة،ولا «فَعلى» «فعلان»، ولا « فَعلى » « افعل » الا ما نقل الى الاسميةحقيقة أو حكما .خلافا للكوفيين[1] .

وتأتي قيمة التسهيل من عدة نواح ، أهمها ترتيب ابن مالك للنحو هذا الترتيب الذي لا نجده عند غيره ، وذكره للخلافات والمذاهب النحوية والآراء المختلفة الكثيرة وتفضيله بعضها على بعض ورفضه أو قبوله لها .

ومن هنا أهتم النحاة الذين جاءوا بعد ابن مالك بشرح هذا الكتاب ، ومن شروحه الكثيرة : شرح المؤلف نفسه ، وفي دار الكتب بالقاهرة نسخة منه برقم (١٠ ش) وقد وقف ابن مالك فيه عند باب « مصادر غير الثلاثي » واكمله ابنه بدرالدين ، وشرح الشيخأبي عبدالله محمد بن علي بن هاني اللخمي السبتي (٧٣٣هـ) ، وشرح الشيخ

---

(١) ينظر تسهيل الفوائد ص ٥

شمس الدين محمد بن احمد بن عبدالهادي بن قدامة الحنبلي (٧٤٤هـ)، وشرح «التحصيل والتمثيل لأحكام كتاب التسهيل» لاحد تلامذة أبي حيان النحوي ، وشرح بدرالدين الحسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري (٧٤٩ هـ) ، وشرح أبي العباس احمد بن سعيد محمد العسكري (٧٥٠ هـ) ، وشرح محب الدين الحلبي المعروف بناظر الجيش (٧٧٨هـ)، وشرح جلال الدين المحلي (٨٦٤هـ) ، « والمساعد في شرح التسهيل» لبهاء الدين بن عقيل (٧٦٩هـ) ، وشرح جمال الدين عبدالرحيم شيخ الشافعية (٧٧٧ هـ) ، وشرح أبي عبدالله جمال الدين بن هشام الانصاري (٧٦١ هـ) ، وشرح ناصرالدين الزبيري الاسكندراني المالكي أحمد بن محمد بن محمد بن عطاء المولود سنة ٧٤٠هـ ، وشرح شهاب الدين احمد بن يوسف بن عبدالدائم بن محمد الحلبي المعروف بالسمين (٧٥٦ هـ)[1] •

وليس يعنينا هنا هذه الشروح وكثرتها ، وانما يهمنا ان نذكر ان أبا حيان النحوي كان أحد شراح تسهيل ابن مالك وهو الذي فتح الباب على مصراعيه لمن جاء بعده •

شرح ابو حيان « التسهيل » شرحا مفصلا في عشر مجلدات كبيرة، وكان القدماء يقولون عن هذا الشرح ومختصره « الارتشاف» انه لم يؤلف في العربية أعظم منهما ولا أحصى للخلاف والاحوال •

ولم يطبع من هذا الكتاب الضخم حتى الآن الا قطعة صغيرة سنة ١٣٢٨ هـ بمطبعة السعادة بمصر ، والقسم المطبوع يقع في جزءين صغيرين يبتدآن من اول الكتاب وينتهيان في بعض فصول بحث المبتدأ • وقد طبع مع كتاب أبي حيان شرح التسهيل للعلامة أبي علي الحسن بن قاسم ابن علي المرادي الاسفي أصلا المصري مولدا المعروف بابن ام قاسم

---

(١) تنظر هذه الشروح في بغية الوعاة ص ١٢ ، ٥٤ ، ٨٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٧٥ ، وحسن المحاضرة ج١ ص ٢٤٣ ، ٣١٠ ، وعصر سلاطين المماليك ج٣ ص ١٥٤ـ ١٥٥ ، و ج٤ ص ١٦١

(٧٤٩هـ)[١] ، وبهامش الكتابين شرح التسهيل المسمى بـ « تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد » للعلامة محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي المعروف بابن الدماميني الاسكندري المالكي المولود سنة ٧٦٣هـ والمتوفى سنة ٨٣٧ هـ او سنة ٨٣٨هـ[٢]. وقد جعل شرح أبي حيان في صدر الصفحة وبذيلها شرح المرادي وبالهامش شرح الدماميني. وكان طبع الكتاب بجزءيه الصغيرين على نفقة سلطان المغرب الاقصى جلالة أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين فرع الشجرة النبوية وخلاصة السلالة الطاهرة العلوية عبدالحفيظ ابن السلطان مولاي الحسن ابن السلطان سيدي محمد بتوكيل الحاج محمد بن العباس بن شقرون خديم المقام العالي بالله بثغر طنجة ووكيل دولة المغرب الاقصى بمصر على يد نجله الحاج عبدالسلام بن شقرون[٣] .

ولشرح أبي حيان المسمى بـ « التذييل والتكميل في شرح التسهيل » عدة نسخ مخطوطة ولكن معظم هذه النسخ ناقصة ويستطيع الباحث أن يكون من هذه النسخ نسخة كاملة يمكن الاعتماد عليها والاستفادة منها .

ومخطوطات الكتاب التي اطلعنا عليها وعلمنا بها هي

١ـ في دار الكتب بالقاهرة خمسة اجزاء من نسخة مكتوبة سنة ٨٨٠هـ وهي الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس برقم (٦٢ نحو) ، وفي الدار نسخة اخرى مصورة عنها بالفوتستات .

٢ـ ومن الكتاب نسخة ثانية الموجود منها الجزء الاول والثالث والرابع والسابع في أربع مجلدات من نسخة مجزءة عشرة اجزاء ، وهي مخطوطة بقلم معتاد واضح بخط واحد مضبوطة بالشكل ، وعلى ظهر

---

(١) تنظر ترجمته في بغية الوعاة ص ٢٢٦

(٢) تنظر ترجمته في بغية الوعاة ص ٢٧

(٣) هكذا كتب على الصفحة الاولى من الكتاب

الورقة الاولى من هذه المجلدات ما يفيد انها من وقف الحاج احمد باشا الجزار في جامع النور الاحمدي بعكا سنة ١١٩٦ هـ ، وعليها مطالعة لبعض العلماء . وبها أثر عرق وأكل أرضة وترقيع ، ولا سيما الجزء السابع منها وهي في ٤١٦ ، ١٩٣ ، ٣٨٥ ، ٤٨١ ورقة . ومسطرتها ٢٥ سطرا ١٨×٢٧ ، ورقمها ٦٠١٦ هـ .

٣ـ ونسخة اخرى الموجود منها جزء من تجزئة خمسة أجزاء يتلوه في اول السفر الثاني « باب الافعال الداخلة على المبتدأ والخبر الداخل عليها كان والممتنع دخولها عليها » . وهي في مجلد مخطوط بقلم مغربي رفيع ، وعلى ظهر الورقة الاولى منه صورة وقف وتملك للسلطان أمير المؤمنين أبي العباس المنصور بالله الحسني بخطه على خزانته في جامع القرويين بالمغرب الاقصى سنة ١٠٠٩ هـ ، وبها خروم وأكل أرضة كثير وأثر عرق ، وهي في ٢٤٣ ورقة ، مسطرتها ٢٧ سطرا ٢٠×٢٦ سم ، ورقمها ٦٠١٧ هـ .

٤ـ وفي الدار الجزء السابع من الكتاب اوله من اثناء باب الفاعل عند قول المصنف « ويجر المعطوف على مجرور ذي الالف واللام » ، وينتهي الى باب «التابع» ، وهو مخطوط بخط معتاد نقله من خط مصنفه محمد بن قراجا بن علي بن سليمان الشافعي ، وفرغ من كتابته في اليوم السابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٧٤٧هـ ، ورقمه (٦١) .

٥ـ وفيها مجلدة اخرى من الكتاب اولها « باب ما زيدت الميم في اوله » بها خرم من الآخر مخطوطة بخط قديم ومكتوب عليها « وقفها السلطان الملك الأشرف في شهر شعبان سنة ٧٧٨هـ »، وهي برقم ٤٦٠ .

٦ ـ وفيها أربعة اجزاء من نسخة أخرى وهي الخامس والسادس والسابع، والاخير في اربع مجلدات مخطوطة بخط قديم مكتوب على اول كل جزء منها : « وقف هذا الجزء والذي قبله وما بعده السلطان الملك

الظاهر أبو سعيد على طلبة العلم الشريف بالخانقاه التي انشأها بين القصرين » ، ورقمها ٤٦٥ .

٧ـ وفي معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة الجزء العاشر من الكتاب وقد كتب سنة ٧٦٠ هـ ويبتدىء بباب « أبنية الأفعال » وهو آخر ما كتبه المؤلف في شرح التسهيل . والمخطوطة مصورة عن مكتبة ولي الدين جارالله وهي في ٢٤٥ ورقة ١٨ × ٢٥سم .

٨ـ وفي مكتبة جامعة القاهرة نسخة مصورة في ستة اجزاء ولكن الجزء الأول منها مفقود .

٩ـ وبمكتبة « جستربيتي » في دبلن بارلندة الجزء الخامس من الكتاب برقم ٣٣٤٢ ، وهو في ١٩٧ ورقة ، مكتوب بخط نسخي جميل في ١٢ محرم سنة ٧٤٢ هـ الموافق ٢٨ حزيران (يونيو) سنة ١٣٤١م[1] .

وكان أبو حيان قد بدأ بتكملة شرح التسهيل لابن مالك بكتاب سماه « التكميل لشرح التسهيل » ، ولكن بعض الراغبين في العلم ودراسة النحو رأى ان يشرح أبو حيان التسهيل من أوله فاستجاب لتلك الرغبة وشرحه بكتابه « التذييل والتكميل في شرح التسهيل » . يقول متحدثا عن « التسهيل » وعن كتابيه المذكورين ، شارحا عمله في الكتاب وقيمته « وبعد فان تسهيل الفوائد لبلدينا أبي عبدالله بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني مقيم دمشق رحمه الله أبدع كتاب في فنه ألف ، واجمع موضوع في الاحكام النحوية صنف . فهو كما قال مصنفه فيه جدير بان تلبي دعوته الالباء ، ويجتنب منابذته النجباء ، ولما كان مفرط الايجاز غريب الاصطلاح حاشرا لنوادر المسائل عرض فيه من الاستعجام ما أدى الى التأخر عنه والاحجام ، فنبذه الناس بالعراء واطرحوه اطراح واصل الراء ، واصبح حاليه عطلا ومعلمه غفلا ، وانواره

(١) للاطلاع على هذه المخطوطات ينظر فهارس دار الكتب بالقاهرة ومعهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية ومكتبة جستر بيتي في دبلن بارلندة

لا تتبلج وازهاره لا تتأرج • ولاستصعابه قلما قرأه أحد على مؤلفه ولا تجاسر على اقرائه نحوي بعد موته • وكان رحمه الله كثيرا ما يعنى بتحريره ويولع بتهذيبه وتغييره، فيزيد وينقص ويلخص فنسخت من هذا الكتاب نسخا تنافى مبناهاواختلف لفظها ومعناها ،الى ان عرض له رحمه الله ان يشرحه ويفسره ويوضحه فغير أكثر ما شرحه ونظر اليه بعـــين الرعاية وتصفحه،وانتهى في شرحه الى باب:«مصادر غير الثلاثي»وذلك أشف من نصفه ، وعاقه عن اكماله محتوم حتفه، فاستخرجت فص هذا الكتاب مما اودعه في الشرح الى حيث انتهى ، وجمعت على باقي الكتاب نسخا اليها في الصحة المنتهى لانها طرزت بخطه وحررت بين يديـه بضبطه ، فثقفته حتى استقام منآده ، وظفر بمطلوبه منه مرتاده،وأخذت في اقراء هذا الكتاب أنبه خامله وانوه خامله ، وافتح مقفله واوضح مشكله ، واحيي منه ما كان مواتا واجدد ما عاد رفاتا • وكان المانع من وضع كتاب يتضمن شرح جميعه وتكميله واستدراك ما اغفل من الاحكام وتذييله،ومناقشته فيما حرر والانتقاد لما فيه قرر،ما كان قد تقسم الخاطر من الاشتغال بالاكتساب المزري بذوي المعارف والاحساب،واني يكمل انتحال لمن توالى عليه امحال ، أو يتحصل اقبال لمن تقسم منه البال، ومع ذلك فطالما سألني[1] سائلون من أهل مصر والشام في شرح باقيه وتكميله وانتقاده وتذييله ، ليكون ذلك عجالة يحظى بها المستوفز،ويرضى ببلوغ موعودها المستنجز،ويجلو عرائسه في منصة التوضيح ،ويبرز نفائسه من التلويح الى التصريح • ومما خوطبت به في دمشق المحروسة كلمة اولها:

تَبَدّى فخلنا وجهه فَلَق الصبح   يلوح لنا من حالك الشعر في جنح

ومن آخرها

اليك أبا حيـــان منّي تحيــة   يفوق شذاها مسك دارين في النفح
بدأت بأمر تمم الله قصـــده   وكمّله باليمن منـــه وبالنجــح

---

(١) في الاصل سألوني سائلون

وسهلت تسهيل الفوائد محسنا فكن شارحا صدري بتكملة الشرح

ومما كتب به بعض الاذكياء من حماة المحروسة لاخيه بمصر حرسها الله ما نصه « كان جماعة من المحصلين بحماة شرعوا في بحث «تسهيل الفوائد» لانه كتاب لم ينسج على منواله ولم تسمح قريحة بمثاله، غير انه يصد الناس عنه كونه غير كامل الشرح ، ولم يتقدم أحد من فضلاء هذه الصناعة الى تكميله، فندبني بعض المشتغلين الى الكتب الى الامام أثير الدين لالتماس تحرير نظره الكريم الى هذا المرام العظيم والخطب الجسيم الذي هو اول ما صرفت اليه العنايات ، واستغرقت في النظر فيه نفائس الاوقات ، فانه غرة في جبهة الزمان ، وخال في خد نتائج الاذهان . فالاخ حفظه الله يعرفه بان هذا مقام قد اعترف ابطال هذا الشأن بانهم عنه في موقف التقصير . لقد نادى لسان العجز في الجم الغفير ، بان لن تصلحوا طرا لذا الامر الخطير، سوى الحبر الامام الاجل المولى الأثير، أبي حيان ذي الاحسان والفضل الغزير . فالاخ يقفه على هذه السطور ويلتمس منه الاجابة الى تكميل شرح الكتاب المذكور».

فلما كثر تسآلهم وتعلقت بالاجابة آمالهم اسعفتهم فيما طلبوا ، وانتدبت لما رغبوا ، هذا على حين توالى ندى غربة واقامة بدار غربة ، وتفريق من الادواء وتفويق من سهام الاعداء ، والتباس الذهب بالرغام، والتماس الرتب من الطغام ، وترقي الجهال الى مناصب العلماء وتوفي طعن اللؤماء على الفهماء ، واحتياج لمن يؤثر خسيس الرذائل على نفيس الفضائل ، ويقدم ذوي النقائص على كريم الخصائص ، والاقتناع بعلالة من بلالة وسلالة من زلالة ونغبة من دأماء وتربة من بهماء ، اللهم صبرا ومغتفرا لما اجترحناه وغفراً .

ولما تكمل شرح الخمسين اللذين لم يشرحهما المصنف على المنهج الذي قصدناه والمنزع الذي اردناه في كتاب سميناه «التكميل لشرح التسهيل» كان من بعض المعتنين بهذا العلم تشوق الى ان اشرح الكتاب

كاملا،ولا أترك منه مكان حلي عاطلا،ليكون الكتاب كله جاريا في الشرح على سنن واحد وحاويا ما أغفل من الزوائد الفوائد، فالشارح لكلام غيره ليس كالشارح لكلام نفسه . ذاك ينظر اليه بعين الاستدراك والانتقاد وهذا يشرح كلام نفسه وله فيه حسن الاعتقاد ، فاخذت في ابتداء الشرح من اول الكتاب وانتدبت اليه احق الانتداب ، اذ كانت علائق الخمول قد انقطعت وعوائق الاكتساب قد ارتفعت ، فحصل مافيه نقع غليل وبرء عليل ، وانشراح صدر وارتفاع قدر ، بتيسير مافيه لمقتنع كفاية،وتفسير كتاب الله آية آية ، وذلك بما اتاح الله على يدي المقر العالم العالمي العادل السيفي سيف الدين ارغون نائب السلطنة المنصورية .. فدونك ايها السائل من هذا الشرح كتابا غريب المثال قريب المقال،هبت عليه النفحات اليمانية،واجتمعت فيه المعاني الثمانية،وهي التي يصنف فيها العلماء ويتطلبها من التأليف الفهماء، معدوم قد اخترع ،ومتفرق قد جمع، وناقص قد كمل ، ومجمل قد فصل ،ومسهب قد هذب،ومخلط قد رتب، ومبهم قد عين وخطأ قد بين . واذا واجهك من هذا الشرح محيا يفوق الشمس حسنا وشافهك خطاب يروع لفظا ويروق معنى ، فادع الله بالرحمة لمن كشف لك قناع محيّاه وانشقك أريج ريّاه ، واعلقك بسني الرتب وأوصلك الى مقصودك عن كثب . ولما علقت ذهب هذا الكتاب على نار الفكر حتى خلص ، وكملت بحسن الصنعة ما كان قد نقص ، وذيلت على نص التسهيل وشرحه ماقد قلص ،سميته بـ«التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل » ومن الله أستمد التأييد والعون ، وأسال العصمة فيما ارومه والصون ، لا ربّ غيره ، ولا مرجو الا خيره »[1].

وكان سيف الدولة أرغون نائب السلطنة المنصورية قد مدّ يد العون لابي حيان عندما ألقى عصا ترحاله بمصر فانقذه من فاقته وعوزه وكفل له الحياة الهانئة الرغيدة فكان هذا مما دفع أبا حيان الى العلم

(١) التذييل والتكميل في شرح التسهيل ج١ ص ١-٦ ،وينظر القسم المطبوع منه ج١ ص ٥ - ١٠

والتأليف فكان شرح التسهيل من أفضال أرغون ، يقول أبو حيان « فأخذت في ابتداء الشرح من اول الكتاب وانتدبت اليه أحق الانتداب، اذ كانت علائق الخمول قد انقطعت وعوائق الاكتساب قد ارتفعت، فحصل ما فيه نقع غليل وبرء عليل ،وانشراح صدر وارتفاع قدر ، بتيسير ما فيه لمقتنع كفاية وتفسير كتاب الله آية آية ، وذلك بما أتاح الله على يدي المقر العالم العالمي العادل السيفي سيف الدين ارغون نائب السلطنة المنصورية الناصرية • أمير إن ذكرت المعارف فهو امامها ، أو اسديت العوارف فهو غمامها، أو فجرت المهالك فهو همامها ، او جلت السوابق فهو امامها • غيث الورى ليث الشرى، محيي العدل محيق الجدب، جامع فضيلتي العلم والسيف • اقتضت السعادة الالهية ان خلدت اسمه في هذا التصنيف وأعظم به من تنويه وتشريف، فمحامده تتلى في تصانيف العلوم بألسنة الاقلام، وذكره مخلد على ممر الليالي والايام ،اذ فضائله النفسانية هي الباعثة على تصانيف العلوم ، وفواضله الاحسانية ملقحة الاذهان والفهوم، اسمح من غمام واوفر من تمام وانور من بدر تمام ••

لا زال للمعارف يبديها ، وللعوارف يسديها وللمشكلات يوضحها وللمقفلات يفتحها ، وللفضائل يجدد رفاتها وللفضائل يحيي مماتها ، وللممالك يدبرها ويرأبها ، ولأشتات الخيرات يجمعها ويتبعها »[1] •

ولا يختلف منهج أبي حيان في شرح التسهيل عن منهج التسهيل فهو يسير على خطى ابن مالك في الابواب والفصول ولا يقدم او يؤخر، وهذه هي طبيعة الشروح اذ لا يخرج الشارح عما رسمه المصنف في أغلب الاحيان ، ولذلك فلسنا بحاجة الى اعادة منهج أبي حيان بعد أن ذكرنا طريقة تبويب التسهيل لابن مالك في مطلع هذا الفصل •

وطريقته في الشرح ان يذكر كلام ابن مالك في التسهيل وشرح ابن مالك نفسه عليه ثم يبدأ أبو حيان بشرح كلام ابن مالك مفصلا فيه ،

---

(١) التذييل والتكميل ج١ ص ٤ ــ ٥ ، وينظر القسم المطبوع منه ج١ ص ٩ ــ ١٠ •

ذاكرا الآراء والمذاهب النحوية المختلفة مستشهدا بكثير من أساليب العرب . وهذه طريقته في القسم الاول الذي شرحهابن مالك من قبل. أما القسم الثاني الذي شرحه بدرالدين ابن المصنف فيذكر أبو حيان كلام ابن مالك وابنه بدرالدين ويقارن بينهما ان كان ثمة مجال للمقارنة، ثم يمضي في شرح الكتاب،ولكن ابن مالك وابنه قد تركا بعض الابواب من غير شرح وهي باب ما زيدت الميم في أوله لغير ما تقدم ، وباب اسماء الافعال ،وباب نوني التوكيد ، وباب منع الصرف ، وباب التسمية بلفظ كائن ما كان[1] . وفي هذه الابواب نجد أبا حيان يتجه لشرح كلام ابن مالك في التسهيل مباشرة ، ويمضي في تفصيل الكلام ، ولهذا الكتاب قيمة كبيرة لان أبا حيان أودعه آراءه اللغوية والنحوية والصرفية وآراء النحاة واللغويين المتقدمين .

٢ ـ التخييل الملخص من شرح التسهيل :

ويبدو أن أبا حيان لم يشرح التسهيل في باديء الامر وانما نظر في شرح التسهيل لابن مالك نفسه واستخرج منه زبدته الى حيث انتهى ثم ضم اليه نسخة كاملة مما بقي في التسهيل من غير شرح ، والى ذلك يشير أبو حيان بقوله « وكان رحمه الله[2] كثيرا ما يعنى بتحريره ويولع بتهذيبه وتغييره فيزيد وينقص وينقح ويلخص ، فنسخت من هذا الكتاب نسخا تنافى مبناها،واختلف لفظها ومعناها،الى ان عرض له رحمه الله ان يشرحه ويفسره ويوضحه فغير أكثر ما شرحه ، ونظر اليه بعين الرعاية وتصفحه ، وانتهى في شرحه الى باب «مصادرغيرالثلاثي»وذلك أشف من نصفه . وعاقه عن اكماله محتوم حتفه ، فاستخرجت فص هذا الكتاب مما أودعه في الشرح الى حيث انتهى ، وجمعت على باقي الكتاب نسخا اليها في الصحة المنتهى ، لانها طرزت بخطه وحررت بين يديه

---

(١) ينظر التذييل والتكميل ج٥،النسخة برقم ٣٦٦٤ـ٦٢ نحو،بدار الكتبفيالقاهرة.
(٢) أي ابن مالك

بضبطه ، فثقفته حتى استقام منآده وظفر بمطلوبه منه مرتاده »[1] .

ولم يشر أبو حيان الى اسم هذا الكتاب ، ولكن القدماء ذكروا ان له كتاب « التخييل الملخص من شرح التسهيل لابن مالك وابنه بدر الدين » . ولم نعثر على هذا الكتاب .

٣ ـ التكميل فى شرح التسهيل :

بعد أن استخرج أبو حيان زبدة شرح ابن مالك للتسهيل وبعد أن الف كتاب: «التخييل » ،بدأباقراء طلابه كتاب: «التسهيل» والتعليق عليه والتنبيه الى ما فيه من مشكل فتجمعت عنده تعليقات وشروح للقسم الاخير من الكتاب ، وكانت هذه الشروح والتعليقات مدعاة الى ان يكمل أبو حيان شرح التسهيل من حيث وقف ابن مالك فكان « التكميل في شرح التسهيل » . يقول أبو حيان: «واخذت في اقراء هذا الكتاب، أنبه حامله ، وأنوّه خامله ، وافتح مقفله ، واوضح مشكله ، وأحيي منه ما كان مَواتا ، واجدّد ما عاد رفاتا ، وكان المانع من وضع كتاب يتضمن شرح جميعه وتكميله واستدراك ما أغفل من الاحكام وتذييله ، ومناقشته فيما حرر ، والانتقاد لما فيه قرر ، ما كان قد تقسم الخاطر من الاشتغال بالاكتساب المزري بذوي المعارف والاحساب ، وانى يكمل انتحال لمن توالى عليه امحال ، او يتحصل اقبال لمن تقسم منه البال . ومع ذلك فطالما سألني سائلون من اهل مصر والشام في شرح باقيه وتكميله ، وانتقاده وتذييله ، ليكون ذلك عجالة يحظى بها المستوفز، ويرضى ببلوغ موعودها المستنجز ، ويجلو عرائسه في منصة التوضيح، ويبرز نفائسه من التلويح الى التصريح .. فلما كثر تسآلهم وتعلقت بالاجابة آمالهم ، اسعفتهم فيما طلبوا ، وانتدبت لما رغبوا .. ولما تكمل شرح الخمسين اللذين لم يشرحهما المصنف على المنهج الذي قصدناه والمنزع الذي اردناه في كتاب سميناه « التكميل لشرح التسهيل » كان من بعض المعتنين بهذا العلم تشوق الى ان اشرح الكتاب كاملا»[2] .

---

(١) التذييل والتكميل ج١ ص ٢

(٢) التذييل والتكميل ج١ ص ٢ وما بعدها .

وقد ذكر أبو حيان هذا الكتاب في مواضع من شـــرحه الكبير « التذييل والتكميل » وفي تفسيره « البحـر المحيط » وفي « النهر الماد »[1] • وكان هذا الكتاب من كتبه المفقودة التي لم نعثر عليها

٤ ـ منهج السالك :

ألف جمال الدين محمد بن مالك « الكافية الشافية » وهي أرجوزة نحوية في ثلاثة آلاف بيت أولها

قال ابن مالك محمد وقـــد نـوى افادة بما فيـه اجتهد
الحمد لله الذي من رفــده توفيق من وفقـه لحمـــده

ثم شرحها بشرح سماه « الوافية » ، وعلق عليه ببعض الفوائد النحوية ، وفي دار الكتب بالقاهرة نسخة من « الكافية الشافية » برقم ٢٣٦ نحو ، ونسخة من « الوافية » برقم ٣٢٦ •

ولخص ابن مالك كافيته في نحو ألف بيت في الخلاصة المشهورة بالالفية ، وقد استن سنة نظم قواعد النحو والصرف بعالم نحوي قبله هو ابن معطٍ الذي اعترف له ابن مالك بفضيلة السبق وان قال ان الفيته احسن من الفية سابقه ، يقول :

واســتعين الله في ألفيّـــه مقاصـد النحو بها محويـــه
تقرب الاقصى بلفظ موجـز وتبسط البـــذل بوعد منجز
وتقتضي رضى بغـير سخط فائقـة ألفيـــة ابن معـط
وهو بســبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجميـــلا
والله يقضي بهبـات وافـره لي وله في درجات الآخـــره

نظم ابن مالك النحو والصرف في الفيته ورتبه ترتيبا لطيفا فابتـدأ

---

(١) ينظر التذييل والتكميل ج١ ص ٣٠٣ ، باب المضمر (مخطوطة دار الـكتب برقم ٦٠١٦) وص ٦٦ ، ٧٧ ج١ من القسم المطبوع ، والبحر المحيط ج٢ ص ٣٦٣ ، والنهر الماد ج٢ ص ٣٦٢ ، والدر اللقيط ج٢ ص ٣٦٣

بالكلام وما يتألف منه، ومضى يسرد موضوعات النحو الاخرى المعروفة.
وحظيت الألفية بعناية كبيرة وشرحها الكثيرون منهم ابن مالك نفسه وولده بدرالدين وابن عقيل تلميذ أبي حيان وابن هشام والاشموني وغيرهم. وقد شرح معظمها أبو حيان بكتاب سماه: « منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك »، وهو من كتبه غير الكاملة التي ذكرها في اجازته الصفدي. وقد عثر الاستاذ سدني جليزر على مخطوطات من الكتاب فنشره في الولايات المتحدة سنة ١٩٤٧ م وكتب له مقدمة بالانكليزية عن نسخه وعن حياة أبي حيان وآثاره، ولكن المحقق الفاضل لم يستطع ان يخرج الكتاب اخراجا علميا دقيقا ففاته كثير من المسائل وترك بعضها على اخطائها كما في المخطوطة[1]

اعتمد جليزر في تحقيق الكتاب على نسختين، الاولى محفوظة في المكتبة الجزائرية، والثانية في جامعة ييل في الولايات المتحدة الامريكية، واتخذ من المخطوطة الجزائرية اساسا لعمله لانها أكثر دقة وقد كتبها عبدالرحمن بن ابي بكر النفزي البربري الاصل عن نسخة بخط أبي حيان كتبت سنة ٧٣٨هـ وقارنها مع الاصل بكل عناية. اما مخطوطة ييل فقد استعان المحقق بها في المقابلة وهي قريبة من الاولى لكنها غير مؤرخة وقد كتبت ابيات الألفية فيها بالاحمر، ولم يكن الناسخ حريصا كحرص ناسخ المخطوطة الاولى، ولم يكن انيقا دقيقا في الكتابة والضبط. وختم المحقق الكتاب بفهارس كثيرة للاعلام والآيات واسماء الكتب والقبائل والالفاظ اللغوية والشواهد الشعرية. وقد بذل مجهودا كبيرا في تحقيق الشعراء ونسبة الشواهد اليهم واستعان بالدواوين الشعرية ونوادر أبي زيد وخزانة الادب والمفصل للزمخشري وشرح الألفية لابن عقيل وغيرها من المصادر المهمة.

ولم يشر المحقق الى نسخة اخرى من الكتاب محفوظة في مكتبة

---

(١) تنظر هذه الاخطاء في منهج السالك ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤ ، ٥ ٣ ، ٢٣١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٨ ، ٣٠٦ وغيرها.

جستربيتي بدبلن في ارلندة ، ولا الى الجزء الاول منه المحفوظ بالمكتبة العباسية في البصرة وهي نسخة كتبت سنة ٧٤٧ هـ في ٢٦٦ صفحة ، وتنتهي بباب « المفعول فيه » • وليس في عدم الاشارة الى هاتين النسختين ما يقلل من عمل الاستاذ فقد أحيا كتاب « منهج السالك » واخرجه اخراجا حسنا بعد ان كان في خزانات الكتب حبيسا •

قسم أبو حيان كتابه منهج السالك الى جزءين ، يبدأ الاول من بحث « الكلام وما يتألف منه » وينتهي بانتهاء « التمييز » ، وقد جاء في وسطه « نجز السفر الاول من كتاب منهج السالك في الكلام على آلفية ابن مالك في ثامن عشر ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة »[1] • ويبدأ السفر الثاني من الكتاب بحروف الجر وينتهي بباب « أفعل التفضيل » في البيت

ورفعه الظاهر نزر ومتى عاقب فعلا فكثيراً ثبتا

ولا ندري هل وقف أبو حيان عند هذا الكلام أو استمر فيه ووقف عند كلام آخر فليس في الكتاب اشارة الى ذلك ، ويظهر ان أبا حيان توقف عن اكمال شرح ألفية ابن مالك لينصرف الى اتمام كتبه الاخرى فقد ذكر « منهج السالك » في كتبه الكاملة كالتذييل والتكميل، والبحر المحيط، والارتشاف ، والتدريب في شرح التقريب[2] • وكان يأمل ان يعود الى الكتاب ليكمله ولكن منيته عاجلته ، وقد ذكر الصفدي ان منهج السالك لم يكن كاملا حتى سنة ٧٢٨هـ ، يقول : « ومما لم يكمل تصنيفه الى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة حسب ما كتب به خطه لي « مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد » ، « كتاب منهج

---

(١) منهج السالك ص ٢٣١

(٢) ينظر التذييل والتكميل ج١ ص ٣٠٠ مخطوطة رقم ٦٠١٦ ، والبحر المحيط ج١ ص ٢٤٠ ، ٢٧٧ ، ٢٩٠ ، ٤٠٦ ، وج٢ ص ٤٥ ، ١٢٨ ، ٢٩٣ ، وج٤ ص ٢٢٩ ، والنهر الماد ج٤ ص ٦ ، والارتشاف ص ٢٩٥ ـ أ ، والتدريب في تمثيل التقريب ص ١٢ ب •

السالك في الكلام على ألفية ابن مالك »[1] • ويظهر أن الكتاب بقي غير تام حتى سنة ٧٣٨ هـ وهي السنة التي تمت فيها كتابة النسخة الموجودة منه ، يقول كاتبه عبدالرحمن لطف الله :«الى هنا انتهى وكمل نسخ هذا الكتاب في ليلة يسفر صباحها عن يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة »[2] •

وقد وضح أبو حيان في المقدمة سبب تأليف الكتاب ، يقول « حمد الله من أوجب ما افتتح به الانسان واعذب ما نطق به اللسان وصلاته وسلامه على محمد رسوله وصفيه وحبيبه وخليله اولى ماتوسل به اليه وأعلى ما اعتمد في الزلفى لديه فلله الحمد ملء الارض والسماء، والصلاة والسلام على محمد خاتم الانبياء • وبعد فالغرض في هذا الكتاب الكلام على الالفية التي نظمها بلدينا ابو عبدالله محمد بن مالك الجياني المولد ، الدمشقي الوفاة رحمه الله ، في مقاصد ثلاثة

المقصد الاول تبيين مقيد أطلقه وواضح اغلقه ومخصص عممه ومعيّن أبهمه ومفصل أجمله وموجز طوّله •

المقصد الثاني التنبيه على الخلاف الواقع في الاحكام ونسبته ان امكن الى من ذهب اليه من الائمة الاعلام،فانه يذكر حكما وقع الاتفاق عليه والاجماع ، ويردفه بآخر وجد فيه الاختلاف والنزاع ، فيرسل ذلك هملا ويبدله بجليه عطلا فيكتسي محيا جماله غمما ويثير الناظم فيه غمما • وربما اختار ما ليس بالمختار ولا المشهور وترك ما عليه العمل من مذاهب الجمهور،مقتفيا في ذلك مقالة كوفي ضعيف الاقوال،أو بصري لم ينسج له لشذوذه على منوال ، وبانيا قواعد على نادر في المنقول شاذ في القياس خارج عن الاصول،وأثر لم يصح انه من لفظ الرسول فيصح الاحتجاج به في النقول •

---

(١) نكت الهميان ص ٢٨ ، واعيان العصر ج٧ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨.
(٢) منهج السالك ج ٤٢٧

المقصد الثالث حل ما يهجس في أنفس النشأة من مشكلاتها ، وفتح ما يُلبس من مقفلاتها ، ولم أقصد التكثير من الكلام،ولا التمثيل لما وضح للافهام ، وربما انجر مع هذه المقاصد فوائد تشنف بحسنها الاسماع وفرائد تشرف المهارق والرقاع ، ولعله ما عرض في هذه الارجوزة ما عرض ، حتى قام بجوهرها العرض ، الا لضيق مجال الشعر وامتيازه بالكلفة دون النثر ، فربما يضطر الناظم القافية والوزن، حتى يترك السهل ويسلك الحزن ، ويعبر عن المعنى القريب باللفظ البعيد وعن الحقيقة السلسلة بمجاز التعقيد ، والا فما احتوت عليه من السهو واشتملت به من الحشو يأبى ان يكون صادرا عن باديء في النحو بله اماما تضوع برباه المجالس ، ويتبأى برؤياه المجالس • وما حداني يعلم الله على الكلام في هذه الارجوزة الا النصيحة في الدين ، وايصال الخير لقلوب المهتدين ، فانه قد ينقل الانسان فيها حكما فاسدا بظن انه صحيح ، ومرجوحا يعتقد انه هو ترجيح ، فيبني عليه فهما في كتاب الله والسنة النبوية ، فيضل بذلك عن المحجة البيضاء والسبيل السوية، لا سيما مبتلى التي في روعه تعظيم هذه الالفية وانها بمقاصد النحو وفيّه ، وقد أخذ تعظيمها عمن يزهى بحل شيء من مشكلها ، ويبجح بالتصدي الى تبيين مُعْضِلها،ويوهم الاغمار انه مُعاني معانيها وباني مبانيها وما هذه الارجوزة إن هي الا كنعبة من دأماء وترية في بهماء ، ومعذور من يقول بتفضيلها ويصول بتحصيلها فإنا في زمان يستنسر ، وحمأه يستحجر ، اللهم غفراً »(١)

وبين بعد ذلك سبب تسميته بهذا الاسم فقال : « واذا بلغنا من الكلام ما أردنا ، ووصلنا الى ما له قصدنا ، فلنبرر ما وعدنا به درراً تتحلى بها الاجياد ، وغررا تتجلى بها التهائم والنجاد ، يزهى بمحاسنها الفطن وان كان حاسداً ، ويعترف بفضلها من كان لفضل مستخرجها جاحدا •ولما فتحت بهذا الكتاب من مقفل هذه الالفية مرتجا،واوضحت

(١) منهج السالك ص ١ ــ ٢

به لسالكي هذا الفن منهجا سميته بـ « منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك » ومن الله نسأل العون على ذلك والتأييد ، ونرجو منه الحسنى والمزيد ، لا رب غيره ، ولا مرجو إلا خيره »[1] .

وطريقة أبي حيان في هذا الكتاب تشبه طريقته في كتاب: «التذييل والتكميل » الا انه في التذييل يذكر كلام ابن مالك في تسهيله ثم شرحه عليه ويبدأ بعد ذلك بالشرح والتعليق والنقد .وابو حيان كثير الاسهاب في شرح التذييل فهو يذكر الآراء المختلفة ويناقشها ويذكر رأي ابن مالك فيؤيده أو يرفضه ويناقشه ، أما في منهج السالك فقد كان اكثر اختصارا واقل عرضا للآراء المختلفة ، واكثر بعداً في التعرض للمناقشة والجدل والردود الكثيرة . وقد لا يرد على ابن مالك أو غيره ويكتفي بعرض الآراء عرضا ، مثال ذلك قوله في شرح قول ابن مالك

وقد يُقالُ سعدا وسعدوا والفعل للظاهر بعدُ مسندُ

يقول « قد يتصل بالفعل علامة التثنية والجمع وان كان الفاعل بعده ظاهرا نحو « قاما اخواك وقاموا اخوتك » ، وفي عبارته تقصير لانه مثل بالمثنى وجمع المذكر السالم ، ونقصه ان يمثل بجمع المؤنث السالم فيقول « وسَعِدْنَ » نحو « سعدن الهندات » ، وهذه اللغة يسميها النحويون لغة « أكلوني البراغيث » ، وهي قليلة في لسان العرب ، وللنحاة في ذلك ثلاثة مذاهب

احدها هذا،وهو ان هذه الالف والواو والنون حروف تدل على تثنية الفاعل وجمعه ، والاسم الظاهر بعدها فاعل كما كانت التاء في « قامت هند » علامة على تأنيث الفاعل .

والمذهب الثاني ان هذه الالف والواو والنون اسماء ضمائر

---

(١) منهج السالك ص ٢

فواعل بالفعل ، والاسم بعدهن بدلٌ منهن وهو مما تأخر فيه المفسِر عن المفسَر فهو اضمار قبل الذكر .

والمذهب الثالث انهن اسماء ضمائر فواعل بالفعل ، والاسم الظاهر بعدهن مبتدأ ، والجملة المتقدمة من الفعل والفاعل في موضع خبر المبتدأ . والمذهب الاول هو الصحيح»[1] .

ويلاحظ ان ابا حيان لم ينسب كل رأي من هذه الآراء الثلاثةالى اصحابها ، ولم يطِل ذِكْرَ ما رد به كل فريق على الآخر ، أو يذكر عللهم التي يعللون بها آراءهم . وقد ينسب كل رأي الى صاحبه ويذكر العلل والادلة من غير إطالة أو تعقيد . ومن ذلك قوله في شرح بيتي ابن مالك

هاكحروف الجر وهي من الى   حتى خلا حاشا عدا في عن على
مذ منذ رب اللام كي واو وتا   والكاف والبا ولعل ومتى

يقول « الكلام على هذه الكلمات من وجوه

أحدها في حقيقتها . الثاني في عددها . الثالث فيسببعملها. الرابع فيما تدخل عليه. الخامس في معانيها .

فالاول ذكر الناظم انها حروف وهي قسمان قسم منها مجمع على حرفيته ، وقسم مختلف فيه ، فالمختلف فيه « على » و « منذ » و « الكاف » و « حاشا » و « عدا » و « خلا » و « رب » و «عن» . أما «على» اذا لم تدخل عليها « من » فذهبابوالحسين بن الطراوة ، وابو الحجاج بن معزوز ،وابو علي الرندي،والأستاذ أبوعلي الشلوبين في أحد قوليه ، الى انها لا تكون حرفا اصلا وهو ظاهر مذهب سيبويه ، وقد اشفى في الكلام على ذلك ابن معزوز في كتاب « اغاليط الزمخشري » ، وفي جزء صنفه على « على » في نحو من عشرين

(1) منهج السالك ص ١٠٢

ورقة ، وقال ابن الطراوة في كتاب « رد الشارد » « الذي يفهم من كلام سيبويه انها لا تكون الا اسما ولا تكون حرفا البتة ، ودليله على ذلك قول سيبويه واما الحروف التي تكون ظروفا فنحو خلف وامام وقدام،ثم قال لانك تقول « من عليك » كما تقول:«من فوقك»•ثم قال و«عن»ايضا ظرف بمنزلة: ذات اليمين،وقد كان ذكرهافي الحروف• فلو كانت « على » عنده حرفا لفعل بها ما فعل بـ « عن » ، والدليل على ذلك انها مشتقةمن « عَلِي ـ يَعْلَى » حكاها يعقوب في كتاب « اصلاح المنطق » ، و « علا يعلو » ايضا •انتهى • والمشهوران«على» حرف لجواز حذفها في الشعر ونصب الفعل الذي قبلها للاسـم الذي بعدها ••• »[1] •

وقد يردّ على ابن مالك اشياء لفظية في الارجوزة بان يفضل كلمة على كلمة وردت في البيت ، او يردّ ترتيبه البيت وما فيـه من تقديم وتأخير يخل بالقاعدة النحوية وبوضوحها وافهام المراد منها ، وقد يردّ عليه عدم حده للابواب والموضوعات التي يتحدث عنها[2] •

ولا يقتصر أبو حيان على ذكر رأيه وآراء النحـاة السابقين والمعاصرين في المسألة الواحدة وانما ينبه الى رأي ابن مالك في المسألة الواحدة في كتبه المختلفة كالتسهيل والشافية الكافية وغيرها ، ويشير الى ذلك بقوله « وذهب في غير هذه الارجوزة » ، او « في غير هذه الارجوزة من كتبه » ، أو « ورأيه في التسهيل » او « وقال في شرح كتاب التسهيل » •

وابو حيان لا يعيد الكلام على معاني الاداة في كل موضع تقع فيه وانما يتكلم على معناها في الموضع الذي يتكلم فيه ويحيل على معناها الآخر في الموضع المتقدم أو الموضع القادم •

وقد اتبع هذه الطريقة الموجزة في الشرح والتعليل والتنبيه على

---

(١) منهج السالك ص ٢٣١ ـ ٢٣٢

(٢) ينظر منهج السالك ص ٦٨ ، ٧٢ ، ١٠١ ، وغيرها •

المخالفات والاخطاء والاشارة الى نقص في بيت من أبيات الالفية من غير أن يفصل ويطول ويشرح ويعلل لانه جعل كتابه « منهج السالك » كتابا موجزا ، وقد نص على ذلك في عدة اماكن منه ، فقال عند الكلام على اسم الموصول « فما كان مفردا مذكرا دائما أو في حال فتارة تحمل على لفظه وتارة تحمل على معناه وذلك في تفصيل طويل واختلاف بين النحاة لا يليق بهذا المختصر »[1] .

وعند الكلام على مسوغات الابتداء بالنكرة عدد جميع المسوغات وذكر أبيات ابن مالك فيها وهي:

ولا يجوز الابتدا بالنكره ما لم تفد كعند زيد نمره
وهل فتى فيكم؟ فما خل لنا ورجل من الكرام عندنا
ورغبة في الخير خير ، وعمل بر يزين ، وليقس ما لم يقل

ثم قال « وقد ذكرت جملة من هذه المسوغات في ارجوزتي المسماة بـ « نهاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب » ، ثم ذكرت ان جميعها راجع الى مسوغين فقلت

وكل ما ذكرت في التقسيم يرجع للتخصيص والتعميم

ولولا الغرض في هذا الكتاب الاختصار لاوضحت رجوع كل واحد من هذه المسوغات الى أحد هذين الوصفين اللذين هما التخصيص والتعميم »[2] . وقال عند الكلام على عطف جملة على جملة « وفي العطف في هذا الباب تفصيل لا يليق ذكره بهذا المختصر »[3] . وقال عند كلامه على إعمال القول اعمال الظن « وقد حكي عن العرب ايضا مذاهب في إعمال القول إعمال الظن غير ما تقدم من لغة سليم ، ومن

---

(١) منهج السالك ص ٢٩
(٢) منهج السالك ص ٤٥
(٣) منهج السالك ص ٦٣

لغة عامة العرب الذين اشترطوا في اعماله الشروط السابقة لا يليق ذكرها بهذا المختصر »[1] .

فابو حيان كما ذكرنا لا يفصل الحديث في الموضوعات النحوية ولا ينقل اللغات واللهجات المختلفة فيها ، لان « منهج السالك » كتاب وضع لايجاز النحو واختصاره لا للتفصيل والاسهاب ، ولذلك لا يذكر الاستدلال على المذاهب والاحتجاج لها وترجيح بعضها على البعض الآخر . يقول في بحث بناء المضارع مع نون النسوة « والترجيح بين هذه المذاهب والاستدلال لها وعليها ليس هذا موضعها »[2] . ويقول في الكلام على « كلا » و « كلتا » « ولكل من كلتا وكلا أحكام كثيرة ليس هذا موضعها »[3] . وابو حيان يكرر هذه العبارات وأمثالها في مواضع مختلفة من كتابه كأن يقول « والاحتجاج لهذه المذاهب وعليها يستدعي طولا » ، أو يقول « والاستدلال لهذين المذهبين وترجيح ما ينبغي ترجيحه ذكرناه في غير هذا الكتاب » ، أو يقول « الاستدلال لهذه المذاهب وتصحيح ما ينبغي ان يصح منها مذكور في غير هذا »[4] .

ومع ان كتاب « منهج السالك » كان مختصرا موجزا ، فان مؤلفه ينقل عن كتب مختلفة ويعتمد على آراء نحاة كثيرين ، ومن الكتب التي اعتمد عليها كتب ابن مالك ، وكتاب سيبويه ، والبغداديات ، والتذكرة ، والشيرازيات » والحلبيات ، والايضاح ، وشرح الابيات لابي علي الفارسي ، والمنصف ، وسر الصناعة لابن جني ، والافصاح لابن هشام الخضراوي ، والكامل ، والمدخل ، والمقتضب للمبرد ، والمقرب ، وشرح الجمل الصغير لابي الحسن بن عصفور ، وشرح المعلقات السبع لابي جعفر النحاس ، والانصاف لابن الانباري ، والاوسط ، والمسائل الكبير

---

(١) منهج السالك ص ٩٩
(٢) منهج السالك ص ٧
(٣) منهج السالك ص ١٠
(٤) منهج السالك ص ٢٥٥ ، ١١ ، ١٢٣ ، ٣٨٩ على التوالي

للاخفش ، والمغرب للمطرزي ، والنكت على الايضاح للجلولي ، وأغاليط الزمخشري ، ومقدمة ابن الحاجب ، وشجر الدر لابي الطيب اللغوي ، والنوادر لابي علي القالي ، وشرح الموجز للرماني وغيرها •

وينقل آراء النحاة على اختلاف اتجاهاتهم كالبصريين والكوفيين والمغاربة والاندلسيين كأبي الحسن بن الاخضر ، وابي عبدالله بن أبي العافية ومصعب بن أبي بكر الخشني • وينقل عن شيوخه كابي عبدالله ابن النحاس الحلبي وابي الحسن بن الباذش وابي الحسن بن الضائع •

ولم يقف أبو حيان عند نقل هذه الآراء والمذاهب النحوية المختلفة وانما رد على بعضهم وفند آراءهم ، وقد يقسو احيانا في الردوالمناقشة كما فعل مع ابن عصفور والزجاج والفارسي وغيرهم[1] •

---

(١) ينظر منهج السالك ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ وغيرها •

الارتشاف

وأراد أبو حيان ان يختصر كتابه « التذييل والتكميل » ، فألف « إرتشاف الضرب من لسان العرب » الذي كان تجريدا لكتابه الكبير وتكملة له في بعض المواضع والمسائل التي لم يذكرها هناك ، يقول في مقدمة الارتشاف « الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين . أما بعد فان علم النحو صعب المرام ، مستعصٍ على الافهام ، لا ينفذ في معرفته الا الذهن السليم ، والفكر المرتاض المستقيم ، وكان من تقدمنا قد انتزع من الكتاب تآليف قليلة الاحكام ، عادمة الاتقان والاحكام ، يحلها النقد ، وينحل منها العقد ، وربما أهملوا كثيرا من الابواب ، واغفلوا ما فيه الصواب ، فتآليفهم تحتاج الى تثقيف ، وتصانيفهم مضطرة الى تصنيف . ولما كان كتابي المسمّى بـ « التذييل والتكميل في شرح التسهيل » قد جمع من هذا العلم ما لا يوجد في كتاب ، وفرع بما جازه تأليف الاصحاب ، رأيت ان اجرد أحكام عارية — الا في النادر — من الاستدلال والتعليل ، حاوية لسلامة اللفظ وبيان التمثيل ، اذ كان الحكم اذا برز في صورة المثال ، أغنى الناظر عن الطلب والتسآل ، ونفضت عليه بقية كتبي لاستدرك ما أغفلته من فوائده ، وليكون هذا المجرد مختصاً عن ذلك بزوائده ، وقربت ما كان منه قاصيا ، وذللت ما كان عاصيا ، حتى صارت معانيه تدرك بلمح البصر ، لا تحتاج الى اعمال فكر ولا اكداد نظر »[1] .

---

(١) الارتشاف ص ١ — ٢

ومنهج أبي حيان في « الارتشاف » يختلف عن منهجه في «التذييل والتكميل » ، فقد سار على طريقة أخرى لانه لم يكن شارحا كما كان في الكتاب الاول ، وانما كان مؤلفا له منهجه وطريقته وأسلوبه في العرض والتأليف •

قسم ابو حيان الكتاب الى جملتين ، الاولى:في احكام الكلمقبل التركيب ، والثانية في احكامها عند التركيب •

فالجملة الأولى قسمها قسمين ، الاول في الاحكام الافرادية ، وهي علم التصريف • وقد قسمه الى قسمين ، وتكلم في القسم الاول على الموضوعات الآتية حروف الهجاء وصفاتها ، القول في احكام الكلم من التجريد والزيادة ، القول في جملة من الاسماء الحق بها،فصل فى الاسماء الاعجمية ، باب ذكر معاني أبنية من أبنية الاسماء ، باب أبنية الافعال وما جاءت له من المعاني وفيه فصل في المضارع، وفصل في نوادر من التأليف ، باب محال حروف الزيادة وفيه فصل تضمن الكلمة ، وفصل في الالحاق ، باب محال الحذف ، باب محال البدل والقلب والنقل ، وفيه فصل ابدال الهمزة ، وفصل ابدال الياء ، وفصل اذا كانت ضمة غير عارضة وفصل ابدال الالف بعد فتحة متصلة ، وفصل اذا كانت الواو والياء عيني فعل تعجب • وفصل في الابدال من الحروف ، وفصل وقع التكافؤ ، وفصل القلب ، وباب الادغام وبانتهاء الادغام ينتهي القسم الاول من قسمي التصريف • ويجيء بعده القسم الثاني منه وينحصر في التصغير ، والتكسير ، والمصدر ، واسمي الزمان والمكان،واسم المفعول،والمقصور والممدود • وبانتهاء الكلام على باب المقصور والممدود ينتهي الكلام في القسم الاول من الجملة الاولى ، لكن أبا حيان عرض للكلام في بعض الحروف بغير صفة كالامالة ، وتغليظ اللام ، وترقيق الراء • وقد تحدث عن هذه الموضوعات كلها في باب سماه : « باب الامالة » •

وبعد ان انتهى من القسم الاول من الجملة الاولى انتقل الىالقسم

الثاني منها وقسمه قسمين قسم يلحق الكلمة من أولها ، وقسم يلحقها من آخرها • والقسم الاول هو همزة الوصل ، وهي التي تثبت في ابتداء الكلمة ، والقسم الثاني هو ما يلحق الكلمة من آخرها وهو علامتا التثنية والجمع على حده ، وياء النسب ، وعلامة التأنيث،ونون التوكيد ، ونون التنوين • وعقد لكل منها بابا وهي باب التثنيـــة ، وباب جمع التصحيح ، وباب النسب ، وباب علامة التأنيث،وباب نوني التوكيد ، وباب التنوين •

أما الجملة الثانيـــة من الارتشاف فهي في احكام الكلم حالة التركيب ، وهي اعرابية وغير اعرابية ، وغير الاعرابية : البناء ، والادغام من كلمتين ، والتقاء الساكنين من كلمتين ،والتقاء الهمزتين من كلمتين ، ولحاق علامة التأنيث للفعل لاجل مرفوعه ، والعدد ، والـــكناية عن العدد ، والوقف • وقد عقد بابا لكل منها وضمنه فصولاهي: النداء ، والحكاية•وتكلم على فصل العلم وفصل غير العلم من المعارف،وفصل الاستفهام • وباب الادغام من كلمتين وفيه فصول فل المتقاربين ، فصل وقع التكافؤ • وباب التقاء الساكنين • وباب الهمزة التي في آخر الكلمة • وباب العلامات التي تلحق الفعل دلالة على تأنيث المرفوع به وعلى تثنيته وجمعه ، وباب العدد وفيه فصول : فصل عطف العشرين ، وفصل اسم الفاعل المشتق من المفرد ، وفصل التأريخ • وباب الكنايةعن العدد وفصوله فصل واما كائن ، وفصل واما كذا • وباب الوقف وفصوله : فصل المتحرك ، وفصل الوقف على المبني •

هذا هو القسم الاول من الجملة الثانية ،اما القسم الثانيمنها فهو: في احكام الكلمة حالة التركيب التي هي اعرابية • وقد بدأه أبو حيان بالــكلام على اللغة ، وأبوابه هي:باب الاعراب ، باب النكرة والمعرفه، باب المبتدأ والخبر وما يدخل عليهما من أدوات وافعال ، باب الفاعل ، باب المفعول الذي لم يسم فاعله ، باب المنصوبات وهي : المفعولالمطلق، والمفعول له ، والمفعول به ، والمفعول فيه ، والمفعول معه ، والمستثنى ،

والحال ، والتمييز • باب النواصب للفعل ، باب الجوازم للفعل ، باب المجرورات وقدتكلم فيهعلى القسم، واحرف الجواب •وباب الاضافة•

وبعد ان انتهى أبو حيان من هذه الابواب تكلم على النعت والمنعوت به اذا كان معرفة ، وعطف البيان ، والبدل ، وعطف النسق ، وانتقل الى الحديث عن الافعال واقسامها فعقد ابوابا لكلٍ من :حبّذا، وصيغ التعجب ، والمتعدي واللازم ، ثم تكلم بعد ذلك على الافعال الداخلة على المبتدأ والخبر ، والاشتغال ، والنداء والاستغاثة،والترخيم، والاختصاص ، والتحذير والاغراء • وتحدث عما يعمل عمل الفعل كالمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، وأفعل التفضيل ، والصفة المشبهة ، وختم الكتاب بباب في الضرائر التي تجوز للشعراء •

ولا تختلف موضوعات « الارتشاف » — كما رأينا — عن موضوعات « التذييل والتكميل » الا في التبويب والتفصيل ، فقد سار أبو حيان في « التذييل » على خطة ابن مالك وطريقته ، لانه كان شارحا لكتابه « التسهيل » • أما في « الارتشاف » فقد بوبها تبويبا جديدا • هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فاننا نجد ابا حيان يزيد بعض الموضوعات والفصول الصغيرة في « الارتشاف » ، والموضوعات التي اضافها هي فصل في نوادر من التأليف ، باب صيغ من التعجب لم يبوب لها النحاة السابقون ، باب الضرائر وما يجوز للشاعر وضمنه باب التقديم والتأخير ، وباب الابدال من الضرائر الشعرية •

وقد اعتمد ابو حيان على كتب كثيرة ، وعلى آراء النحاةالمتقدمين فكان « الارتشاف » سجلا حافلا بمختلف الآراء ومن هنا تأتي قيمتهفي الدراسات النحوية وتطور الآراء والمذاهب المختلفة مما حدا بالسيوطي الى ان يلخصه في كتابه « همع الهوامع » ،ويستفيد منمادتهالغزيرة، ومن آراء أبي حيان •

اعتمد ابو حيان في « الارتشاف » على كتب لغوية ونحوية وصرفية كثيرة ، وأهم هذه الكتب البسيط للواحدي ، وكتابسيبويه،

والايضاح ، والاغفال ، والتذكرة، والشيرازيات، والحلبيات ، وشرح الابيات ،والعسكريات،والنصريات لابي علي الفارسي، والمستوفى لابي سعيد علي بن مسعود ، وكتاب التمهيد ، وكتاب الانصاف لابن الانباري، والتصريف للمبرد ، والتصريف لابي العلاء ، وتصريف ابن كيسان ، والواضح ، والمخصص،والمحكم لابن سيده ،والاوسط،والمسائل الكبير للاخفش ، والجمل للزجاجي ، وشرح الشافية الكافية ، والتسهيل لابن مالك ومعاني القرآن للفراء ، واعراب القرآن،والمقتضب ، والمدخل للمبرد ، والنهاية لابي المعالي ، والعين للخليل بن احمد الفراهيدي ، ومجالس ثعلب ، وطبقات الشعراء لابن سلام ، والضرائر لابن عصفور ، والروض الانف للسهيلي ،وشرح الخلاصة لبدرالدين بن مالك،وغيرهم .

وقد نقل آراء شيوخه كابي الحسن الآبذي ، وابن النحاس ، وبهاءالدين أبي عبدالله محمد بن ابراهيم بن أبي نصر الحلبي ، وابن الضائع ، وغيرهم من شيوخه . ونقل آراء النحاة السابقين والمعاصرين له كابي عبدالله بن أبي العافية ، وخطاب الماتريدي ، وابراهيم النقاش ، وابي بكر بن شقير ، وعبدالقاهر الجرجاني ، وأبي سعيد السيرافي ، والازهري ، والدينوري ، والشلوبين ، وأبي منصور الجواليقي ، والحسن بن موسى الدينوري ، صاحب كتاب « مجاز الصناعة » ، وأبي القاسم بن الابرش ، ومعاذ بن مسلم الهراء ، وابن عطية ، والمطرزي ، وابي سعيد السكري صاحب « الكافية » ، وابي زكرياء يحيى بن معطٍ ، وابي منصور محمد بن علي ، وابن الخشاب ، وأبي زيد احمد بن سهل،ومحمد بن عبدالجبار الرعيني،وعبدالدائم بن مرزوق القيرواني ، وابي عبدالله الطنجي وغيرهم .

ولم يطبع « الارتشاف » حتى الآن ، أما مخطوطاته فهي

١ ـ في دار الكتب بالقاهرة مخطوطة منه بقلم معتاد تمت كتابتها في آخر شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٠٢ هـ ، وقد قوبلت على الاصل الذي نقلت منه سنة ١٣٠٣هـ بالمدينة المنورة وهي برقم ٠٢٨

٢ ــ وفي الدار الجزء الثاني من نسخة اخرى منه اولها باب الكناية عن العدد ، وينتهي بانتهاء فصل « تزاد باطراد أن بعد لما التي هي حرف وجوب لوجوب » ورقمها ١٠٠٣ .

٣ ــ وفيها نسخة اخرى مخطوطة سنة ١١١٧ هـ برقم ١١٠٦

٤ ــ وفي معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة كتبت سنة ١١١٧هـ مصورة عن الاحمدية وهي في ٣٥٨ورقة ٣٢×٢٢سم.

٥ ــ وفي مكتبة جستربيتي بدبلن في ارلندة الجزء الاول من الارتشاف في ٢٦١ صفحة ٢٥×١٧ سم برقم ٣٥٠٣٠ ، وهو بخط واضح نسخي ولم يذكر تأريخ النسخ .

٦ ــ وفي خزانة ولي الدين يكن نسخة منه برقم ٢٨٩٧

٧ ــ وفي خزانة نور عثمانية نسخة برقم ٤٥٢٠ ، ٤٥٢١ .

٨ ــ وفي خزانة عاشر نسخة برقم ١٠٢٦ .

٩ ــ وفي خزانة راغب باشا نسخة برقم ١٠٥٧ .

١٠ــ وفي خزانة يكي جامع نسخة برقم ١٠٥٦[١] .

---

(١) ذكر الاستاذ عباس العزاوي في كتابه : « تأريخ الادب العربي في العراق » ج١ ص ٨١٢ نسخ الارتشاف المحفوظة في مكتبات تركيا

اعراب القــرآن

جاء في القسم الثاني (الجزء الاول) من فهرس المخطوطات العربيه برباط الفتح (المغرب الاقصى) ان لابي حيان كتابا باســم « اعراب القرآن » •

يبدأ الجزء الاول من أول الكتاب الى آخر سورة النساء فرغ من سخة في ٢٦ شوال عام ٩٦٥ هـ ، مبتور الاول بنحو ورقة • وعــدد اوراقه ١٧٦ ، سطوره ٣٠ ، مقياسه ٢٠٥/٢٩٠ • وهو مكتوب بخط معربي لا بأس به •

ويبدأ الجزء الثاني ، من سورة المائدة الى آخر سورة الاعراف ، مبتور آخره بنحو ورقة • عدد اوراقه ٩٩ ، سطوره ٣١ ، مقياســه ٢٠٥/٢٩٠ • وهو مكتوب بخط مغربي جيد[١] •

ولكننا لم نعثر على اسم هذا الكتاب في مؤلفات أبي حيان ، او في المصادر التي ترجمت له ونقلت عن آثاره • ولا ندري أهو لابي حيان حقا أو لغيره ، حيث لم نستطع ان نحصل على نسخة من هذه المخطوطة أو على معلومات دقيقة عنه •

---

(١) ينظر فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الاقصى) القسم الثاني ـ الجزء الاول ص ٣٦ ـ ٣٧

غاية الاحسان في علم اللسان

ألف أبو حيان للمبتدئين مقدمة لطيفة في علم النحو ضمنها أكثر اصول هذا العلم واحتذى فيها طريقة البصريين واتبع مذاهبهم التي يذهبون اليها في النحو . يقول في مقدمة الكتاب « الحمد لله على ما الهمنا من الثناء ، والصلاة والسلام دائمين دوام الارض والسماء . وبعد فقد اتحفتك ايها المبتديء في النحو بمقدمة لطيفة المنزع سهلة المشرع ضمنتها من هذا العلم أكثر أصوله ومعظم فصوله ، محتذيا في ذلك ما عليه العمل من مذاهب أهل البصرة ، أولي التحقيق في هذا الفن والنصرة ، فتجلت في سماء الآداب بدرا ، وتحلت من خرائدالفوائد درّا ، وسميتها « غاية الاحسان في علم اللسان » ، والله ينفعنا في هذا المقصد الأسنى ، ويبوؤنا دار المقامة والحسنى ، بمنه ويمنه »[1] .

ولم يطبع هذا الكتاب حتى الآن ، ومنه نسختان مخطوطتان

الاولى محفوظة في دار الكتب بالقاهرة ضمن مجموعة مخطوطة بخط المؤلف ، انتهى منها في يوم الاحد الحادي عشر من شهر رمضان سنة ٦٨٩ هـ ، وهي برقم ٢٤ش وقد كتبت على الصفحتين الاولى والاخيرة اجازتان من المصنف لابنه حيان بخطه ، وفي هامشها وبين سطورها تقييدات بخط جديد غير خط أبي حيان .

---

(١) غاية الاحسان ص ٢ أ ، نسخة المؤلف المكتوبة سنة ٦٨٩ هـ

والثانية محفوظة في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية، وهي نسخة كتبت بخط المؤلف وعليها سماع لولده مؤرخ في سنة ٧٢٢هـ ، وهذه النسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المرقمة ٢٤ ش وهي في ٢٣ ورقة ١٣ × ١٧ . وقد كتب على الصفحة الاولى من هذه النسخة: « قرأت جميع هذه المقدمة رواية على مصنفها والدي رضي الله عنه في مجلسين آخرهما يوم الاثنين العشرين لجمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة بمنزله من باب البحر بظاهر القاهرة المحروسة ، كتبه حيان ». وبعده تصديق من أبي حيان يقول فيه « ما ذكره ابني حيان صحيح واجزت له ان يروي عني جميع مروياتي ومصنفاتي ومختصراتي ومنشآتي وجميع ما يجوز لي وعني روايته بشرطه لفطنته بذا ، كتبه أبو حيان ». وكتب على الصفحة الاخيرة « وكتبها أبو حيان مصنفها عفا الله عنه ، وكان الفراغ من تصنيفها يوم الاحد حادي عشر رمضان المعظم من سنة تسع وثمانين وستمائة بالقاهرة المحروسة من ديار مصر حرسها الله » . وجاء بعد ذلك « قرأت جميع هذا الكتاب المسمى بـ « غاية الاحسان في علم اللسان » على مصنفه الشيخ الفقيه الامام العلامة الحافظ الحجة عمدة النحاة والمفسرين زين الحفاظ والمدربين سيبويه الزمان أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الاندلسي الجياني النفزي عرضا من صدري عن ظهر قلب وبحثاً لجميعها مستوفى في نحو من سنتين ، وكان الفراغ من بحثي لها يوم الاثنين الثالث والعشرين لجمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وسبعمائة . وأجاز لي ما يجوز له روايته وما أنشأه وصنفه ولخصه . كتب ذلك طه بن محمد بن رضا الامرسي المطلبي النابلسي والحمد لله » .

ولما كانت هذه المقدمة قد ألفت للمبتديء في علم النحو فهي موجزة لا تتعدى الاثنتين والعشرين ورقة ، وقد ابتدأها بالكلام على معنى النحو وهو علم باحكام الكلم العربية افرادا وتركيبا ، وقسم الكلام الى خبر وانشاء . ولما كان قد عرف النحو بانه علم باحكام الكلم العربية إفراداً وتركيبا فانه قسم الكتاب الى قسمين، الاول : في الاحكام الافرادية،

وموضوعها علم التصريف ، والثاني الاحكام التركيبية ، وهي التي يحتاج اليها لاصلاح اللسان ، وقد قسمها الى ضربين ،الاول:في الاحكام الاعرابية ، والثاني في غير الاعرابية • ثم تحدث عن الاحكام الاعرابية وبحث فيها معنى الاعراب ، والقابه ، وعلاماته ، وعقد أبوابا هي:المعرفة والنكرة ، والمرفوعات ، والمنصوبات ، والمجرورات ، والتوابع ،والفعل واقسامه ، والنواصب ، والجوازم • اما الضرب الثاني من احكام التركيب فهو في البناء ، والادغام ، والوقف ، والاخبار •

والقسم الثاني في الاحكام الافرادية ، وقد تكلم فيه على همزة الوصل ، والمثنى ، والجمع ، والنسب ، ونون التوكيد ، وأحكام التصريف ، وجمع التكسير وابنيته ، وابنية المصدر ، واسم المصدر ، واسم الزمان ، واسم المكان ، والمقصور والممدود ، واسم الفاعل ،واسم المفعول • وتحدث عن القسم الاخير من التصريف وهو زيادة ونقص وبدل وقلب ، وذكر أبنية المجرد والمزيد من الاسماء والافعال ، ثم تكلم على النقص وهو ادغام ، وحذف •وتكلم على الادغام ومواقعه وقواعد الادغام في المثلين والابنية التي يقع الادغام فيها ، وتكلم على الحذف ومواقع اطراده والبدل ، والحروف التي يطرد فيها الابدال والقلب ، ثم تحدث عن حروف الهجاء وهي تسعة وعشرون وقد جمعها بقوله

قد غشني ذو رعة لاحظ مصطخب ضج لسكت أزف

وعقد بابا سماه « باب الحرف » وهو معمل ومهمل ، المعمل جارّ ، أو ناصب ، أو جازم ، أو ناصب ورافع ، أو جار ورافع ، والمهمل مقابله • وعقد بابا باسم « باب الشعر والسجع وما يجوز فيهما من الضرورة مما لا يجوز في غيرهما » ، وقسم الضرائر الى زيادة ،وبدل، وحذف ، وتقديم ، وتأخير •

يتضح مما تقدم ان أبا حيان جمع في كتابه أو مقدمته « غاية الاحسان » معظم موضوعات النحو ، ولكنه أوجز فيها كل الايجاز

وجعلها قواعد ليسهل حفظها وتداولها بين الناس . وقد كانت هـذه المقدمة الموجزة مدعاة لان يؤلف بعضهم كتبا يطلقون عليها هـذا الاسم أو ان ينظموها شعرا ، وممن ألف كتابا باسم « غاية الاحسان في علم اللسان » ابن هشام الانصاري النحوي ، وألف الشيخ شمس الدين بن الموصلي محمد بن محمد بن عبدالكريم بن رضوان بن عبدالعزيز البعلي المولد الشافعي (٧٧٤هـ هـ) كتابا باسم « غاية الاحسان » في قوله تعالى « ان اللهَ يأمُر بالعدلِ والإحسانِ »[١] .

وجاء عبدالرحمن بن احمد بن علي الواسـطي الشيخ تقي الدين البغدادي نزيل القاهرة (٧٨١ هـ) ونظم غاية الاحسان لشيخه أبي حيان وعرضها عليه فاعجبته وقرظها[٢] .

---

(١) سورة النحل ، الآية ٩٠

(٢) ينظر بغية الوعاة ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٢٩٦ ، والدرر الكامنة ج٢ ص ٣٢٤ ،وتاريخ الادب العربي في العراق ج١ ص ١٨٦

النكت الحسان في شرح غاية الاحسان

وشرح أبو حيان مقدمته « غاية الاحسان » بكتاب سماه « النكت الحسان في شرح غاية الاحسان » ، وقد وصلت نسخ منه ولكنه لم يطبع حتى الان ، ومن مخطوطاته :

١ ـ نسخة في دار الكتب بالقاهرة مكتوبة بخط العالم الجليل أحمد ابن عبدالقادر بن احمد بن مكتوم القيسي ، وهي برقم ٣٦٤ .

٢ ـ وفي مكتبة جستربيتي نسخة برقم ٣٦٣٥ ، وهي غير مؤرخة ، في ١٣١ صفحة ١٩×١٣ وقد كتبت بخط نسخي حسن[١] .

أما سبب تأليف هذا الشرح فقد ذكره المؤلف في المقدمة وقال « هذه نكت امليتها على مقال نشر وهو « غاية الاحسان في علم اللسان » ، فتحت فيها مقفلها ، واوضحت مشكلها ، واكثرها انما هو ابداء حكم في صورة المثال ، وربما المت بزيادة حكم أو ذكر خلاف أو استدلال . ولم أقصد ارخاء العنان في هذا المضمار بل آثرت الايجاز على الاكثار وسميتها « النكت الحسان في شرح غاية الاحسان » ، وهي وان كان جرمها ضئيلا وما تضمنته بالنسبة الى الفن العربي قليلا فربما اشتملت على فوائد لا تقتبس الا منها وفرائد لا تؤثر الا عنها ، والله اسأل ان يحيل ذلك مرقاة الى فهم كتابه ومنجاة من عذابه وموجبا لجزيل ثوابه بمنه وكرمه »[٢] .

---

(١) ينظر فهرس دار الكتب ج٢ ص ١٧١ ، فهرس مكتبة جستر بيتي ج٣ ص ٥٢

(٢) النكت الحسان ص ١ ـ أ

ولما كان هذا الكتاب شرحا لمقدمة « غاية الاحسان » فقد بحث أبو حيّان الموضوعات التي بحثها أولا واتبع الطريقة التي سار عليها ، وليس من اختلاف بين الكتابين الا في التفصيل والايضاح وعرض الآراء ومناقشتها في بعض الاحيان . وقد يشير الى خطأ في ترتيب كتابه الاول ، أو نقص فيه ويرى انه من الأفضل أن يقدم بحث الاحكام الافراديـــة للكلمة على بحث الاحكام التركيبية ويعلل ذلك بان هذا التأخير انما كان لصعوبته واعتياصه[1] . ويرد بعض التعاريف والاحكام التي ذكرها في «غاية الاحسان »، ويستدرك امورا كثيرة ، ففي أبنية الاسماء المقيسة من المقصور يقول « وقد ترك المصنف أشياء من مقيس المقصور وذلك كل جمع على وزن « فَعالَى » نحو يتامى وغضابى وندامى ، وكل صفة لمذكر معتلة اللام مؤنثها على وزن « فَعــلاء » ، نحو أقنى وقنواء ، وأعشى وعشواء ، وأعمى وعمياء ، وكل جمع على : « فُعَّل » لصفة على وزن « فاعل » معتــل اللام ، نحو غاز وغزّي »[2]

ويقول في أبنية الممدود: «وقد ترك المصنف أشياء من مقيس المدود، فمن ذلك كل مصدر لفعل معتل اللام على وزن : « فاعَلَ » أو «أفْعَلَ» ـ اذا لم يكن في أوله ميم ـ نحو اعطى اعطاء ، ورامى رماء . وكل جمع لاسم في آخره « تاء التأنيث » قبلها « ياء » او « واو » بعد ألف زائدة نحو : عظاية وعظاء ، وصلاية وصلاء ، وسماوة وسماء ، وكل جمع على وزن : « فُعّال » لصفة معتلة اللام على وزن « فاعِل » نحو غاز وغزاء ، وكل اسم على : « فُعْلُلاء » نحو عقرباء ، أو « فاعِلاء » كالسابياء ، أو « فاعُولاء » كعاشوراء ، أو « فَعالاء » كعجاساء ، أو « فَعُولاء » كجلولاء . وكل صفة معتلة اللام على وزن : « مِفْعال » نحو معطاء ومسعاء ، وقد قالوا معطى ، فقصروا »[3]

ويقول في شروط وجوب الادغام « ونَقَصه من شروط وجوب

---

(١) النكت الحسان ص ٢ ـ أ

(٢) النكت الحسان ص ٨٧ أ

(٣) النكت الحسان ص ٨٨ أ

الادغام في الفعل ألا يكون ملحقا فانه لا يجوز الادغام نحو جلبَب واسحَنْكَكَ »[1] .

ويقول في حروف الهجاء: « قوله: الحروف تسعة وعشرون، قد جمعها في البيت الآتي بعد هذا ، وفي الحقيقة انما هي ثمانية وعشرون ، لان لام الالف هي لام وانما جرى في ذلك على قول من تقدمه »[2] .

والمصادر التي اعتمد عليها أبو حيان في هذا الشرح قليلة ولا يكاد يشير الا الى آراء النحاة الذين ينقل عنهم كشيخه أبي جعفر بن الزبير الذي نقل عنه رأيه في مجيء « عاد » عاملة عمل « كان » ، يقول « وعاد ، نحو ما أنشدنا استاذنا أبو جعفر بن الزبير الذي اخذنا عنه علم العربية رضي الله عنه

تَعُدُ فيكم جزر الجزور رماحُنا ويرجعن بالاكباد منكسرات[3]

وينقل عن شيخه أبي الحسن الابّذي زعمه ان إعمال « لا » عملَ « ليس » ونصب الخبر بعدها قليل جدا حتى انه لم يسمع النصب فيه ملفوظا به[4] . وينقل عن شيخه ابن ابي الربيع الكلام على « لاتَ » وحكم عملها ، وعن شيخه الامام بهاءالدين أبي عبدالله محمد بن النحاس ما حكاه في اعراب « ذوات » ـ الموصولة ـ اعراب « ذوات » ـ بمعنى صواحب ـ ، وهو نقل غريب ، وينقل عن شيخه أبي الحسن ابن الضائع في أعلام الاجناس[5] .

واشار أبو حيان الى هذا الكتاب في كتبه الاخرى وأحال عليه في مسائل كثيرة ، من ذلك احالته عليه في « منهج السالك » عند بحثه العلل الموجبة لمنع الصرف والشروط التي توجب المنع او تجوزه ،واحال

---

(1) النكت الحسان ص ١٩٥

(2) النكت الحسان ص ١٠٨ ب

(3) النكت الحسان ص ١٧ ب

(4) النكت الحسان ص ٢١ ب

(5) ينظر النكت الحسان ص ٢٢ ب ، ٩ ـ أ ، ٧ ـ أ على التوالي

عليه في بحث النائب عن الفاعل ، وذكره في « التذييل والتكميل » ، وفي : « التدريب في شرح التقريب » في بحث وجوب نصب المشغول عنه »[1] .

ومن هنا نستطيع ان نحكم بأن أبا حيان ألف كتابه « النكت الحسان » بين سنة ٦٨٩هـ وهي سنة الانتهاء من تأليف « غاية الاحسان في علم اللسان » وسنة ٧١٠ هـ وهي سنة الانتهاء من نسخ كتاب « التدريب » .

واعتنى بـ « النكت الحسان » بعض من جاء بعد أبي حيان كسليمان ابن داود بن سليمان بن محمد بن عبدالحق الحنفي صدر الدين بن عبد الحق المولود سنة ٦٩٧ هـ والمتوفى سنة ٧٦١ هـ ، وقد حفظها وعرضها على أبي حيان وكتب له وعلق عليها حواشي أخذها عن الشيخ أبي حيان[2] .

---

(١) ينظر منهج السالك ص ٦ ، ١١٦ ، ١٦١ ، والتذييل والتكميل ج٥ باب اعراب الفعل وعوامله مخطوطة برقم ٣٦٦٤-٦٢ نحو ، والتدريب ص ٨ ب

(٢) ينظر الدرر الكامنة ج٢ ص ١٤٩

كتيبـات ورسـائل نحوية

وألف أبو حيان عدة كتيبات ورسائل صغيرة في النحو وهي :

١ ـ اللمحة البدرية في علم العربية :

ألف أبو حيان مختصرا في النحو على سبعة أبواب باسم :«اللمحة البدرية في علم العربية »[1] ، وقد سماه الحاج خليفة في بعض المواضع من كشف الظنون « الملحة » يقول « وهي اللمحة البدرية مـرَّ مع شروحها في النحو للشيخ أبي حيان »[2] •

ولم تطبع اللمحة ، وفي دار الكتب بالقاهرة نسخة مخطوطة بقلم محمد بن احمد بن محمد في منزله بالمسجد الاقصى الشريف سـنة ٨٤٩هـ ، أولها بعد الديباجة « الكلمة قول موضوع لمعنى مفرد »وهي برقم (١٠٥٠ نحو) وقد جاء في آخرها ان ابا حيان انتهى منها في حادي عشر رمضان المعظم سنة ٦٨٩هـ بالقاهرة •

وفي معهد احياء المخطوطات نسخة صورت عن نسخة دار الكتب، وهي في سبع ورقات ١٢×١٨ سم •

---

(١) ينظر الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، وطبقـات الشافعية ج٦ ص ٣٣ ، وكشف الظنون ج٢ ص ١٥٦١ ، والاعلام ج٨ ص ٢٦

(٢) كشف الظنون ج٢ ص ١٨١٨

وهذا الكتاب مختصر جدا ، وهو اكثر اختصارا من غاية الاحسان غير ان ترتيب موضوعاته يشبه الى حد كبير تبويب غاية الاحسان ، فقد قسمه أبو حيان الى مقدمة وسبعة أبواب ، وتكلم في المقدمة على: الكلمة وانواعها ، والاعراب والقابه وعلاماته ، وكان الباب الاول في النكرة والمعرفة ، والثاني في المرفوعات ، والثالث في المنصوبات ، والرابع: في المجرورات ، والخامس في التوابع ، والسادس في الفعل ، والسابع: في غير المنصرف .

ولما كانت « اللمحة » مختصرة فقد شرحها بعض من جاء بعد أبي حيان كالحسن بن محمد بن صالح بن محمد بن عبدالمحسن بن علي ابن المجاور بن عبدالله القرشي المطلبي بدر الدين النابلسي الحنبلي المولود في أول القرن الثامن والمتوفى سنة ٧٧٢ هـ والذي تخرج بابي حيان . ومنهم الشيخ الامام أبو عبدالله محمد بن عبدالدائم البرماوي (٨٣١هـ) وأول شرحه « الحمد لله حمد من أناب الى ربه »[١] . وجمال الدين عبدالله بن هشام الانصاري (٧٦١ هـ) واسم شرحه « الكواكب الدرية في شرح اللمحة البدرية » . وسماه الازهري « شرح لمحة ابي حيان »[٢] . وللمحة شروح أخرى محفوظة في المتحف البريطاني بلندن .

ولشرح اللمحة المسمى بـ « الكواكب الدرية » لابن هشام نسخة محفوظة بدار الكتب بالقاهرة باسم « شرح اللمحة البدرية في نحو علم العربية » وهي برقم (١٢٢٢ نحو) ١٥ × ٢٢ ، وقد كتبت سنة ١٠١٦هـ بخط مصطفى بن سليمان الكردي وانتهى منها نهار الاثنين في سادس عشر شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة .

وقد اطلعنا على هذه المخطوطة وكانت في ٧٧ ورقة ، وغرض ابن

---

(١) ينظر الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٧ ، وكشف الظنون ج٢ ص ١٥٦١ ، وتأريخ آداب اللغة العربية لزيدان ج٣ ص ٢٦٥ ، وتأريخ الادب العربي في العراق ج١ ص ١٨٦ ، وعصر سلاطين المماليك ج٤ ص ١٣٠ ، والقواعد النحوية ص ١٣٠

(٢) ينظر شرح التصريح على التوضيح ج١ ص ٥

هشام منها ان يضع نكتا تكمل من أبواب « اللمحة » ما نقص ، يقول « أما بعد حمد الله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعبده وآله الكرام من بعده • فهذه نكت حررتها على « اللمحة البدرية في علم العربية » لابي حيان الاندلسي مكملة من أبوابها ما نقص ، ومسبلة من أذيالها ما قلص ومستهويه لواضعها من أولي الالباب دعاء يستجاب ، وثناء يستطاب • والله المسؤول منه حسن التوفيق ، وان يسلك سالكي الخيرات أسهل طريق ، بمنه ويمنه »[1] •

وسار ابن هشام على تبويب أبي حيان وفصل في الموضوعات التي أوجزها ابوحيان أو لمح اليها تلميحا ، واستدرك عليه بعض الامور • ولنمثل لطريقة شرحه بمثال واحد لنعطي فكرة واضحة عن اسلوب ابن هشام في الشرح والتعليق ، يقول في شرح قول أبي حيان « واخوه وابوه ورأيت أباه ومررت بأبيه » « أقول انقضى ذكر البابين اللذين نابت فيهما حركة عن حركة وشرع في ذكر الابواب الخمسة التي نابت فيها الحروف عن الحركات باعتبار الظاهر ، احدها الاسماء الستة وهي اخوك واخواته ، فانها في حالة الرفع بالواو وفي حالة النصب بالالف وفي حالة الجر بالياء ، والكلام على هذه الاسماء في فصول

احدها في عدتها الجمهور على انها ستة ، وقال الفراء : خمسة، أسقط منها أل « هن » •

وتبعه الزجاجي ، وهما محجوجان بنقل سيبويه وأبي الحسن • نعم ينبغي ان لا يسوى بينه وبين الخمسة في الذكر كما فعل هذا المصنف لئلا يتوهم ان الحكم فيهن على حد سواء ، وليس كذلك بل الاكثر في كلامهم أن يكون أل « هن » منقوصا معربا بالحركات كما يكون في حالة الافراد ، وفيه لغة قليلة انه يعرب بالحروف • وقيل سبعة ، والسابع « مَن » في حكاية النكرة في الوقف فانك تقول لمن قال : جاءني رجل،

---

(١) شرح اللمحة ص ١ ، مخطوطة دار الكتب برقم ١٢٢٢ نحو

« منو » ولمن قال رأيت رجلا « منا ؟ » ولمن قال مررت برجل ، « مني ؟ » قال ذلك الجوهري في كتاب له في النحو ، وليس بشيء ، لان هذا ليس باعراب لاوجه

احدها انه يثبت وقفا ويحذف وصلا ، تقول في الوصل « من يا هـذا ؟ » .

لا يجوز غير ذلك ، فاما قول الشاعر

أتـو نـاري فقلت منون أنتـم ؟
فقالوا نحن ، قلت : عموا ظلامـا

فضرورة خلافا ليونس في اجازته ذلك قياسا .

الثاني : ان الاعراب انما يكون لعامل يدخل على الكلمة في الكلام الذي هو فيه ، وليست هذه الحروف مجتلبة لعامل في هذا الكلام ، لان « من » مبتدأ ، والمبتدأ معمول للابتداء ، فلا يكون الا مرفوعا لفظـا أو محلا وانما هذه الحروف والحركات قبلها حركات حكاية .

الثالث : ان « من » وضعها وضع الحروف فلا يستحق الاعراب. وقيل سبعة وزيد فيها « ذو » الموصولة في لغة بعض طيء ، قال شاعر:

فاما كرام موسـرون لقيتهم فحسبي من ذي عندهم ماكفانيا

فاما جمهورهم فلا يستعملونها الا مبنيـة ، ويروى : « فحسبي من ذو عندهم » على البناء .

الفصل الثاني : في اصولها فنقول أصل أب واخ وحم وهن : أبو واخو وحمو وهنو ، محذوفة وهي واوات بدليل قولك في التثنية أبوان واخوان وحموان وهنوان ، واصل فم : فوه بدليل أفواه وفويه، وأصل ذو ذوي، لا ذوو لقلة ما عينه ولامه واو .. »[1] .

(١) ينظر شرح اللمحة ص ٦ ب الى ص ٨ ب

وقد أفاض ابن هشام في هذه الموضوعات شارحا وموضحا،رافضا وقابلا الآراء المختلفة والتوجيهات الكثيرة والروايات المتناقضة .

وردّ على أبي حيان في مواضع متعددة ، واتهمه في بعض الاحيان بالخطل والجهل[1] . ونرى ان هذا اجحاف بحق أبي حيان الذي كان أمير المؤمنين في النحو .

ولا يرى ابن هشام كتابه مطولا أو مبسوطا بل يراه كتابا مختصرا ولذلك لم يطل فيه بذكر الآراء المختلفة أو مناقشتها أو الاحتجاج لها فيما يتعدى آراء أبي حيان ، وقد كرر قوله في عدم حاجته الى ذلك لان كتابه موجز كل الايجاز .

واختصر اللمحة لابي حيان بعضهم كمحمد بن عبدالرحيم المعروف بالبقراط ، وزين الدين عمر بن مظفر بن الوردي (٧٧٩هـ) الذي اختصرها في منظومة[2] .

٢ ـ الشذا في أحكام كذا :

ومن كتب أبي حيان التي لم تصل الينا كتاب «الشذا في أحكام كذا»، وهو بحث في « كذا » ومعانيها واستعمالاتها، وقد ذكره القدماء ونقلوا عنه وذكره أبو حيان نفسه في « التذييل والتكميل» ، و « الارتشاف»، يقول « وقد ألفنا كتابا في أحكام كذا وسميناه بكتاب الشذا في احكام كذا ، بسؤال قاضي القضاة شمس الدين الحنفي المعروف بابن الحريري أول قدومه من الشام متوليا قضاء الديار المصرية ، وجمعنا في آخره الاحكام مجردة ثم احترزنا منها بما قام عليه الدليل من لسان العرب ، فأنا الآن أسرد تلك الاحكام واذكر ما اخترناه منها حرفا بحرف »[3] . ومضى أبو حيان يسرد بعض ما يتعلق بـ « كذا » من كتابه المذكور

---

(١) ينظر شرح اللمحة ص ٦ ب ، ١٢ ب ، ٥٥ ب ، ٦٦ ـ أ

(٢) ينظر كشف الظنون ج٢ ص ١٥٦١

(٣) التذييل والتكميل ج٣ ص ١٥٢ ، وينظر الارتشاف ص ٨٥ ـ أ

فيقول ان « ذا » اصلها اسم اشـــارة للمفرد المذكر ، فمتى ابقيت كل واحدة منها على موضوعها الاصلي فان العرب تستعملها كناية عن عدد وغير عدد ، وفي كلتا الحالتين تكون مركبة ، ولذلك لا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث ولا يتعلق الكاف بشيء ، ولا يدل على تشبيه ، لانهمـــا بالتركيب حدث لهما معنى لم يكن قبله ، ولا يلزم الصدر ، ولا يكون مقصورا على اعراب خاص ، بل يستعمل في موضع رفع وفي موضع نصب وفي موضع جر بالاضافة وبالحرف • ومن النحويين من حكم على موضع « الكاف » بالاعراب وجعلها اسما ، ومنهم من حكم عليها بالزيادة ، وكل هذا فرار من دعوة التركيب فيها ، فاذا كانت كناية عن غـير عدد فتكون مفردة ومعطوفة ، تقول العرب مررت بمكان كذا ، ونزل المطر مكان كذا ، فاذا كانت كناية عن عدد فاختلف النحويون في ذلك، ومذهب البصريين ان تمييزها يكون مفردا سواء كانت مفردة أم معطوفة واريد بها عدد قليل أو عدد كثير ، وأما الكوفيون فذهبوا الى انها تفســر بما يفسر به العدد الذي هي كناية عنه من الثلاثة الى العشرة ، وقد وافق الاخفش ــ على ما نقله صاحب « البسيط » ــ ، والمبرد ، وابن الدهان، وابن معط ، وابن عصفور الكوفيين في هذا التفصيل • ومذهب ثالث مركب من هذين المذهبين وهو موافقة الكوفيين في المركب والعقـــد والمعطوف ، ومخالفتهم في المضاف وهو الثلاثة الى العشرة والمائة •

ثم يذكر أبو حيان رأيه في هذه المسألة فيرى انه لا يمكن الاخذ بشيء قياسا وانما السماع هو ساس كل شيء ، واننا ينبغي ان نستعمل ما استعملته العرب ونطقت به ولا نقيس لئلا نأتي بكلام لم يسمع عن العرب •

ولا نستطيع أن نصور هذا الكتاب باكثر مما ذكره أبو حيان في « التذييل والتكميل » ، لان الكتاب ما يزال مفقودا ، وقد الف ابن هشام الانصاري (٧٦١ هـ) رسالة في مسألة كذا سماها « فوح الشذا بمسألة كذا » ، ومن مقدمة الرسالة نستطيع أن نفهم الهيكل العـــام

لرسالة أبي حيان • يقول ابن هشام « وبعد فاني لما وقفت على كتاب: « الشذا في أحكام كذا » لابي حيان ــ رحمه الله تعالى ــ رأيته لم يزد على أن نسج أقوالا وحدها ، وجمع عبارات وعددها ، ولم يفصح كل الافصاح عن حقيقتها واقسامها ولا بيّن ما يعتمد عليه مما اورده من أحكامها ، ولا نبه على ما أجمع عليه أرباب تلك الاقوال واتفقوا ، ولا أعرب عما اختلفوا فيه وافترقوا ، فرأيت الناظر لا يحصل منه بعد الكد والتعب ، الا على الاضطراب والشعب ، فاستخرت الله في وضع تأليف مهذب أبين فيه ما أجمل ، واستئناف تصنيف مرتب اورد فيه ما اهمل ، وسميته « فوح الشذا بمسألة كذا » ، وبالله تعالى أستعين وهوحسبي ونعم الوكيل »[1] •

ورسالة ابن هشام في خمسة فصول ، تكلم في الفصل الاول على استعمالات « كذا » ، وفي الثاني على كيفية اللفظ بها وتمييزها وذكر الاقوال في ذلك ، وفي الثالث على اعرابها ، وفي الرابع على بيان معناها عند النحاة ، وفي الخامس على ما يلزم بها عند الفقهاء •

وابن هشام في هذه الفصول الخمسة يعرض الوجوه والآراء المختلفة ويناقش النحاة ويبين رأيه وتوجيهاته •

ولو رجعنا الى ما ذكره أبو حيان عن مسألة « كذا » في« التذييل والتكميل » لوجدنا تشابها كبيرا بين ما ذكره وما جاء به ابن هشام ، ولكننا لا نستطيع الجزم بان الاخير سار على منهجه وتقسيماته واتبع خطواته ولذلك تبقى هذه الناحية غامضة حتى يتم العثور على رسالة أبي حيان •

٣ ــ الهداية في النحو :

ومن الكتب التي شك بعضهم في نسبتها الى أبي حيان كتاب « الهداية في النحو » ، وقد بحثنا عن هذا الكتاب فوجدنا ثلاث نسخ منه:

---

(١) فوح الشذا بمسألة كذا ص ١٤ تحقيق الدكتور احمد مطلوب (بغداد ١٩٦٣)

الاولى محفوظة بدار الكتب بالقاهرة برقم ١٧٢٦ ، وهي في مجلد صغير ومعها رسالة « العوامل في النحو » للشيخ عبدالقاهر الجرجاني ، و « عوامل الملا محسن » وهي في ٣٧ ورقة ، ولم يذكر اسم أبي حيان في هذه النسخة وليست فيها اشارة الى أحد كتبه .

والثانية محفوظة في الدار نفسها برقم (٧٢١ مجاميع)وهي في ٦٥ ورقة ، وهذه النسخة كالاولى لم يكتب عليها اسم المؤلف ، ولكن بعضهم كتب على الصفحة الاولى منها بخط يختلف عن خط النسخة عبارة « كتاب الهداية في النحو لابي حيان » .

والثالثة محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب برقم (٤٢٨ نحو) ، وهي كسابقتيها لم يكتب عليها اسم المؤلف ، ولكن بعضهم كتب على الصفحة الاولى منها بخط جديد « انها جمع العالم الامام الفاضل عبدالجليل الغزنوي » وكتب بخط آخر بجانب هذه العبارة ما يفيد ان هذا الكتاب هو كتاب « الهداية في النحو » للامام أبيحيان النحوي ، استنادا الى ما جاء في الصفحة الثانية من شرحه المسمى بـ « الدراية » المطبوع بالهند . وهذه النسخة في ٩٨ صفحة ، وقد كتب في آخرها « تم هذا الكتاب المسمى بالهداية في النحو على يد الفقير الحقير المذنب عبدالواحد بن محمد صادق غفر الله له ولوالديه ، واغفر لقارئه وناظره وسامعه ، واغفر لجميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم برحمتك يا أرحم الراحمين » ، وفي خاتمة هذه النسخة اشارة الى انها كتبت سنة ١٢٣٢ هـ .

ولعل الذي حدا ببعضهم الى ان يكتب على الصفحة الاولى من هذه النسخة انها للغزنوي ما جاء في كشف الظنون من ان لعبدالجليل ابن فيروز الغزنوي ولابن درستويه عبدالله بن جعفر (٣٤٧هـ)كتابين بهذا الاسم[١]

---

(١) ينظر كشف الظنون ج٢ ص ٢٠٤١

ولا نستطيع ان نثبت نسبة هذا الكتاب لابي حيان أو ننفيها عنه وان كنا نرجح انه له بدليلين

الاول ما جاء في الصفحة الثامنة من شرح كتاب «الهدايـة » المسمى بالدراية[1] ونسبته الى أبي حيان •

الثاني ان الكتاب ليس ببعيد عن روح أبي حيان فهو قريب الشبه بكتبه التي لخص فيها مسائل النحو ، أو لخص فيها بعض كتب النحو في بدء حياته التأليفية •

يبدأ كتاب « الهداية في النحو » بقول أبي حيان « الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمـد وآله أجمعين • أما بعد فهذا مختصر مضبوط في النحو جمعت فيـه مهمات النحو على ترتيب الكافية[2]، مبوبا مفصلا بعبارة واضحة مع ايراد الامثلة في جميع مسائلها من غير تعرض للادلة والعلل لئلا يشوش ذهن المبتديء عن فهم المسائل وسميتها « الهداية » رجاء ان يهدي الله به الطالبين ، ورتبته على مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة بتوفيق الملك العـلام » •

اما المقدمة فهي في المباديء التي يجب تقديمها لتوقف المسـائل عليها ، وفيها فصول ثلاثة ، الاول تعريف النحو ، والثاني في تعريف الكلمة ، والثالث في تعريف الكلام

والقسم الاول في الاسم ، وقد ذكر احكامه في بابين وخاتمة ، فالباب الاول في الاسم المعرب وفيه مقدمة وثلاثة مقاصد وخاتمة ، والمقدمه في ثلاثة فصول ، الاول في تعريف الاسم المعرب ، والثاني في اصناف اعراب الاسم ، والثالث في الاسم المتمكن • والمقصـد

---

(١) طبع في الهند من غير تأريخ

(١) هذا دليل على أن المؤلف جاء بعد ابن مالك صاحب الكافية كأبي حيان الذي اهتم بكتبه وشرحها

الاول في المرفوعات وهي الفاعل ، ومفعول ما لم يسمّ فاعله ،والمبتدأ والخبر ، وخبر ان واخواتها ، واسم كان واخواتها ، واسم ما و لا المشبهتين بليس ، وخبر لا لنفي الجنس. والمقصد الثاني في المنصوبات، وهي المفعول المطلق ، والمفعول به ، والمنادى ، والمفعول فيه ، والمفعول له ، والمفعول معه ، والحال ، والمستثنى ،والتمييز،واسم «ان»واخواتها، والمنصوب بـ « لا » التي لنفي الجنس ، وخبر « ما » و « لا »المشبهتين بـ « ليس » . والمقصد الثالث في المجروراب . والخاتمة :فيالتوابع. والباب الثاني في الاسماء المبنية وهي الضمائر ، واسماء الاشارة ، والاسم الموصول ، واسماء الافعال والاصوات ، والمركبات،والكنايات، والظروف المبنية .

والخاتمة في سائر احكام الاسم ولواحقه غير الاعراب ، وفيها فصول ، الاول في اقسام الاسم الى معرفة ونكرة ، والثاني في اسماء العدد ، والثالث في المذكر والمؤنث ، والرابع في المثنى ، والخامس في الجمع ، والسادس في المصدر ، والسابع في اسم الفاعل ، والثامن في اسم المفعول ، والتاسع في الصفة المشبهة ، والعاشر في اسم التفضيل .

اما القسم الثاني من الكتاب فهو في الفعلواقسامهالثلاثةالماضي والمضارع والامر ، وقد تكلم فيه على بنائهاواعرابها ، وقسم الفعل الى متعد ولازم ، ثم تحدثعن أفعال القلوب ، والمقاربة ، وفعلي التعجب ، وافعال المدح والذم .

وأما القسم الثالث فهو في الحروف ، وقد بحث فيه حروف الجر ، والحروف المشبهة بالفعل ، وحروف العطف ، وحروف التنبيه ، وحروف النداء ، وحروف الايجاب،وحروف الزيادة ، وحروف التفسير، وحروف المصدر ، وحروف التحضيض ، وحروف التوقع ، وحرفي الاستفهام هل والهمزة ، وحروف الشرط ، وحرف الردع ، وتاء التأنيث الساكنة ، والتنوين ، ونوني التأكيد .

كتب لغوية

١ ـ تحفة الاريب بما في القرآن من الغريب :

ألف أبو حيان كتابا في غريب القرآن سماه:« تحفة الاريب بما في القرآن من الغريب » ، وقال عنه في مقدمته « لغات القرآن العزيزعلى قسمين قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامة البشر وخاصتهم كمدلول السماء والارض وفوق وتحت . وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية ، وهوالذي صنف أكثر الناس فيه وسموه « غريب القرآن » . والمقصود في هذا المختصر ان نتكلم على هذا القسم ، وان نرتبه على حروف المعجم ، فأذكر في كل حرف منه ما فيه من المواد معتبرا في ذلك الحروف الاصلية لا الزائدة ، مقتصرا فيذلك على شرح الكلمة الواقعة في القرآن والله تعالى ينفع بذلك ، ويختم لنا بخير في الدارين هنا وهنالك »[1] .

وقد رتب أبو حيان الكلمات الغريبة في القرآن ترتيبا أبجديا فبدأ بالكلمات المبدوءة بالهمزة والمنتهية بالهمزة ، ثم المبدوءة بالهمزةوالمنتهية بالباء وهكذا الى نهاية الحروف . ولكنه لم يسر على ذلك الترتيب الابجدي في الحروف التي هي حشو الكلمة فبدأ بكلمة الأبّ ثم الاربّ ثم الاثاث ثم الاجاج ثم الاد ثم احد ثم الايد ، وبدأ بعدها بحرف الباء مثل بهت وبعث وبعث وبرح وبرزخ .

---

(١) تحفة الاريب ص ٢ مخطوطة دار الكتب برقم ٩٠٣ ، وص ٣ من المطبوع

وطريقته ان يذكر معنى الكلمة في موقعها من القرآن لا معناها العام في اللغة ، فيقول مثلا الأبّ مارعته الانعام ، وقيل هو للبهائم كالفاكهة للناس . إرب ، الإرْبة الحاجة ..والاثاث المتاع .أجج، والاجاج المر الشديد الملوحة . أدد ، والإد العظيم . أحد،آحد في مثل قوله « قل هو الله احد » »[1] بمعنى واحد وهمزته بدل من واو، أصله وحد ، بخلاف « احد » المختص بالنفي فان همزته أصل وليست بدلا من واو فهو مؤلف من همزة وحاء ودال ويختص بالعقلاء ... والايد القوة ومنه أيدناه[2] .

وقد يذكر معنى الكلمة واختلافها باختلاف القراءات في الآية كقوله « يعشي يظلم بصره ، عشوت نظرت ببصر ضعيف . ومن قرأ يعشى فمن عشي ـ يعشى فهو أعشى اذا لم يبصر بالليل ،وقيل: معناه يعرض »[3] .

ولم يختم ابو حيان كتابه بخاتمة كشأنه في كتبه التي يذكر في نهايتها سنة كتابتها أو الانتهاء منها ومكان نسخها والفراغ من نقلها، وانما ختمه بالكلمات المنتهية بالنون مثل يتبين واليمين .

ولكتاب « تحفة الاريب » نسخ مخطوطة في بعض دور الكتب منها

١ ـ في دار الكتب بالقاهرة ومعهد احياء المخطوطات نسخة باسم «تحفة الاريب بما في القرآن من الغريب » برقم (٩٠ تفسير) مصورة عن نسخة باريس وهي في ٢٥ ورقة ١١×١٤ سم ، وقد كتبت في حوالي القرن الثامن .

٢ ـ وفي الخزانة التيمورية بدار الكتب نسخة منه باسم « لغات

---

(١) سورة الاخلاص الآية الاولى .

(٢) تحفة الاريب ص ٢ ـ أ ، ولغات القرآن ص ٢ ـ أ

(٣) تحفة الاريب ص ١٧ب ، ولغات القرآن ص ٢٨

القرآن » برقم (٧٤ لغة) وهي في ٩٠ صفحة ١٠×١٥ سم ، وقد كتبت في سنة ٩٤٣ هـ .

٣ ـ نسخة في مكتبة باريس برقم ٦٤٤ وقد صورت عنها نسختا دار الكتب ومعهد احياء المخطوطات[١] .

٤ ـ وفي دار الكتب الظاهرية نسخة قديمة جيدة ، وقع في آخرها خرم ذهب بعدد من الأوراق ، ثم الحق النقص بخط مغاير حديث. وأصابت الرطوبة اوراقا في اواسطها فتنفت بعض المواضع ، ثم رممت والحق النقص . الخط نسخ قديم جيد ، فيه بعض الشكل من خطوط القرن الثامن والتاسع الابواب والفاظ القرآن مكتوبة بالحمرة . وهي في ٣٨ ورقة ١٧×١٣ سم برقم ١٥٧٠ (٣٢ اللغة)[٢] .

وذكر الاستاذ عباس العزاوي ان لـ « تحفة الاريب بما في القرآن من الغريب » نسخة في سبع ورقات قديمة كانت عند الاستاذ محمد نجيب الخانجي الكتبي[٣] .

وقد طبع الكتاب سنة ١٣٤٥ هـ الموافق سنة ١٩٣٦ م في مطبعة الاخلاص بحماة ، وهو في ١٤٢ صفحة بالحجم الصغير وقد قوبلت نسخته على الاستاذ العلامة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري وكان ابتداء المقابلة في مصر القاهرة سنة ١٣٣١ هـ وانتهاؤها في حماة ليلة الاحد سنة ١٣٣٢ هـ . وكان طبعه باشراف محمد سعيد بن مصطفى الوردي وذيل عليه في هوامشه بما في الالفاظ التي ذكرها من قراءات وبما أغفله المصنف من غريب .

ولما رأى الشيخ قاسم الحنفي ترتيب كتاب التحفة أحب ان يهذبه لييسره ، وان يزيد عليه بعض الفاظ قليلة فالف كتاب « مختصر

---

(١) ينظر فهرس مخطوطات معهد احياء المخطوطات ج١ ص ٣٤٤ ، وتأريخ الادب العربي لبروكلمان ج٣ ص ١٣٤ ، وتأريخ آداب اللغة العربية لزيدان ج٣ ص ٢٦٥

(٢) ينظر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم القرآن) ص ٣٤٥

(٣) ينظر تأريخ الادب العربي في العراق ج١ ص ٧٤

كتاب التحفة في غريب القرآن » • وفي دار الكتب بالقاهرة نسخة مخطوطة منه برقم (٢٣٤ تفسير) •

٢ ـ الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء :

ألف ابن مالك رسالة « الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد » وفي دار الكتب بالقاهرة نسخة منها تجمع نص القصيدة وشرحا موجزا لها، وأولها « قال الشيخ الامام المتقن لسان العرب وسيد أهل الادب بقية السلف وقدوة الخلف جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني غفر الله له هذه قصيدة تجمع ضوابط مميزة للظاء من الضاد بمصر رزقت الاعانة عليه وخصصت بالسبق اليه ، فأسأل الله كمال الامنية ، بخلوص النية ، وبلوغ الامل ، بقبول العمل بمنه وكرمه »[1] •

وطريقة ابن مالك في هذه الرسالة أن يذكر البيت ثم يشرحه ويذكر أمثلة على الالفاظ • وجاء أبو حيان فلخص رسالة ابن مالك بكتاب صغير سماه « الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء » ، ولكنه لم يتبع خطى ابن مالك في الترتيب وانما اتجه اتجاها آخر سنبينه بعد قليل •

ولرسالة أبي حيان نسخة محفوظة في المكتبة العباسية بالبصرة وهي في ٣٠ صفحة ١٧ سطرا في كل صفحة ٢١ × ١٥ سم برقم ١٠٥ واولها « هذا كتاب لخصته من كتاب الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد ورتبته على ما فيه ظاء من حروف المعجم •• » ، وآخره « تمت الرسالة الفرقية على يد محمد بن بدوي الجزائري العسكري في ١٩ رجب سنة ١١٢٧ هـ » •

وقد طبع الكتاب سنة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م بمطبعة المعارف ببغداد بعناية الشيخ محمد حسن آل ياسين مع رسالة اخرى باسم « الفرق بين الضاد والظاء » لمحمد بن نشوان الحميري (٦١٠ هـ) •

---

(١) رسالة الاعتضاد ص ١

أما عمل أبي حيان في رسالته فيتضح في قوله « هـذا كتاب لخصته من كتاب « الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد » ورتبته على ما فيه « ظاء » من حروف المعجم ، وعددت في كل حرف ما فيه من المواد، وبدأت بالصحيح ثم بالمضاعف ثم بالمعتل ، وبالثلاثي ثم بغيره، وما وضح لي من المقصود انقلاب ألفه عن ياء أو واو ذكرته بما وضح، وما لا يتضح ذكرته مقصورا على حاله ، وضبطت الكلمة بالنقطة والشكل ، وجمعت ما تشتت من الشمل ، فما له قانون اكتفيت بذكر قانونه عن حصر افراده وما لا قانون له أتيت بجميعها ، ونبهت على ما قيل بالضاد والظاء معا ، وعلى ما قيل بهما وبالطاء ، وعلى ما قيل بالطاء والظاء ، واحترزت عما شابه الظائي في اللفظ وهو بالضاد فذكرته بقانونه ان كـان له والا فبحصر افراده . وربما زدت فيه شيئا من تحرير وزن او تبيين اشتقاق. والله المسئول ان ينفع بما علم من ذلك ، وان يسلك بنا أنهج الطرق وأوضح المسالك بمنه ويمنه ، وسميته « كتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء »[1] .

رتب أبو حيـان الكلمات على حروف المعجم مبتدئا بالكلمات المبدوءة بالهمزة ثم الباء والجيم والخاء والدال والراء والظاء والضاد والعين والغين والكاف واللام والميم والنون والفاء والقاف والسـين والواو والياء . وما سقط من أحرف المعجم فهو مما لم ترد كلمـات مبدوءة به تشتمل على الضاد أو الظاء .

وطريقته في بحث الكلمات ان يذكر الكلمة ويذكر المواد فيها ، فاذا وردت الكلمة بالضاد والظاء والطاء يشير الى ذلك فيقول مثلا إظان جبل على وزن « فِعال » بالظاء عن الشيباني ، وبالطاء عن ابن الاعرابي ، وبالضاد عن ابن سيده[2]. وبعد ان ينتهي من ذكر الكلمات الظائية التي وردت مبدوءة بحرف الهمزة وهما كلمتان ، يبدأ بالكلمات المبـدوءة بالبـاء وهي بظـر ، بهظ ، بنـظ ، بظظ ، بوظ

(١) الارتضاء ص ١٠٥ ــ ١٠٦
(٢) الارتضاء ص ١٠٦

بيظ ، بظأ ، بحظل • وبعد ان يذكر الثلاثية يذكر ما جاء منها من الرباعي ، وبعد ان يعدد ما جاء بالظاء يشير الى الكلمات التي وردت بالضاد فيقول مثلا « ويقال بالضاد فقط بَضّ الماء نبع بقلة »[1] • وقد ترد الكلمة بالضاد والظاء بمعنى واحد فيذكر من رويت عنه كل من الكلمتين « البيظ المنى ، وجمع بيظة ، وهي الرحم ، ومصدر: باظ أي جامع ، وأما بيض النمل فبالضاد كبيض غيرها ، وحكي عن بعضهم في بيض النمل بالظاء ، وزعم ابو سهل الهروي ان شاهده مصنوع »[2] •

واذا كان هناك قانون عام يجمع الكلمات الظائية وتعرف به يذكر ذلك كقوله عند كلامه على الكلمات المبدوءة بحرف الجيم « هذا الحرف مما يضبط بالقانون ، وذلك ان الجيم اما ان تجتمع معها في الكلمة راء أو هاء او ياء أصلية أو لا تجتمع • فان اجتمعت فالكلمة ضادية كالجريض وهو الريق الذي يُغص به عند الموت ، وكالجيض وهو الحيد في القتال ، والاجهاض وهو الاخراج • فان لم تجتمع فالكلمة ظائية كالجَعْظِ وهو الدفع ، والرجل الضخم•وكالجظ وهو الجماع، والسيء الخلق ، والطرد،والرجل الضخم ، وكالجواظ وهو الضَجر ، وكالجَوّاظ وهو الغليظ خَلْقاً وخُلُقا • وقد شذ من هذا الاصل أربع كلم فجاء بالضاد جَوض بطريق تبوك ، والجوض الرجل الأكول ، والجلض مصدر جلض أي ضخم ، والجمض مصدر جمضه أي قهره ، لا الجلظ بمعنى قطع الشيء نصفين ، ولا الجمظ بمعنى الشد ، فانهما بالظاء على الأصل • ويقال جَلْفظ السفينة طلاها بالقار ، ويقال بالطاء أيضا • واجلنظى اضطجع ، ويقال بالطاء والضاد »[3] •

وكقوله في حرف الحاء « فيه سبع عشرة مادة حظبَ ،

---

(1) الارتضاء ص ١٠٧ ـ ١٠٨
(2) الارتضاء ص ١٠٨
(3) الارتضاء ص ١١٠

حظر ، حظل ، حظا ، حبظ ، حمظ ، حنظ ، حفظ ، حظظ ، حوظ ،حظو ، حنظب ، حربظ ، حظرب ، حظلب ، حظبأ ، وحبظأ » . ثم يذكر معاني حظب بالظاء ، ويقول بعدها

فان لم تدل هذه على شيء مما ذكر فبالضاد ، وأما « حضب »الفخ حَضبا أسرع الانقلاب والاخذ فيقال ايضا بالضاد . وكذلك في مادة « حظر » فانه قال بعد ان نقل معاني « حظر » بالظاء :ان كل ما شابه هذه المادة ولا يفهم منه تقرب أو بعد فالبضاد كالحضور والاحضار أي الاسراع ، وحضار كوكب[1] . واذا لم ترد في المادة كلمة ظائية فانه يقول « حظل » جاء مما يشبه هذه المادة بالضاد فقط ، أحضل الصبي لعب بالاحضال ، وهي كعوب من عاج ،وحنضلة: لغدير الماء وجمعه حَنْضَل . وما سوى هذه وما تصرف منه فبالظاء،منه حظل الماشي حظلانا .. وحظّله حظلا وحظلانا ، وحظل على امرأته قتّر عليها .. »[2] .

وهكذا يفعل في جميع الكلمات الظائية والضادية ، فيأتي بالمعاني المختلفة لكل لفظ ثلاثي ثم معاني ما زاد على الثلاثي ، وان ورد بناء المادة الواحدة بالظاء فقط أو بالضاد فقطفيشير الى ذلك ويذكر كلماتها ومعانيها . وقد يذكر المادة بالضاد ومعانيها اولا ثم ينتقل الى المادة نفسها بالظاء . كما فعل في مادة « ظلع »،يقول: « ظلع هذه المادة بالضاد ان دل على عوج لان كل معوج يقال له « أضلع » والانثى « ضلعاء » ، أو دل على شدة كقولهم ضلُع الشيء ضلاعة فهو ضليع أي شديد ، والضلع واحد الاضلاع ، وما أشبه هذا لفظا فبالظاء نحو:ظلعت المرأة بعينها واظلعتكسرتها وامالتها»[3] .

وينتهي كتاب « الارتضاء » بحرف الياء وآخر مادة فيه هي :يقظ وتيقّظ ، وبذلك يضع أبو حيان قواعد للتمييز بين الضاد والظاء .

(١) الارتضاء ص ١١١ ــ ١١٢
(٢) الارتضاء ص ١١٢ ــ ١١٣
(٣) الارتضاء ص ١٢٧

كتب مفقودة

ولم تصل كتب أبي حيان النحوية واللغوية كلها ، وانما ضاع بعضها ولم نعثر عليه في المكتبات العامة أو فهارسها ، ولعل الايام تكشف لنا عن هذه الكتب لتنير جوانب كثيرة من حياة أبي حيان الثقافية والنحوية واللغوية وهذه الكتب هي

١ ـ التذكرة :

وألف أبو حيان في النحو كتابا سماه « التذكرة »[١] ، وقد سماه بعضهم « التذكرة في العربية »[٢] . ولا نعرف شيئا عن هذا الكتاب لانه من كتب أبي حيان المفقودة ، غير ان السيوطي والحاج خليفة ذكرا انه في أربع مجلدات كبار[٣] . وقد أشار أبو حيان نفسه الى ذلك فقال « كتابنا الكبير الذي سميناه بالتذكرة »[٤] ، ونقل عنه في « البحر المحيط » وفي « الارتشاف »[٥] مما يدل على انه ألفه

---

(١) ينظر عروس الافراح ج٣ ص ٢٠٤ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، وطبقات الشافعية ج٦ ص ٣٢ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣

(٢) بغية الوعاة ص ١٢٢ ، وكشف الظنون ج١ ص ٣٩٣

(٣) بغية الوعاة ص ١٢٢ ، وكشف الظنون ج١ ص ٣٩٣

(٤) ينظر االبحر المحيط ج ١ ص ٨٨ ، وج ٢ ص ٢٩٤ ، ٤٢٨

(٥) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٨٨ ، وج٢ ص ٤٢٨ ، ٢٩٤ ، ٣٣١ ، وج٨ ص ٤٦٤ ، والارتشاف ص ٣٢٥ ، ٣٣١

قبل هذين الكتابين • وذكر صاحبا الدرر الكامنة والبدر الطالع ان لابي حيان كتابا باسم «التذكير »[1] ولعلــه كتاب « التذكــرة » نفسه •

أما موضوعات الكتاب فلا نعرف شيئا عنها وان كنا نستطيع ان تتلمس بعض الموضوعات التي بحثها فيه وطريقة بحثه من الاشارات التي وردت في كتبه الاخرى وفي كتب السيوطي ، فقد تحدث أبوحيان عن الكلام المفيد وأشار الى ذلك السيوطي[2] ،وتكلم في دلالة الفعل، يقول السيوطي « الدلالات النحوية ثلاث لفظية وصناعية ومعنوية •• مثال ذلك الافعال ففي كل واحد منها الدلالات الثلاث فانه يــدل بلفظه على مصدره ، وببنائه وصيغته الصناعية على زمانه ، وبمعناه على فاعله ، فالأولان مسموعان ، والثالث انما يدرك بالنظر من جهة ان كل فعل لا بد له من فاعل ، لان وجود فعل من غير فاعل محال ، قال الخضراوي في « الافصاح » ودلالة الصيغة هي المسماة دلالـــة التضمن ، والدلالة المعنوية هي المسماة دلالة اللزوم ، وقال أبو حيان في تذكرته في دلالة الفعل ثلاثة مذاهب

احدها انه يدل على الحدث بلفظه ، وعلى الزمان بصيغته اي كونه على شكل مخصوص ، ولذلك تختلف الدلالةعلىالزمانباختلاف الصيغ ، ولا تختلف الدلالة على الحدث باختلافها •

والثاني انه يدل على الحدث بالصيغة واختلافها من كونه واقعا أو غير واقع ، وينجر مع ذلك الزمان فيدل عليه الفعل باللزوم دلالة السقف على الحائط •

والثالث : عكسه انه يدل على الزمان بذاته ، لان صيغته تدل على الزمان الماضي والمستقبل بالذات ودلالته على الحدث بالانجرار»[3]•

---

(١) الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩
(٢) همع الهوامع ج١ ص ١٠
(٣) الاقتراح ص ١٠

وتكلم أبو حيان في البدل والمبدل منه وفرق بينهما وبين العوض والمعوض عنه ، وقد نقل السيوطي ذلك وقال « ومن القواعدالمشتهرة قولهم البدل والمبدل منه والعوض والمعوض منه لا يجتمعان،ومن المهم الفرق بين البدل والعوض ، قال أبو حيان في تذكرته البدل لغة العوض يفترقان في الاصطلاح ، فالبدل أحد التوابع يجتمع مع المبدل منه ، وبدل الحرف من غيره لا يجتمعان أصلا ولا يكون الا في موضع المبدل منه ، والعوض لا يكون في موضعه وربمااجتمعاضرورة، وربما استعملوا العوض مرادفا للبدل في الاصطلاح »[1]

وأشار اليه أبو حيان في مواضع مختلفة من « البحر المحيط » ومن ذلك كلامه على طرائق العرب في كلامها من مطابقة اللفظ للمعنى أو زيادة أحكام اللفظ على المعنى أو زيادة أحكام المعنى على اللفظ ، يقول « وقد تقدم من قولنا ان كلام العرب على ثلاثة أقسام قسم يكون اللفظ مطابقا للمعنى وهو اكثر كلام العرب . وقسم يغلب فيه أحكام اللفظ كهذا الاستفهام الواقع في التعليق والواقع في التسوية. وقسم يغلب فيه أحكام المعنى نحو أقائم الزيدان ؟ وقد أمعنا الكلام على مسألة الاستفهام الواقع في التعليق في كتابنا الكبير المسمى بالتذكرة »[2] .

وفصّل أبو حيان الكلام في هذه المسألة كما فصل في ذكر الخلاف في مسألة دخول الفاء في خبر المبتدأ . وفصل في أحكام «كل» وتكلم في لام الابتداء وزيادتها في خبر أمسى[3] .

من هذه الموضوعات ومن أشارات أبي حيان يتبين لنا ان كتاب التذكرة كتاب مفصل لا موجز ، وان ابا حيان ذكر فيه التفصيلات

---

(١) الاقتراح ص ١٢

(٢) البحر المحيط ج٢ ص ٢٩٤ ، وينظر ج٨ ص ٤٦٤

(٣) ينظر البحر المحيط ج٢ ص ٣٣١ ، و ج١ ص ٨٨ ، وهامش شرح ابن عقيل ج١ ص ٣١٢

والخلافات في المسائل النحوية وما ينجر معها من مسائل الفقه ، ومن ذلك ما ورد عند كلامه على مسألة الاستفهام الواقع في التعليق ، يقول: « وقد أمعنا الكلام على مسألة الاستفهام الواقع في التعليق في كتابنا الكبير المسمى بالتذكرة وهي احدى المسائل التي سألني عنها قاضي القضاة تقي‌الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري عرف بابن دقيق العيد ، وسألني ان اكتب له فيها ، وكان سؤاله في قوله عليه السلام « فان احدكم لا يدري اين باتت يده »[1] .

ويرد أبو حيان في تذكرته على النحاة ، ويفند آراءهم بعد ان يذكر التفصيلات في المسألة التي يبحث فيها ، مثال ذلك قوله عند الكلام على « دعدع » و « لعلع » وامثالهما في باب الكلمات المختلف فيها أهي أسماء او افعال ، يقول « ويقال دعدعت بالرجل أدعدع به دعدعة ، اذا قلت له دع دع ، ولعلعت به لعلعة اذا قلت له :لعاً لعاً . وزعم ملك النحاة أبو نزار أن « ده » من قول الراجز ، وقول الاده ولاد هي اسم فعل وان معناه في كلام العرب صح أو يصح . وتقرير دعواه والرد عليه مذكور في كتاب التذكرة من تأليفنا »[2]

ويقول في باب « افعل التفضيل » عند ذكره مسائل من هذا الباب « ومن مسائل المضاف الى معرفة قول سيبويه هما أفضل الناس اثنين ، المجرور هنا نائب عن التنوين ، وانتصاب « اثنين » كانتصاب « الوجه » في هذا أحسن الناس وجها . قال الاخفش:هما هنا الاثنان ، وانتصاب « اثنين » على تقدير هما أفضل الناس اذا اضيفوا اثنين اثنين . وقد رد هذا الوجه عليه احمد بن يحيى بما هو مذكور في كتاب « التذكرة » من جمعنا »[3]

ولم يقتصر أبو حيان في تذكرته على الاجابة عن المسائل التي

---

(١) البحر المحيط ج٢ ص ٢٩٤ ، وينظر ج٨ ص ٤٦٤

(٢) الارتشاف ص ٣٢٥

(٣) الارتشاف ص ٣٣١

سأله عنها شيوخه مثل ابن دقيق العيد وعبدالغني السروجي ، ولاعلى ذكره المناقشات والخلافات والآراء المطولة في المسائل النحوية والتفصيلات التي لا ينقلها في كتبه الاخرى كـ « البحر » و « الارتشاف » ، وانما يتكلم على مجالس النحاة وما يدور بينهم من الآراء والمناقشات كما نقل ذلك عنه السيوطي فقال « مجلس الخليل وسيبويه ذكره أبو حيان في تذكرته وأظنه أخذه من كتاب « غرائب مجالس النحويين ». قال سئل الخليل بن احمد عن قول الله عز وجل « ثم لَنَنْزِعَنَّ من كلِّ شيعةٍ أيُّهُم أشَدُّ على الرحمنِ عِتيّا »[1] فقال هذا على الحكاية كأنه قال ثم لننزعن من كل شيعة الذي يقال ايهم هو أشد عِتِيا ، فقال سيبويه هذا غلط وألزمه أن يجيز « لأضربنَّ الفاسق الخبيث » بالرفع على تقدير لاضربن الذي يقال له هو الفاسق الخبيث ، وهذا لا يجيزه أحد . وقال يونس بن حبيب الفعل ملغى ، و « أي » مرفوع بالابتداء ، و « أشد » خبره ، كما قلت قد علمت أيهم عندك قال سيبويه وهذا أيضا غلط ، لانه لا يجوز ان يلغى الا أفعال الشك واليقين ، نحو ظننت ، وعلمت ، وبابهما . وقال الفراء: ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد ، أي لننزعن بالنداء فننادي ايهم أشد على الرحمن عتيا . وله فيه قول آخر وهو انه قال يجوز ان يكون الفعل واقعاً على موضع « من » كما تقول أصبت من كل طعام ، ونلت من كل خير ، ثم تقدر ننظر أيهم أشد على الرحمن عتيا. وله فيه قول ثالث قال يجوز ان يكون معناه ثم لننزعن من الذين تشايعوا ينظرون بالتشايع أيهم أشد على الرحمن عتيا ، فيكون: «أي» في صلة التشايع . قال واجود هذه الاقاويل قول سيبويه ، والقول الاخير من أقوال الفراء ، ففي الآية ستة أقوال ثلاثة للبصريين ، وثلاثة للكوفيين . قال سيبويه « ايهم » ههنا بتأويل « الذي » وهو في موضع نصب بوقوع الفعل عليه ولكنه بني على الضم لانه وصل به

---

(١) سورة مريم ، الاية ٦٩

الذي واخواته لانه وصل باسم واحد ولو وصل بجملة لاعرب فـ « اشد » خبر مبتدأ مضمر تقديره هو أشد ، و « عتيا » منصوب على التمييز ولو أظهر المبتدأ لنصب « اي » فقيل « لننزعن من كل شيعة ايهم هو اشد »[1]

هذه بعض النقول التي ذكرت في الكتب المختلفة عن التذكرة وموضوعاتها وطريقة أبي حيان في معالجتها . ويظهر لنا ان أبا حيان اعتمد في تذكرته على كتب كثيرة كشأنه في كتبه الاخرى . ومن الكتب التي استفاد منها غرائب مجالس النحويين ، وكتاب سيبويه ، والبديع لمحمد الغزني ، وأهم الرجال الذين نقل عنهم الحسين بن هبة الله الدينوري المعروف بالجليس النحوي وغيره من النحاة منذ عهد سيبويه حتى زمانه .

ولاهمية كتاب « التذكرة » وقيمته العظيمة اعتمد عليه السيوطي واكثر من النقل عنه في « بغية الوعاة » و « الاقتراح » و « الاشباه والنظائر » و « همع الهوامع »[2] . وأشاد بها واعترف بالنقل عنها فقال « والتذكرة في العربية في اربع مجلدات كبار ، وقفت عليها وانتقيت منها كثيراً »[3] .

وألف تلميذ أبي حيان خليل بن ايبك الصفدي كتابا سماه « التذكرة الصفدية » على غرار ما كتبه استاذه وهي في أكثر من خمسين جزءاً[4] .

٢ ـ القول الفصل في أحكام الفصل :

ومن كتب أبي حيان النحوية كتاب « القول الفصل في أحكام

---

(١) الاشباه والنظائر ج٣ ص ١٦ ـ ١٧

(٢) ينظر بغية الوعاة ص ١٢٢ ، ٢٣٧ ، والاقتراح ص ١٠ ، ١٢ ، والاشباه والنظائر ج٣ ص ١٦ ـ ١٧ ، وهمع الهوامع ج١ ص ١٠

(٣) بغية الوعاة ص ١٢٢

(٤) تأريخ الادب العربي في العراق ج١ ص ٢٨١

الفصل » وقد ذكره أبو حيان في اجازته للصفدي سنة ٧٢٨ هـ ، وذكره معظم الذين كتبوا عن أبي حيان[١] .

والكتاب رسالة صغيرة في نحو سبع ورقات الفها في أحكام الفصل، وقد ذكرها في « البحر المحيط » ، فقال « وأحكام الفصل وحكمة المجيء به مذكورة في كتب النحو ، وقد جمعت أحكام الفصل مجردة من غير دلائل في نحو من سبع ورقات »[٢] . وقال « واحكام الفصل ومسائله والخلاف الوارد فيها كثير جدا وقد جمعنا فيه كتابا سميناه بـ « القول الفصل في أحكام الفصل » ، واودعنا معظمه شرح التسهيل من تأليفنا »[٣] . وقال في تفسير قوله تعالى « انك انت السميع العليم »[٤] . يجوز في « انت » الابتداء والفصل والتأكيد ، وقد تقدم الكلام في الفصل وفائدته ، وهو من المسائل التي جمعت فيها الكلام في نحو من سبع اوراق أحكاما دون استدلال ، وهاتان الصفتان متناسبتان هنا غاية التناسب »[٥] .

٣ ـ الشذرة :

ذكر أبو حيان في اجازته للصفدي انه الف كتابا تاما في النحو سماه « الشذرة » ، وقد سماه بعضهم « الشذرة الذهبية » وسماه ابن شاكر الكتبي « الشذور »[٦] . ولا نعرف عن هذا الكتاب شيئا لان مؤلفه لم ينقل عنه في كتبه ، وقد ذكر الحاج خليفة انه مختصر كتاب البيضاوي وقد شرحه بعضهم[٧]

---

(١) ينظر نكت الهميان ص ٢٨٣ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، وكشف الظنون ج٢ ص ١٩٩ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، وتأريخ الادب العربي في العراق ج١ ص ١٨٢

(٢) البحر المحيط ج١ ص ٤٤

(٣) البحر المحيط ج٨ ص ٣٦٧

(٤) سورة البقرة ، الاية ١٢٧ ، وسورة آل عمران ، الاية ٣٥

(٥) البحر المحيط ج١ ص ٣٨٨

(٦) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، وكشف الظنون ج٢ ص ١٠٢٨ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٣ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١

(٧) كشف الظنون ج٢ ص ١٠٢٨

٤ ـ شرح كتاب سيبويه :

وذكر أبو حيان في اجازته ان له كتابا كاملا باسم « شرح كتاب سيبويه »[١] ولا نعلم شيئا عنه لاننا لم نعثر على نقول منـــه أو على نسخة مخطوطة .

٥ ـ التجريد لاحكام سيبويه :

ولابي حيان مؤلف سماه « التجريد لاحكام سيبويه » جرد فيه كتاب سيبويه[٢] وقد ذكره في اجازته للصفدي وقال انه من مؤلفاته الكاملة ، ولم نعثر على نصوص منه في كتب أبي حيان أو في الكتب الأخرى .

٦ ـ كتاب الأسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار :

ولخص أبو حيان شرح كتاب سيبويه لابي الفضل البطليوسي قاسم بن علي المشهور بالصفار (٦٣٠هـ) بكتاب سماه « الاسفار الملخص من شرح سيبويه » ، وقد ذكره في اجازته للصفدي[٣]

٧ ـ نهاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب :

ومن مؤلفات أبي حيان التي قال عنها في اجازته انها لم تكمل حتى سنة ٧٢٨هـ ارجوزة في علمي التصريف والاعراب سماها :«نهاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب » وقد أشار اليهـــا في كتاب « الارتشاف » وكتاب « منهج السالك » ونقل عنها أبياتا ، ونقـــل السيوطي بعض أبياتها في « الاشباه والنظائر » .

يقول أبو حيان في « الارتشاف » « وان كـــانت الصفـــة غير

---

(١) ينظر نكت الهميان ص ٢٨٣ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٢٦١ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٦

(٢) ينظر نكت الهميان ص ٢٨٣ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، وطبقات الشافعية ج٦ ص ٣٢ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٦ ، وشـــذرات الذهب ج٦ ص ١٤٧

(٣) ينظر فوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، ونفح الطيب ج٣ ص٣٠٦، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٧،وكشف الظنون ج٢ ص ١٤٢ ، وهدية العارفين ج٢ ص١٥٢.

مقرونة بـ « أل » وصرحت بالرابط نحو « حسن وجه منه »و«حسن وجه أخ منه » فالرفع ، ويجوز الجر والنصب ضرورة • أو لم تصرح فالاختيار الخفض نحو « حسن وجه » ويجوز النصب نحو «حسن وجها » ويمتنع الرفع ، واجازه الكوفيون وبعض البصـريين •• أو غير مثناة ولا مجموعة ذلك الجمع نحو « الرجل الحسن وجهـه » فالرفع ، ويجوز النصب ضرورة ويمتنع الجر • او غير مقرونة بأل نحو: « حسن وجهه » فالرفع ويجوز النصب والجر ضـرورة واجازهمـا الكوفيون ومنع المبرد والجرمي • وتلقفنا عن شيوخنا ان ما تكرر فيه الضمير من المسائل او عري منه فهو ضعيف ، وما وجد فيه ضميرواحد قوي الا ما وقع الاتفاق على منعه وهو مثل « الحسن وجهـــه » و « الحسن وجه » •

وقد نظمت هذا الذي تلقفناه في ارجوزتي المسماة « غـــاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب » ولم تكمل فقلت

عرّفهما أو نكرّن أو عرّفن ... للوصفِ أو معموله ولتُعرِبَن
معموله بضمةٍ أو كسـره ... فتحة تبلغها ثماني عشـــره
يقبح ماحذفت منـه المضمرا ... أو كان فيه مضمـر تـكررا
ونحو داجي شعره قد وردا ... نثراً ونظما فاتـرك المبـردا
ونصب شعره دليـل الجر ... والنصب في النثر أتى والشعر
ويمنع اثنانكهِم بالحَسَنِ ... عذارُه لا بالقبيـــح ذقن[1]

ويقول عن نائب الفاعل « وذكر المتأخرون البواعث على حذف الفاعل ، وقد نظمت ذلك في ارجوزتي في قولي

وحذفه للحول والابهـــامِ ... والوزن والتحقير والاعظـام
فالعلم والجهل والاختصـار ... والسجع والوفاق والايثار[2]

ويقول في مسوغات الابتداء بالنكرة « وقد ذكرت جملة من

(١) الارتشاف ص ٣٣٦ب ، وينظر منهج السالك ص ٣٦٠ ــ ٣٦١
(٢) الارتشاف ص ١٦٦ ــ أ

هذه المسوغات في ارجوزتي المسماة بـ « نهـــايه الاغراب في علمي التصريف والاعراب » ثم ذكرت ان جميعها راجع الى مسوغين اثنين فقلت

وكل ما ذكـــرت في التقسيم يرجـــع للتخصيص والتعميم

ولولا الغرض في هذا الكتاب الاختصار لاوضحت رجوع كل واحد من هذه المسوغات الى أحد هـــذين الوصفين اللذين همـــا التخصيص والتعميم »[1]

ونقل السيوطي أبيات أبي حيان في جموع التكسير فقال «قال أبو حيان في حصر جموع التكسير واسماء الجموع واسم الجنس

لجمع قليل في المكسَّر أفعُل	وأفعِلَة أفعال في كثرة فُعَل
وبالتا وفُعْل والفعال فعولى	وبالتا هما الفَعال فعّل مع فِعل
وبالتا وفعلى ثم فعلى وافعلاء	فعلان فعلان فواعل مع فعَل
فعالىّ فعّالى فعالى فعـــائل	ومع فعلاء فعلة هكذا تقـــل
فعالى وما ضاهى وزان مفاعل	وثمت ولاسم الجمع فعلة مع فعل
فعالة فعلان وفعلة مع فعـــل	وفعلاء مفعولاء مفعلة فعـــل
وبالخلف فعل مع فعيل وفعلة	وبالفتح عيناً مع فعال فعل فعل
وقاعدة اسم الجنس ماجاء فرده	بيا أو بتا والعكس في التاء قل وقل[2]

ولا ندري ان كانت هذه الابيات من الارجوزة المذكورة أم من غيرها • فليس لدينا اشارة توضح لنا ذلك •

٨ـ فضل النحو :

ذكر الاستاذ بلانثيا ان لابي حيـــان كتابا في النحو باسم « فضل النحو » وانه أحد الكتابين الباقيين من كتبه ، وانه مخطوط في مكتبة برلين[3] • ولم نجد اشـــارة الى هـــذا الكتاب ، ولم يذكره أبو حيان في اجازته أو في كتبه الاخرى •

(١) منهج السالك ص ٤٥

(٢) الاشباه والنظائر ج٢ ص ١٢٦ ويلاحظ ان القصيدة ليست من الرجز ولعلها من منظومة اخرى

(٣) ينظر تأريخ الفكر الاندلسي ص ١٨٨ ـ ١٨٩

كتب في لغـات مختلفة

ولم يقتصر أبو حيان على التأليف في اللغة العربية وانما ألف كتبا في التركية والفارسية والحبشية وغيرها . وكتبه عن هذه اللغات هي

١ ـ الافعال في لسان الترك :

ومن كتب أبي حيان التي ألفها في الصرف والنحو في غير اللغـة العربية كتاب « الافعال في لسان الترك » وهو من كتبه المفقودة، وقد ذكره في اجازته للصفدي سنة ٧٢٨ هـ وقال انه من كتبه الكاملة[١] وذكره في كتابه « الادراك للسان الاتراك » في عدة مواضع[٢] .

٢ ـ الادراك للسان الاتراك :

الف أبو حيان كتابا آخر في اللغة التركية سـماه « الادراك للسان الاتراك » وقد بدأه بمقدمة بيّن فيها سبب تأليفه وترتيبه وعمله فيه ، يقول « الحمد لله المسبح بكل لسان ، المنزه عن سمات النقصان، شامل المخلوقات بالفضل والاحسان ، واهب العقل والتبيان ، المبعوث الى الامم بخير الاديان ، المفضل على سائر الانس والملل والجان ،محمد

---

(١) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٧ وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٣ ، وتأريخ الادب العربي في العراق ج١ ص١٨٢.

(٢) ينظر الادراك للسان الاتراك ص ٦٦ وغيرها مخطوطة دار الكتب

الهادي الى سبيل الصواب وعلى آله الطيبين اولي الهدى والأيمان ، والرضى عند صحبه ناصري أهل الحق وقامعي أهل الطغيان •

وبعد فان ضبط كل لسان يحصل بمعرفة ثلاثة أشياء أحدها مدلول مفردات الكلم ويسمى « علم اللغة » • والثاني أحكام تلك المفردات قبل التركيب ويسمى « علم التصريف » • والثالث احكامها حالة التركيب ويسمى عند المتكلمين على اللسان العربي « علم النحو » • وكنت قد صنفت ولخصت في علوم اللسان العربي كتبا كثيرة منها كتاب « التقريب » ، وكتاب « المبدع » ، و « الموفور » ، و « غاية الاحسان » ، و « النكت الحسان » ،وكتاب: « التدريب » ، وغير ذلك من التصانيف التي تشنف الاسماع وتشرف الطروس والرقاع • والغرض في هذا الكتاب ضبط جملة عالية من لسان الترك لغة وتصريفا ونحوا ، وقد ضبطت هذا اللسان حرفا حرفا، ورتبت الكلام في اللغة على حروف المعجم باللسان التركي فاذكراللفظة التركية واتبعها بمفرداتها من اللغة العربية ثم اردفه بعلم التصريف ثم بعلم انحو ، فما كان فيه من علم اللغة فمأخوذ عمن أثق به في باب النقل وفي الترتيب الغريب والتلخيص العجيب ، وما كان فيه من علم التصريف ومن علم النحو فهو مما لم أنسج فيه على منوال ، بل استخرجته من القوة الى الفعل بالتطلب والسؤال ، فبلغت بلطيف الادراك الى أحسن مراد ، وحصلت بكثرة السؤال أوفر مطلب وأوفى مراد،وجنيت من رياض هذا اللسان فوائد الذ من الجنى،واستخرجت من مجاز علومه فوائد هي غاية المنى ، وادركت به الأمل من هذا اللسان ، وجزت فيه قصب سبق الرهان ، لذلك سميت كتابي هذا « الادراك للسان الاتراك » ، ووضعت علامة للموقوف (ق) ، وللمقحم (ح) ، وللمنسوب : (س) ، وللمنقول من لسان الفرس (ف) ، ومن لسان التركمان (ت) ، وما وجدته في كتابي هذا مضبوطا ورأيت من يتكلم بلسان الترك يخالفه في زيادة حرف أونقصه أو تغيير حركة بحركة او تحريك مسكن أو تسكين محرك او غيرذلك

فلتعلم ان ذلك منه لحن في هذه اللغة اذ قد يعير منها كثير في هـذه البلاد لمخالطة المستعربة وغيرهم من الاعاجم • وحصرت هذا في ثلاث جمل ، الجملة الاولى في اللغات ، والجملة الثانيـة في التصريف ، والجملة الثالثة في النحو » [١] •

أما مادة الكتاب فقد رتبها كما أشار في المقدمة على ثلاث جمل

الاولى في اللغات ، والثانية في التصريف ، والثالثة في النحو •

رتب الجملة الاولى على حروف المعجم في اللغة التركية ، وطريقته فيها ان يبدأ بالكلمات المبدوءة بالهمزة فيقول « إرَسَّـلَ إدي مشترك بين أرسلَ وكانَ ، فاذا كانت بمعنى « أرسَـل » كانت متصرفة ، واذا كانت بمعنى « كان» لم يتصرف منها بغيرالماضي»[٢] • ثم الهمزة مع الباء أب (س) قبله ، أب عيب • أبطر :علم يسمى به • أبب الأم ، وأصله للجدة ويقال للأم على طريقةالتحنن • ابجي (س) المرأة • أبـَق الشديد البياض ، أصله أباق ، كما قالوا صبصـري فكرروا أول الكلمة في الالوان اذا ارادوا المبالغـة ، وزادوا بعده ياء •• ثم يذكر المبدوءة بالهمزة مع التاء ، ومع الجيم ، الى آخر الحروف • ويذكر الكلمات المبـدوءة بحرف البـاء الخالصة والمشوبة ، ويقرر انه ليس في التركية كلمات مبدوءة بالباء مع الباء[٣] • ويمضي يستعرض الالفاظ التركية حسب حروف الهجاء •

والجملة الثانية في التصريف وقد عرفه بانه علم باحكام الكلمة قبل تركيبها مع كلمة اخرى والكلمة ناشئة من حروف المعجم ،وحروف المعجم في اللغة التركية ثلاثة وعشرون حرفا وهي الهمزة ، والباء الخالصة ، والباء المشوبة ، والتاء ، والجيم الخالصة ، والجيم المشوبة، والدال ، والراء ، والزاي ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ،

---

(١) الادراك ص ٢ ــ ٣
(٢) الادراك ص ٣
(٣) الادراك ص ١٢ ــ ب •

والطاء ، والعين ، والقاف ، والكاف الخالصة ، والنون الخيشومية ، والواو ، والياء . ومتى وجد حرف غير هذه في كلمة فيعلم أن تلك الكلمة غير تركية بل منقولة من لغة غيرها الى هذه اللغة وذلك مثل اخبثم ، وفرمن ، وفرشتلا ، وكلف ، وغير ذلك.

ويعرف أبو حيان الكلمة بقوله:« والكلمة قول او مَنْوِيٌ معه موضوع لمعنى وهو اسم وفعل وحرف ، والاسم احادي وثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي ، فالاحادي متحرك بضمة ومتحرك بفتحة ومتحرك بكسرة مثال ذلك صُو وبا وجي ، والحروف التي بعدها اشباع وليست اصلا ، وكذلك جميع حروف المد واللين الثلاثة لايكون شيء منها اصلا في هذه اللغة بل انما هي نواشي عن اشباع الحركات »[1] .

ويتكلم بعد ذلك على أبنية الاسماء ، وهي ثلاثة احادية ، واثنا عشر بناء ثنائيا، والابنية الثلاثية كثيرة ، والمسموع منها:ستة وعشرون بناء ، ثم الابنية الرباعية وهي كثيرة والمسموع منها ثلاثة وثلاثون بناء، والابنية الخماسية كثيرة والمسموع منها ثلاثة وعشرون بناء ، ثم الابنية السداسية : منها المركب ومنها البسيط . وابو حيان حينما يذكر هذه الابنية يمثل لكل بناء مسموع منها . ثم يذكر أبنيةالفعل وهي احادية وثنائية وثلاثية ورباعية وما سمع من الخماسي . ويتكلم على الحروف وهي أصلية وزائدة ، وعلى الاحكام التي تكون للكلمة ، وهي الاحكام التي لها حالة الافراد وهي قسمان : قسم مختص بالاسم ، وآخر مختص بالفعل ، والاول : التصغير ، والنسب ، والجمع ، واسم الفاعل ،والمبالغة فيه ، والزيادة للتفضيل ، واسم المفعول ، والمصدر ، والمكان ، والآلة، والهيئة ، والاعداد . والقسم الثاني حرف الفعل ، وحرف المطاوعة ، وحرف الاتحاد ، وحرف المشاركة ، وحرف المضارعة ، وحرف المعنى.

والجملة الثالثة في النحو وهي القول في الاحكام التركيبية

---

(١) الادراك ص ٤٧ ب ، ٤٨ ــ أ

وقد تكلم فيها على الكلام ومعناه ، والعلم وانواعه ، واسم الاشارة والفاظها ومعانيها وما اشترك منها مع الضمائر ، والاسماء الموصولة والفاظها وانواعها وانواع الصلة ، والمضاف وأنواع الاضافةومواقعها ، والفعل واشتقاقه ، والمبتدأ والخبر ، والنواسخ ، واستعمال الفعل متعديا ، والفاعل ، والاستفهام وادواته ، والنهي ، ونائب الفاعل ، والمصدر ، والظروف ، والمفاعيل ، والحال ، والمستثنى ، والتمييز ، والقسم ، والتنازع ، والاضافة بغير حرف المضاف ، والتأكيد ،والبدل، والشرط ، والحكاية ، والحروف .

ونَبَّهَ أبو حيان في هذا الكتاب الى ما يختلف فيه اللغة والنحو والصرف التركي عن العربي ، ومن ذلك الاختلاف في حروف المعجم فهي في التركية ثلاثة وعشرون حرفا وقد سقطت منها الثاء والحاء والخاء والذال والضاد والظاء والعين والهاء والفاء . وتختلف اللغة التركية عن العربية بنوع أحرف البدل والزيادة والحذف وعددها ، فاحرف البدل في العربية كثيرة في حين انها في التركية قليلة وهي :الهمزة والقاف والسين والدال والصاد والتاء والباء والزاي . والحذف قليل في هذه اللغة كذلك والحروف التي تحذف فيها هي الدال والياء والراء والهمزة والقاف . وحروف الزيادة في اللغة العربية عشرة هي الهمزة والميم والالف والنون والواو والتاء والسين والهاء والياء واللام . في حين انها في التركية ستة عشر حرفا هي الراء والنون والسين والباء والتاء والجيم والدال والزاي والقاف والكاف والغين والياء والميم والشين واللام والواو[١] .

وهناك اختلاف في كثرة بعض الحروف وقلتها في الكلام فحروف لغتنا كلها موجودة في الاسماء والافعال والحروف في حين اننا نجد اللام قليلة في اللغة التركية في الاسماء ، واما الافعال فلا تكاد توجدفيها

(١) الادراك ص ٦١ ب ، ٦٢ ، ٥٦ ب

واما في الحروف فلا يحفظ منه الا قولهم :«لي»بمعنى: «لعلّه »[1].

وحروف المد في العربية ثلاثة وهي الالف والواو والياء ، وهي حروف مد أصلية ، وهذه الثلاثة هي نفسها حروف المد في التركية ولكنها ليست حروفا أصلية بل هي نواشيء عن اشباع الحركات الفتحة والضمة والكسرة[2] .

وتختلف أبنية الاسماء والافعال في اللغتين ، ففي العربية نجد الاسماء المتصرفة أقل ما تتركب من ثلاثة أحرف ولا تزيد الاصول عن خمسة أحرف ، في حين نجدها في التركية احادية وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ، وقد نطقوا باسماء سداسية وهي قليلة بعضها مركب وبعضها بسيط ، وقد ذكرها أبو حيان مع اوزانها متخذا من الميزان الصرفي في العربية وزنا لها [3] .

والفعل المجرد في العربية اما ثلاثي أو رباعي ولا يأتي على أقل من ذلك الا بحذف ، ولا على اكثر من ذلك إلا بزيادة ، في حين نجده في التركية يكون احاديا وثنائيا وثلاثيا ورباعيا[4] . وقد نطقوا بافعال خماسية وهي قليلة جدا . وقد ذكر أبو حيان أبنية الافعال متخذا من الميزان الصرفي في العربية مقياسا . ثم قال بعد ذلك « وهذه الابنية انما وزناها وقابلناها بهذه الامثلة لنحصرها ، وينبغي البحث عن كل بناء منها حتى يعرف الحرف الاصلي من الزائد فيقابل على الاصلي بالاصلي والزائد بالزائد »[5]

وتختلف النكرة في التركية عن العربية ، فهي في الاولى شائعة وهي على قسمين مفردة اللفظ ومركبة ، فالمفرد نحو « أر » و « أت » ، والمركب تارة يكون مركبا من اسمين وتارة

---

(١) الادراك ص ٤١

(٢) الادراك ص ٤٨

(٣) الادراك ص ٤٧ ب ، ٤٩ ب

(٤) الادراك ص ٤٩ ب ، ٥٠

(٥) الادراك ص ٥٠

من أكثر من ذلك ، بخلاف النكرة في لسان العرب فانها لا توجد مركبة أصلا . وليس في التركية أداة مثل « أل » للتعريف[1] .

وفي التركية أدوات مثل « ليت » واخواتها الا « لعل »و « كأن» فلا وجود لهما فيها ، ويعبر عن معناهما بالفعل فيقال في معنى «لعل»: « بـلْـغى » ، بمعنى « يصير » ،ويقال في معنى « كأنّ » « أفتر» ، أي « يشبه »[2] .

وحروف الاضافة أو حروف الجر تأتي قبل المجرور في العربية ،أما في التركية فانها تأتي آخراً،والاتراك يأتون باداة الشرط والاسم عندما يستفهمون بالاسم في حين يضمن الاسم معنى الشرط في العربية[3] .

وتختلف المفاعيل في التركية عن العربية فالمفعول به في الاولى اما ان يكون ظاهرا أو مضمرا ، فان كان ظاهرا فان « ني » تكون علامة النصب في هذا المفعول الصريح ، واما فيما يتعدى في لسان العرب الى اثنين فانه يتعدى في هذا اللسان الى أحدهما بـ « ني » والى الآخر بـ « نما » و « كا » ، فتلحق في الثاني الذي هو مفعول أول في اللسان العربي « نما » ، وفي الاول الذي هو ثان في اللسان العربي « ني »على الاصل ولا يجوز العكس[4] .

واختلف في أصل المشتقات في العربية فذهب البصريون الى أن المصدر هو الاصل ، وذهب الكوفيون الى ان الفعل هو الاصل ، ولكن الاتراك يرون ان فعل الأمر هو أصل المشتقات ، والماضي والمضارع واسم الفاعل واسم المفعول والمصدر واسم المكان واسم الهيئة واسم الآلة فروع وهي مشتقة من الأمر[5] .

---

(١) الادراك ص ٦٥
(٢) الادراك ص ٧٢
(٣) الادراك ص ٩٧
(٤) الادراك ص ٨٢ ب ، ٨٣
(٥) الادراك ص ٦٥ ب

والأمر للمتكلم في اللسان التركي كثير جدا بينما نراه في العربية قليلا جدا . وليس في التركية اسم زمان مشتق من الفعل ، وانما اسم المكان هو الذي يشتق منه[1] .

هذه أمثلة من الفروق التي أشار اليها أبو حيان في كتابه « الادراك » بين نحو التركية وتصريفها ، وبين نحو العربية وصرفها ، وهي تدل دلالة واضحة على ان هذا الرجل كان واسع الاطلاع بالعربية والتركية وغيرهما من اللغات الاجنبية .

ولم يذكر أبو حيان زمن تأليف هذا الكتاب وان اشار الى انه ألفه بعد : « التقريب » و « المبدع » و « الموفور » و « غاية الاحسان » و « النكت الحسان » و « التدريب » و « الافعال في اللغة التركية » . ويبدو انه الفه بعد ان استقر في مصر وخالط الاتراك الذين كانوا ملوك عصره وأمراء زمانه .

وقد طبع كتاب « الادراك » في الاستانة سنة ١٣٠٩هـ باسم « الادراك في لسان الاتراك » ، والف في هذه الفترة ابن مهنا العراقي كتاباً في التركية هو « حلية اللسان » ، وقد قال الاستاذ عباس العزاوي عن هذين الكتابين ان موضوعهما متقارب وان كانت هنالك فروق في اللهجة ، ويصح ان يكون كل منهما مكملا للآخر[2] .

ومن هذا الكتاب نسخة محفوظة في معهد احياء المخطوطات وقد كتبت في شهر رمضان سنة ٨٠١ هـ ، وهي مصورة عن جامعة استانبول مسطرتها ١٥ × ٢٠ سم . وكتب في الصفحة الاولى منها تمليكات ، فقد ملكه محمد بن علي عمر الصفدي الحنفي ، واحمد بن عمر الشافعي المشهور بابن الرعيني نائب الحكم العزيز بمدينة اللاذقية . وجاء في نهايتها « نجز ما قصدنا من هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على

---

(١) الادراك ص ٥٤ ب ، ٦٦

(٢) تأريخ الادب العربي في العراق ج١ ص ١٢٢ـ ١٢٣

سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، و « الحمد لله وهو حسبي ، الفقير الى الله تعالى احمد بن عمر الشافعي لطف الله به النائب في حكم العزيز بمدينة اللاذقية المحروسة في مفتتح ربيع جمادى الاولى من شهور سنة خمس وثمانمائة . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة وشفيع الأمة وعلى آله وصحبه وسلم ، وحسبنا الله وكفى » .

وانه لعمل جبار ـ يستحق عليه أبو حيان الثناء والتقدير ـ أن يكتب في نحو التركية وصرفها وان يصور لنا بكتابه « الادراك » ما كانت عليه هذه اللغة في القرن السابع الهجري وما بعده ، ويستطيع الباحث في التركية أن يستفيد منه في الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية الجديدة وان يعمل على المقارنة بين اللغة التي ذكرها أبوحيان واللغة التي ينطق بها الاتراك اليوم . ونحن بعد هذا لن نذهب مع أولئك الذين اعتبروا عمل أبي حيان عبثا لا طائل وراءه ، يقول الشريف ابن راجح : « رأيت ان ما وضعه الشيخ أبو حيان في تقديم لسان الاتراك تضييع لعمره ، وقلت

نفائس الأعمار أنفقتها ... أنا وأمثالي على غير شي
شيوخ سوء ليس ترضى بما ... يرضى به من المخازي صبي[1]

٣ـ زهو الملك في نحو الترك :

ولابي حيان كتاب ثالث في اللغة التركية سماه « زهو الملك في نحو الترك » ، وقد ذكره في اجازته للصفدي سنة ٧٢٨ هـ وفي اجازة كتبها لعبدالصمد البغدادي عدد فيها لنفسه عدة مؤلفات منها هذا الكتاب[2] ، وهو من كتبه المفقودة .

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٣٤٠

(٢) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٦ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، وفي فوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، وكشف الظنون ج٣ ص ٩٦٢ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٧ ، وفهرس الفهارس ج١ ص ١٠٩ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٣

٤ ـ منطق الخرس في لسان الفرس :

ولم يقتصر تآليف أبي حيان في الألسن الاجنبية على التركية وانما الف كتباً في لغات أخرى منها كتاب في اللغة الفارسية سماه « منطق الخرس في لسان الفرس » وقد ذكره معظم من ترجموا لابي حيان ، وذكره أبو حيان نفسه في اجازته للصفدي ، وذكره الاستاذ عباس العزاوي ضمن الكتب التي ألفت في المعربات لعهدي المغول والتركمان[1] .

٥ ـ نور الغبش في لسان الحبش :

وألف في اللغة الحبشية كتابا سماه « نور الغبش في لسان الحبش » وهو من كتبه المفقودة، وقد ذكر ابو حيان انه من كتبه التي لم تكمل حتى سنة ٧٢٨هـ ، وذكر الصفدي في « نكت الهميان » انه رجز[2] .وذكره أبو حيان في « البحر المحيط » باسم « جلاء الغبش في لسان الحبش » ، يقول « وقد تكلمت على كيفية نسبة الحبش في كتابنا المترجم عن هذه اللغة المسمى بـ « جلاء الغبش عن لسان الحبش »[3] ، وقارن بين النسبة في لغة الاحباش والعربية ، يقول في الكلام على اشتقاق كلمة « كوكب » « وقال الصاغاني حق لفظ كوكب ان يذكر في تركيب « و . ك . ب » عند حذاق النحويين فانها صدرت بكاف زائدة عندهم ، الا ان الجوهري اوردها في تركيب « ك . و . ك . ب » ولعله تبع فيه الليث فانه ذكره في الرباعي ذاهبا الى ان الواو أصلية . انتهى .

وليت شعري مَنْ حذاق النحويين الذين تكون « الكاف » عندهم

---

(١) ينظر نكت الهميان ص ٢٨٣ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، وتأريخ الادب العربي في العراق ج١ ص ١٢٨

(٢) ينظر نكت الهميان ص ٢٨٤ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، ودائرة المعارف الاسلامية ج١ ص ٣٣٣ ، وكشف الظنون ج٢ ص ٩٨٣ ، والاعلام ج٨ ص ٢٦

(٣) البحر المحيط ج٤ ص ١٦٣

من حروف الزيادة فضلا عن زيادتها في أول كلمة • فاما قولهم هندي وهندكي في معنى واحد وهو المنسوب الى الهند ، قال الشاعر

ومقرونة دهم وكمت كأنهـا   طمـاطم يوفون الوفازهنادك

فخرجه أصحابنا على ان « الكاف » ليست زائدة لانه لم تثبت زيادتها في موضع من المواضع فيحمل هذا عليه ، وانما هو من باب سـبط وسبطر ، والذي اخرجه عليه ان من تكلم بهذا من العرب ان كان تكلم به فانما سرى اليه من لغة الحبش لقرب العرب من الحبش ودخول كثير من لغة بعضهم في لغة بعض • والحبشة اذا نسبت الحقت آخر مـا تنسب اليه كافا مكسورة مشوبة بعدها ياء ، يقولون في النسب الى قندى قندكي ، والى شواء شوكي ، والى الفرس الفرسـكي • وربما ابدلت تاء مكسورة ، قالوا في النسب الى جبرى جبرتي • وقد تكلمت على كيفية نسبة الحبش في كتابنا المترجم عن هذه اللغة المسمى بـ « جلاء الغبش عن لسان الحبش » • وكثيرا ما تتوافق اللغتان لغـة العرب ولغة الحبش في الفاظ وفي قواعد من التراكيب نحوية كحروف المضارعة وتاء التأنيث وهمزة التعدية »[1] •

من هذا النص الذي نقلناه عن« البحر المحيط »نستطيع ان نقول ان أبا حيان الف هذا الكتاب على غرار كتابه «الادراك للسان الاتراك» •

ولا ندري ان كان ابو حيان قد سـافر الى الحبشة واطلع على لغتها وقواعدها ام ان الحبشة هي السودان التي ذكرنا زيارته لها عند كلامنا على حياته وتنقلاته •

٦ ـ المخبور في لسان البشمور :

وألف ابو حيان كتابا باسم « المخبور في لسان البشمور » ولم يكمل تصنيفه حتى سنة ٧٢٨ هـ كما ذكر في اجازته للصفدي ، وقـد

---

(١) البحر المحيط ج٤ ص ١٦٢ ـ ١٦٣

ورد في هذه الاجازة وفي جميع المصادر التي ذكرته باسم « المخبور في سان اليحمور »[1] . ولكن ابا حيان تكلم في«منهج السالك»على اللغة البشمورية عند كلامه على احرف المضارعة في العربية وتعليل النحاة كونها الياء والتاء والهمزة والنون ، ومقارنته اياها بالتركية والفارسية والحبشية والبشمورية يقول « وجعلت « البشمور » علامة لذلك ويقولون « أفـُو لـُبـُو » بمعنى « خرج » فاذا اردت معنى « يخرج » قلت « أفخـُو لـُبـُو » ، ومعنى « اخرج » « أخـُو لـُبو » ، ومعنى نخرج « أنـْخـُولـُبـُو » ، ومعنى « تخرج » « أتخـُو ُلـُبو »[2] .

☆ ☆

هذه كتب أبي حيان النحوية واللغوية ومنها يتضح ان هذا الرجل خاض غمار هذه الدراسات وهو مسلح بالعلم ، مزود بالثقافة العالية التي جمعت بين اللغة العربية ــ نحوها وصرفها وأساليبها ــ ، واللغات الاجنبية كالحبشية والتركية والفارسية والبشمورية وحبذا لو عثر على كتبه المفقودة في العربية وغيرها لنستفيد منها في دراسة النحو المقارن.

---

(١) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٨ ، ونكت الهميان ص ٢٧٤ ، واعيان العصر ج٢٧ والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، وفوات الوفيات ج٦ ص ٥٦٢ ، وايضاح المكنون ج٢ ص٤٤٦.

(٢) منهج السالك ص ٢٣٠

الفصل الثالث

آثار دينية وفي فنون مختلفة

لم يقتصر أبو حيان على التأليف في اللغة والنحو ، وانما تجاوز ذلك الى الدراسات القرآنية والدينية والتأريخية والنقدية . وقد ترك لنا كتبا كثيرة في هذه الفنون المختلفة وهي

في التفسير

ذكرنا في الفصل الاول ان أبا حيان اتجه الى الدراسات الدينية في مطلع حياته العلمية ، وكان لهذا أثر واضح في اتجاهه الى التأليف في تفسير القرآن الكريم ، وقد ترك في التفسير كتابين هما

١ ـ البحر المحيط :

البحر المحيط أكبر كتب أبي حيان الدينية ، وكان أبو حيان نفسه يسميه « الكتاب الكبير » ، ويقع في ثمانية أجزاء كبيرة ، وقد طبع في مصر سنة ١٣٢٨ هـ بمطبعة السعادة على نفقة سلطان المغرب الأقصى عبدالحفيظ ابن السلطان مولاي الحسن ابن السلطان سيدي محمد . وطبع على حاشيته كتاب « النهر الماد » لابي حيان نفسه

وهو مختصر للبحر المحيط ، وكتاب « الدر اللقيط من البحر المحيط» لتلميذه ابن مكتوم . وفي مكتبة ليدن مخطوطة من « البحر المحيط » لا نعرف متى كتبت وقد ذكرها بلانثيا في كتابه « تأريخ الفكر الاندلسي » من غير أن يصفها . وهي برقم OR٣٤٤ كما جاء في فهرس مخطوطات ليدن[1] . وفي مكتبة أيا صوفيا ، وجامع راغب باشا مخطوطتان أخريان من « البحر المحيط » ، وقد ذكرهما الاستاذجرجي زيدان من غير اشارة الى تأريخ نسخهما ، ولم يصفهما . وفي المكتبة العباسية بالبصرة أحد اجزائه ، وهو من مخطوطات القرن الحادي عشر[2]

ألف أبو حيان البحر المحيط بعد أن ألقى عصا التسيار في مصر ، وبعد ان عين مدرسا لعلم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور،وابتدأ بتأليفه في أواخر سنة ٧١٠هـ وهي اوائل السنة السابعة والخمسين من عمره في عهد الملك الناصر ، يقول « وما زال يختلج في ذكري ، ويعتلج في فكري ، اني اذا بلغت الأمد الذي يتغضد فيه الاديم ، ويتنغص برؤيتي النديم ، وهو العقد الذي يحل عرى الشباب ، المقول فيه اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ، ألوذ بجناب الرحمن ، واقتصر على النظر في تفسير القرآن ، فاتاح الله لي ذلك قبل بلوغ ذلك العقد ، وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد ، وذلك بانتصابي مدرساً لعلم التفسيرفي قبة السلطان الملك المنصور ، قدس الله مرقده ،وبل بمزن الرحمة معهده ، وذلك في دولة ولده السلطان القاهر الملك الناصر الذي رد الله به الحق الى أهله ، وأسبغ على العالم وارف ظله ، واستنقذ به الملك من غصابه ، واقره في منيف محله وشريف نصابه ، وكان ذلك في أواخر سنة عشر وسبعمائة وهي اوائل سنة سبع وخمسين

(١) ينظر تأريخ الفكر الاندلسي ص ١٨٨ ، وفهرس مخطوطات ليدن ص ٣٧

(٢) ينظر تأريخ آداب اللغة العربية ج٣ ص ٢٦٥ ، وفهرس مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة (القسم الثاني ص ٦) .

من عمري فعكف على تصنيف هذا الكتاب وانتخاب الصفو واللباب »[١] .

ولم يؤلف أبو حيان كتابه لأحد وانما ألفه لوجه الله تعالى ولوجه العلم ، يقول « فما لمخلوق بتأليفه قصدت ولا غير وجه الله به اردت، جعلت كتاب الله والتدبير لمعانيه أنيسي اذ هو أفضل مؤانس ، وسميري اذا أخلو لكتب ظلم الحنادس

نعمَ السمير كتابُ الله انَّ له حلاوةً هي أحلى من جَنَى الضَرَب
به فنونُ المعاني قد جُمعنَ فما يَفْتَنَّ من عجب إلا الى عَجَب
أمرٌ ونهي وأمثالٌ وموعظةٌ وحكمةٌ أُودِعت في أفصح الكتب
لطائفٌ يجتليها كلُّ ذي بَصَر وروضةٌ يجتنيها كلُّ ذي أدب[٢]

ويرى ابو حيان ان على المفسر ان يطلع اطلاعا واسعاً على علوم متعددة لان لكل علم ميزته وفضله ولا يستطيع المشتغل بعلم التفسير الاستغناء عنه « فبعلم النحو تعرف الاحكام التي للكلم العربية من جهة افرادها ، ومن جهة تركيبها ، وبعلم اللغة تعرف معاني الاسماء والافعال التي لا يفهم المقصود من كلام الله والفاظه الا بمعرفته والاطلاع عليه ، وبعلم الحديث يتعين المبهم ويتبين المجمل ، وسبب النزول والنسخ ، وباصول الفقه يعرف الاجمال والتبيين ، والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد ودلالة الامر والنهي وما اشبه ذلك ، وبعلم الكلام يعرف ما يجوز على الله تعالى وما يجب له وما يستحيل عليه ، والنظر في النبوة وفي الانبياء واعجاز القرآن ، وبعلم القراءات يعرف اختلاف الالفاظ بزيادة او نقص او تغيير حركة او اتيان بلفظ بدل لفظ وذلك بتواتر وآحاد[٣] .

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ٣
(٢) البحر المحيط ج١ ص ٤
(٣) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٥–٨

وقد اتبع ابو حيان في تفسيره طريقة سار عليها من أول الكتاب الى آخره ، وهي أن يبتديء أولا بالكلام على مفردات الآيـــة التي يفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج اليه من اللغة والاحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب ، واذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكر ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه . ثم يشرع في تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها حاشدا فيها القراءات شـــاذها ومستعملها ، ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية ، ناقلا أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها ، متكلما على جليها وخفيها بحيث لا يغادر منها كلمة وان اشتهرت الا ويتحدث عنها مبديا ما فيها من غوامض الاعراب ودقائق الآداب من بديع وبيان ، مجتهداً أن لا يكرر الكلام في لفظ سبقه ولا في جملة تقدم الكلام عليها ولا في آية فسرت بل يحيل في كثير منها على الموضع الذي أشار فيه الى تلك اللفظة أو الجملـــة أو الآية ، وان عرض تكرار فبمزيد فائدة ، ناقلا أقاويل الفقهاء الاربعـــة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني محيلا على الدلائل التي في كتب الفقه أو كتب اللغة والنحو . وربما يذكر الدليل اذا كان الحكم غريبا أو خلاف ما هو مشهور ، بادئا بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ ، منكبا في الاعراب عن الوجوه التي ينزّه القرآن عنها ، مبيناً انها مما يجب ان يعدل عنه ، وانه ينبغي ان يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب اذ كلام الله تعالى أفصح الكلام فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر الشماخ والطرماح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة . ثم يختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرها افرادا وتركيبا بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصا ، ثم يتبع آخر الآيات بكلام منثور شرح به مضمون تلك الآيات على ما يختاره من تلك المعاني ملخصا جملها أحسن تلخيص ، وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير ، وربما يُلِمُّ بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ

مع تجنبه لكثير من أقاويلهم ومعانيهم التي يحمّلونها الالفاظ ، وتركه أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الالفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة الى هذيان افتروه على الله تعالى وعلى الامام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وعلى ذريته وهو الذي يسمونه علم التأويل . وقد وقف على تفسير بعض رؤوسهم وهو تفسير عجيب يذكر فيه أقاويل السلف مزدريا عليهم ، ذاكرا انه ما جهل مقالاتهم ، ويفسر الآية على شيء لا يكاد يخطر في ذهن عاقل ويزعم ان ذلك هو المراد من هذه الآية . وهذه الطائفة لا يلتفت اليها عند أبي حيان ، وقد رد أئمة المسلمين عليهم أقاويلهم في علم أصول الدين .

هذا منهج أبي حيان في تفسيره الكبير ، وقد وضح عمله وجهوده بقوله « فعكفت على تصنيف هذا الكتاب ، وانتخاب الصفو واللباب ، أجيل الفكر فيما وضع الناس في تصانيفهم ، وانعم النظر فيما اقترحوه من تآليفهم ، فألخص مطولها ، واحل مشكلها ، واقيد مطلقها ، وافتح مغلقها ، وأجمع مبددها ، وأخلص منقدها واضيف الى ذلك ما استخرجته القوة المفكرة من لطائف علم البيان المطلع على اعجاز القرآن ، ومن دقائق علم الاعراب المغرب في الوجود أي اغراب ، المقتنص في الاعمار الطويلة من لسان العرب وبيان الأدب ، فكم حوى من لطيفة فكري مستخرجها ، ومن غريبة ذهني منتجها ، تحصلت بالعكوف على علم العربية ، والنظر في التراكيب النحوية ، والتصرف في أساليب النظم والنثر ، والتقلب في أفانين الخطب والشعر ، لم يهتد الى اثارتها ذهن ، ولا أصاب بريقها مزن ، وأنّى ذلك وهي أزاهر خمائل غفل ، ومناظر ما لمستغلق أبوابها من قفل ، في ادراك مثلها تتفاوت الافهام وتتبارى الاوهام »[1] .

وفي « البحر المحيط » مادة غزيرة الى جانب كشف معاني الآيات القرآنية وتوضيحها ، فقد اهتم فيه باللغة والنحو والصرف والقراءات

---

(1) البحر المحيط ج١ ص ٣

واللهجات ، ورد على الفرق المختلفة وذكر معلومات كثيرة عن الاندلس وغيرها من الاقطار الأسلامية والعربية ، وبذلك يكون هذا التفسير مهماً في كثير من الدراسات الدينية والعقائدية واللغوية والتأريخية • وسنوضح هذه النواحي بأمثلة تبين وجهة نظر أبي حيان في هذه الامور وتكشف عن ثقافته الواسعة وتفكيره السليم بعد أن نذكر مصادر الكتاب •

مصادر البحر المحيط :

اعتمد أبو حيان في « البحر المحيط » على كتب كثيرة في موضوعات مختلفة ، ونقل الآراء الفقهية والنحوية واللغوية عن العلماء المشهورين ، وذكر الروايات التي ساعدته على التفسير عن طرق متعددة • ومن أهم كتب التفسير التي اعتمد عليها كتاب: « الكشاف» للزمخشري وتفسير ابن عطية وكتاب « التحرير والتحبير » لابن النقيب ، ونقل عن تفسير أبي جعفر الطوسي أحد علماء الامامية ،وعن تفاسير السدي ، وأبي البقاء ، ومكي بن أبي طالب ، وعبدالله الرازي ، وعلي بن احمد النيسابوري ، وتاج القراء ، وأبي نصر عبدالرحيم القشيري •

وأهم الكتبالتي اعتمدعليها فيالمسائل الفقهيه كتاب:«المحصول» لابي عبدالله محمد بن عمر الرازي ، وشروحه •

وأهم الكتب التي اعتمد عليها في النقل الصحيح عنالرسول(ص): « صحيح البخاري » ، و « صحيح مسلم » ، و « وسنن النسائي » ، و « الموطأ » لمالك بن انس ، و « الجامع » للترمذي ، و « والقبسفي شرح موطأ مالك بن أنس » للحافظ أبي بكر ابن العربي ، و « مسند الشافعي » ، و « سنن أبي داود » ، و « الصحيح » للحاكم •

وأما الاشخاص الذين نقل عن طريقهم الروايات التأريخية التي تساعد على التفسير فتبين سبب نزول آية أو نسخها ، أو توضح حادثة

قرآنية بحديث أو خبر ــ فهم كثيرون أهمهم الطبري ، والقاضي أبو يعلى ، وأبو سليمان الدمشقي ، وأبو ذر ، وأبو ثور ، وأبو عبيد ، وابن الجوزي ، والترمذي صاحب النوادر ، وابن عباس ، وقتادة ، وأبو العاليه ، والسدي ، ومجاهد ، وابن زيد ،والضحاك،والزهراوي، وابن جريج ، وعكرمة ، وعطاء الشعبي ، وأبو الاسود الدؤلي ، والباقر ، والجبائي ، وأبو زيد ، والكلبي ، وعلي بن أبي طالب ، وأبو جعفر محمد بن علي الباقر ، وابن عمر ، وسعيد بن جبير ، ومحمد ابن كعب القرظي •

ونقل أبو حيان آراء الفرق الصوفية والاعتزالية والامامية وغيرها ، واحتج بآراء كثير من الفقهاء واعتمد على أقوالهم في تفسير المسائل الفقهية والأحكام الشرعية ، ومن أشهرهم الاوزاعي، وعطاء ، والباجي ، وابن حزم ، والقاضي ابو يعلى ، والمروزي ، والزهري ، وابان ، وابن مجلز ، وقتادة ، وابن عباس ، والثوري ، وابو حنيفة ، والشافعي ، ومالك ، وابو ثور ، وشريح ، والشعبي ، وأبو العالية ، والدار قطني عن ابن سيرين ، وابن العربي ، وعائشة ، وابن جبير ، وحذيفة ، وابن المسيب وغيرهم •

ولم يقتصر اعتماد أبي حيان على المفسرين والفقهاء والمحدثين بل اعتمد على القراء الذين نقل قراءاتهم وبيّن اختلافها ، ومن أشهر الذين نقل عنهم واحتج بقراءاتهم عثمان ، وعلي بن أبي طالب ، ومجاهد ، وحفص ، ونافع ، وابن الزبير ، وهشام ، وقالون ، والبزي، وعاصم ، وابو حنيفة ، والنخعي ، وابو الاسود الدؤلي ، والكسائي، وأبو حيوة ، وابو عمرو ، وورش ، وابن محيصن ، وعيسى بن عمر ، والجحدري ، وابو نهيك ، وعبدالله بن عباس ، وابن كثير ، ويعقوب ، والاعمش ، والضحاك ، وحمزة ، وعطاء بن أبي رباح ، وأبيّ ، وابن مسعود ، ومجاهد ، والاعرج ، ويحيى بن يعمر ، وأبو عبدالرحمن السلمي ، وخلف ، والمفضل ، وابن أبي اسحاق •

ومن كتب القراءات التي نقل عنها واعتمد عليها كتاب «الشواذ في القراءات» لمجاهد بن الفرات، وكتاب «اللوامح في شواذ القراءات» لابي الفضل عبدالرحمن بن احمد بن الحسن الرازي، وكتاب «الادغام الكبير» لابي عمرو الداني، وكتاب «شواذ القراءات» لابي عبدالله الحسين بن خالويه، وتصانيف عثمان بن سعيد في القراءات، وكتاب «الاقناع» لابي جعفر بن الباذش، و «الاقناع في القراءات» للاهوازي، و «الكامل في القراءات» لابي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي.

أما الكتب النحوية التي اعتمد عليها في تفسيره فاهمها «كتاب سيبويه»، وكتاب «الحلبيات» لابي علي الفارسي، و «شرح الموجز» للرماني، و «شرح الهداية» للمهداوي، وكتاب: «المصادر» لابي علي الشلوبين، وكتاب «الاعراب» لابي الحكم بن عذرة، و «البسيط» للامام العالم ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن علي الاشبيلي ابن العلج، و «شرح جمل الزجاجي» لابي اسحاق البهاري، وكتاب: «شرح اللمحة» للقاسم بن علي الحريري، و «الايضاح» لابي علي الفارسي، و «التسهيل»، و «الشافية الكافية» لابن مالك، و «المحتسب»، و «التمام» لابن جني، و «المسائل» للاخفش، و «المنتخب» لابي عبدالله محمد بن أبي الفضل المرسي وغيرهم.

وأما الكتب اللغوية التي اعتمد عليها ونقل منها فاهمها: «المحكم»، و «المخصص» لابن سيده، وكتاب: «المقصور والممدود» لابي بكر ابن السراج، وكتاب «الكامل» لابي القاسم بن جبارة الهذلي الاندلسي، وكتاب «نوادر أبي القاسم الزجاجي»، و «النوادر» للبحتري، و «معاني القرآن» للفراء.

واعتمد أبو حيان على كتب عامة في الحديث والفقه والاصول والتأريخ والمعتقدات منها كتاب «اللآليء» لابي عبيد البكري،

و « المقنع » لابي منصور ، وكتاب « ري الظمآن » لابي عبدالله محمد بن أبي الفضل المرسي ، و « الفتوح المكية » لابن عـربي ، و « الهداية » لقاضي أبي الطيب ، و « الفلك الدائر على المثـل السائر » لابن أبي الحديد ، و « الاقتضاب » لابن السيد ، و«تاريخ فتح الاندلس » ، و « الجديد » للشافعي ، وكتاب « السير»،وكتاب « حلّ العقد » ، وغيرها .

رأيه في المفسرين والتفاسير :

ذكرنا عند الكلام على طريقة أبي حيان في تبويب « البحر المحيط » العلوم التي يحتاج اليها المفسر ليستطيع ان يقوم بهـذا الواجب الديني خير قيام وعلى أحسن الوجوه ، وتحدثنا عن العلوم التي ظهرت معالمها واضحة في تفسيره كاللغة والنحو والبلاغـة والقراءات . وقد بنى ابو حيان رأيه في التفاسير المتقدمة على توفر الشروط التي اشار اليها في مقدمة كتابه ، ورد على أصحابها في مواضع كثيرة من تفسيره لانهم فرطوا في بعض العلوم وهو الذي يـرى ان « ليس العلم على زمان مقصورا ولا في أهل زمان محصورا ، بل جعله الله حيث شاء من البلاد وبثه في التهائم والنجاد ، وابرزه انوارا تتوسم وازهارا تتنسم »[1] . ومن فرط في علم من العلوم لايستطيع ان يأتي بالتفسير على الوجه الاكمل ، لان لكل علم قيمته ولكل فن أثره ، فلا يغني تعلم النحو عن تعلم البلاغة والفصاحة مع تقاربهما ، يقول « ولنبين ان علم التفسير ليس متوقفا على علم النحو فقط كما يظنه بعض الناس بل أكثر ائمة العربيـة هم بمعزل عن التصـرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة ، ولذلك قلت تصانيفهم في علم التفسير ، وقل ان ترى نحويا بارعا في النظم والنثر ، كما قل ان ترى بارعا في الفصاحة يتوغل في علم النحو،وقد رأينا من ينسب للامامة في علم النحو

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ٣

وهو لا يحسن ان ينطق بابيات من أشعار العرب فضلا عن أن يعرف مدلولها ، او يتكلم على ما انطوت عليه من علم البلاغة والبيان فانى لمثل هذا ان يتعاطى علم التفسير »[1]

فابو حيان يرى ان لكل علم ميزته وفضله ، فبعلم النحو تعرف الاحكام التي للكلم العربية من جهة افرادها ومن جهة تركيبها ، وبعلم اللغة تعرف معاني الاسماء والافعال التي لا يفهم المقصود من كلام الله والفاظه إلاّ بمعرفته والاطلاع عليه ، وبعلم الحديث يتعيَّن المبهم ويتبين المجمل وسبب النزول والنسخ ، وباصول الفقه يعرف الاجمال والتبيين والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهي وما أشبه ذلك ، وبعلم الكلام يعرف ما يجوز على الله تعالى وما يجب له وما يستحيل عليه والنظر في النبوة وفي الانبياء واعجاز القرآن ، وبعلم القراءات يعرف اختلاف الالفاظ بزيادة او نقص أو تغيير حركة أو اتيان بلفظ بدل لفظ وذلك بتواتر وآحاد[2] .

فالمفسر يحتاج الى الاطلاع عليها جميعها كما يحتاج الى الاطلاع على كلام العرب ، ومعرفة سبب نزول الآيات وآراء الفرق المختلفة في آيات الله البينات ، ومن هنا نرى أبا حيان يرد على المفسرين وكتبهم من هذه النواحي . فمن أخذه على المفسرين عدم اطلاعهم على كلام العرب وعدم امعانهم في تراكيبه وتركهم حفظ أشعار العرب قوله في تفسير قوله تعالى : « إنّ الدينَ عندَ اللهِ الاسلام »[3]، يقول: « قرأ الجمهور «إنّ» بكسر الهمزة ، وقرأ ابن عباس والكسائي ومحمد بن عيسى الاصبهاني « أنّ » بالفتح .. فاما قراءة الجمهور فعلى الاستئناف وهي مؤكدة للجملة الاولى ، قال الزمخشري فان قلت : ما فائدة هذا التوكيد ؟ قلت : فائدته ان قوله « لا اله الا هو » توحيد ، وقوله : « قائماً

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ٩

(٢) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٥ ـ ٨

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٩

القسط »[1] تعديل ، فاذا اردفه قوله « ان الدين عند الله الاسلام » ، فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد ، وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده بشيء من الدين . وفيه ان من ذهب الى تشبيه ما يؤدي اليه ، كاجازة الرؤية أو ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام ، وهذا بيّن جليّ كما ترى . انتهى كلامه . وهو على طريقة المعتزلة في انكار الرؤية ، وقولهم ان أفعال العبد مخلوقة له لا لله تعالى . واما قراءة الكسائي ومن وافقه في نصب « انّه » و « انّ » فقال أبو علي الفارسي : ان شئت جعلته من بدل الشيء من الشيء وهو هو ، الا ترى ان الدين الذي هو الاسلام يتضمن التوحيد والعدل وهو هو في المعنى ، وان شئت جعلته من بدل الاشتمال لان الاسلام يشتمل على التوحيد والعدل ، وقال وان شئت جعلته بدلا من القسط لان الدين الذي هو الاسلام قسط وعدل فيكون أيضا من بدل الشيء من الشيءوهما لعين واحدة . انتهت تخريجات أبي علي وهو معتزلي فلذلك يشتمل كلامه على لفظ المعتزلة من التوحيد والعدل . وعلى البدل من « انه لا اله الا هو » ، خرّجه غيره أيضا وليس بجيد ، لانه يؤدي الىتركيب بعيد أن يأتي مثله في كلام العرب وهو « عرف زيد انه لا شجاع الا هو وبنو تميم وبنو دارم ملاقيا للحروب لا شجاع الا هو البطلالمحامي» ، ان الخصلة الحميدة هي البسالة وتقريب هذا المثال « ضرب زيد عائشة والعمران خنقا اختك » و « خنقا » حال من « زيد »و«اختك» بدل من « عائشة » ففصل بين البدل والمبدل منه بالعطف وهولا يجوز، وبالحال لغير المبدل منه وهو لا يجوز لانه فصل باجنبي بين المبدل منه والبدل . وخرجها الطبري على حذف حرف العطف التقدير « وان الدين » . قال ابن عطية وهذا ضعيف ، ولميبين وجه ضعفه . ووجه ضعفه أنه متنافر التركيب مع اضمار حرف العطففيفصل بينالمتعاطفين

---

(١) سورة آل عمران ، الاية ١٨ وهي قوله تعالى : « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » .

المرفوعين بالمنصوب المفعول ، وبين المتعـــاطفين المنصوبين بالمرفوع المشارك الفاعل في الفاعلية ، وبجملتي الاعتراض ، وصار في التركيب دون مراعاة الفصل نحو « أكل زيد خبزاً وعمرو سمكا » واصـــل التركيب « أكل زيد وعمرو خبزاً وسمكا » فان فصلنا بين قولك « وعمرو » وبين قولك : « وسمكا » يحصل شنع التركيب ، واضمار حرف العطف لايجوز على الاصح • وقال الزمخشـري وقرئتـا مفتوحتين على ان الثاني بدل من الاول كأنه قيل « وشهد الله ان الدين عند الله الاسلام » ، والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الاسلام هو التوحيد والعدل انتهى • وهذا نقل كلام أبي عليّ دون استيفاء • واما قراءة ابن عباس فخرج على « ان الدين عند الله الاسلام » هو معمول « شهد » ويكون في الكلام اعتراضان أحدهما بين المعطوف عليه والمعطوف وهو « انه لا إله الا هو » ، والثاني بين المعطوف والحال ، وبين المفعول لـ « شـــهد » وهو لا اله الا هو العزيز الحكيم • واذا أعربنا « العزيز » خبر مبتـــدأ محذوف كان ذلك ثلاثة اعتراضات •

فانظر الى هذه التوجيهات البعيدة التي لا يقدر أحـد على أن يأتي لها بنظير من كلام العرب ، وانما حمل على ذلك العجمة وعـــدم الامعان في تراكيب كلام العرب وحفظ أشعارها كما أشرنا اليه فيخطبة هذا الكتاب انه لا يكفي النحو وحده في علم الفصيح من كلام العرب بل لا بد من الاطلاع على كلام العرب والتطبع بطباعها والاستكثار من ذلك »[1] •

ويأخذ عليهم عدم بصرهم بلسان العرب ، وتحميلهم ألفـاظ القرآن ما يجب ان ينزه عنها ، وشحنهم التفسير بعلل النحو وتفاصيل الاعراب ، وتفصيلهم الكلام في الاحكام الشرعية ، وملء الـكتب بالقصص الكثيرة التي لا مبرر لذكرها في كثير من الاحيـان ، والاخبار

---

(١) البحر المحيط ج٢ ص ٤٠٧ •

التي لم يرد بها قرآن ولا نصّ عليها حديث • ويرى اطراح كل قصة لا تعلق لها بلفظ القرآن وترك الاطالة في الكلام على الحروف المقطعة في اوائل السور ، والانصراف عن حمل القرآن على الشعر والضرائر الشعرية • ويدعو الى تنزيه التفسير عن الالباس في التركيب وذكر الاقوال الاعرابية التي تخرج كلام الله عن ظاهره وتبعده عن المفهوم منه ، وعن نقل ما ينقص من منصب النبوة وكرامة الانبياء[1] •

وعلة اتجاهه في التفسير هذا الاتجاه فهمه الخاص للتفسير فهو عنده «شرح اللفظ المستغلق عند السامع بما هو واضح عنده مما يرادفه او يقاربه أو له دلالة عليه باحدى طرق الدلالات »[2] • أو « هو الكشف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا »[3] • ولنستمع الى أبي حيان وهو يتحدث عن معنى التفسير فيقول « التفسير في اللغة الاستبانة والكشف قال ابن دريد ومنه يقال للماء الذي ينظر فيه الطبيب « تفسرة » ، وكأنه تسمية بالمصدر لان مصدر « فعّل » جاء ايضا على « تفعِلة » نحو جرّب تجربة ، وكرّم تكرمة ، وان كان القياس في الصحيح من « فَعَّلَ » « التفعيل » كقوله تعالى « وأحسَن تفسيرا »[4] وينطلق ايضا « التفسير » على « التعرية » للانطلاق قال ثعلب تقول فسرت الفرس عريته لينطلق في حصره وهو راجع لمعنى الكشف فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده من الجري •

وأما الرسم في الاصطلاح فنقول « التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك •

---

(١) ينظر البحر المحيط ج٣ ص ٤٥ ، وج١ ص ٣٦ ، ٣٨٥ ، ١٢٨ ، و ج٢ ص ٢٩ ، و ج١ ص ٥ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٢١ ، ١٥ ، ٣٧٦ ، و ج١ ص ٣٦١ ، ١٧–١٨ ، ٥،٣٧٩ ، ٢٥٨ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ ، و ج٤ ص ٣٢٦ ، و ج١ ص ٣٥ ، ٢٥٩ على التوالي

(٢) البحر المحيط ج ٣ ص ٢٨٢

(٣) البحر المحيط ج٦ ص ٤٩٧

(٤) سورة الفرقان ، الآية ٣٣

فقولنا « علم » جنس يشمل سائر العلوم ، وقولنا « يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن » هذا هو علم القراءات • وقولنا « ومدلولاتها » أي مدلولات تلك الالفاظ ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج اليه في هذا العلم • وقولنا « واحكامها الافرادية والتركيبية » هذا يشمل علم التصريف ، وعلم الاعراب ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، و « معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب » شمل بقوله « التي تحمل عليها » ما لا دلالة عليه بالحقيقة ، وما دلالته عليه بالمجاز ، فان التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لاجل ذلك ان يحمل على غير الظاهر وهو المجاز وقولنا « وتتمات لذلك » هو معرفة النسخ ، وسبب النزول ، وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك »[1]
ولما كان هذا هو المقصود بعلم التفسير عند أبي حيان نراه يرد على من يخرج عن هذا الحد وهذه الرسوم الواضحة •

وقد وقف أبو حيان من بعض المفسرين موقفا صريحا فرد على أقوالهم التي رآها مخالفة لما ينبغي أن يكون التفسير عليه ، وبيّن رأيه في بعض المفسرين وتفاسيرهم ، يقول وهو يعرض رأيه في المفسرين من التابعين ويوازن بينهم وبين من جاء بعدهم « ومن المتكلمين في التفسير من التابعين الحسن بن أبي الحسن ، ومجاهد بن جبر ، وسعيد ابن جبير ، وعلقمة ، والضحاك بن مزاحم ، والسدي ، وأبو صالح • وكان الشعبي يطعن على السدي وأبي صالح لانه كان يراهما مقصرين في النظر • ثم تتابع الناس في التفسير ، وألفوا فيه التآليف ، وكانت تآليف المتقدمين اكثرها انما هي شرحُ لغة ، ونقل سبب ، ونسخ ، وقصص ، لانهم كانوا قريبي عهد بالعرب وبلسان العرب ، فلما فسد اللسان وكثرت العجم ودخل في دين الاسلام أنواع الامم المختلفو الالسنة والناقصو الادراك احتاج المتأخرون الى اظهار ما انطوى عليه

(١) البحر المحيط ج١ ص ١٣ — ١٤

كتاب الله تعالى من غرائب التركيب ، وانتزاع المعاني وابراز النكت البيانية حتى يدرك ذلك من لم تكن في طبعه ، ويكتسبها من لم تكن نشأته عليها ولا عنصره يحركه اليها ، بخلاف الصحابة والتابعين من العرب فان ذلك كان مركوزا في طباعهم يدركون تلك المعاني كلها من غير موقف ولا معلم ، لان ذلك هو لسانهم وخطتهم وبيانهم ، على أنهم كانوا يتفاوتون أيضا في الفصاحة وفي البيان ، ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم حين سمع كلام عمرو بن الاهتم في الزبرقان « ان من البيان لسحرا »[1] .

أما التفاسير التي فضلها أبو حيان واعتبرها أحسن التفاسير فقد ذكرها في اول « البحر المحيط » وبين رأيه فيها وفي أصحابها ولكنه يعد الزمخشري ، وابن عطية الاندلسي المغربي احسن المفسرين،ويعتبر تفسيريهما أحسن التفاسير واجلها واعظمها شأنا واجمعهما مادة ، واكثرها استشهادا ، واوسعها انتشارا ، وقد حاول ان يوازن بين هذين الرجلين فلم يجد الى المقارنة سبيلا لانلكل واحداتجاهه وطريقته في التفسير ، يقول « وكتاب ابن عطية انقل واجمع واخلص ،وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص ، الا ان الزمخشري قائل بالطفرة ، ومقتصر من الذؤابة على الوفرة ، فربما سنح له آبي المقادة فاعجزه اغتياصه ، ولم يمكنه لتأتيه اقتناصه ، فتركه عقلالمن يصطاده ، وغفلا لمن يرتاده ، وربما ناقض هذا المنزع فثنى العنان الى الواضح ، والسهل اللائح ، وأجال فيه كلاما ، ورمى نحو غرضه سهاما ، هذا مع ما في كتابه من نصرة مذهبه ، وتقحم مرتكبه ، وتجشم حمل كتاب الله عز وجل عليه ، ونسبة ذلك اليه ، فمغتفر اساءته لاحسانه ، ومصفوح عن سقطه في بعض لاصابته في أكثر بيانه »[2] .

وقد اعتمد أبو حيان على هذين التفسيرين اعتمادا كبيرا ،

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ١٣

(٢) البحر المحيط ج١ ص ١٠

ولا تكاد تخلو صفحة من صفحات «البحر المحيط» من قول لاحدهما أو لكليهما ، وأشار أبو حيان نفسه الى الاخذ عنهما والاعتماد عليهما ، ونبه على الشيوخ الذين أخذ عنهم هذين التفسيرين ، يقول « فما كان في كتابي هذا من تفسير الزمخشري رحمه الله تعالى فاخبرني به استاذنا العلامة أبو جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير قراءة مني عليه فيه واجازة أيام كنت أبحث معه في كتاب سيبويه عن القاضي ابن الخطاب محمد بن احمد بن خليل السكوني عن أبي طاهر بركات بن ابراهيم بن طاهر الخشوعي ، واخبرني به عاليا أبو الحسن علي بن احمد بن عبد الواحد المقدسي عرف بابن البخاري في كتابه اليّ من دمشق عن أبي طاهر الخشوعي وهو آخر من حدث عنه عن الزمخشري . وما كان في هذا الكتاب من تفسير ابن عطية فاخبرني به القاضي الامام أبو علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الاحوص القرشي قراءة مني عليه لبعضه ومناولة على الحافظ أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي قال أخبرنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الانصاري يعرف بابن حبيش قال اخبرنا به مصنفه قراءة عليه لجميعه ، واخبرني به عاليا القاضي الاصولي المتكلم أبو الحسن محمد ابن القاضي الاصولي المتكلم أبي عامر يحيى بن عبدالرحمن الاشعري نسبا ومذهبا جاز كتبها لي بخطه بغرناطة عن أبي الحسن علي بن احمد بن علي الغافقي الشقوري بقرطبة ، وهو آخر من حدث عن ابن عطية وهو آخر من روى عنه »[1] .

والتفاسير التي تأتي بعد هذين التفسيرين عند أبي حيان كتاب « التحرير والتحبير » الذي اعتمد عليه في اكثر نقوله عن كتب الائمة المفسرين يقول « واعتمدت في أكثر نقول كتابي هذا على كتاب « التحرير والتحبير لاقوال ائمة التفسير » من جمع شيخنا الصالح القدوة الاديب جمال الدين أبي عبدالله محمد بن سليمان بن حسن بن

(١) البحر المحيط ج١ ص ١٠ ـ ١١

حسين المقدسي عرف بابن النقيب رحمه الله تعالى اذ هو اكبر كتاب رأيناه صنف في علم التفسير يبلغ في العدد مائة سفر أو يكاد الا انه كثير التكرير، قليل التحرير، مفرط الاسهاب لم يعد جامعه من نسخ كتب في كتابه، كذلك كان فيه بحال التهذيب ومراد الترتيب • وهذا الكتاب روايتي بالاجازة من جامعه رحمه الله تعالى • وقد شاهدناه غير مرة حين جمعه يقول الناسخ اقرأ عليّ فيقرأ عليه فيقول اكتب من كذا الى كذا، وينقل ما في كتب التفسير التي اعتمدها ويعزو في اكثر المواضع ما ينقل منها الى مصنف ذلك الكتاب، وكان فيه فضيلة أدب وله نثر ونظم متوسط رحمه الله تعالى ورضي عنه »[1] •

ولما كان أبو حيان يرى أن أجل كتب التفسير اثنان هما تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية وكان جل اعتماده في « البحر المحيط » عليهما فاننا سنعرض لموقف أبي حيان من كلا الكتابين، ولنبدأ بكتاب الزمخشري، لان اشارات أبي حيان اليه وردوده عليه كثيرة جدا، فقد مدحه حينا وذمه أحيانا، وبدأ بذكره في فاتحة الكتاب واستشهد برأيه في حاجة المفسر الى المعرفة بعلم الفصاحة والبلاغة والاطلاع عليهما، يقول « ولنبين أن علم التفسير ليس متوقفا على علم النحو فقط كما يظنه بعض الناس بل أكثر ائمة العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة ولذلك قلت تصانيفهم في علم التفسير وقل ان ترى نحويا بارعا في النظم والنثر، كما قل ان ترى بارعا في الفصاحة يتوغل في علم النحو • وقد رأينا من ينسب للامامة في علم النحو وهو لا يحسن ان ينطق بابيات من أشعار العرب فضلا عن أن يعرف مدلولها أو يتكلم على ما انطوت عليه من علم البلاغة والبيان، فانّى لمثل هذا ان يتعاطى علم التفسير، ولله در أبي القاسم الزمخشري حيث قال في خطبة كتابه في التفسير ما نصه ان املأ العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ١١

مسلكها ، ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب :«نظم القرآن » ، فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بَزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية أحفظ ، والواعظ وان كان من الحسن البصري أوعظ ، والنحوي وان كان أنحى من سيبويه ، واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه ، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يعوص على شيء من تلك الحقائق ، الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ ، جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ ، كثير المطالعات ، طويل المراجعات ،قدرجع زمانا ورجع اليه،ورَدَّ ورُدَّ عليه ، فارسا في علم الاعراب ، مقدما في جملة الكتاب ، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة مُنقادها ، مشتعل القريحة وقادها ، يقظان النفس دراكا للحجة وان لطف شأنها ، منتبها على الرمزة وان خفي مكانها ، لاكزاً جاسيا ولا غليظا جافيا ، متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر ، مرتاضا غير ريّض بتلقيح بنات الفكر ، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف ، وكيف ينظم ويرصف ، طالما دفع الى مضايقه ، ووقع في مداحضه ومزالقه »[1] .

وانتقل ابو حيان بعد ذلك الى مدح الزمخشري وتبيين ثقافته وفصاحته التي تقهر البلغاء ، ولكنه مع ذلك يذمه ويصفه بالعجمة[2] ، ويرى انه يفهم الآيات فهماً عجيبا ينبو عن ادراكه فهم العرب ، وانه يركب الكلام تركيبا اعجميا ، وانه مولد وليس من العرب الخلص[3] .

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ٩

(٢) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٩ ، ٣٧٨ ، و ج٢ ص ٤٦٤ ، وج٤ ص ٤٣٤ ، وج٦ ص ٣٧٨

(٣) ينظر البحر المحيط ج٨ ص ١٢١،٤٠١،وج٧ ص ١٤٣،١٦٤، ١٩١،وج٨ص٤٠١ .

وسنرى عند الكلام على أبي حيان والمعتزلة كيف ان أبا حيان كان يكثر من الرد على الزمخشري لانـه ممثل المعتزلة في التفسير ، ونرى مخالفته الشديدة له ورده عليه وتكفيره في بعض الاحيان . وقد اوضح ابو حيان ميل الزمخشري الى الاعتزال بنقله النصوص المختلفة من تفسير الزمخشري التي يدافع فيها عن اصحابه وآرائهم ، ونَبَّـهَ على الآيات التي فسرها الزمخشري ومال فيها الى مذهبه الاعتزالي[1].

ويمكن حصر ردود أبي حيان على الزمخشري بما يأتي

١ ـ رده على آرائه الاعتزالية وسبه لاهل السنة .

٢ ـ رده على الروايات والاحاديث التي ذكرها وهي بعيدة عن كلام الله .

٣ ـ رده على التزيدات في تفسير الزمخشري ، وهي تزيدات ينبغي حذفها من تفسير القرآن .

٤ ـ رده على اخراجه اللفظ القرآني عما يقتضيه ظاهر التركيب ، وتحميله ألفاظ القرآن ما لا تحتمله لولوعه بمذهبه الاعتزالي .

٥ ـ رده على تراكيب الزمخشري غير الفصيحة ، لان أبا حيان يرى ان يكتب تفسير القرآن الكريم باسلوب عربي مبين غير ذي عوج .

٦ ـ رده عليه سوء تصرفه في الحديث عن النبوة والانبياء عليهم السلام .

ولم يرد عليه في التفسير حسب وانما فند آراءه في القراء وتلحينه اياهم أو تخطئتـه قراءاتهم واساءته الادب مع القرآن ، أو فرضه قراءات لم يقرأ بها ، يقول في تفسير قوله تعالى « سَوَاءٌ عليهِم أأنذرتَهُم أم لم تُنذِرْهُم لا يُؤمِنون »[2] « ولغة تميم تخفيف الهمزتين في نحو أأنذرتهم ، وبه قرأ الكوفيون وابن ذكوان وهو الاصل ، وأهل الحجاز لا يرون الجمع بينهما طلبا للتخفيف فقرأ الحرميان وابو عمرو وهشام بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية الا ان أبا

---

(١) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٩٩ ، ١١٣ ، و ج٢ ص ٢٧٢ ، ٤٠٦ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٦

عمرو وقالون واسماعيل بن جعفر عن نافع وهشام يدخلون بينهما الفا ، وابن كثير لا يدخل ، وروي تحقيقا عن هشام ، وادخال الف بينهما وهي قراءة ابن عباس وابن ابي اسحاق ، وروي عن ورش كابن كثير وكقالون ، وابدال الهمزة الثانية الفا فيلتقي ساكنان على غير حدهما عند البصريين . وقد انكر هذه القراءة الزمخشري وزعم ان ذلك لحن وخروج عن كلام العرب من وجهين

احدهما الجمع بين ساكنين على غير حده .

الثاني ان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها هو بالتسهيل بين بين لا بالقلب الفا لان ذلك هو طريق الهمزة الساكنة .

وما قاله هو مذهب البصريين . وقد اجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازه البصريون وقراءة ورش صحيحة النقل لا تدفع باختيار المذاهب ، ولكن عادة هذا الرجل اساءة الادب على أهل الاداء ونقلة القرآن »[1] .

ولكي نوضح موقف أبي حيان من الزمخشري وتفسيره ننقل آبياته التي مدحه فيها وبَيَّنَ رأيهُ في تفسيره ، يقول في تفسيرقوله تعالى « قالوا تَقاسَموا باللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ واهلهُ ثم لنقُولنَّ ولِيِّهِ ما شَهِدْنا مَهلِكَ أهلِهِ وإنّا لَصادِقون »[2]

« وقال الزمخشري فانقلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبرعنه؟قلت:كأنهم اعتقدوا اذابيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين فانهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لايعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ، ألا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله

---

(1) البحر المحيط ج١ ص ٤٧ – ٤٨ ، وينظر ج٢ ص ٣٦١ – ٣٦٣

(2) سورة النحل ، الآية ٤٩

ولم يروا لانفسهم ان يكونوا كاذبين حتى سووا الصدق في انفسهم حيلة يتفصون بها عن الكذب . انتهى .

والعجب من هذا الرجل كيف يتحيل هذه الحيل فيجعل اخبارهم: « وانا لصادقون » اخبارا بالصدق وهو يعلم انهم كذبوا صالحا وعقروا الناقة التي كانت من أعظم الآيات، واقدموا على قتل نبي واهله، ولا يجوز عليهم الكذب وهو يتلو في كتاب الله كذبهم على انبيائهم ونص الله على ذلك ، وكذبهم على من لا تخفى عليه خافية يوم تبلى السرائر وهو قولهم « والله ربنا ما كنا مشركين »[1] ، وقول الله تعالى « انظر كيف كذبوا على أنفسهم »[2] ، وانما هذا منه تحريف لكلام الله تعالى حتى ينصر مذهبه في قوله ان الكذب قبيح عند الكفرة ويتحيل لهم هذا التحيل حتى يجعلهم صادقين في اخبارهم ، وهذا الرجل وان اوتي من علم القرآن أوفر حظ، وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ ففي كتابه في التفسير أشياء منتقدة ، وكنت قريبا من تسطير هذه الاحرف قد نظمت قصيدا في شغل الانسان نفسه بكتاب الله واستطردت الى مدح كتاب الزمخشري فذكرت شيئا من محاسنه ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه ، ورأيت اثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابي هذا ويتنبه على ما تضمنه من القبائح فقلت بعد ذكر ما مدحته به

ولكنه فيه مجال لناقد	وزلات سوء قد أخذن المخانقا
فيثبت موضوع الاحاديث جاهلا	ويعزو الى المعصوم ما ليس لائقا
ويشتم أعلام الائمة ضلة	ولا سيما ان اولجوه المضايقا
ويسهب في المعنى الوجيز دلالة	بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
يقوّل فيها الله ما ليس قائلا	وكان محبا في الخطابة وامقا
ويخطيء في تركيبه لكلامه	فليس لما قد ركبوه موافقا

---

(1) سورة الانعام ، الآية ٢٣

(2) سورة الانعام ، الآية ٢٤

وينسب ابداء المعـاني لنفسه ليوهم أغماراً وان كان سارقا
ويخطيء في فهم القران لانـه يجوّز اعرابا أبى ان يطابقا
وكم بين من يؤتى البيان سليقة وآخر عاناه فما هو لاحقـا
ويحتال للالفاظ حتى يديرها لمذهب سوء فيه أصبح مارقا
فيا خسره شيخا تخرق صيته مغارب تخريق الصبا ومشارقا
لئن لم تداركه من الله رحمـة لسوف يرى للكافرين مرافقا[١]

* *

أما الكتاب الثاني الذي اعتبره أبو حيان أجل كتب التفسير فهو كتاب ابن عطية ، وكان موقف أبي حيان منه في تفسيره أخف وطأة من موقفه من الزمخشري ولو ان ردوده عليه كثيرة جدا الا ان جل هـذه الردود كانت في الآراء النحوية ، وفي التفسير تبعا للرأي النحوي ، أو لتوجيه قراءة من القراءات ، ولم يسمْه بعجمة أو سفاهة في سب فرقة من الفرق أو بابتعاده عن الفاظ القرآن وتحميلها ما لا تحتمل من المعاني ، ولم يؤاخذه في تعرضه للانبياء أو لكلام الله بما رأينا مثله عند الزمخشري • ويبدو ان ابن عطية لم يكن من اتباع فرقة معينـة أو مذهب بعيد عن مذهب أبي حيان كالزمخشري الذي كان أكثر تأويله للالفاظ القرآنية أو تفسيره خلاف مقتضى الظاهر أو طعنه في المؤمنين وغضه من منزلة اهل السنة وسبهم من أجل ميله الى مذهب المعتزلة ودفاعه عن آرائهم ومعتقداتهم • ومما يؤكد ان ابن عطية لم يجنح الى معتقد يخالف معتقد أبي حيان انه كان يرد على المعتزلة ويكـذبهم في نسبتهم الى ابن عباس تفاسير لا تصح عنه من ذلك ما نقله أبو حيـان في تفسير قوله تعالى « أنْزَلَ من السماء ماءً فسالت أودِيَـةٌ بِقَدَرِها فاحتَمَلَ السيلُ زَبَدا رابيا »[٢] • يقول « وقال ابن عطية وروي عن ابن عباس انه قال قوله تعالى « انـزل من السماء

---

(١) البحر المحيط ج٧ ص ٨٤ — ٨٥ •
(٢) سورة الرعد ، الآية ١٧

ماء » يريد به الشرع والدين ، « فسالت أودية » يريد القلوب أي أخذ النبيل بحظه والبليد بحظه . وهذا قول لا يصح والله أعلم عن ابن عباس ، لانه ينحو الى أقوال أصحاب الرموز ، وقد تمسك به الغزالي وأهل تلك الطريق ، ولا توجيه لاخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب بغير علة تدعو الى ذلك والله الموفق للصواب ، وان صح هذا القول عن ابن عباس فانما قصد ان قوله تعالى « كذلك يضرب الله الحق والباطل » معناه الحق الذي يتقرر في القلوب والباطل الذي يعتريها ايضا . انتهى »[1]

ويفسر ابن عطية الآيات تفسيراً يخالف تفسير الزمخشري والمعتزلة ، ولكن أبا حيان يرد عليه في مواضع كثيرة ويرى ان ابن عطية يميل في بعض الاحيان الى مذهب الجويني ، يقول في تفسيره قوله تعالى « إنّما حَرَّمَ عليكم الميتةَ والدمَ ولحم الخِنزيرِ وما أُهِلَّ به لغيرِ اللهِ » « وقال ابن عطية وخص ذكر اللحم من الخنزير ليدل على تحريم عينه ذكي او لم يذك . وليعم الشحم وما هنالك من الغضاريف وغيرها . واجمعت الامة على تحريم شحمه انتهى كلامه ، وليس كما ذكر لان ذكر اللحم لا يعم الشحم وما هنالك من الغضاريف لان كلا من اللحم والشحم وما هنالك من غضروف وغيره ليس له اسم يخصه اذا اطلق ذلك الاسم لم يدخل فيه الآخر ولا يدل عليه لا بمطابقة ولا تضمن فاذن تخصيصه بالذكر يدل على تخصيصه بالحكم اذ لو أريد المجموع لدل بلفظ يدل على المجموع . وقوله اجمعت الامة على تحريم شحمه ، ليس كما ذكر الا ترى ان داود لا يحرم الا ما ذكره الله تعالى وهو اللحم دون الشحم الا ان يذهب ابن عطية الى ما يذكر عن ابي المعالي عبدالملك الجويني من انه لا يعتد في الاجماع بخلاف داود فيكون ذلك عنده أجماعا ، وقد اعتدّ اهل العلم الذين لهم الفهم التام والاجتهاد قبل ان يخلق الجويني بازمان بخلاف داود

(١) البحر المحيط ج٥ ص ٣٨١

ونقلوا أقاويله في كتبهم كما نقلوا اقاويل الأئمة كالاوزاعي وابي حنيفة ومالك والثوري والشافعي واحمد ، ودان بمذهبه وقوله وطريقته ناس وبلاد وقضاة وملوك الازمان الطويلة ، ولكنه في عصرنا هذا قد خمل هذا المذهب »[1] .

وتنحصر معظم ردوده في مسائل لغوية وفي توجيه بعض القراءات .

ولكثرة ردود أبي حيان على الزمخشري وابن عطيـة وتشديده النكير عليهما ألّف يحيى الشاوي الفاسي المغربي كتاب « المحاكمـة بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري » ، وهذه المحاكمة تقريرات قصد منها توضيح الصواب في المناقشات التي جرت بين المفسرين الثلاثة في كتبهم . وفي مكتبة الازهر الشريف نسخة من هذا الكتاب منقولة عن نسخة المؤلف برقم ١٢٥٤ رافعي ، وهي برقم ٢٦٦٤١ تفسير وهي في ٣١٨ ورقة ، وفي معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة اخرى من الكتاب مصورة عن نسخة مكتبة لاله لي برقم ٢٥٩ ، وهي مكتوبة سنة ١٠٧٩ هـ .

☆ ☆

ومن الكتب المهمة التي أشار اليها أبو حيان وعدها من أجمـع الكتب المؤلفة في التفسير كتاب « التحرير والتحبير » وقد اعتمـد عليه اعتماداً كبيراً ولم يرد عليه ولكنه رد على أبي عبدالله محمد بن عمر الرازي صاحب تفسير « مفاتيح الغيب » ورأى ان كتابه قد جمع مختلف العلوم واطال في الكلام عليها والاستدلال لها مما اخرج الكتاب من علم التفسير[2] .

ورَدُّ أبي حيان على الرازي لا يختلف عن رده على الزمخشري، فهو قد جمع مختلف العلوم في تفسيره فخرج عن علم التفسير . وانه

---

(١) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٤٨٨ سورة البقرة ، الآية ١٧٣

(٢) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٣٤١

قصر العلم في التفسير • أو انه اتبع طريقة المعتزلة لتخليط ذهنه وعدم ادراكه • وانه يورد أشياء لا يدل عليها القرآن الكريم ولا تقتضيها لغة العرب • وان كلامه يشبه كلام الحكماء الفلاسفة والصوفية[1] •

اهتمامه باللغة والنحو والصرف:

كان أبو حيان لغوياً ونحويا كبيراً ، ومن هنا كان لابد من أن يدخل ثقافته اللغوية والنحوية في تفسيره « البحر المحيط » الذي كان من اواخر مصنفاته التي كتبها في عهد نضجه الفكري • ويرى أبو حيان ان المفسر بحاجة كبيرة الى معرفة اللغة والنحو ، وقد أكد هذا المعنى في مقدمة البحر وفي مواضع كثيرة منه ، يقول « النظر في تفسير كتاب الله تعالى يكون من وجوه ، الوجه الاول علم اللغة اسما وفعلا وحرفا ، الحروف لقلتها تكلم على معانيها النحاة فيؤخذ ذلك من كتبهم ، واما الاسماء والافعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة •• الوجه الثاني معرفة الاحكام التي للكلم العربية من جهة افرادها ومن جهة تركيبها ، ويؤخذ ذلك من علم النحو »[2] •ولذلك يعزو أبو حيان كثيرا مما وقع فيه المفسرون من الاخطاء الى عدم تعمقهم في اللغة والنحو ومعرفة أساليب العرب ، يقول في تفسير قوله تعالى « وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر »[3] « وفي قوله « من نذر » دلالة على حذف موصول قبل قوله « نذرتم » تقديره أو ما نذرتم من نذر ، لان « من نذر » تفسير وتوضيح لذلك المحذوف وحذف ذلك للعلم به ولدلالة « ما » في قوله « وما انفقتم » عليه كما حذف في قوله

أَمَن يهجو رسولَ اللهِ منكم ويمدحُه وينصرُه سواءُ

التقدير « ومن يمدحه » فحذفه لدلالة « من » المتقدمة عليه ، وعلى

---

(١) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٣٤١ ، ٣٤٢ ، وج٣ ص ٣٤٢ ، وج٤ ص ٢٦٧ ، وج٥ ص ٩٦ ، ٤١٦

(٢) البحر المحيط ج١ ص ٥ ــ ٦

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٧٠

هذا الذي تقرر من حذف الموصول فجاء الضمير مفردا في قوله « فإن اللهَ يعلَمُهُ »[1] لان العطف بـ « أو »واذا كان العطف بـ «أو» كان الضمير مفرداً لان المحكوم عليه هو أحدهما ، وتارة يراعى به الاول في الذكر نحو « زيد او هند منطلق » ، وتارة يراعى به الثاني نحو « زيد أو هند منطلقة » . واما ان يأتي مطابقا لما قبله في التثنية أو الجمع فلا ، ولذلك تأول النحويون قوله تعالى « ان يكُنْ غنيا أو فقيرا فاللهُ أولى بهما »[2] ، بالتأويل المذكور في علم النحو . وعلى المهيع الذي ذكرناه جاء قوله تعالى « واذا رَأوا تجارةً أو لهواً انفَضّوا اليها »[3] ، وقوله تعالى « ومَنْ يَكسِبْ خطيئةً أو إثماً ثُمَّ يَرمِ بهِ بريئا »[4]، كما جاء في هذه الآية « فان الله يعلمه » . ولما عَزَبت معرفة هذه الاحكام عن جماعة ممن تكلم في تفسير هذه الآية جعلوا افراد الضمير مما يتأول فحكي عن النحاس انه قال « التقدير وما انفقتم من نفقة فان الله يعلمها أو نذرتم منَ نذر فان الله يعلمه ثم حذف »[5] .

هذا مثال من رد أبي حيان على المفسرين والاشارة الى عدم تعمقهم في النحو وقلة اطلاعهم عليه ، ونستطيع ان تتبين اهتمامه باللغة والنحو والصرف في البحر عند تعرضه لتفسير معنى كلمة فيبين معناها في اللغة ثم يأخذ المعنى المناسب للآية ويفسرها على هداه ، يقول في تفسير قوله تعالى « « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى»[6]: « الوسطى «فُعلى» ، مؤنثة«الاوسط» كما قال أعرابي يمدح رسول الله (ص)

يا أوسط الناس طرا في مفاخرهم   واكرم الناس أمّا بَرّةً وأبا

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٧٠
(٢) سورة النساء ، الآية ١٣٥
(٣) سورة الجمعة ، الآية ١١
(٤) سورة النساء ، الآية ١١٢
(٥) البحر المحيط ج٢ ص ٢٢١
(٦) سورة البقرة الآية ٢٣٨

وهو خيار الشيء وأعدله كما يقال فلان من واسطة قومه أي من أعيانهم • وهل سميت الوسطى لكونها بين شيئين من وسط فلان يسط اذا كان وسطا بين شيئين أو من وسط قومه اذا فضلهم ؟ فيه قولان ، والذي تقتضيه العربية أن تكون « الوسطى » مؤنث « الاوسط » بمعنى الفضلى مؤنت الافضل كالبيت الذي أنشدناه ، «يا اوسط الناس••» ، وذلك ان «افعل التفضيل » لا يبنى الا مايقبل الزيادة والنقص وكذلك فعل التعجب ، فكل ما لا يقبل الزيادة والنقص لا يبنيان منه الا ترى انك لا تقول « زيد اموت الناس »، ولا « ما اموت زيدا » ، لان الموت شيء لا يقبل الزيادة ولا النقص فلا يجوز ان يبنى منه « أفعل التفضيل » ، لانه لا تفاضل فيه فتعيَّن أن تكون « الوسطى » بمعنى « الاخير »و«الاعدل» لان ذلك معنى يقبل التفاوت »[1] •

واستفاد أبو حيان من النحو كثيرا في تفسير الكتاب العزيز وتوجيه المعاني المختلفة التي تضمنتها آياته البينات ، من ذلك تفسيره لقوله تعالى « والله يرزقُ من يشاءُ بغير حساب »[2] ، يقول و « بغير حساب » تقدمه ثلاثة اشياء يصلح تعلقه بها الفعل،والفاعل، والمفعول الاول ، وهو « من » ، فان كان للفعل فهو من صفات المصدر ، وان كان للفاعل فهو من صفاته ، أو للمفعول فهو من صفاته، فاذا كان للفعل كان المعنى « يرزق الله من يشاء رزقا »، غير حساب،أي غير ذي حساب •ويعني بالحساب العد فهو لا يعد ولا يحصر من كثرته ، أو يعني به المحاسبة في الآخرة ،أي رزقا لا يقع عليه حساب في الآخرة ، وتكون على هذا « الباء » زائدة • واذا كان للفاعل كان في موضع الحال المعنى يرزق الله غير محاسب عليه أي متفضلا في اعطائه لا يحاسب عليه ، أو غير عادٍّ عليه ما يعطيه ويكون ذلك مجازا

(١) البحر المحيط ج٢ ص ٢٤٠
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢١٢

عن التقتير والتضييق ، فيكون « حساب » مصدرا عبر به عن اسم الفاعل من « حسب » وتكون « الباء » زائدة في الحال ، وقد قيل ان « الباء » زيدت في الحال المنفية ، وهذه الحال لم يتقدمها نفي ، ومما قيل انها زيدت في الحال المنفية قول الشاعر

فما رجعت بخائبة ركاب حكيم بن المسيَّب منتهاها

أي فما رجعت خائبة • ويحتمل في هذا الوجه أن يكون « حساب » مصدرا عبر به عن اسم المفعول أي غير محاسب على ما يعطي تعالى أي لا احد يحاسب الله تعالى على ما منح ، فعطاؤه غمر لا نهاية له • واذا كان لـ « من » وهو المفعول الاول ليرزق فالمعنى ان المرزوق غير محاسب على ما يرزقه الله تعالى ، فيكون أيضا حالا منه ، ويقع « الحساب » الذي هو المصدر على المفعول الذي هو « محاسب »من: « حاسب » ، أو المفعول من « حسب » ، أي غير معدود عليه ما رزق ، او على حذف مضاف ، أي:غير ذي حساب ، ويعني بالحساب: المحاسبة أو العدّ ، و « الباء » زائدة في هذه الحال أيضا • ويحتمل في هذا الوجه ان يكون المعنى انه يرزق من حيث لا يحتسب ، فيكون حالا أيضا أي غير محتسب •

وهذه الاوجه كلها متكلفة وفيها زيادة « الباء » ، والاولى ان تكون « الباء » للمصاحبة وهي التي يعبر عنها بـ « باء الحال » ، وعلى هذا يصلح ان تكون للمصدر وللفاعل وللمفعول ويكون الحساب مرادا به المحاسبة أو العدّ ، أي يرزق من يشاء ولا حساب على الرزق ، أو ولا حساب للرازق ، أو ولا حساب على المرزوق • وكون « الباء » لها معنى اولى من كونها زائدة، وكون المصدر باقيا على المصدرية أولى من كونه مجازا عن اسم فاعل أو اسم مفعول ، وكونه مضافا لـ « غير » أولى من جعله مضافا لـ«ذي» محذوفة ، ولا تعارض بين قوله « جزاء من ربك عطاء حسابا » أي:

محسبا أي كافيا من احسبني كذا ، اذا كفاك ، و «بغيرحساب» معناه العد أو المحاسبة ، او لاختلاف متعلقيهما ان كانا بمعنى واحد، فالاختلاف بالنسبة الى صفتي الرزق والعطاء في الآخرة ، فـ « بغير حساب » في التفضل المحض ، و « عطاء حسابا » في الجزاء المقابل للعمل ، أو بالنسبة الى اختلاف طرفيهما . فـ « بغير حساب » في الدنيا اذ يرزق الكافر والمؤمن ولا يحاسب المرزوقين عليه ، وفي الآخرة يحاسب»[1] .

ويبين أبو حيان أثر معنى الاداة ونوعها في تفسير الآية ولماذا يستعمل القرآن هذه الأداة دون تلك فيقول « وكان النفي بـ «لن» في هذه الجملة دون « لا » وان كانتا اختين في نفي المستقبل لان في « لن » توكيدا وتشديدا ، تقول لصاحبك « لا أقيم عندك غدا » فان انكر عليك قلت « لن اقيم غدا » ، كما تفعل في « أنا مقيم » و « انني مقيم » قاله الزمخشري ، وما ذكره هنا مخالف لما حكي عنه ان « لن » تقتضي النفي على التأبيد . واما ما ذهب اليه ابن خطيب زملكا من ان « لن » تنفي ما قرب ، وان « لا » يمتدّ النفي فيها فكاديكون عكس قول الزمخشري ، وهذه الاقوال أعني التوكيد، والتأبيد، ونفي ما قرب ، أقاويل المتأخرين وانما المرجوع في معاني هذه الحروف وتصرفاتها لائمة العربية المقانع الذين يرجع الى أقاويلهم . قال سيبويه رحمه الله و «لن» نفي لقوله « سيفعل »[2] . وقال وتكون « لا » نفياً لقوله « تفعل » ، و « لم تفعل » . ويعني بقوله « تفعل » و «لم تفعل » المستقبل ، فهذا نص منه انهما ينفيان المستقبل الا ان « لن » نفي لما دخلت عليه أداة الاستقبال و « لا » نفي للمضارع الذي يراد به الاستقبال ، فـ « لن » اخص اذ هي داخلة على ما ظهر فيه دليل الاستقبال لفظاً ولذلك وقع الخلاف في « لا » هل تختص بنفي المستقبل أم يجوز ان تنفي بها الحال ؟ وظاهر كلام سيبويه رحمه الله

---

(١) البحر المحيط ج٢ ص ١٣١ — ١٣٢

(٢) قال سيبويه: كما كان «لن نفعل» نفيا لـ «سيفعل» ينظر الكتاب ج١ ص٤٠٨

هنا انها لا تنفي الحال الا انه قد ذكر في « الاســتثناء » من ادواته « لا يكون »[1] . ولا يمكن حمل النفي فيه على الاستقبال لانه بمعنى « إلاّ » فهو للانشاء واذا كان للانشاء فهو حال ، فيفيد كلام سيبويه في قوله « وتكون « لا » نفياً لقوله « يفعل » و « لم يفعل » هــذا الذي ذكر في الاستثناء ، فاذا تقرر هذا الذي ذكرناه كان الاقرب من هذه الاقوال قول الزمخشري اولا »[2]

وكثيراً ما يبين أبو حيان معنى الفعل وعمله وما يحمل من دلالات، ويوضح استعماله وما يوحي به من معانٍ خاصة قد لا تكون لغيره لو استعمل مكانه[3] .

وهكذا يستفيد صاحبنـــا من ثقافتـه اللغوية والنحويـــة في التفسير ، وقد كان « البحر المحيط » ميدانا رحبا يطبق فيه هذه الثقافة الواسعة .

اهتمامه بالقراءات واللهجات :

ومما يتعلق باللغة والنحو اهتمام أبي حيان بالقراءات واللهجات والاستفادة منها في تفسير القرآن واظهار معانيه العظيمة . وكانت ثقافة ابي حيان في هــذه الموضوعات السبيل الممهد للاســتفادة منها في « البحر المحيط » ، فهو يستشهد على المعنى الذي يذهب اليـــه بالقراءات واللهجات المختلفة . وقد جعل علم القراءات أحد العلوم التي يحتاج المفسر الى معرفتها ، يقول: « الوجه السابع اختلاف الالفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو اتيان بلفظ بدل لفظ وذلك بتواتر وآحاد ، ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات »[4]

وأبو حيان حينما يستشهد بالقراءات يذكر آراء المفســرين في

(١) ينظر الكتاب ج١ ص ٢٧٦ – ٢٧٧ باب لايكون وليس وما اشبههما »
(٢) البحر المحيط ج١ ص ١٠٧
(٣) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٤٢٣ – ٤٢٤
(٤) البحر المحيط ج١ ص ٧

القراءة والقاريء ويرد عليهم عندما يخطّئون قارئاً ،ويردعلى اللغويين والمفسرين في انكارهم القراءات ويوجهها التوجيه الصحيح ،ويبيّن أثر القراءة في المعنى ،وقد يحمل بعض القراءات على اللغات الضعيفة ان لم يجدلها سندافي المشهور،ويأخذبالمنقول من اللغات ولايذهب الى استكراهها وان كانت لغة ضعيفة[1] . وقد يرجح قراءة على اخرى ان لم تكن من القراءات المتواترة كقوله في تفسير قوله تعالى: «يُذَبِّحون أبناكم»[2]

« قراءة الجمهور بالتشديد وهو أولى لظهور تكرار الفعل باعتبار متعلقاته ، وقرأ الزهري وابن محيصن «يَذبَحون» خفيفاً من « ذبح » المجرد اكتفاء بسطلق الفعل وللعلم بتكريره من متعلقاته »[3].

فان كانت القراءتان او القراءات متواترة عن الرسول (ص) فانه لا يرجح بينها لصحتها وثبوت روايتها وامثلة ذلك كثيرة في تفسيره الكبير،يقول في قوله تعالى:«وإذ واعَدْنا مُوسى أربعينَ لَيلةً »[4]

« قرأ الجمهور « واعدنا » ، وقرأ ابو عمرو « وعدنا » بغير«الف» هنا وفي « الاعراف » و « طه » ، ويحتمل « واعدنا » ان يكون بمعنى: « وعدنا » ويكون صدر من واحد ، ويحتمل ان يكون من اثنين على أصل المفاعلة ، فيكون الله قد وعد موسى الوحي ويكون موسى وعد الله المجيء للميقات . أو يكون الوعد من الله وقبوله كان من موسى وقبول الوعد يشبه الوعد ، قال القفال ولا يبعد ان يكون الآدمي يعد الله بمعنى يعاهده . وقيل وعد اذا كان من غير طلب ، وواعد اذا كان عن طلب . وقد رجح أبو عبيد قراءة من قرأ « وعدنا » بغير ألف ، وانكر قراءة من قرأ « واعدنا » بالالف ، وافقه على معنى ما قال أبو حاتم ومكي . وقال أبو عبيد « المواعدة » لا تكون الا

---

(١) ينظر البحر المحيط ج٥ ص ١٥ ، وج٤ ص ١٩٠ ، و ج٧ ص ٥١٥ ، وج٢ص٢٨٨ و ج١ ص ١٥٨

(٢) سورة البقرة ، الاية ٤٩

(٣) البحر المحيط ج١ ص١٩٢-١٩٤، وينظر في ترجيحه بين القراءات غير المتواترة ج١ ص ١١٧ ، وج٧ ص ٢٩٥ من البحر المحيط .

(٤) سورة البقرة ، الاية ٥١

من البشر ، وقال ابو حاتم أكثر ما تكون المواعدة من المخلوقين المتكافئين كل منهما يعد صاحبه . وقد مَرّ تخريج « واعد » على تلك الوجوه السابقة ، ولا وجه لترجيح إحدى القراءتين على الاخرى لان كلا منهما متواتر فهما في الصحة على حد سواء »[1] .

ويقول في الفرق بين « غَرفة » و « غُرفة » في قوله تعالى « إلا مَن اغترفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ »[2] « وقرأ الحرميان وأبو عمرو « غَرفة » — بفتح الغين — ، وقرأ الباقون بضمها فقيل هما بمعنى المصدر ، وقيل هما بمعنى المغروف ، وقيل « الغَرفة » — بالفتح — المرة ، وبالضم ما تحمله اليد ، فاذا كان مصدرا فهو على غير الصدر ، اذ لو جاء على الصدر لقال « اغترافه »، ويكون مفعول « اغترف » محذوفا أي ماء . واذا كان بمعنى المغروف كان مفعولا به ، قال ابن عطية وكان أبو علي يرجح ضم الغين ورجحه الطبري أيضا أنّ « غَرفة » بالفتح انما هو مصدر على غير « اغتراف » .

وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون بين القراءتين لا ينبغي، لان هذه القراءات كلها صحيحة ومروية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل منها وجه ظاهر حسن في العربية فلا يمكن فيها ترجيح قراءة على قراءة »[3] .

وأبو حيان يقتدي في هذا الاتجاه بثعلب امام الكوفيين في اللغة والنحو والقراءات وقد صرح بذلك فقال « وقد تقدم لنا غير مرة أنا لا نرجح بين القراءتين المتواترتين ، وحكى أبو عمرو الزاهد في كتاب « اليواقيت » ان أبا العباس احمد بن يحيى ثعلبا كان لا يرى الترجيح بين القراءات السبع ، وقال قال ثعلب من كلام نفسه « اذا اختلف الاعراب في القرآن عن السبعة لم افضل

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ١٩٩

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٤٩

(٣) البحر المحيط ج٢ ص ٢٦٥

اعرابا على اعراب في القرآن ، فاذا خرجت الى الكلام كلام النـــاس فضلت الاقوى » . ونعم السلف لنا احمد بن يحيى كان عالما بالنحو واللغة متدينا ثقة »[1] .

ويحمل أبو حيان القراءات المخالفة لسواد المصحف المجمع عليه بزيادة أو نقص أو تغيير أو غيره على التفسير ولا يعتبرهـا قراءات بسبب هذه المخالفة ، وقد يستشهد بلغات العرب التي تؤكد أن هذه القراءة مرادفة لما في سواد المصحف[2] .

وهكذا استفاد صاحبنا من القراءات واللهجات المختلفة في تفسير القرآن الكريم ، وقد كان بصيرا في كل ما نقل .

اهتمامه بعلم البلاغة :

ومن العلوم التي يرى أبو حيان انها مهمة للمفسر علم البيـــان والبديع لانه العلم الذي يستطيع المفسر به ان يعرف حسن التراكيب ويدرك فصاحتها وجمالها ، يقول عند كلامه على العلوم التي يحتاج المفسر اليها « الوجه الثالث كون اللفظ أو التركيب أحسن وافصح ، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديـع . وقد صنف النـاس في ذلك تصانيف كثيرة »[3] . ويرى ان علم التفسير ليس متوقفـا على علم النحو وحده ، يقول « ولنبين ان علم التفسير ليس متوقفا على علم النحو فقط كما يظنه بعض الناس بل أكثر أئمة العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة ولذلك قلت تصانيفهم في علم التفسير ، وقلّ ان ترى نحويا بارعا في النظم والنثر كما قلّ ان ترى بارعا في الفصاحة يتوغل في علم النحو »[4] .

---

(١) البحر المحيط ج٤ ص ٨٧

(٢) ينظر البحر المحيط ج٨ ص ٢٨١ ، وص ٤٩٣ ، ٢١٥ ، و ج٣ ص ١٩٧ ، ٢٤٠ . و ج٢ ص ٩٤ ، و ج١ ص ٣٢٤

(٣) البحر المحيط ج١ ص ٦

(٤) البحر المحيط ج١ ص ٩

واستفاد أبو حيان من علم البلاغة في تفسيره ، فهو بعد أن يذكر توجيه المسائل اللغوية والنحوية ناقلا أقاويل السلف في فهم معاني الآيات نراه يختتم الكلام في جملة من الآيات التي يفسرها افرادا وتركيبا بما ذكروا فيها من علم البلاغة ، وقد وضح هذا المنهج في مطلع كتابه ، يقول « ثم اختتم الكلام في جملةمن الآيات التيفسرتها افرادا وتركيبا بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصا »[1] .

وقد ملأ أبو حيان تفسيره الكبير بالمسائل البلاغية ، واستفاد منها في توضيح معاني الآيات البينات ، ولكنه يرى ان حمل الكلمات في الآيات على معانيها الحقيقية أفضل من حملها على المجاز ، يقول في تفسير قوله تعالى « وليس البرُّ أن تأتوا البيوتَ من ظهورها ولكنَّ البرَّ من اتّقى »[2]، ـ بعد ان نقل اسباب نزول هذه الآية ـ « وهذه اسباب تظافرت على أن « البيوت » أريد بها الحقيقة وان الاتيان هو المجيء اليها والحمل على الحقيقة أولى من ادعاء المجاز مع مخالفة ما تظافر من هذه الاسباب »[3] .

وتعرض لاعجاز القرآن وفند رأي من يذهب الى الاعجاز بالصرفة ، يقول « والقائلون بان الاعجاز وقع بالصرف هم من نقصان الفطرة الانسانية في رتبة بعض النساء .. »[4] . ويذهب الى ان الاطلاع على أساليب الكلام والتعمق في المنظوم والمنثور يساعد على فهم غوامض القرآن وادراك لطائف ما تضمنه من العلم بالاعجاز .

ويستطيع الباحث في علم البلاغة ان يستخرج معلومات كثيرة من « البحر المحيط » تفيده في دراسة البلاغة وتطور مصطلحاتها وفنونها المختلفة ، لان أبا حيان نثر في تفسيره مسائل بلاغية كثيرة وهي

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ٥
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٨٩
(٣) البحر المحيط ج١ ص ٦٣
(٤) البحر المحيط ج١ ص ٨

تدل على فهم عميق لفن البلاغة . ولا نذهب ـ بعد أن درسنا تفسيره ـ
الى ما ذهب ابن هشام اليه حيث ذكر ان ابا حيان لا يعرف علم البلاغة،
يقول ابن هشام « للبيانيين في الاعتراض اصطلاحات مخالفة
لاصطلاح النحويين والزمخشري يستعمل بعضها كقوله في قوله تعالى
« ونحن له مسلمون »[1] يجوز ان يكون حالاً من فاعل « نعبد »
أو من مفعوله لاشتمالها على ضميريهما ، وان تكون معطوفة على
« نعبد » وان تكون اعتراضية مؤكدة ، أي ومن حالنا انا مخلصون
له التوحيد . ويرد عليه مثل ذلك من لا يعرف هذا العلم كابي حيان
توهما منه انه لا اعتراض الا ما يقوله النحوي وهو الاعتراض بين
شيئين متطالبين »[2] . ولا نوافق السبكي في رأيه حينما يقول في
بحث الالتفات « وشيخنا أبو حيان توهم ان ذلك من الالتفات لانه
لم يحقق معنى الالتفات وظن انه أمر لفظي ، وكذلك ظن ان منه قراءة
من قرأ « اياك يعبد »[3] ، بالياء المضمومة في « يعبد » وليس
منه »[4] . نقول اننا لا نوافقهم على ذلك لان الشواهد الكثيرة تكذب
ما قيل[5] ويكفي أبا حيان فخرا انه كان عالما بالبلاغة وفنونها ، مطلعا
على أساليبها ومصطلحاتها ، وقد نظم في ذلك ارجوزة « خلاصة
التبيان في علمي البديع والبيان » واستفاد في البلاغة من آراء شيخه
ابن حازم القرطاجني مؤلف « منهاج البلغاء » . ويكفيه فخرا انه

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٣٢

(٢) مغني اللبيب ج٢ ص ٣٩٩ وينظر رد ابي حيان على الزمخشري في البحر المحيط ج١ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤

(٣) سورة الفاتحة ، الآية ٥ قال ابو حيان في النهر ج١ ص ٢٣ «قرئ:«نعبد» بكسر النون و « يعبد » مبنيا للمفعول ، وهي قراءة مشكلة وتوجيهها ان فيها استعارة والتفاتا ، فالاستعارة احلال المنصوب موضع المرفوع فكأنه قال « انت » ثم التفت فاخبر عنه اخبار الغائب فقال يعبد وغرابة هذا لالتفات كونه في جملة واحدة».

(٤) عروس الافراح ج١ ص ٤٧٧ ، وتنظر ص ٤٧٩

(٥) ينظر راي ابي حيان في الموضوعات البلاغية في البحر المحيط ج١ ص ٣٨ ، ١٨١، ١٩٢ ، ٢٠٢ ، و ج٢ ص ١٥ ـ ١٦ وص ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩١ ، و ج٣ ص ٢٠٨ ، ٣٦٩،وج٤ ص ٢٠٨ ، ٢٩١ ، و ج٥ ص ١٠٨ ، ٢٥٧ ، ٤٩٨ ، و ج٧ ص ١٤٥ و ج ٨ ص ٨٢ وينظر التذييل والتكميل (القسم المطبوع) ج١ ص ١١٤ ـ ١١٥

استفاد من هذا العلم في تفسير القرآن وعرض صوره البيانية الرائعة ، أما هم فقد جعلوا البلاغة قواعد جامدة واصولا تحفظ ولم يستفيدوا من القرآن وجيد المنثور والمنظوم في التطبيق .

رده على المعتزلة :

كان أبو حيان مالكيا فظاهريا ومن هنا كان لا يأخذ بتأويل المعتزلة فرد على الزمخشري والرازي وعبدالجبار القاضي وفند آراءهم وسخر منهم في كثير من الاحيان . وكان أغلب نقده منصبا على الزمخشري الذي ملأ تفسيره « الكشاف » بآراء المعتزلة واقوالهم ، ولا يكاد أبو حيان يترك فرصة من غير تعريض بالزمخشري وتفنيد لآرائه .

وقد أشار أبو حيان في تفسيره الى آراء المعتزلة وفندها ، من ذلك انهم يخرجون لفظ القرآن عن ظاهره ، وانهم يقولون بالمنزلة بين المنزلتين ، وغير ذلك من آرائهم في العدل والتوحيد وخلق القرآن . ويرى ان الزمخشري قد درس آراءه وآراء جماعته في تفسير القرآن الكريم وهذا ما ينبغي تجريد التفسير عنه ، وانه طعن في اهل السنة والسلف ، يقول عنه « وهو على عادته في اللهج بسبّ أهل السنة والجماعة ورميهم بالتشبيه والخروج الى الطعن عليهم بأي طريق أمكنه »[1] . وقد يرميه بالسفه لسبّه أهل السنة فيقول « وهو على عادته وسفاهته في سبّ أهل السنة ومذهبه ان من دخل النار لا يخرج منها »[2] .

ولا يكتفي أبو حيان برده على المعتزلة وعلى الزمخشري رئيسهم في التفسير ، بل يستشهد في بعض المواضع برد غيره من معارضي المعتزلة كما فعل في تفسيره قوله تعالى « فلما أفاقَ قالَ سبحانك

---

(١) البحر المحيط ج٢ ص ٤١٧ .
(٢) البحر المحيط ج٣ ص ٤٧٥

تثبتُ اليك »[1] قال « وقال الزمخشري « قال سبحانك »
انزهك عما لا يجوز عليك من الرؤية • فان قلت كان طلب الرؤية
للغرض الذي ذكرته فمم تاب ؟ قلت عن اجرائه تلك المقالة العظيمة
وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله تعالى ، فانظر
الى اعظام الله تعالى أمر الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل
بطالبيها وجعله دكاً ، وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك
مبالغة في اعظام الامر ، وكيف سبح ربه ملتجئاً اليه وتاب من اجراء
تلك الكلمة على لسانه وقال « أنا أول المؤمنين » ثم تعجب من
المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه
العظيمة مذهبا ، ولا يعرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات
أشياخهم والقول ما قاله بعض العدلية فيهم

لجماعة سمّوا هواهم سُنَّةً وجماعةحُمُرٌ لَعَمْري مُؤكَفَهْ
قد شبَّهوهُ بخلقه وتخوَّفوا شَنَعَ الورَى فتستَّروا بالبلْكَفَهْ

وهو تفسير على طريقة المعتزلة وسب أهل السنة والجماعة على عادته•
وقد نظم بعض علماء أهل السنة على وزن هذين البيتين وبحرهما ،
أنشدنا الاستاذ العلامة أبو جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير بغرناطة
اجازة ان لم يكن سماعا ونقلت من خطه قال انشدنا القاضي الاديب
العالم أبو الخطاب محمد بن احمد بن خليل السكوني بقراءتي عليه عن
أخيه القاضي أبي بكر من نظمه

شبَّهت جهلا صدرَ أُمَّةِ أحمد وذوي البصائرِ بالحمير المؤكَفَه
وزعمت أن قد شبَّهوا معبودَهم وتخوَّفوا فتستَّروا بالبلكفه
ورميتَهم عن نبعة سوَّيتها رميَ الوليد غدا يمزق مصحفه
وجب الخسار عليك فانظر مُنصِفا في آيةِ الاعرافِ فهي المُنْصِفه
أترى الكليم اتى بجهل ما أتى وأتى شيوخُك ما أتَوا عن معرفه

---

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٤٣

وبآية الاعراف وَيْكَ خُذِلتُمُ فوقفتمُ دون المراقي المزلفه
لو صحّ في الاسلام عقدك لم تقل بالمذهب المهجور من نفي الصفه
ان الوجوه َ اليه ناظِرَةٌ بذا جاء الكتابُ فقلتم هذا السَفَه
فالنفي مختص بدارٍ بعدها لك لا أبالَك موعدا لن تخلفه

وانشدنا قاضي القضاة ابو القاسم عبدالرحمن ابن قاضي القضاة أبي محمد عبدالوهاب بن خلف العلامي بالقاهرة لنفسه

قالوا يُريد ولا يكون مُرادُه
عدلوا ولكن عن طريقِ المعرفه[1]

ولم يُشفِ هذا الرد وهذه الأبيات صدر أبي حيان في دفاعه عن أهل السنة الذين يذهب مذهبهم في تفسيره ويسميهم « أصحابنا »[2]، بل نقل فيهم نصا عن الماتريدي في تفسير قوله تعالى « وإنّا إن شاءَ اللهُ لَمُهتدونَ »[3] وقارن بين المعتزلة واليهود ، يقول « قال الماتريدي ان قوم موسى مع غلظ أفهامهم وقلة عقولهم كانوا أعرف بالله واكمل توحيدا من المعتزلة ، لانهم قالوا « وانا ان شاءَ اللهُ لمهتدون » والمعتزلة يقولون « قد شاء الله أن يهتدوا وهم شاءوا ان لا يهتدوا » فغلبت مشيئتُهم مشيئة الله تعالى حيث كان الامر على ما شاءوا لا كما شاء الله تعالى فتكون الآية حجة لنا على المعتزلة »[4].

ولم يكن الزمخشري الرجل الوحيد الذي رد أبو حيان على المعتزلة عن طريقه ، بل كان غيره من علماء المعتزلة كعبدالجبار القاضي هدفا له ، يقول في تفسير قوله تعالى « فتوبوا الى بارئكم فاقتُلوا أنفُسَكم »[5] « وتعدية التوبة بـ « الى » معناه الانتهاء بها الى

---

(١) البحر المحيط ج٤ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦
(٢) البحر المحيط ج١ ص ١٩١
(٣) سورة البقرة ، الآية ٧٠
(٤) البحر المحيط ج١ ص ٢٥٤
(٥) سورة البقرة ، الآية ٥٤

الله فتكون بريئة من الرياء في التوبة، لانهم إن راءوا بها لم تكن الى الله.
ولا يلتفت الى ما وقع في « المنتخب » من ان المفسرين أجمعوا على أنهم
ما قتلوا انفسهم بايديهم اذ قد نقلنا أن منهم من قال ذلك باجماع. وأما منع
عبدالجبار ذلك من جهة العقل بان القتل هو نقض البنية التي عنده يجب
أن يخرج من أن يكون حياً وما عدا ذلك انما يسمى قتيلاً على سبيل
المجاز قال وهذا لا يجوز أن يأمر الله به لان العبادات الشرعية انما
تحسن لكونها مصالح لذلك المكلف ولا يكون مصلحة الا في الأمور
المستقبلة ، وليس بعد القتل حال تكليف حتى يكون القتل مصلحة فيه
وهذا بخلاف ما يعقله الله من الامانة لان ذلك من فعل الله تعالى فيحسن
ان يفعله ولا يحصل الموت عقيبه لانه لما بقي بعد ذلك الفعل حياً لم يمتنع
ان يكون ذلك الفعل صلاحا في الأفعال المستقبلة . انتهى كلامه . وهو
مبني على قاعدتهم في الاعتزال من مراعاة المصلحة، والكلام معهم في ذلك
مذكور في اصول الدين مع انه يمكن ان يقال هنا بالمصلحة ، لان الأمر
بالقتل ليس الا من باب الزواجر والروادع وليس من شرط ذلك اعتبار
حال المكلف بل يصنع الزواجر لازدجار غيره، واذا فعل هذا الفعل العظيم
الذي هو القتل بمن عبد العجل اتعظ به غيره وانكف عن الوقوع فيما
لا يكون التوبة منه الا بالقتل »[1]

ولم يقتصر ابو حيان رده على شيوخهم وحدهم ، وانما رد على
من جنح الى مذهبهم أو رجح آراءهم[2] ، وبذلك كان موقفه من
المعتزلة موقفا عنيفا لا هوادة فيه فقد سفّه آراءهم ، وفنّد افكارهم .

رده على المتصوفة :

ولم تكن معارضة أبي حيان مقتصرة على المعتزلة وحدهم وانما
وقف الموقف نفسه من المتصوفة بل ربما كان موقفه منهم أشد وأعنف،

(١) البحر المحيط ج١ ص ٢٠٨
(٢) ينظر البحر المحيط ج٢ ص ٥٠٤

فقد رماهم بالالحاد والزندقة والنجاسة ونبّه الناس الى أعمالهم وسرد اسماءهم عندما فسر قوله تعالى « لقد كفرَ الذين قالوا إن اللهَ هو المسيحُ بنْ مريم »[1]،وقارن بينهم وبين المسيحيين الذين يقولون ان المسيح ابن الله ، يقول:« وقد رأيتُ من نصارى بلاد الاندلس من كان ينتمي الى العلم فيهم ، وذكر لي ان عيسى نفسه هو الله تعالى ، ونصارى الاندلس ملكية ، قلتُ له كيف تقول ذلك ومن المتفق عليه ان عيسى كان يأكل ويشرب ، فتعجب من قولي وقال اذا كنت أنت بعض مخلوقات الله قادراً على أن تأكل وتشرب فكيف لا يكون الله قادرا على ذلك ؟ فاستدللت من ذلك على فرط غباوته وجهله بصفات الله تعالى ، وذهب ابن عباس الى انهم أهل نجران ، وزعم طائفة منهم انه إله الارض والله إله السماء • ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تستر بالاسلام ظاهراً وانتمى الى الصوفية حلول الله تعالى في الصور الجميلة ، ومن ذهب من ملاحدتهم الى القول بالاتحاد والوحـــدة كالحلاج والشوذي وابن أحلى وابن العربي المقيم كان بدمشق ، وابن الفارض واتباع هؤلاء كابن سبعين ، والتسري ، وتلميذه،وابن مطرف المقيم بمرسية،والصفار المقتول بغرناطة ، وابن اللباج ، وأبو الحسن المقيم كان بلورقة • وممن رأيناه يرمى بهذا المذهب الملعون العفيف التلمساني وله في ذلك أشعار كثيرة ، وابن عياش المالقي الاسود الاقطع المقيم كـــان بدمشق ، وعبدالواحد بن المؤخر المقيم كان بصعيد مصر ، والايكي العجمي الذي كان تولى المشيخة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من ديار مصر ، وأبو يعقوب بن مبشّر تلميذ التستري المقيم كان بحارة زويلة • وانما سردت اسماء هؤلاء نصحاً لدين الله يعلم الله ذلك وشفقة على ضعفاء المسلمين وليحذروا ، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله تعالى ورســله ويقولون بقدم العالم وينكرون البعث • وقد أولــع جهلة ممن ينتمي

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١٧

للتصوف بتعظيم هؤلاء وادعائهم انهم صفوة الله وأولياؤه »[1] .

ويرى أبو حيان أن من يلبس الصوف ويدعي العلم بالمغيبات انما يفعل ذلك لاجل الانصراف عن العمل والتكسب الى اللهو واللعب بعقول الناس البسطاء ، ولاجل جمع الاتباع والمريدين الذين يقومون بنهب أموال الناس ، وان المتصوفة يتباهون بالعلم وهم أجهل الناس ويلبسون الصوف وهم عارون عن الفضل والكيس ، وإلى ذلك يشير بقوله

أيا كاسياً من جيد الصوف نفسه ويا عارياً من كل فضل ومن كيس
أتزهى بصوف وهو بالأمس مصبح على نعجة واليوم أمسى على تيس[2]

وأنصبت أعنف حملات أبي حيان على شيخ المتصوفة في الاندلس ابن عربي الذي يراه ضالاً مضلاً ، يقول عنه وهو يفسر قوله تعالى: « فوجدا عَبداً من عبادِنا آتيناهُ رحمةً من عندنا وعلَّمناه من لدُنَّا علماً .. »[3] وفي كتاب « التحرير والتحبير » ما نصه تعلق بعض الجهال بما جرى لموسى مع الخضر عليهما السلام على ان الخضر أفضل من موسى وطردوا الحكم وقالوا قد يكون بعض الاولياء أفضل من آحاد الانبياء واستدلوا ايضا بقول أبي زيد « خضت بحراً وقف الانبياء على ساحله » ، وهذا كله من ثمرات الرعونة والظنة بالنفس . انتهى . وهكذا سمعنا من يحكي هذه المقالة عن بعض الضالين المضلين وهو ابن العربي الطائي الحاتمي صاحب الفتوح المكية فكان ينبغي ان يسمى بالقبوح الهلكية ، وانه كان يزعم ان الولي خير من النبي ، قال: لان الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي يأخذ بواسطة عن الله ، ولان الولي قاعد في الحضرة الالهية والنبي يرسل الى قوم ومن كان في الحضرة أفضل ممن يرسله صاحب الحضرة ، الى أشياء من هذه الكفريات

---

(١) البحر المحيط ج٣ ص ٤٤٩ ، وينظر رأي أبي حيان في المتصوفة في كتاب (مصرع التصوف) ص ١٥٦ ــ ١٥٧

(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٢٩٠

(٣) سورة الكهف ، الآية ٦٥

والزندقة • وقد كثر معظمو هذا الرجل في هذا الزمان من غلاة الزنادقة القائلة بالوحدة نسأل الله السلامة في ادياننا وابداننا »[1] •

وقد أكثر أبو حيان من نقل أخبار المتصوفة في تفسيره الكبير ، ولكن هل كان ينقل أخبارهم وآراءهم عن رغبة في نقلها أو لسبب آخر؟ لنستمع اليه يبين لنا ذلك ، يقول في تفسير قوله تعالى: « اهدنا الصراط المستقيم »[2]• « وروي عن المتصوفة في قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم» أقوال منها: قول بعضهم اهدنا الصراط المستقيم بالغيبوبة عن الصراط لئلا يكون مربوطا بالصراط • وقول الجنيد ان سؤال الهداية عند الحيرة من أشهر الصفات الأزلية فسألوا الهداية الى أوصاف العبودية لئلا يستغرقوا في الصفات الازلية • وهذه الاقوال ينبو عنها اللفظ ولهم فيما يذكرون ذوق وادراك لم نصل نحن اليه بعد • وقد شحنت التفاسير باقوالهم ونحن نلم بشيء منها لئلا يظن انا انما تركنا ذكرها لكوننا لم نطلع عليها »[3] •

وخلاصة القول ان أبا حيان كان يكره المتصوفة ويراهم ضالين مضللين ينبغي التحذير منهم ومن آرائهم التي يبثونها بين المغفلين البسطاء •

موقفه من الفلاسفة :

وكان موقف أبي حيان من الفلاسفة كموقفه من المتصوفة ، فهو يرى ان كلامهم مطرح لا يلتفت اليه وانه ينبغي تنزيه تفسير الكتاب العزيز منه ، يقول وهو يتحدث عن الملائكة في قوله تعالى « جنات عدنٍ يدخلونها ومن صَلَحَ من آبائهم وأزواجِهم وذريّاتهم والملائكةُ يدخلونَ عليهِم من كلِّ بابٍ • سلامٌ عليكم بما صبرتُم فنِعم عُقبى الدار »[4] • « ولابي عبدالله الرازي كلام عجيب في الملائكة ، ذكر ان الملائكة طوائف منهم روحانيون ومنهم كروبيون فالعبد اذا

(١) البحر المحيط ج٦ ص ١٥٦ ، وينظر ج٤ ص ١٧٤
(٢) سورة الفاتحة ، الآية ٦
(٣) البحر المحيط ج١ ص ٢٧
(٤) سورة الرعد ، الآية ٢٣ – ٢٤

راض نفسه بانواع الرياضات كالصبر والشكر والمراقبة والحماسة فلكل مرتبة من هذه المراتب جوهر قدسي وروح علوي يحفظ لتلك الصفة مزيد اختصاص ، فعند الموت اذا اشرقت تلك الجواهر القدسية تجلت فيها من كل روح من الارواح السماوية ما يناسبها من الصفة المخصوصة فيفيض عليها من ملائكة الصبر كمالات مخصوصة نفسانية لا تظهر الا في مقام الصبر ومن ملائكة الشكر كمالات روحانية لاتتجلى الا في مقام الشكر ، وهكذا القول في جميع المراتب . وهذا كلام فلسفي لا تفهمه العرب ولا جاءت به الانبياء فهو كلام مطرح لا يلتفت اليه المسلمون »[1] .

ويكفرهم أحيانا فيقول عن عبدالله الرازي « وهذا الرجل كثيراً ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون لاهل الشرائع في تفسير كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب ، والعرب لا تفهم شيئا من مفاهيم أهل الفلسفة فتفسيرهم كاللغزوالاحاجي ، ويسميهم هذا الرجل حكماء وهم من آجهل الكفرة بالله تعالى وبانبيائه »[2] .

وسبب هجوم أبي حيان على الفلسفة والفلاسفة تمسكه بالظاهرية وبالسلف الذين لا يجنحون الى الاغراب في التفسير وادخال مصطلحات الفلاسفة واساليبهم في التعبير والتحليل .

موقفه من الفرق المختلفة :

وفي « البحر المحيط » اشارات كثيرة الى الفرق المختلفة وهي توضح موقف أبي حيان منها ورده عليها ، وقد حمل على كثير منهم من أول كتابه فقال في توضيح منهجه في التفسير:« وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الالفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة الى هذيان افتروه على الله تعالى وعلى علي كرم الله وجهه وعلى ذريته ويسمونه علم التأويل . وقد وقفت على تفسير لبعض رؤوسهم وهو تفسير عجيب

(١) البحر المحيط ج٥ ص ٣٨٧
(٢) البحر المحيط ج٥ ص ٤١٦

يذكر فيه أقاويل السلف مزدريا عليهم وذاكراً انه ما جهل مقالاتهم ثم بفسر هو الآية على شيء لا يكاد يخطر في ذهن عاقل ويزعم ان ذلك هو المراد من هذه الآية • وهذه الطائفة لايلتفت اليها ، وقد رد أئمة المسلمين عليهم أقاويلهم وذلك مقرر في علم اصول الدين ، نسأل الله السلامة في عقولنا وأدياننا وابداننا »[1] •

ومن الفرق التي أمطرها أبو حيان اللعنات الباطنية والحشوية والكرامية والمجسمة والمشبهة[2] ورأى انها ضالة مضللة وان أفكارها وآراءها سموم تنفثها بين الناس • ولم يقتصر رده على الفرق الاسلامية وانما رد على الملحدين ، يقول في تفسير قوله تعالى « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة" »[3] • « قال الحسن: كاملة في الثواب في سدها مسد الهدى في المعنى الذي جعلت بدلا عنه • وقيل كاملة في الغرض والترتيب ولو صامها على غير هذا الترتيب لم تكن كاملة • وقيل كاملة في الثواب لمن لم يتمتع ، وقيل « كاملة » توكيد كما تقول : « كتبته بيدي » و« فخر عليهم السقف من فوقهم »[4] قال الزمخشري وفيه يعني التأكيد زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاونوا بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزلة : « الله الله لا تقصر» • وقيل الصيغة خبر ومعناه الأمر ، أي: اكملوا صومها فذلك فرضها وعدل عن لفظ الامر الى لفظ الخبر لان التكليف بالشيء اذا كان متأكداً خلافاً لظاهر دخول المكلف به في الوجود فعبر عنه بالخبر الذي وقع واستقر • وبهذه الفوائد التي ذكرناها رد على الملحدين في طعنهم بان المعلوم بالضرورة ان الثلاثة والسبعة عشرة فهو ايضاح للواضحات ،

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ٥

(٢) ينظر البحر المحيط ج٤ ص ١٤٦ ، ١٦٨ ، وج٢ ص ٤٤٣ ، وج٣ ص ١٣٩ ، وج١ ص ٥٥ ، ١٤٣ على التوالي

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٩٦

(٤) سورة النحل ، الآية ٢٦

وبأن وصف العشرة بالكمال يوهم وجود عشرة ناقصة وذلك محال والكمال وصف نسبي لا يختص بالعددية كما زعموا لعنهم الله »[١]

ورد أبو حيان على المنجمين والسحرة وذكر حكم تكفير من يشتغل بالسحر على اختلاف أنواعه ، يقول « واما حكم السحر فما كان منه يعظم به غير الله من الكواكب والشياطين واضافة ما يحدثه الله اليها فهو كفر اجماعا لا يحل تعلمه ولا العمل به ، وكذا ما قصد بتعلمه سفك الدماء والتفريق بين الزوجين والاصدقاء . واما اذا كان لايعلم منه شيء من ذلك بل يحتمل فالظاهر انه لا يحل تعلمه ولا العمل به وما كان من نوع التحيل والتخييل والدك والشعبذة فان قصد بتعليمه العمل به والتمويه على الناس فلا ينبغي تعلمه لانه من باب الباطل ،وان قصد بذلك معرفته لئلا تتم عليه مخايل السحرة وخدعهم فلا بأس بتعلمه، أو اللهو واللعب وتفريج الناس على خفة صنعته فيكره .روي «لست من دد ٍ ولا دد مني » ، واما سحر البيان فما اريد به تأليف القلوب على الخير فهو السحر الحلال ، او ستر الحق فلا يجوز تعلمه ولا العمل به »[٢] .

ويقول عن حكم الساحر بعد ذلك :«واماحكم الساحر حَدّاً أونوبة فقد تعرض المفسرون لذلك ولم تتعرض اليه الآية،وهي مسألة موضوعها علم الفقه فتذكر فيه »[٣]

هذه بعض النواحي التي ظهرت واضحة جلية في « البحر المحيط » ونستطيع أن نستفيد منه في علوم شتى غير التفسير والقراءات والبلاغة والنحو واللغة والصرف ، ففيه معلومات عن جغرافية الارض كاثبات كرويتها ورده على من انكر ذلك[٤] ، وفيه معلومات تأريخية وقصص وروايات عن الناس والممالك ، واحاديث كثيرة عن البلدان التي رآها

(١) البحر المحيط ج٢ ص ٨٠
(٢) البحر المحيط ج١ ص ٣٢٨
(٣) البحر المحيط ج١ ص ٣٢٨
(٤) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٩٧ ، وج٦ ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧

والآثار التي شاهدها ، واخبار عن عادات أهل زمانه في الامصار المختلفة[1] • ومن هنا فان للبحر المحيط أهمية كبيرة في مختلف الفنون والعلوم وانه سجل حافل بمعلومات كثيرة تدل على اطلاع أبي حيان الواسع ومعرفته بعادات الناس واخلاقهم والاستفادة منها في تفسير القرآن الكريم •

أثر البحر المحيط :

ولقيمة البحر المحيط وأثره في الكتب التي بعده ولاشتهاره مدحه كثير من الفضلاء،واعتنى به عدد كبير من العلماء،وكتب البعض تلخيصات له أو ردودا عليه • واذا ما أردنا أن نعرف منزلة الكتاب وشهرته فما علينا الا ان نصغي لما يقوله ناشر الكتاب ومصححه السيد محمداسماعيل الديب ، يقول « وبعد فكم من مكنونات في اصدافها مودعة خبايا الخفايا حتى كادت ان يخبر عنها بكان لولا عناية رب البرايا ،فقيض الله سبحانه وله المنة والطول ، ولا حمدَ إلا له ولا حول ، مليك السيف والقلم ، ومعدن الاسرار والحكم ،وارث مجد آبائه الفخام،حامي حوزة بيضة الاسلام ، المتحلي باوصاف جده عليه الصلاة والسلام ، والسلطان الاعظم ، والمليك الاجل الاكرم،مولاي عبدالحفيظ ابن مولاي السلطان حسن خلد الله ملكه ما توالى الزمن فأصدر أمره السني العالي بابراز هذه اللآلي ، وهما التفسيران الجليلان اللذان ما سمح ومايسمح بمثلهما الزمان ، احدهما ، البحر المحيط، وثانيهما النهر الماد من البحر المحيط، سيجا مليك الحفاظ والوعاة ، ووحيد اللغويين والنحاة ، تاج الاقران الشهير بأبي حيان•وناهيك بكتاب قال فيه الشريف العلامة محب كل عالم وعابد ، مولانا عبدالواحد بن السلطان الاعظم المجاهد في سبيل الله سيدي محمد بن عبدالله أحد أجداد مولاي السلطان عبدالحفيظ نصره الله ، وهاك ما قال

---

(١) ينظر في ذلك البحر المحيط ج١ ص ٩٧ و ج٣ ص ٢٦٤ و ٥٢٠ ـ ٥٢٦ وج٤ ص ٥١٧ وج٥ ص ٢٥ ـ ٢٧ و٣٣ و ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، و ج٦ ص ١٥٨ و٢٧٥ و١٠٢ و ج٧ ص ١٨ ـ ١٩ و ١٣٣ و٢٦٤ وج٨ ص ٤٢١ وغيرها

أتاك البحـــر يلفظ بالغوالي ويـــرمي بالزبرجد واللآلي

وقال بعض الفضلاء متمماً له

يقول لسابحيـه وخائضيـــه هلمّوا فالنفائس في خـــلالي

فهو والحق يقال كتاب غاص مؤلفه في بحار حكم كلام الله عز وجل ،ولم يظهر حتى أظهرها جلية للناظرين ، ولم يترك شاردة ولا واردة حتى دنت قطوفها للجانين ، وقد رتبه ترتيبا عجيبا وسلك فيه مسلكا غريبا ، بدأ في أول الآيات بتوضيح مفرداتها اللغوية وثنّى بالكلام على تفســـير المركبات التنزيلية ، ذاكراً سبب ما له مسبب ، ونسخ ما هو منسوخ . واحكام ما هو محكم ، ومناسبات الآي والسور لما قبلها ، ومبينا أوجه القراءات الشاذة وغيرها »[1] .

واعتمد عليه الكثيرون في تآليفهم وممن اكثر الاعتماد عليه أبو زيد عبـدالرحمن بن محمـد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المغـربي المالكي[2] ، وابو اسحاق ابراهيم بن محمد السفاقسي (٧٤٢ هـ) ، واختصره الشيخ محمد بن سليمان الصرخدي الشافعي (٧٩٢ هـ) ، واعترض عليه في مواضع ، ورد عليه احمد بن يوسف بن عبدالدائم بن محمد الحلبي شهاب الدين المقريء النحوي نزيل القاهرة المسمى بابن انسمين (٧٥٦ هـ)[3] .

وكان أهم مختصرات البحر المحيط التي وصلت الينا كتاب ألفـه تلميذ أبي حيان الشيخ تاج الدين احمد بن عبدالقادر بن احمد بن مكتوم ابن احمد بن محمد بن سليم بن محمد القيسي أبو محمد الحنفي النحوي المولود في آخر ذي الحجة سنة ٦٨٢هـ والذي لازم أبا حيان دهراطويلا

---

(١) خاتمة البحر المحيط ج٨ ص ٥٣٢ .

(٢) ينظر التفسير والمفسرون ج١ ص ٢٤٩

(٣) ينظر بغية الوعاة ص ١٧٥ ، وكشف الظنون ج١ ص ١٢٢ ، ٢٢٦

وقد توفي بالطاعون في شهر رمضان سنة ٧٤٩ هـ . والكتاب هو « الدر اللقيط من البحر المحيط ».قصره على مباحث أبي حيان مع ابن عطية والزمخشري وردوده عليهما وقد وضع « ش » علامة للزمخشري، و « ع » لابن عطية ، و « ح » لابي حيان ، وهذا الكتاب مطبوع على حاشية البحر المحيط . أما سبب تأليفه ومادته وعمله وطريقته فيه فقد ذكرها ابن مكتوم في المقدمة ، يقول « وبعد فهذا كتاب يشتمل على ما ذكر في كتاب شيخنا الاستاذ العالم الحافظ أبي حيان محمد بن يوسف ابن علي بن يوسف بن حيان النفزي الاندلسي نزيل القاهرة أيده الله في تفسير القرآن المسمى بـ « البحر المحيط » من الكلام مع الامام العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمود الزمخشري ، والقاضي المفسر العالم أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن بن غالب بن عطية المحاربي رحمهم الله، والرد عليهما فيما ذكراه في كتابيهما في التفسير، والتنبيه على خطئهما في الاحكام الاعرابية ، وتقرير ذلك احسن تقرير حررته منه لنفسي، وجعلته عمدة عند الوحشة لأنسي، اذ كان نخبة مافيه وزبدة ما يتضمنه من المعاني الشريفة ويحويه ، وان كانت فرائده تزهو على الزهر وفوائده تزيد على عدد نقط القطر ، وربما ذكرت فيه من فوائد الكتاب المذكور غير ذلك مما يعم به النفع ويثلج به الصدر ، وجعلت علامة الزمخشري « ش » ، وابن عطية « ع » ، وشيخنا أبي حيان « ح » ، طلبا للاختصار وتجنبا للاطالة والاكثار ، وهو حسبنا ونعم الوكيل »[1] .

ولم يعمل ابن مكتوم في البحر شيئا غير التلخيص والاختصار لمعظم المناقشات ورد أبي حيان على الزمخشري وابن عطية ، وليس في كتابه آراء جديدة وان كان يرد على أبي حيان في بعض المواضع ويوضح بعض الامور أو يضيف بيت شعر أو عبارة أو يكمل قصة أو يذكر سنة وفاة او اسم كتاب ، وهذه زيادات ليست بذات قيمة عظيمة .

(١) الدر اللقيط ج١ ص ٤ – ١٢

٢ ـ النهر الماد من البحر :

اختصر ابو حيان كتابه « البحر المحيط » في تفسير القرآن العظيم بكتاب سماه « النهر الماد من البحر » . والكتاب مطبوع على حاشية البحر ، وسبب تأليفه ان أبا حيان وجد في تفسيره الكبير صعوبة فاراد أن يسهله على الناشئين فألف هذا التفسير الصغير ، يقول « وبعد فاني لما صنفت كتابي الكبير المسمى بالبحر المحيط في علم التفسير عجز عن قطعه لطوله السابح، وتفلت له عن اقتناصه البارح منه والسانح فاجريت منه نهرا تجري عيونه، وتلتقي بابكاره فيه عيونه، لينشط الكسلان في اجتلاء جماله ويرتوي الظمآن بارتشاف زلاله »[١]

ووضح ابو حيان عمله في هذا الكتاب بقوله :«وربما نشأ في هذا النهر ما لم يكن في البحر، وذلك لتجدد نظر المستخرج للآليه المبتهج بالفكرة في معانيه ومعاليه ، وما أخليته من أكثر ما تضمنه البحر من نقوده ، بل اقتصرت يواقيت عقوده ، ونكبت فيه عن ذكر ما في البحر من اقوال اضطربت بها لججه ، واعراب متكلف تقاصرت عنه حججه ، وتفكيك اجزاء يخرج بها الكلام عن براعته ، ويتجرد من فاخر بلاغته ونصاعته ، وهذا النهر مدّه من بحر ليس له جزر فيعسر ورده على من حظه في النحو نزر ، لان ادراك عويص المعاني مرتب على تقدم معرفة المباني . ولما أثرت در هذا النهر من بحره ، ونثرت حليه على مفرق الزمان وجيده ونحره ، سميته بالنهر الماد من البحر ، والله اسأل ان يعيننا على ذلك ويلطف بنا في الدارين هنا وهنالك »[٢]

وليس في الكتاب جديد بالنسبة للبحر المحيط ، لانه لم يكن الا تلخيصا وعرضا موجزا اراد به أبو حيان ان ييسر فهم معاني القرآن لمن عجز عن ادراك ما في البحر .

---

(١) النهر الماد ج١ ص ٤ ــ ٦

(٢) النهر الماد ج١ ص ٧ ــ ١٣

في الحديث والفقه

١ ـ جزء في الحديث :

ولابي حيان جزء في الحديث ذكره في اجازته للصفدي سنة ٧٢٨هـ[1] ، وهذا الجزء من مؤلفاته التي لم نعثر عليها ، ولا نعرف شيئا عن الاحاديث التي جمعها فيه ولا الاسانيد التي نقل عن طريقها هذه الاحاديث ، ولكن المقري ينقل في « نفح الطيب » الأسانيد التي يروي بها أبو حيان احاديثه،والاحاديث التي رواها،ولا ندري هل هذه الاحادبث من هذا الجزء المؤلف في الحديث أو من غيره ؟ يقول المقري: « قلت وتتصل روايتي عن الامام أبي حيان من طرق عديدة منها عن عمي وليّ الله العارف به شيخ الاسلام مفتي الانام الخطيب الامام ملحق الاحفاد بالاجداد سيدي سعيد بن احمد المقري التلمساني عن شيخه العالم أبي عبدالله التنيسي عن والده حافظ عصره سيدي محمد بن عبدالله ابن عبدالخليل التنيسي ثم التلمساني الاموي عن عالم الدنيا أبي عبدالله ابن مرزوق عن جده الرئيس الخطيب سيدي أبي عبدالله محمد بن مرزوق عن الاثير أبي حيان بكل مروياته ، فمنها ان أبا حيان قال :حدثنا ابن أبي الاحوص عن قاضي الجماعة أبي القاسم احمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن احمد بن مخلد بن عبدالرحمن بن أحمد ابن بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي عن أبيه عن أبيه عن

(١) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣

أبيــه عن أبيــــه عن أبيـــــه عن ابيـــه عن ابيـــــه عن ابيـــــه عن ابيه الامام بقي بن مخلد عن أبي بكر المقدمي عن عمر بن علي وعبدالله ابن يزيد عن عبدالرحمن بن زياد عن عبدالرحمن بن رافع عن عبدالله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين أحدهمـــا يدعون الله ويدعون اليه والآخر يتعلمون العلم ويعلمونه فقال كل المجلسين خير، واحدهما أفضل من الآخر ، أما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل فهم أفضل . واما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه ، ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم ، وأنا بعثت معلما ثم جلس معهم » . قال ابو حيان قلت لا اعرف حديثا اجتمعت فيه رواية الابناء عن الآباء بعدد ما اجتمع في هذا الا ما اخبرنا به أبو الحسن محمد بن الحسن بن مامة بقراءتي عليه، أنبأنا أبو المعالي الابرموي أنبأنا أبوبكر بن عبدالله بن محمد بن سابور القلنسي انبأنا أبو المبارك عبدالعزيز بن محمد بن منصور الشيرازي، أنبأنا رزق الله ابن عبدالوهاب التميمي قال سمعت أبي أبا الاسود يقول: سمعت أبي سفيان يقول سمعت أبي يزيد يقول: سمعت أبي اكيمة يقول سمعت أبي الهيثم يقول سمعت أبي عبدالله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما اجتمع قوم على ذكر الا حفتهم الملائكـــة وعمتهم الرحمة » .

ويقول المقري « قلت قال الحافظ ابن حجر في فوائده مـــا اجتمع حديث فيه من عدد الآباء اكثر من هذا . ورأيت بخط الحافظ على قول أبي اكيمة ما صورته وصوا به أكينه . انتهى » .

ويقول « ووقع لابي حيان تساعيات كثيرة ، وأغرب ما وقع لـــه ثلاثة أحاديث بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ثمانية : أخبره المحدث نجيب محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهداني بقراءتي عليه والجليلة السلطانية مؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي قراءة عليه وهو يسمع قالا أنبأنا ابو الفخر أسعد بن سعيد بن روح في كتابته ، أخبرتنا فاطمة بنت عبدالله بن أحمد الجوزانية ، انبأنا أبوبكر

محمد بن عبدالله بن رندة الضبي الاصبهاني ، أنبأنا الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر اللخمي الطبراني ، أنبأنا عبيد الله ابن رماحس القيسي برمادة الرملة سنة ٢٧٤ هـ ، انبأنا أبو عمر زياد بن طارق وقد اتت عليه عشرون ومائة سنة قال سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمي يقول: لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هوازن اتيته فقلت

امنن علينا رسول الله في كرمٍ فانك المــــرء نرجوه وننتظر

ثم أنشد عشرة أبيات بعد هذا فقال فلما سمع (ص) هذا الشعر قال ما كا ن لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم ، فقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله ، وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله . قال أبو القاسم الطبراني لا يروى عن زهير الا بهذا الاســـناد وتفرد به عبيد الله بن رماحس »[١] .

٢ ـ **الانور الاجلى في اختصار المحلى :**

وألف أبو حيان كتابا باسم « الأنور الاجلى في اختصار المحلى »[٢]، واختلف في اسمه فورد في كشف الظنون باســـم « الانور الاعلى في اختصار المحلى » ، واورده مؤلف البدر الطالع باسم « الامر الاحلى في اختصار المحلى »، واورده ابن شاكر الكتبي باسم « النور الاحلى واختصار المحلى »[٣] . والكتاب شرح لكتاب « المحلى في الخلاف العـــالي في فروع الشافعية » لابي محمد علي بن حزم الظاهري (٤٥٦ هـ). وهو من كتب أبي حيان المفقودة وقد أشار اليه في البحر المحيط وســـماه « الانور الاجلى في اختصار المحلى » ، يقول « وعن ابن عباس ان الفطر في السفر عزيمة . ونقل غيره عن عبدالرحمن بن عوف الصائم في السفر كالمفطر في الحضر . وقال به قوم من أهل الظاهر . وفرق ابو

---

(١) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣١٨ ــ ٣١٩ ، ٣٣١ ــ ٣٣٣

(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، ونكت الهميان ص٢٨٣.

(٣) كشف الظنون ج٢ ص ١٦١٧ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٢ ، والبدر الطالـــع ج٢ ص ٢٨٩ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١

محمد بن حزم بين المريض والمسافر فقال فيما لخصناه في كتابنا المسمى بـ « الانور الاجلى في اختصار المحلى » ما نه ... »[1] .

٣ ـ الوهاج في اختصار المنهاج:

واختصر أبو حيان كتاب « منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الشافعية » للامام محيي الدين ابي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ في كتاب سماه « الوهاج في اختصار المنهاج » . وقد ذكره صاحب البدر الطالع باسم « الوهاج مختصر المنهاج » ، وسماه ابن حجر «الجلي الوهاج في اختصار المنهاج»[2] . وهو من كتب ابي حيان التي لم نعثر عليها .

٤ ـ الاعلام باركان الاسلام :

وألف أبو حيان كتابا باسم « الاعلام باركان الاسلام »[3]،وهو من الكتب التي لم نعثر عليها.ولا نعرف مادته وان كان اسمه يدل على انه في الموضوعات الدينية .

٥ ـ مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد :

ومن كتبه التي ذكرها في اجازته للصفدي كتاب « مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد » . وهو من الكتب التي لم تكمل حتى سنة ٧٨٢ هـ ، وقد سماه صاحب البدر الطالع « مسلك الرشد »[4].

---

(١) البحر المحيط ج٢ ص ٣٤

(٢) البدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، نكت الهميان ص ٢٨٣ ، والدرر الكامنةج٤ص٣٠٤، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، وشذرات الذهب ج٦ص١٤٧

(٣) غاية النهاية ج٢ ص ٢٨٦ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ،وايضاح المكنون ج١ ص ١٠١

ينظر البدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، وكشف الظنون ج٢ ص ١٦٧٨ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٣

في القـــراءات

ألف ابو حيان في القراءات كتباعدة لم يصل الينا شيء منها وهي:

١ ـ المورد الغمر في قراءة ابي عمرو :

الف ابو حيان كتابا باسم « المورد الغمر في قراءة ابي‌عمرو»[١] أو « الورد الغمر في قراءة أبي عمرو » كما سماه ابن‌شاكر الكتبي[٢]. والمقصود بابي عمرو زبان بن العلاء البصري المتوفى سنة ١٥٤ هـ،ولا نعرف شيئا عن رأي أبي حيان فيه وفي قراءته نعدم اطلاعنا على‌الكتاب، ولكننا نستطيع ان تتبين منزلة هذا القاريء عند أبي حيان مما استشهد به من قراءاته وما علق به عليها او رد به على النحاة الذين خطّـــأوا قراءته . يرى صاحبنا أبا عمرو قارئا لا يجوز تلحينـــه لانه قرأ بأثـــر الرسول (ص) ، وقراءته متواترة ، يقول في تفســير قولــه تعالى « وأرِنا مناسِكَنا »[٣] « وروي عن أبي عمروالاسكان‌والاختلاس وروي عنه الاشباع كالباقين .. فالاشباع هو الاصل ، والاختلاس حسن مشهور في العربية ، والاسكان تشبيه للمنفصل بالمتصل.. وقد انكر بعض الناس الاسكان من اجل ان‌الكسرة تدل على ما حـــذف

(١) ينظر البدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، وايضاح المكنون ج٢ ص ٦٠٥ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٣

(٢) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٢٨

فيقبح حذفها .. وقال الفارسي ما قاله هذا القائل ليس بشيء ، ألا تراهم ادغموا في « لكنّا هوَ اللهُ ربّي »[1] أي الاصل « لكن » ثم نقلوا الحركة وحذفوا ثم ادغموا ، فذهاب الحركة في « ارنا » ليس بدون ذهابها في الادغام.وايضا فقد سمع الاسكان في هذا الحرف نصا عن العرب قال الشاعر

ارنا أداوةَ عبـــدِ اللهِ نملؤهـــــا
من ماءِ زمزمَ ان القوم قـــد ظمئوا

وايضا فهي قراءة متواترة فانكارها ليس بشيء »[2]

ويراه عربيا صريحا لا يذهب عليه جواز شيء مما جوزوه ، ويكفي دليلا على جواز القراءة أن يكون قارئُها أبا عمرو ، لذلك لا يجوز تلحينه ومن لحنه فهو مخطيء وقد فضله على أبي عبيدة وقال عنه إنّه قلَّ أن يوازيه أحد في علم النحو ، فهو امام النحاة البصريين[3]

٢ ــ المزن الهامر في قراءة ابن عامر :

ولابي حيان كتاب باسم « المزن الهامر في قراءة ابن عامر » ، وقد سماه ابن شاكر « المزن الغامر في قراءة ابن عامر »[4] ، وابن عامر هو عبدالله بن عامر اليحصبي الشامي المتوفى سنة ١٢٨ هـ .

ولا نعرف ما في الكتاب ، ولكننا نستطيع ان نتبين موقف أبي حيان من ابن عامر من كتبه الاخرى حيث دافع عن قراءته ورد على من خطأه واحنه في « البحر المحيط » وفي « منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك»يقول:«وابن عامر ثقة في روايته فيجب قبولها وهو عربي صراح أخذ عن عثمان القرآن » ثم يقول « وقرأ الاعرج وزيد بن

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٣٨
(٢) البحر المحيط ج١ ص ٣٩١
(٣) ينظر البحر المحيط ج٢ ص ٤٩٩ ، وج٥ ص ١٥ ، وج٦ ص ١٩٠
(٤) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١

علي والاعمش وخارجة عن نافع وابن عامر في رواية « معائش »[1] بالهمز وليس بالقياس ، لكنهم رووه وهم ثقات فوجب قبوله • وقال المازني أصل أخذ هذه القراءة عن نافع ولم يكن يدري ما العربية وكلام العرب التصحيح في نحو هذا • قال أبو حيان « ولسنا متعبدين باقوال نحاة البصرة » • وقال الفراء ربما همزت العرب هذا وشبهه يتوهمون انه « فعيلة » فيشبهون « مَفْعَلَة » بـ «فعيله» • قال أبو حيان « فهذا نقل من الفراء عن العرب انهم ربما يهمزون هذا وشبهه ، وجاء به نقل القراء الثقات ابن عامر وهو عربي صراح وقد أخذ القرآن عن عثمان قبل ظهور اللحن »[2] •

ويرى أبو حيان ان قراءته متواترة فلا يمكن الطعن فيها ، وان من يطعن في قراءته فهو مخطيء آثم ، يقول في تفسير قوله تعالى « كن فيكون »[3] « وقرأ ابن عامر « فيكونَ » بالنصب ــ وفي آل عمران « كن فيكونُ » ــ بالرفع •• وحكى ابن عطية عن احمد بن موسى في قراءة ابن عامر انها لحن ، وهذا قول خطأ ، لان هذه القراءة في السبعة فهي قراءة متواترة ثم هي بعد قراءة ابن عامر وهو رجل عربي لم يكن ليلحن •• فالقول بانها لحن من أقبح الخطأ المؤثم الذي يجر قائله الى الكفر اذ هو طعن على ما علم نقله بالتواتر من كتاب الله تعالى »[4]

٣ ــ الاثير في قراءة ابن كثير :

ولابي حيان كتاب في القراءات هو « الاثير في قراءة ابن كثير »[5]،

---

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٠ ، وسورة الحجر الاية ٢٠

(٢) ينظر البحر المحيط ج٤ ص ٢٧١ ، والقراءات واللهجات ص ١٧٩ ــ ١٨٠ ، ومنهج السالك ص ١٠٩

(٣) سورة البقرة ، الآية ١١٧ ، وسورة آل عمران ، الاية ٤٧ و٥٩ ، وسورة الانعام، الآية ٧٣ ، وسورة النحل الاية ٤٠ ، وسورة مريم ، الاية ٣٥ ، وسورة يس ، الاية ٨٢ ، وسورة غافر الاية ٦٨

(٤) البحر المحيط ج١ ص ٣٦٦

(٥) ينظر نكت الهميان ص ٢٨٣ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، وايضاح المكنون ج٢ ص ٢٤ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٢ ــ ١٥٣

وابن كثير هو أبو محمد عبدالله بن كثير الكناني ولاءً الفارسي الاصل قاريء مكة المتوفى سـنة ٢١٠ هـ • وقد مدحه أبو حيان في كتابـه « البحر » وتحدث عنه قائلا في تفسير قوله تعالى «كَذَّبَ أصحابُ الايكة »[١] « قرأ الحرميان وابن عامر « ليكة » هنا وفي «ص» بغير « لام » ممنوع الصرف •• وهذه قراءة متواترة لا يمكن الطعن فيها ويقرب انكارها من الردة والعياذ بالله •• واما ابن كثـير فقرأ على سبعين من التابعين ممن كان بمكة كمجاهد وغيره ، وقد قرأ عليه امام البصرة أبو عمرو بن العلاء،وسأله بعض العلماء أقرأت على ابن كثير ؟ فقال نعم ختمت على ابن كثير بعدما ختمت على مجاهد ، وكان ابن كثير أعلم من مجاهد باللغة »[٢] •

ويرى ابو حيان ان القراءة ان صدرت عن قاريء مكة حتى ولو خطأها النحاة صحيحة مأخوذ بها ، يقول في تفسير قوله تعـالى « فقاتِلوا ائمةَ الكُفرِ إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون »[٣] « وقرأ الحرميان وأبو عمرو بابدال الهمزة الثانية ياء •• قال الزمخشري:واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرّف • انتهى • وذلك دأبه في تلحين المؤمنين وكيف يكون ذلك لحنا وقد قرأ به رأس البصريين النحاة ابو عمرو بن العـلاء ، وقاريء مكة ابن كثير »[٤] •

٤ ـ النافع في قراءة نافع :

وألف أبو حيان كتابا باسم « النافع في قراءة نافع »[٥] ، ونافع هو أبو عبدالرحمن نافع بن أبي نعيم الليثي قاريء أهل المدينة وأحد السبعة ، توفي سنة ١٦٩ هـ •

---

(١) سورة الشعراء ، الآية ١٧٦
(٢) البحر المحيط ج٧ ص ٣٧ ـ ٣٨
(٣) سورة التوبة ، الآية ١٢
(٤) البحر المحيط ج٥ ص ١٥
(٥) البدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، والدرر الكامنةج٤ص٣٠٤، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٢ ـ ١٥٣

ويرى أبو حيان انه ينبغي الاخذ بقراءة نافع ولو كانت مخالفة لكلام النحاة ، يقول في تفسير قوله تعالى « كَذَّبَ أصحابُ الايكةِ »[1] « وقرأ الحرميان وابن عامر « ليكة » هنا وفي «ص» بغير لام ممنوع الصرف .. وهذه قراءة متواترة لا يسكن الطعن فيها ويقرب انكارها من الردة والعياذ بالله .. أما نافع فقرأ على سبعين من التابعين وهم عرب فصحاء ثم هي قراءة أهل المدينة قاطبة»[2].

٥ ـ الرمزة في قراءة حمزة :

وهو كتاب في القراءات ألفه أبو حيان[3] في قراءة حمزة بن حبيب الزيات العجلي المتوفى سنة ١٥٦ هـ .

ولم يذكر لنا المؤرخون عنه أو عن موضوعاته شيئا . وقد استشهد أبو حيان في كتبه النحوية وفي تفسيره البحر بقراءة حمزة في مواضع لا تعد ولا تحصى .

٦ ـ النير الجلي في قراءة زيد بن علي :

ولابي حيان كتاب باسم « النيّر الجليّ في قراءة زيد بن عليّ »[4] ، وهو زيد بن علي بن الحسين الامام الشهيد ، توفي سنة ١٢١ هـ . وقد اختلف في اسمه فورد باسم : « النثر الجلي في قراءة زيد ابن علي »[5] وذكره الحاج خليفة وصاحب هدية العارفين باسم «البر الجلي في قراءة زيد بن علي »[6] .

٧ ـ الروض الباسم في قراءة عاصم :

ألف ابو حيان كتابا في قراءة عاصم بن أبي النجود الاسدي الكوفي

---

(١) سورة الشعراء ، الآية ١٧٦

(٢) البحر المحيط ج٧ ص ٣٧

(٣) نكت الهميان ص ٢٨٣ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، وايضاح المكنون ج١ ص ٥٨٣ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٣

(٤) نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧

(٥) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١

(٦) كشف الظنون ج١ ص ٢٣٨ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٢ .

المتوفى سنة ١٢٨ هـ باسم « الروض الباسـم في قراءة عاصم »[١] ، ولا نعرف عنه شيئا .

٨ ـ غاية المطلوب في قراءة يعقوب :

ونظم ابو حيان قصيدة في قراءة يعقوب باسم « غاية المطلوب في قراءة يعقوب »[٢] ، وقد نقل أبو حيان في كتبه النحوية المختلفة عن هذا القارىء وغيره من القراء السابقين .

٩ ـ تقريب النائي في قراءة الكسائي :

ولابي حيان كتاب ألفه في قراءة علي بن حمزة الكسائي أحد أعلام المدرسة الكوفية وأحد القراء المشهورين باسم « تقريب النـائي في قراءة الكسائي »[٣] ، وقد ذكره ابن شاكر الكتبي باسم « النائي في قراءة الكسائي »[٤] .

ويرى أبو حيان ان الكسائي امام نحو وسامع لغة . ويعتبر قوله الكلام الفصل ، وان ما انكره لا يجوز حمل القرآن عليـه ، يقول في تفسير قوله تعالى « ومن الناسِ من يقولُ آمَنّا باللهِ وباليومِ الآخرِ وما هم بمؤمنين »[٥] « ألا ترى جعل « مَن » نكرة موصوفة انما يكون ذلك اذا وقعت في مكان يختص بالنكرة في أكثر كلام العرب . وهذا الكلام ليس من المواضع التي تختص بالنكرة ، واما ان تقع في غير ذلك فهو قليل جدا حتى ان الكسائي انكر ذلك وهو امام نحو وسامع

---

(١) نكت الهميان ص ٢٨٣ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، والدرر الكامنـة ج٤ ص ٣٠٤ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، وكشف الظنون ج٢ ص ٩١٨ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٣

(٢) غاية النهاية ج٢ ص ٢٨٦ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣،والبدر الطالع ج٢ص٢٨٩، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤

(٣) الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، وايضـاح المكنون ج١ ص ٣١٤ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٢

(٤) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١

(٥) سورة البقرة ، الآية ٨

لغة فلا نحمل كتاب الله على ما اثبته بعض النحويين في قليل ، وانكر وقوعه اصلا الكسائي »[1]

ويستشهد بقراءته في مواضع كثيرة من « البحر المحيط » وكتبه الاخرى ، ومن أمثلة ذلك استشهاده بقراءته في قوله تعالى « فيغفرُ لمن يشاءُ ويعذِّبُ من يشاءُ »[2] ، يقول « واجاز ذلك الكسائي والفراء وحكياه سماعا ووافقهما على سماعه رواية واجازة أبو جعفر الرؤاسي وهو امام من ائمة اللغة ، والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه بل القراء من الكوفيين يكادون يكونون مثل قراء البصرة ، وقد اتفق على نقل ادغام « الراء » في « اللام » كبير البصريين ورأسهم أبو عمرو بن العلاء ، ويعقوب الحضرمي ، وكُبَراء أهل الكوفة الرؤاسي والكسائي والفراء ، واجازوه ورووه عن العرب فوجب قبوله والرجوع فيه الى علمهم ونقلهم اذ من علم حجة على من لم يعلم »[3] .

١٠ ـ عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي :

ولابي حيان منظومة في القراءات باسم « عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي » وقد ذكرها بهذا الاسم في : « البحر المحيط »،وذكرها غيره باسم « عقد اللآلي في القراءات » ، وسماها بعضهم « اللامية في القراءات »[4].وهي قصيدة لامية على وزن الشاطبية وقافيتهاخالية من الرموز ، وقد جعل عليها نكتا مفيدة زاد فيها على التيسير كثيرا ، وهي أكثر اختصارا من الشاطبية واكثر فوائد ولـكنها لم ترزق حظ

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ٥٤

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٤

(٣) البحر المحيط ج٢ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣

(٤) ينظر البحر المحيط ج١ ص٥٩ ، و ج٣ ص ٤٧ ، وغاية النهاية ج٢ ص ٢٨٦ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٧ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، وطبقات الشافعية ج٦ ص ٣٣ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، وروضات الجنات ج٤ ص ٢٠٥ ، وكشف الظنون ج٢ ص١٥٢٩، والاعلام ج٨ ص ٢٦

الأولى من القبول والاشتهار . ونقل أبو حيان منها بعض الابيات في البحر عند تفسيره بعض القراءات في آيات الله البينات كالذي ذكره في تفسير قوله تعالى « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا »[1] ، يقول « وأمال حمزة « فزادهم » في عشرة أفعال الفها منقلبة عن ياء إلا فعلاً واحدا ألفه منقلبة عن واو ووزنه « فعَل » ـ بفتح العين ـ الا ذلك الفعل فان وزنه «فعِل» ـ بكسر العين ـ ، وقد جمعتها في بيتين في قصيدتي المسماةبـ «عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي» وهما

وعشرةُ أفعالٍ تُمالُ لحمزةٍ فجاءَ وشاءَ ضاقَ رانَ وكَمَّلا
بـزادَ وخابَ طافَ خافَ معاً وحاقَ زاغَ سوى الاحزاب مع صادها فلا

يعني انه قد استثنى حمزة « واذ زاغت الابصارُ » في سورة الاحزاب « واذ زاغت عنهم الابصار » في « صاد »[2] .

ونقل عنها في موضع آخر عند تفسير قوله تعالى « ولا تيمَّموا الخبيثَ منه تنفقون »[3] يقول « وقرأ البزي « ولا تيمموا » بتشديد التاء اصله « تتيمموا » فادغم التاء في التاء وذلك في مواضع من القرآن ، وقد حصرتها في قصيدتي في القراءات المسماة « عقد اللآلي » وذلك في أبيات هي

تَولَّوا بأنفالٍ وهودٍ هما معا ونور وفي المحنه بهم قد توصلا
تنزَّل في حجر وفي الشعرا معا وفي القدرفيالاحزاب لا أن تبدلا
تبرجن معْ تناصرون تنازعوا تكلم مع تيمموا قبلهن لا
تلقف أنى كان معْ لِتَعارَفوا وصاحبَتيها فتفرق حصلا

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١ ، وسورة الاحزاب الاية ١٠

(٢) البحر المحيط ج١ ص ٥٩

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٦٧

بعمرانَ لا تَفرَّقوا بالنساء أتى توفاهم تخيرون لـه انجـلا
تلهى تلقونــه تلظّى تربصو ن زد لا تعارفوا تميـز تكمـلا
ثلاثين مع احدى وفي اللات خلفه تمنون مع ما بعـد ظلتم تنـزلا
وفي بدئه خفف وان كان قبلهـا لدى الوصل حرالمدّ مدّ وطولا[1]

وذكر أبو حيان في هذه القصيدة الخلاف الذي نقل عن القراء في ادغام « التاء » في « الطاء » ، يقول في تفسير قوله تعالى « إذ هَمَّت طائِفتانِ منكُم أن تَفشَلا »[2] « وادغم السبعة تاء التأنيث في الطاء، وعن قالون خلاف ذكرناه في « عقـد اللآلي في القراءات السـبع العوالي » من انشائنا »[3] .

والقراءات السبع التي جمعها أبو حيان في هـذه المنظومة هي قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وهؤلاء هم القراء السبعة الذين اختار قراءتهم ابن مجاهد .. وألف ابو حيان في قراءة كل واحد من هؤلاء الاعلام كتابا خاصا ، وقد مرت بنا هذه الكتب السبعة .

١١ ـ الحلل الحالية في اسانيد القراءات العالية

ألف أبو حيان كتابا في القراءات سماه « الحلل الحانية في أسانيد القراءات العالية » وقد سماه بعضهم « الحلل الحالية في أسانيد القرآن العاليه »[4] ، وسماه ابن حجر « الحلل الحالية »[5] ، وليس في كتب أبي حيان التي بايدينا اشارة الى هذا الكتاب .

---

(١) البحر المحيط ج٢ ص ٣١٧
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٢٢
(٣) البحر المحيط ج٣ ص ٤٧
(٤) بغية الوعاة ص ١٢٢ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، وفهرس الفهارس ج١ ص ١٠٩، والاعلام ج٨ ص ٢٦
(٥) الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥

في التـــأريخ والتراجم

١ ـ تحفة الندس في نحاة الاندلس :

وجمع أبو حيان في تأريخ الاندلس ونحاتها كتابا كبيرا في ســتين مجلدا سماه « تحفة الندس في نحاة الاندلس » • وقد ذكره في اجازته وقال انه من كتبه الكاملة • وذكره السيوطي باسم « نحاة الاندلس»• وسماه الزركلي «طبقات نحاةالاندلس» وقال عنه الحاج خليفة انه « طبقات النحاة »[١] •

ولم يصل الينا هذا الكتاب الضخم،ولو وصل لكشف عن نواحٍ مهمة وعرض معلومات طريفة عن نحاة الاندلس •

٢ ـ مجاني الهصر في اداب وتواريخ اهل العصر :

ومما لم يكمل تصنيفه حتى سنة ٧٢٨ هـ كتاب « مجاني الهصر في آداب وتواريخ أهل العصر » ، وقد ذكره السيوطي باسم « مجاني العصر في تواريخ اهل العصر » ، وسماه الحاج خليفة والزركلي:«مجاني

---

(١) ينظر البدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٨١ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، وبغية الوعـــاة ص ١٢٢ ، والاعلام ج٨ ص ٢٦ ، وكشف الظنون ج٢ ص ١١٠٨ ، ودائرة المعارف الاسلامية ج١ ص ٣٣٣

العصر » ، وقال ابن شاكر الكتبي انه « مجاني القصـــر في شعراء العصر »[1] .

والكتاب من كتب أبي حيان التي لم تصل الينا، وقد نقل عنه المتأخرون كابن حجة الحموي في « الخزانة » ، وابن حجر في « الدرر الكامنة »، يقول ابن حجة « قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه الذي جمعه من املاء الشيخ أثير الدين أبي حيان وسماه « مجاني الهصر من أدب أهل العصر » أنشدني الشيخ أثير الدين أنشدني شمس الدين محمد ابن العفيف في مليح طباخ

رُبَّ طبـاخٍ مليـحٍ فاترِ الطَّـرفِ غرير
ما لكي أصبـح لـكن شـغلوه بالقـدور

قال الشيخ صلاح الدين وانشدني الشيخ أثير الدين قـال أنشدني شمس الدين محمد بن العفيف لنفسه

ليس خليـلا لي ولـكنه يضرم في الاحشاء نار الخليل
يا ردفَهُ جُرْتَ على خصرِهِ رِفقاً بها ، ما أنت إلا ثقيل[2]

وقال ابن حجر في ترجمة محمد بن رضوان بن ابراهيم بن عبـد الرحمن العذري المحلي زين الدين بن العماد « كان أديبا فاضلا يكتسب بالخياطة ويقتنع ويتعفف وكان قد لقي أبا عمرو بن الحاجب وقرأ عليه في العربية ومدح بهاء الدين بن النحاس بابيات ، ولقيه أبو حيان وأنشدله في « مجاني العصر » عدة مقاطيع حسان فمنها

نارَ قلبي لا تقري لهبـا وامنعي اجفانَ عيني ان تناما
فاذا نحن اعتنقنـا فارجعي نارَ ابراهيمَ برداً وسلاما[3]

---

(١) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، ونكت الهميان ص ٢٨٤ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، وكشف الظنون ج٢ ص ١٥٩١ ، والاعلام ج٨ ص ٢٦ وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦٢

(٢) خزانة الادب ص ٣٣٤

(٣) الدرر الكامنة ج٣ ص ٤٤٠

وقال في ترجمة عيسى بن محمد بن محمد بن قراجا بن سليمان بن اروق السهروردي الواعظ شرف الدين أبي الرضا ، ان أبا حيان ذكره في « مجاني العصر » وانشده لنفسه بالقاهرة ، وكان سهروردي الخرقة له أدب كثير ، فمن ذلك

ما زال يهوى المُقَلا قلبي الى أن قُتِلا
الحمدُ لله الذي ماتَ ، ولا قيل سلا

ومنه

يا سيدَ العلماءِ ان موشَّحي حَرَمٌ لكعبتهِ البدائهُ تسجُدُ
قلّدتَه من بعد جودِكَ جوهرا فأتاكَ وهو موشحٌ ومقلَّدُ[1]

وقال في ترجمة عبدالمحسن بن الحسن بن سليمان الباريني جمال الدين « أنشد له ابو حيان في كتاب « مجاني الهصر » قصيدة أولها:

متى يا أُهيلَ الحيِّ أحظى بقربكم
ويبلغ قلبي من لقائكم القصدا

وانشد له

منهجُ فخر الدين في حُكمِهِ وشرعِهِ أقومُ منهاج
قد وسَّعَ الناسَ باخلاقِهِ فما له في الناس من هاجِ[2]

٣ ـ النضار في المسلاة عن نضار :

ألف ابو حيان مجلدا ضخما ترجم فيه لنفسه ولكثير من شيوخه، وذكر فيه من أول حاله وابتداء أمره وصفة رحلته واشتغاله ، وسماه « النُّضار في المَسلاةِ عن نُضار » . وقد صنفه بعد وفاة ابنته « نضار » وكتبه بخطه[3] .

(١) الدرر الكامنة ج٣ ص ٢١٠

(٢) الدرر الكامنة ج٢ ص ٤١٤

(٣) ينظر الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٧ ، وبغية الوعاة ص ١٢١ ، وايضاح المكنون ج٢ ص ٦٥٥ ، والاعلام ج٨ ص ٢٦ ، وفهرس الفهرس ج١ ص ١٠٩

وقد أكثر السيوطي في بغية الوعاة من النقل عنه في تراجم بعض الرجال منهم

محمد بن رضوان بن ابراهيم بن عبدالرحمن العذري (٧٠٠ هـ)، يقول السيوطي « كتب عنه الشيخ أبو حيان وذكره في النضار » .

ومحمد بن مصطفى بن زكريا بن خواجة (٧١٣هـ)يقول السيوطي: قال ابو حيان في النضار كان عالما بالعربية ، أخذنا عنه وكان يعرف التركية والفارسية افرادا وتركيبا ، وله قصيدة في العربية استوعب فيها الحاجبية ، وقصيدة في قواعد لسان الترك » .

وأحمد بن عبدالنور بن احمد بن راشد ابو جعفر المالكي النحوي (٧٠٢ هـ) ، يقول السيوطي « وقال في النضار كان عالما في النحو وكان لا يقرأ كتاب سيبويه ، فكان أصحابنا اذا ذكريقولون هل يقرأ كتاب سيبويه ؟ فيقال لا ، فيقولون لا يعرف شيئا » .

وأبو بكر الصائغ ، يقول السيوطي « ذكره أبو حيان في النضار فقال كان عالما بالادب والنحو ، ونظر في كلام الحكماء فكان يشبه بابن سينا » .

والحسين بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد الامام ابو علي بن أبي الاحوص القرشي الفهري الغرناطي الموطن البلنسي الاصل الجياني المولد المعروف بابن الناظر النحوي (٦٧٩ هـ) يقول السيوطي « وقال أبو حيان في النضار كان فيه بعض ترفع وتعتب على الدنيا حيث قدم من هو دونه ، وكان لا يحكم برأي ابن القاسم بل بما يرى انه صواب » .

والحسين بن محمد التعمري أبو علي، يقول السيوطي « قال أبو حيان في النضار نحوي أديب متفنن امام ، ويعرف بالخماش أخذ العربية والادب عن أبي عبدالله محمد بن علي المحلي ، وحدث عن الحافظ أبي العباس العزفي وغيره، أجاز لي سنة خمس وسبعين وستمائة» .

وحسان بن محمد الجبيبي الاشبيلي ، يقول السيوطي « قال أبو حيان في النضار كان لغويا أديبا مجيدا حسن الخط ، رأيته بغرناطة وبها توفي قبل خروجي منها ، وكان في كنف ملكها ابن الاحمر، ورحل قديما الى تونس ومدح ملكها » .

وسلام الجِبجَلي ـ بكسر الجيم الاولى وفتح الثانية ـ يقول السيوطي « قال في النضار رأيته يقريء النحو ببجاية لما دخلتها سنة تسع وسبعين وستمائة » .

وعبدالواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الاموي المالقي أبو محمد المشهور بالبائع (٧٠٥ هـ) ، يقول السيوطي « وذكره ابوحيان في النضار فقال صاحبنا الاستاذ المقريء النحوي » .

وعلي بن محمد بن محمد بن عبدالرحيم الخشني، يقول السيوطي: « وقال أبو حيان في النضار كان احفظ من رأيناه بعلم العربية ، وكان يقريء كتاب سيبويه فما دونه ، وكان في غاية الفقر على امامته في العلم » .

وعلي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي الاشبيلي أبو الحسن المعروف بابن الضائع (٦٨٠ هـ) ، يقول السيوطي « وقال في النضار: له شرح الجمل » .

ومنصور بن أحمد بن عبدالحق ، يقول السيوطي « قال في النضار كان يشتغل ببجاية في النحو والفقه والاصول ، رحل الى القاهرة ولازم العز بن عبدالسلام ، وسمع من ابراهيم بن مضر وأبي عبدالله بن أبي الفضل المرسي » .

ويوسف بن ابراهيم بن يوسف بن سعيد بن أبي ريحانة الانصاري النحوي المالقي (٦٧٤ هـ) ، يقول السيوطي « قال في النضار أخذ القراءات والعربية عن الرندي ولازمه وقرأ عليه الكثير تفهما ككتاب

سيبويه والجمل والكامل .. قال ابو حيان وكتب لي بالاجازة من مالقة »[1] .

٤ ـ مشيخة ابن أبي المنصور :

ومن كتب أبي حيان التي لم تصل كتاب « مشيخة ابن ابي المنصور » وهو من كتبه التي ذكرها في اجازته وسماه صلاح الدين الصفدي « مشيخة أبي المنصور »[2] .

٥ ـ نفحة المسك في سيرة الترك :

ولابي حيان كتاب ألفه في سيرة الترك سماه « نفحة المسك في سيرة الترك » وهو من كتبه الكاملة وقد ذكره في اجازته[3] ، ويقول الاستاذ عباس العزاوي ان أبا حيان ألف هذا الكتاب في أيام المغول عندما طغت موجاتهم ودخل القفجاق مصر[4] . وهو من الكتب التي لم نعثر عليها .

---

(١) ينظر بغية الوعاة ص ٤١ ، ١٠٦ ، ١٤٣ ، ٢٠٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٦٠ ، ٣١٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٩٨ ، ٤٢٠ ، على التوالي

(٢) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٣

(٣) نكت الهميان ص ٢٨٣ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، وايضاح المكنون ج٢ ص ٦٧١ ، وهدية العارفين ج٢ ص ١٥٣

(٤) تأريخ الادب العربي في العراق ج١ ص ١٣٢

في النقـــد والبلاغــة

١ ـ نقد الشعر :

ذكر الاستاذ عباس العزاوي ان لابي حيان كتابا باسم « نقد الشعر » تعرض فيه لنقد شعر ابن سناء الملك ، الا ان صـــلاح الدين الصفدي لم يوضح نواحي النقد ولم يهاجمه احتراما له لانه استاذه[1] ولكن المصادر التي كتبت عن أبي حيان لم تشر الى كتاب له بهذا الاسم، ولم يشر اليه أبو حيان نفسه في كتبه الموجودة بين ايدينا ولا في اجازته التي كتبها للصلاح الصفدي سنة ٧٢٨ هـ

٢ ـ خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان :

ومما لم يكمل تصنيفه حتى سنة ٧٢٨ هـ أرجوزة « خلاصـــه النبيان في علمي البديع والبيان » ، وقد ذكرها بعضهم باسم «خلاصة التبيان في المعاني والبيان »[2] ، وقـــد اعتبرها ابن حجر من الـــكتب الكاملة[3] ، وهي من مؤلفات أبي حيان التي لم نعثر عليها وقد ذكرها في كتابه « الارتشاف » عند كلامه في الحقيقة والمجاز بعد أن ذكر ان

---

(١) تأريخ الادب العربي في العراق ج١ ص ٣١٥ ، ومقالة النقد الادبي ومصـــادره للعزاوي في مجلة المجمع العلمي العراقى ج٧ ص ١٠٠

(٢) نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، ونكت الهميان ص ٢٨٤ ، والبدر الطالع ج٢ ص٢٨٩، وروضات الجنات ج٤ ص ٢٠٥

الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥

النحاة لم يبحثوه وانما بحثه أبو اسحاق البهاري من اصحابه في كتابه: « املاء المنحل في شرح كتاب المجمل »، وصاحب الهداية • وبعد أن لخص كلامهما في هذا الباب قال « ونظمت أنا في ذلك

اللفظ ان اريد منه الظاهر حقيقة مجازه مغاير
لا بدّ من علاقةٍ تكون بينهما تقربٌ أو تبين
مثاله مقالُ بعض العربان صار الثريدُ في رؤوسِ العيدان
أراد بالثريدِ حبَّ السُّنبُلَه سماه بالشيء الذي يؤول له
وفي الأعمِّ جعلوا مدارَهْ كنايةً تمثيلاً استعاره
كناية ان تثبت المعنى لما يكون عن وجوهه قد لزما
كقولهم يتعب هنداً رِدفُها كمثلِ ما يُريح دَعْداً عِطفُها
وذا رمادٌ قدره جليلُ وذا نِجادُ سيفهِ طويل
دَلاّ على الجودِ وطولِ القامَه كلاهما لذا وذا علامَه
وربما يُنسبُ ما يُراد لشامل لمن له المراد
نحو رقاشُ الحسنُ في بُردَيْها وحبّذا التفاحُ في خدّيها
والنحوُ واللُّغَى لسيبويهِ في قبّة مضروبةٍ عليه
تمثيله كنحو ان بشرا مقدِّمٌ رجلاً مؤخِرٌ أُخرى
اذا يكونُ فعلُهُ تَرَدُّدَا في فعله أو تركه ما قد بدا
ونحو لم يبرحْ أبو المناقبِ يفتلُ في ذُروَتِهِ والغاربِ
اذا غدا مستسهلا ما استصعَبا كيما ينال منه ما قد طلبا
وجعلك اسم مشبه عباره عن مشبه ذلك الاستعاره
بشرط فقدانِ اداةٍ للشَّبَه وجعلك الشيء لشيء ليس له
نحو محت خُطا الدجَى كفُّ الصباح
وقد جرى ريقُ الندى على الاقاح »[1]

---

(١) الارتشاف ص ٢٤٠ ب

في الشـــــعر

١ ـ منظومة في علم القافية :

ولابي حيان كتاب باسم « الابيات الوافيةفي علم القافية » وهو من الكتب التي لم نعثر عليها ، وقد ذكره مؤلفه في اجازته للصفدي[1] .

٢ ـ نوافث السحر في دمائث الشعر :

ولابي حيان كتاب ذكره في اجازته للصفدي باســـم « نوافث السحر في دمائث الشعر » ولم نعثر عليه ، وقد ذكره صاحب البدرالطالع باسم « يواقيت السحر » ، وسماه ابن شاكر الكتبي « نوافث السحر في دماثة الشعر »[2]

٣ ـ نثر الزهر في نظم الزهر :

وذكر أبو حيان في اجازته انه ألف كتابا باسم « نثر الزهر في نظم الزهر » وهو من كتبه الكاملة التي لم نعثر عليها . وقد ذكره ابن شاكر الكتبي باسم « نثر الدرر ونظم الزهر »[3] .

٤ ـ ديوان أبي حيان :

عثرنا عليه أخيرا ، وهو في ١٨٧ صفحة وسيصدر قريبا ، وكنـا قد نشرنا هذا العام بالاشتراك مع الدكتور احمد مطلوب « من شعر أبي حبان الاندلسي » .

---

(١) ينظر اعيان العصر ج٧ ،ونفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، وفوات الوفياتج٢ص٥٦١، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥ ، وكشف الظنون ج١ ص ٥

(٢) ينظر البدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، وفوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١

(٣) فوات الوفيات ج٢ ص ٥٦١ ، والدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٠٥

كتب مختلفـــة

١ ـ نكت الامالي :

ومن كتبه التي ذكرها في اجـازته للصفدي كتـــاب « نكت الامالي »[١] ، و لانعرف موضوع هذا الكتاب لاننا لم نعثر عليه،وربما كان في القراءات لانه ذكره في اجازته مع كتب القراءات ، وقد سماه صاحب البدر الطالع « نكت الاملاء »[٢] .

٢ ـ بغية الظمان من فوائد أبي حيان :

ذكر صاحب فهرس الفهارس ان لابي حيان كتابا باسم «بغيـــة الظمآن من فوائد أبي حيان »[٣] ، ولم يذكره أبو حيان في اجازته ولا في كتبه ، ولم يشر اليهاحد من القدماء .

٣ ـ الالماع في افساد اجازة الطباع :

ومن كتبه كتاب « الالماع في افساد اجازة الطباع » ألفه في الرد على شيخه أحمد بنعلي بن الطباع بعد ان نشأ نزاع بينهما اضطره الى الرحيل عن الاندلس[٤] .

---

(١) نفح الطيب ج٢ ص ٣٠٧ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣، والدرر الكامنة ج٤ص٣٠٤.

(٢) البدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩

(٣) فهرس الفهارس ج١ ص ١٠٩

(٤) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣٤١ ، وايضاح المكنون ج١ ص ١٢٢

٤ ـ فهرست مروياته :

وذكر صاحب فهرس الفهارس كتابا لابي حيان باسم « فهرس المرويات »[١] ولا ندري هل يقصد به فهرست المسموعات أو غيره ،لان أبا حيان لم يذكره في اجازته ولم يشر اليه أحد .

٥ ـ فهرست مسموعاته :

وذكر أبو حيان في اجازته ان من كتبه الكاملة « فهرست مسموعاته » ولا نعرف عنه شيئا[٢] .

٦ ـ قطر الحبي في جواب أسئلة الذهبي :

وذكر أبو حيان انه الف كتابا سماه « قطر الحبي في جواب أسئلة الذهبي» .ولم يصل الينا هذا الكتاب ولا نعرف عن موضوعه شيئا، وقد أشار اليه ابن حجر في ترجمة يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف بن عبدالملك بن يوسف بن علي بن أبي الزهر الحلبي الاصل المولود سنة ٦٥٤هـ والمتوفى سنة ٧٠٥ هـ فقال « وحدّث بكثير من مسموعاته الكبار والصغار عاليا ونازلا ، وغالب المحدثين من دمشق وغيرها قد تلمذوا له واستفادوا منه وسألوه عن المعضلات فاعترفوا بفضيلته وعلو ذكره . وبالغ أبو حيان في القطر الحبي في تقريظه والثناء عليه »[٣]

---

(١) فهرس الفهارس ج١ ص ١٠٩

(٢) ينظر نفح الطيب ج٣ ص ٣٠٧ ، ونكت الهميان ص ٢٨٣ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٥

(٣) الدرر الكامنة ج٤ ص ٤٦٠

البابُ الثانى

منهجُ النحوى

الفصل الأول

أبو حيان والمدارس النحوية

تمهيـــد :

لم يكن العربي في جزيرته بحاجة الى من يلقنه أصول لغتـــه وقواعدها ، لانه كان يأخذها من بيئته ومحيطه فينطق بها على السبيل القويم الذي ينطق به أهله ورجال عشيرته . وكان نزول القرآن الكريم على النبي العربي محمد (ص) حدثا عظيما وايذانا بحياة لغوية تسودها وحدة التعبير ، فقد وحّد القرآن الى حد كبير لهجات العرب وجعلهم يجنحون الى التمسك بلغته التي كانت أفصح لغات العرب ولهجاتها . وسار الزمن بالعرب المسلمين حثيثاً وخرجوا من جزيرتهم مبشرين بالدين الجديد وبالقيم الخلقية والاجتماعية والانسانية التي سنها رســـول الله (ص) واختلطوا بغيرهم من الاقوام والامم فكان هذا مدعاة الى ان تدخل العربية بيئات اولئك الاقوام وتلك الأمم ، وان تتأثر بهـــا فنشأ عن ذلك اللحن وفشت العجمة وكادت تُفسِد العربيـــة أيمـــا افساد . وأحس العرب أن لغتهم تكاد تعصف بها العجمة وان اساليب تعبيرها تكاد تبتعد عن اللسان العربي القويم ، ففكروا ان يعودوا الى لغتهم التي وحدها كتاب الله ليجمعوها ويصونوها من كل دخيل. وكان

خوفهم على القرآن من ان يصيبه التحريف أهم الاسباب التي حفزتهم لى ذلك ، يضاف اليه رغبتهم في جمع تراثهم الادبي والفكري وضبط لغتهم وجعلها مبوبة مصنفة ليسهل على أبنائهم وعلى غيرهم من الاعاجم الاتصال بها وفهمها وترسم خطواتها واصولها السليمة ، كل هذه الاسباب مجتمعة دفعتهم الى ان يهتموا بلغتهم وان يصنفوا الكتب فيها ورحل العلماء الى البادية ليتصلوا بالعرب الاقحاح الذين لم تشب لغتهم رطانة العجمة وتعابير الدخلاء ، وكانت مهمتهم الاولى جمع الكلمات التي نطق العرب بها ، وتحديد معانيها . وقد بذلوا جهدا عظيما في الاتصال بالعرب وتسجيل لغتهم كما ينطقونها ويتكلمون بها وكانوا كثيرا ما يخرجون ويمضون الاعوام فيها ويخالطون الاعراب ويؤاكلونهم ويشاربونهم ويسمعون منهم ويدونون ، يسمعون الرجل والمرأة والغلام يتحدثون في الابل والمرعى والزواج والطلاق وجميع شؤونهم ، ويصغون اليهم وينقلون عنهم . وقد كثر ذلك في العهد الاموي الى العصر العباسي الاول وروي عنهم من ذلك الشيء الكثير ، يقول الاصمعي سمعت صبية بحمى « ضرية »[1] يتراجزون فوقفت وصدوني عن حاجتي واقبلت اكتب ما أسمع فاقبل شيخ فقال أتكتب كلام هؤلاء الأقزام الأدناع[2] ؟ ولم يكن هذا هو السبيل الوحيد الى جمع لغة العرب وحصر ألفاظها ومفرداتها ، وانما كان القرآن الكريم المنبع الاول لعملهم ، فقد رجعوا اليه ونظروا في مفرداته وبيّنوا معانيها وما تنطوي عليه من أغراض ، وكان الشعر الى جانب هذا كله معيناً آخر لا ينضب اعتمد عليه اللغويون في ضبط لغتهم وحصر ألفاظهم.

وكان اللغويون حريصين كل الحرص على جمع اللغة وضبطها ، وقد اتبعوا في روايتها ما اتبعه المحدّثون في جمع الاحاديث وضبطها والتأكد من صحتها ، فهم يذكرون السند ويبينون الثقة من غير الثقة،

---

(١) ضرية : بلدة بين البصرة ومكة

(٢) ادناع الناس سفلتهم ينظر ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٥٦

ويأخذون ما ثبت عندهم انه صحيح لا يرقى اليه الشك ويرفضون كل ما يدعو الى الريبة والكذب • وليس كل ما جمع من اللغة كان في درجة واحدة من الثقة والصحة فقد تطرق الشك اليه احيانا ، وأصابه الخلل والفساد من عدة جهات ذكرها القدماء والمحدثون ، وقد عقد السيوطي في المزهر عدة فصول في معرفة الصحيح ، وفي معرفة ما روي من اللغة ولم يصح ولم يثبت ، وفي معرفة المتواتر والآحاد والمرسل والمنقطع ، وفي معرفة من تقبل روايته ومن ترد ، وفي معرفة طرق الأخذ والتحمل ، وغير ذلك •

وقد تعرض الاستاذ احمد امين لهذه المسألة في كتابه « ضحى الاسلام » ، وذكر ان من أسباب تفاوت ما جمع من كلام العرب في الصحة والثبوت ما يأتي

١ــ ان بعض علماء اللغة لم يكن ثقة فيما يرويه فقد يجوز ان يضع أحدهم الفاظاً لم ترد عن العرب حبا في التباهي والظهور بمظهر العالم الذي لا يدانيه احد •

٢ــ ان بعض العلماء أخذ اللغة عن الكتب والصحف ، وقدكانت الكتابة في عصورها الاولى غير منقوطة ولا مشكولة فدخل اللغة تصحيف عظيم •

٣ ــ عدم تحديد المعاني التي ينقلونها ، وذلك أن كثيرا من الكلمات كان ينقل سماعا عن العرب ويفهم السامع معانيها لا بالاشارة ولكن بالقرائن فيفهم سامع شيئا ويفهم سامع آخر شيئا غيره •

٤ــ اعتمادهم في أخذ مفردات اللغة أحيانا على أبيات نسبت الى الجاهليين أو الاسلاميين •

٥ ــ تعرض اللغويين الى أصل الكلمات وبيان انها اخذت من الفرس أو الروم أو نحوهما ، وكان علمهم بلغات من حولهم ناقصا ، ولهذا وقعوا في كلامهم في اخطاء كثيرة[1] •

---

(١) ينظر ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٥٩ وما بعدها

وسار جمع اللغة في ثلاث مراحل ، وكانت المرحلة الاولى جمع الكلمات حيثما اتفق،والثانية جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد ، والثالثة :وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية نيكون مرجعا يلوذ الباحثون به • وكان الخليل بن احمد الفراهيدي أول من فكر في وضع معجم في اللغة العربية ، وقد استطاع بعقليته الجبارة وذكائه الوقاد وثقافته الواسعة أنيجمع ألفاظ العربيةويحصرها بطريقة رياضية ، ويبين المستعمل والمهمل منها في كتابه « العين » الذي كان أول معجم في العربية •

وبعد ان جمع العلماء والرواة مقدارا كبيرا من اللغة والادب ، وبعد أن بدأ اللحن يتفشى والعجمة تدخل العربية أخذ العلماء يفكرون في وضع قواعد واصول يصونون بها لغتهم ويضعونها امام الناشئين في الاقطار العربية •

وقد اختلف المؤرخون في نشأة النحو العربي وذهبوا فيه مذاهب شتى ، ولم يستطيعوا ان يذكروا على وجه التحديد بذوره ونشأته الاولى ، ويذكر بعضهم ان الامام علي بن أبي طالب (رض) هو منشيء النحو العربي وواضع بعض فصوله ، وانه قد دفع الى أبي الاسود الدؤلي رقعة كتب فيها « الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما انبيء به ، والحرف ما أفاد معنى • وأعلم ان الاسماء ثلاثة ظاهر ، ومضمر ، واسم لا ظاهر ولا مضمر ، وانما نتفاضل الناس فيما ليس بظاهر ولا مضمر »[1] ، والى ذلك يشير أبو حيان في مقدمة كتابه « التقريب » فيقول بعد ان بدأه بالتحميد المعهود « وخصوصا عن صنوه وابن عمه عليٌّ منشيء الفن العربي وموضح المهيع النحوي »[2] •

ولسنا هنا في مجال مناقشة من يذهب هذا المذهب في نشأة

---

(١) نزهة الالباء ص ٥

(٢) تقريب المقرب ص ٢ ، وينظر الاختلاف في وضع النحو خبار النحويين البصريين للسيرافي ص ١٠

النحو ونسبته الى الامام علي كرم الله وجهه ، ولكننا نرى ان لا وجه لهذه الروايات لان الاوائل من الصحابة لم ينصرفوا الى هذه الناحية وانما كان جل همهم منصبا على تثبيت اركان الاسلام ونشره خارج الجزيرة العربية .

ويروى ان أبا الاسود الدؤلي هو الذي وضع النحو ، قيل ان ابنته قالت له في يوم قائظ شديد الحر « ما أشدُّ الحر » ـ بضم الدال ـ تريد التعجب ، فقال أبوها « القيظ ، وهو ما نحن فيه يا بنية » . ظنا منه انه استفهام . فتحيرت وظهر لها خطؤها فعرف انها ارادت التعجب فقال لها يا بنية قولي « ما أشدَّ الحرَّ » . قيل فعمل أبو الاسود باب التعجب وباب الفاعل والمفعول[1] . وقيل كان بدء ما وضع أبو الاسود النحو انه مَرَّ رجل فارسي يدعى سعدا،وكان يقود فرسه فقيل له ما لك يا سعد ألا تركب ؟ فقال فرسي ضالع فضحك به من حضره ، قال أبو الاسود « هؤلاء الموالي قد رغبوا في الاسلام ودخلوا فيه وصاروا لنا أخوة فلو علمناهم الكلام » ، فوضع باب الفاعل والمفعول[2]

وقيل ان زياد بن أبيه قال لابي الأسود « ان بني يلحنون في القرآن فلو رسمت لهم رسماً.» فنقط المصحف ، ثم قال له:«ان الظئر والحشم قد أفسدوا ألسنتهم فلو وضعت لهم كلاما » ، فوضع العربية. وقيل ان ابا الاسود أقام بالبصرة مستوطناً بعدما كان واليا بها لابن عباس في خلافة علي الى ان تولى زياد امارة العراقين أيام معاوية ، وكانت العرب قد خالطت الاعاجم فتغيرت ألسنتهم ، وكان الدؤلي لا يخرج الى أحد شيئا مما أخذه من علم العربية عن الامام علي حتى أمره زياد بتعليم أولاده بالبصرة ، ثم بعث اليه أن اعمل شيئا يكون اماما تنتفع به الناس وتعرب كتاب الله ، فاستعفاه من ذلك،الى ان سمع

---

(١) ينظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ١٤

(٢) ينظر طبقات النحويين ص ١٥

قارئا يقرأ « أنَّ اللهَ بريء من المشركينَ ورسولَهُ »[1] ـ بكسر اللام ـ ، فقال « ما ظننت أمر الناس آل الى هــــذا » فرجع الى زياد وقال « ما ظننت ان أمر الناس صار الى هذا » ، فرجـع الى زياد وقال « أنا أفعل ما أمر به الأمير » • وأتى له بكاتب فقال له أبو الاسود « اذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه ، وان ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وان كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف فان اتبعت ذلك شيئا من غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين » ففعل ذلك ، فهذا نقط أبي الاسود الدؤلي[2] ، وهو الذي اشتهر به ، لا بوضع النحو

ومهما يكن من أمر هذه الروايات ، فاننا نستطيع أن نستنتـج منها ما يأتي

١ـ ان العرب والمسلمين أخذوا يخافون على كتابهم العظيم من التحريف ، فبدأوا يفكرون في طريقة تمنع تفشي اللحن في قراءته •

٢ ـ ان النشء الجديد الذي ولد بعيداً عن قلب الجزيرة مهد العرب أخذوا يتكلمون العربية بغير أساليبها البيانية الرائعة ، ومن هنا فكر بعضهم في وضع أصول تضبط اللغة وتعلم الصبيان أســــاليبها وطرق التعبير بها •

٣ ـ ان الموالي أخذوا يكثرون وينتشرون في أرجاء الاقطـــار العربية ، وكان هؤلاء بحاجة الى ان يتعلموا لغة الدين الجديد واللغة الرسمية التي بغيرها لا يستطيعون أن يحيوا حياة حرة كريمة في ظل حكومة اتخذت لغة القرآن سبيلا الى التفاهم والتخاطب والكتابة •

وعلى كل حال فقد كان لعمل أبي الاســـود وغيره من القراء المنتشرين في الامصار الاسلامية اكبر الاثـر في نشأة النحو العربي

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٣

(٢) ينظر انباه الرواة ج١ ص ٥ ، ١٦

وتطوره،ولكن هذه النشأة ما تزال غامضة لايعرف عنها الشيء الكثير.
وقد وضع الزبيدي أبا الاسود الدؤلي في الطبقة الاولى من النحويين البصريين وذكر معه عبدالرحمن بن هرمز وقال عنه « كان عبدالرحمن ابن هرمز من اول من وضع العربية ، وكان من اعلم النـاس بالنحو وأنساب قريش »[1] . ووضع في الطبقة الثانية نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر وعنبسة الفيل وميمون الاقرن . وفي الطبقة الثالثة ابن ابي عقرب وعبدالله بن ابي اسحاق وفي الطبقة الرابعة أبا عمرو بن العلاء وابا سفيان بن العلاء والاخفش الكبير وعيسى بن عمر ومسلمة ابن عبدالله وبكر بن حبيب السهمي .

ولعل الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ الذي كان على رأس الطبقة الخامسة من البصريين ـ كان ابرز من اشتغل في النحو واللغة والف كتاب « العين » في اللغة وبث آراءه النحوية بين تلاميـــذه الذين حملوا عنه افكاره الى الاجيال المتعاقبة . ولكن الخليل لم يؤلف كتابا في النحو ونستطيع على ضوء ما ذكر سيبويه في كتابه الشهير ان تتصور عمله وآراءه في النحو ، فقد ذكر سيبويه استاذه الخليل في مواضع كثيرة ويرى المؤرخون والنحاة ان كل ما ورد من اشارات غير صريحة في كتاب سيبويه مثل « سألته » أو يذكر الرأي من غير نسبته الى شخص معين فهو رأي الخليل . وعلى هذا الاساس فان الخليل يعـد مؤسس النحو العربي بمعناه الصحيح .

ولم يبق النحو بعد الخليل صحفا مبعثرة واقوالا تروى ، فقـد تتلمذ عليه الكثيرون وكان من أشهرهم سيبويه صاحب الكتاب الكبير الذي كان أول كتاب وصل الينا في النحو ، فيه تبويب وعرض حسن وتنسيق جيد . ولم نعثر على كتاب قبله وان اشار القدماء الى كتابي « الاكمال » و « الجامع » لعيسى بن عمر ، وفيهما يقول بعضهم

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ٢٠

بَطَل النحو جميعاً كلّــه غير ما ألّف عيسى بن عمــرْ
ذاك إكمال" وهــذا جامع" فهما للناس شــمس" وقمر

لقد كان كتاب سيبويه أعظم كتاب جمع فيه النحو واللغةوالصرف وأساليب العرب الفصيحة ، وقد أصبحت كلمة « الكتاب » علماً عليه فكان يقال في البصرة « قرأ فلان الكتاب » ، فلا يشــك في انه كتاب سيبويه • وكانت له منزلة كبيرة في عصره والعصور التي تلته فاتخذه النحاة دستوراً يرجعون اليه في كل ما كتبوا وسطروا•واصبح لاهميته وقيمته يقــدم هدايا للامراء والوزراء ، يقول الجــاحظ اردت الخروج الى محمد بن عبدالملك الزيات وزير المعتصم ففكرت في شيء اهديه له فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه فلما وصلت اليه قلت له لم أجد شيئا اهديه لك مثل هذا الكتاب وقد اشتريته مــن ميراث الفراء • فقال والله ما أهديت لي شيئا احب الي منه • ويقال ان الجاحظ لما وصل الى ابن الزيات بكتاب سيبويه اعلمــه به قبل احضاره فقال ابن الزيات أوَ ظننت ان خزائننا خالية من هذا الكتاب؟ فقال الجاحظ ما ظننت ذلك ، ولكنه بخط الفراء ومقابلة الكسائي وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ ــ يعني نفسه ــ ، فقال ابن الزيات هذه أجل نسخة توجد وأعزها ، فاحضرها اليه فسُرَّ بها ووقعت منــه أجمل موقع[1] •

واهتم العلماء بالكتاب وشرحوه شروحا كثيرة ، لانه اقدم مصنف جمع مسائل النحو العربي ، ومن شروحه

شرح أبي سعيد السيرافي (٣٦٨ هـ) • وشرح علي بن عيسى الرماني (٣٨٤ هـ) • وشرح عيون كتاب سيبويه لابي نصر هارون بن موسى (٤٠١هـ) • وتحصيل الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات

---

(١) ينظر وفيات الاعيان ج ٣ ص ١٣٣ ، ودائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الانكليزية) ج٤ ص ٢٩٧ ، ونزهة الالباء في طبقات الادباء ص ٣٩

العرب ليوسف بن سليمان الشنتمري (٤٧٦ هـ) . وشرح الزمخشري جار الله (٥٣٨ هـ) . وشرح أبي الفتح قاسم بن علي البطليوسي الصفار المتوفى بعد سنة ٦٣٠هـ . والاسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار ، وتجريد مسائل كتاب سيبويه ، وشرح كتاب سيبويه لابي حيان النحوي الاندلسي (٧٤٥ هـ)[1]

وقد عالج سيبويه في كتابه جميع المسائل النحوية ، ففي الجزء الاول تكلم على الكلم واقسامه واللازم والمتعدي ، وما ينصب مفعولين أو اكثر ، وضمير الشأن ، والتنازع في العمل ، والاشتغال ، والالغاء ، والبدل ، وعمل اسم الفاعل ، وعمل اسم المصدر ، والصفة المشبهة ، والمصدر ، واسماء الافعال ، وحذف العامل ، والتحذير ، والمفعول معه ، والمفعول المطلق ، والمفعول لاجله ، والحال ، والظرف، والجر ، والتوابع ، والنعت السببي ، وعلم الجنس ، والمبتدأ ، وان واخواتها ، وكم ، والنداء ، والندبة ، والاختصاص ، والترخيم ، ولا التي لنفي الجنس ، والاستثناء ، والضمير ، وأي ، والمضارع ، والنواصب ، والجوازم ، وإن وأن المشددتين ، وأن وإن المخففتين . وبحث في الجزء الثاني ما ينصرف وما لا ينصرف ، والاضافة وهو باب النسبة ، والتثنية ، والجمع ، والاضافة لياء المتكلم ، والتصغير ، وحروف القسم ، وحذف تنوين العلم اذا وصف بابن ، والنون الثقيلة والخفيفة ، والفعل المضعف ، والمقصور والممدود ، والعدد ، وصيغ الافعال .

هذه موضوعات النحو التي ذكرها سيبويه ، وهي تعطينا فكرة واضحة عما فعله هذا الفذ في النحو العربي ، ولكننا مع ذلك لا يمكن ان نعتبر عمله كاملا ، لانه لم يبوب النحو تبويبا دقيقا كما فعل ابن الحاجب وابن مالك وابو حيان النحوي وابن هشام وغيرهم من النحاة المتأخرين ، كما انه لم يحدد بالضبط مصطلحات النحو التي عرفها

(١) تنظر هذه الشروح في كتابنا « أبنية الصرف في كتاب سيبويه » ص ٧٢-٧٩ وكتابنا « كتب سيبويه وشروحه » ، الفصل الثالث

المتأخرون بل اتخذ سبيلا آخر في الاشارة الى موضوعات النحو ، فهو يسمي الفعل اللازم « الفاعل الذي لم يتعده فعله الى مفعول » ، ويسمي المبني للمجهول « المفعول الذي تعدّاه فعله الى مفعول » ، و « المفعول الذي يتعداه فعله الى مفعولين ، وليس لك ان تقتصرعلى واحد منهما دون الآخر » ، ويسمي أسماء الافعال « باب من الفعل سمي الفعل فيه باسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث وموضعها من الكلام الامر والنهي مثل رويد زيداً ، وحيهل الثريد »[١] •

وفي الكتاب الى جانب النحو مادة خصبة في الصرف ، فقد تكلم سيبويه على أبنية الاسماء والافعال والمصادر وجموع التكسير ، وموضوعات الصرف الاخرى كالامالة وهمزة الوصل والتقاء الساكنين والوقف ، والاعلال والابدال والادغام وغيرها[٢]

وعلى كل حال فقد كان كتاب سيبويه أول كتاب يصل الينا وفيه ما تفرق من أقوال العلماء قبل سيبويه ، مرتبة مبوبة • وهو بذلك أول مصدر يرجع اليه كل باحث في النحو واصوله •

ولم يسر النحو باتجاه واحد وانما انقسم بعد الخليل بن احمد الفراهيدي استاذ النحاة الاول الى اتجاهين واضحين ، فكان لعلماء البصرة مذهبهم الخاص ولرجال الكوفة اتجاههم الواضح وكان لهذا الخلاف بين البصرة والكوفة اسبابه ، فان المدينتين متباينتان من عدة وجوه ، في الموقع ، وفي ميول السكان وطباعهم ، وفي درجة الصفاء في العروبة ، وفي منهج البحث الذي سارت عليه كل منهما أما في الموقع فان البصرة تقع على طرف البادية في مكان قريب من العروبة الصافية ومن مساكن العرب الخلص •

وأما الكوفة فقد انشئت بعيدا عن جزيرة العرب في اصقاع امتد

---

(١) ينظر كتاب سيبويه ج١ ص ١٣ ، ١٤ و ص ١٩ ، و ٢٠ ، ١٣٢ ، وغير ذلك من الابواب

(٢) بحثنا هذا في رسالتنا « ابنية الصرف في كتاب سيبويه » التي نلنا بها الماجستير من جامعة القاهرة في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٦١ وقد طبعت بمطبعة دار التضامن ببغداد سنة ١٩٦٥

اليها النفوذ الاجنبي مبكرا وأثر فيها • وأما في الطباع والميول فان سكان البصرة كانوا أصلب عودا وأصعب مراسا ، وكانوا يناصرون الامويين ، وكان الكوفيون أميل الى الطاعة والهدوء ، وكانوا يناصرون الامام علي بن أبي طالب وكان أهلها عونا للدولة العباسية في بسط نفوذها ولذا كافأهم العباسيون بهباتهم وآثروا علماء الكوفة فقربوهم •

وأما صفاء العروبة فان سكان البصرة أعرق في الفصاحة لانهم من قبائل أصفى لغة ولم تكن الكوفة مثلها في هذا الصفاء اللغوي اذ اخذوا عن قبائل أضعف فصاحة وجاء اشتغالهم بالنحو متأخرا عن اشتغال البصريين •

وأما منهج البحث فالبصريون يقفون عند الشواهد الموثوق بصحتها الكثيرة النظائر ، ولذا كانت أقيستهم وقواعدهم أقرب الى الصحة وكانوا يؤولون ما ورد مخالفا للقواعد ويحكمون بانه شاذ أو موضوع،ولذا كثر عندهم ما قل عند الكوفيين من التأويل والحكم بالشذوذ والضرورات • وكان الكوفيون أقل تعصبا في الشواهد وقد يكتفون بالشاهد الواحد فيبنون عليه حكمهم ويستنبطون القاعدة[١] •

ومن هنا نشأ الخلاف بين البصريين والكوفيين فكان لكل مصر من هذين المصرين العربيين مذهبه النحوي واتجاهه الخاص به •

وقد قسم علماء العربية منذ القديم مذاهب النحاة الى ثلاث مدارس مدرسة البصريين ، ومدرسة الكوفيين ، ومدرسة من مزجوا المذهبين من علماء بغداد • وسنتكلم في هذا الفصل على النحو في البصرة والكوفة وبغداد والاندلس ومصر والشام ، لان لابي حيان علاقة بشيوخ هذه المدارس واتجاهاتها النحوية المختلفة ، وسنذكر في كل قسم من هذه الاتجاهات الخصائص العامة لكل مدرسة وموقف أبي حيان منها ومن شيوخها الاعلام •

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في كتب القواعد النحوية ص ٧٣ - ٧٦

مدرسة البصرة

نشأ النحو أول ما نشأ في البصرة ونما وازدهر بمرور الاعوام ، ومن هناك كانت مدرسة البصرة أسبق المدارس النحوية ، وكان النحو بصريا كله في الفترة الاولى ، وكان كتاب سيبويه دستورا سار عليه نحاة البصرة وغيرهم في ضبط قواعد اللغة العربية واصولها وقد اتضحت معالم مدرسة البصرة بعد سيبويه وبعد ان ظهر الكسائي والفراء في الكوفة وخالفا آراء سيبويه . ولكن المؤرخين يذكرون ان طبقتين من نحاة البصرة قد سبقت ظهور مدرسة الكوفة ، وتبتدىء الطبقة الاولى بابي الاسود الدؤلي والثانية بعبدالله الحضرمي وعيسى ابن عمر . وما أن ظهرت الطبقة الثالثة وعلى رأسها الخليل بن أحمد الفراهيدي حتى بدأت الطبقة الاولى من نحاة الكوفة وعلى رأسها أبو جعفر محمد الرؤاسي ومعاذ بن مسلم الهراء[1] .

ويمتاز مذهب أهل البصرة النحوي بابتناء قواعده على الاغلب الشائع من كلام العرب ، وتحكيم المقاييس العقلية في الكثير من شؤونه ، فاذا اصطدم أصل من اصوله بسماع غير مشهور فزع الى التأويل والتوجيه ، او رمى المسموع بالشذوذ والندوة ، أو بالتخطئة

---

(١) تنظر هذه الطبقات في القواعد النحوية ص ٧٧ وما بعدها ، ونلاحظ هنا ان الاستاذ عبدالحميد حسن في كتابه القواعد النحوية اعتبر الخليل راس الطبقة الثالثة من النحاة البصريين في حين جعله الزبيدي في الطبقة الخامسة (ينظر طبقات الزبيدي ص ٤٣ وما بعدها)

احيانا • ويتصلب البصريون في أمر الرواية تصلبا لا يتقيد به رجال الكوفة ولذلك نرى اولئك يستخفون برواية هؤلاء • ويزعم البصريون انهم اخذوا عربيتهم عن الاعاريب ذوي السلائق السليمة والاذواق اللغوية المرهفة(١) •

ولا يحتج البصريون بكل ما يحتج به الكوفيون وقد تشددوا في شواهدهم ــ كما ذكرنا ــ ولم يأخذوا الا بما تأكدوا من صحته مما لا يتطرق الشك اليه • وكان القرآن الكريم أعلى شواهدهم واسماها وقد اتخذوا من آياته البينات شواهد لا يرقى اليها الشك ولكنهم لم يقفوا من قراءاته موقفا محمودا • والمعروف ان القرآن قريء بلهجات مختلفة باختلاف القبائل في طرق النطق واداء الكلمات فبعضها يسهل حرفا تشددها غيرها ، وبعضها تفك احرفا تدغمها غيرها ، ومن هنا اختلف اداؤهم في قراءته • وكان الرسول (ص) قد أقرأ كل وفد بلهجة قبيلته فنشأ عن ذلك اختلاف في القراءة حتى كان بعضهم ينكر قراءة البعض الآخر ويتحاكمون الى الرسول العظيم ليفض النزاع ، وكان يقول لهم « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، ولم تكن هذه الاحرف السبعة التي أشار اليها النبي (ص) الا القراءات السبع المتواترة • ويرى الجزري ان هذه الاختلافات ترجع الى سبعة أمور هي

التغيير في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة ، أو تغيير في المعنى وحده ، أو في الحروف بتغيّر المعنى لا الصورة ،أوبتغيرالحروف والصورة لا المعنى ، أو تغيير الحروف والصورة والمعنى ، أو بالتقديم والتأخير ، او بالزيادة والنقصان(٢) •أما ابن قتيبة فيرى ان الاختلافات السبعة في القراءات ترجع الى الاختلاف في الاعراب بما لا يزيل صورتها في الخط ولا يغير معناها ، والاختلاف في اعراب الكلمة وحركات

---

(١) ينظر ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٩٤ ، ونظرات في اللغة والنحو ص ١١ ، وتاريخ علوم اللغة العربية ص ١٢٦

(٢) ينظر كتاب النشر في القراءات العشر ج١ ص ٢٦

بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها ، والاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها ، والاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها ومعناها ، والاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها ، والاختلاف بالتقديم والتأخير ، والاختلاف بالزيادة والنقصان[1]

اما الامام الكبير ابو الفضل الرازي فقد قال:ان الكلام لا يخرج اختلافه عن سبعة اوجه الاول اختلاف الاسماء من الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث والمبالغة . وغيرها . الثاني اختلاف تصريف الافعال وما يسند اليه من نحو الماضي والمضارع والامر والاسناد الى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به. الثالث وجوه الاعراب . الرابع الزيادة والنقص . الخامس التقديم والتأخير . السادس القلب والابدال في كلمة باخرى وفي حرف بآخر . السابع اختلاف اللغات من فتح وامالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل وادغام واظهار ونحو ذلك[2] .

ومهما يكن من أمر هذه الاختلافات أو نوعها فقد تعددت القراءات وكادت تحدث الفتن بسببها بين المسلمين حتى وحد الخليفة عثمان بن عفان (رض) كتابة المصاحف،وقام أبو الاسودالدؤلي بنقطها. وأستمرت بعد ذلك عناية العلماء بالقرآن فجمعت القراءات الصحيحة والشاذة وبحث عن اسنادها الى ان كانت المرحلة الحاسمة وهي الخطوة التي قام بها امام القراء أبو بكر بن مجاهد باختيار القراءات السبع[3]. وكان على النحاة ان يستفيدوا من هذا التشدد في تصنيف القراءات وتبيين متواترها وآحادها وصحيحها وشاذها ، ولكن البصريين على عادتهم في التشديد في شواهدهم التي يثبتون بها قواعدهم النحوية

---

(١) ينظر النشر في القراءات العشر ج١ ص ٢٧ — ٢٨
(٢) ينظر النشر في القراءات العشر ج١ ص ٢٧
(٣) ينظر أبو علي الفارسي ص ١٦٠

أخذوا ينظرون الى القراءات نظرة الريبة والشك ، فلم يأخذوا منها إلا ما وافق قواعدهم ، ولم يعتمدوا عليها في تقعيد قواعدهم ، وكان من الواجب أن يأخذوا بالمتواتر لان اسناده احسن الاسانيد لاتصاله بالرسول العظيم . ولكنهم كانوا يخطئون القراء اذا قرأوا بما يخالف قواعدهم واصولهم حتى ولو كان القاريء من القراء السبعة الذين أخذوا قراءاتهم عن الصحابة كابن عامر العربي الصريح الذي أخذ القراءة عن عثمان بن عفان قبل ظهور اللحن في لسان العرب وتفشيه ، يقول ابو حيان عنه « وهو عربي صراح ، وقد أخذ القرآن عن عثمان ابن عفان قبل ظهور اللحن »(١) . وكان البصريون يخضعون القراءات لاقيستهم واصولهم المعتمدة على العقل والرأي ، في حين انها تعتمد على الرواية والنقل الصحيح عن الرسول (ص) والصحابة والتابعين وهي سنة متبعة يأخذ بها الآخر عن الاول .

ويأتي كلام الرسول(ص) في الفصاحة بعد القرآن الكريم ،وكان من الواجب ان يقدم الاستشهاد به على سائر كلام العرب ، ولكن اللغويين والنحاة اختلفوا في جواز الاستشهاد به مع اجماعهم على ان النبي(ص) أفصح العرب قاطبة ، وانقسموا فريقين فريق يرى ان الاحاديث منقولة بلفظه عليه السلام وقد اجاز هذا الفريق الاستشهاد بها ، وفريق يرى انها مروية بالمعنى لا باللفظ ولا يجوّز هذا الفريق الاستشهاد بالحديث، وكان أئمة النحو المتقدمون من البصرة والكوفة من هذا الفريق وعلى رأسهم سيبويه امام النحاة الذي لم يذكر في كتابه الكبير حديثا واحدا، وقد اقتدى بالمتقدمين من النحاة كابي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل بن احمد الفراهيدي . ومن هنا نجد البصريين لا يستشهدون بالحديث في اللغة والنحو ولا يأتون به الا لاثبات ما فيه من فصاحة وبلاغة بعد ان رأوا ان الحديث الواحد يروى بالفاظ مختلفة(٢) .

وكان كلام العرب المنبع الثالث للشواهد النحوية ، ولما كان

---

(١) البحر المحيط ج ٤ ص ٢٧١

(٢) ينظر في لاستشهاد بالحديث والخلاف فيه خزانة الادب للبغدادي ج١ص٣-٨

الشعر مجالا للضرورات فان النحاة نظروا اليه بعين الريبة ولم يعتمدوا عليه وحده ما لم ترد شواهد نثرية تعزز صحته • وقد نبه معظم الباحثين الى الضرورات التي ينفرد الشعر بها وبنى النحاة قواعدهم على ما خلا من الضرورات ، وقسموا الشعراء الذين يحتج بشعرهم ويستشهد به في اللغة والنحو الى اربع طبقات طبقة الجاهليين ، وطبقة المخضرمين ، وطبقة المتقدمين أي الاسلاميين ، وطبقة المولدين • وقسمهم بعضهم الى ست طبقات الخامسة طبقة المحدثين الذين جاءوا بعد المولدين كابي تمام ، والسادسة طبقة المتأخرين كالمتنبي • وكان البصريون يستشهدون بشعراء الطبقتين الاولين اجماعا من غير تفريق ، ولم يستشهد اكثرهم بشعراء الطبقة الثالثة • اما شعراء الطبقة الرابعة فلم يستشهدوا بشعرهم مطلقا • يقول السيوطي « أجمعوا على انه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية »[1] ولكنه يذكر بعد ذلك ان سيبويه احتج بشعر بشار يقول « اول الشعراء المحدثين بشار بن برد ، وقد احتج سيبويه في كتابه ببعض شعره تقربا اليه لانه كان هجاه لترك الاحتجاج بشعره ذكره المرزباني وغيره »[2]

وقد وقفوا في اللغة التي استشهدوا بها عند اواخر العصر الاموي واوائل العصر العباسي ولم يأخذوا الا عن القبائل الخالصة التي لم تفسد لغتها بمخالطة الاعاجم • ذكر السيوطي في الاقتراح ان قريش كانت « اجود العرب انتقادا للافصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعا وابانة عما في النفس » ، ثم يقول « والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم واسد ، فان هؤلاء هم الذين عنهم اكثر ما اخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر

---

(١) الاقتراح ص ٢٦
(٢) الاقتراح ص ٢٧

قبائلهم » . ثم يقرر بعد ذلك انه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم التي تجاور سائر الامم الذين حولهم ، فانه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام فانهم كانوا مجاورين لاهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من اياد فانهم كانوا مجاورين لاهل الشام واكثرهم نصارى يقرءون في صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب ولا النمر فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بكر،لانهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولا من عبد القيس لانهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس ، ولا من اهل اليمن اصلا لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الامم المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز ، لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم[1] .

هذه منابع الشاهد النحوي عند البصريين وقدكانوا متشددين في الاخذ لا يقبلون كلام من اختلط بالحواضر ، لذلك كانوا يخرجون الى البوادي ليشافهوا الاعراب ويسمعوا عنهماللغة . وكان السماع عندهم اساس كل شيء وعليه اعتمدوا في تقعيد النحو العربي ، فهم ينظرون في الامثلة والشواهد التي جمعوها ويميزون بين المطرد والغالب ، والكثير ، والقليل ، والنادر،والشاذ،والضعيف ،والضرورة، ويستنبطون القاعدة . وقد ألمّوا بجميع مظاهر كلام العرب ولم يتركوا شيئا الا اثبتوه ونبّهوا على ما فيه ، ولذلك اصبح علما واسعا واختلفت آراء النحاة في اصوله ومسائله .

واستفاد البصريون من القياس ولكنهم تشددوا في ذلك ولم يقيسوا الا على ما توافرت شواهده وامثلته . والمقيس عليه عندهم

---

(١) ينظر الاقتراح ص ١٩ — ٢٠

يشترط فيه ألا يكون شاذا ولا خارجا عن سنن القياس ، فاذا سمع ما يعارض القياس تركوا القياس ونطقوا بالمسموع ولا يقيسون على المسموع الشاذ .

وليس من شروط المقيس عليه الكثرة ، فقد يقاس على القليل كما في النسب الى «شنوءة» فيقال: «شَنَئِيّ»، ويقاس عليه ركوبة وحلوبة، وذلك انهم اجروا « فعولة » مجرى « فعيلة » لمشابهتها اياها في بعض الامور ، لان هـذه اللفظة وردت على وجـه لم يرد السماع بخلافه لا في اللفظ عينه ولا فيما كان من نوعه مع اجماع العرب على النطق به فهذا يقبل ويحتج به ويقاس عليه ، ولذلك اكتفى سيبويه بهذا اللفظ الواحد واتخذه اصلا يقيس عليه كل ما كان من نوعه فجعل وزن « فَعَلِيّ » قياسا في كل ما كان على صيغة « فَعولة» ، مع انه لم يقع اليه من شواهده الا هذه الكلمة المفردة[1] . فان كان الشاذ لفظا معينا ورد على وجه يخالف القياس والسماع فلا يقام له في نظر البصريين وزن ، ولا يجيزون لاحد النسج على منواله.ومن هذا القبيل ان القياس في اسم المفعول المأخوذ من الثلاثي المعتل العـين بالواو ، حذف احد الواوين فيقال « مروم » في « رام » ، وورد في الفـاظ معدودة النطق بالواوين كليهما ، قال بعض العرب « ثوب مصوون» و « مسك مدووف » و « فرس مقوود » ، ومثل هذه الكلمات الشاذة تحفظ عند الجمهور ولا يصح لاحد أن يقيس عليها[2] .

فاذا كانت الالفاظ كلمات معدودة تأتي على وجه مخالف للقياس ويكثر استعمالها على الوجه المخالف حتى يقل استعمالها أو يفقد على وجه القياس مثل « استحوذ » و « استصوب » ، فقد ورد على خلاف القاعدة القاضية بقلب « واوها » « الفا » ، كما يقال « استقام » و « استعاذ » و « استنار » . ومثل « عُيَيد » تصغير « عيـد »

(١) ينظر كتاب سيبويه ج ٢ ص ٧٠ ـ ٧١ ، والاقتراح ص ٤١

(٢) ينظر كتاب سيبويه ج٢ ص ٣٦٣ وما بعدها

ومقتضى القياس « عُوَيْد » لانه مثل « عاد يعود » ، والتصغير كالجمع يرد الاسماء الى اصولها • ومن هذا النوع ما يرد على الوجه الموافق للقياس نحو « استحوذ » و « استصوب » ، فقد ثبت عن العرب انهم قالوا « استحاذ » و « استصاب » ، فيجوز العمل فيه على الوجهين ، غير ان الوجه الاكثر في السماع هو الارجح في الاستعمال لانه مألوف عند المخاطبين أكثر من الوجه الذي قل في السماع وإنْ كان أرجح من جهة القياس • اما الالفاظ التي لم ترد الا على الوجه المخالف للقياس نحو « عبيد » فيقتصر فيها على ما ورد عن العرب • وقد ترد الفاظ معينة على ما يوافق القياس ويخالف السماع ، ومثال ذلك ان خبر « عسى » يكون مضارعا مقرونا بـ « أنْ » أو مجردا منها ولكنه ورد اسما صريحا في أمثلة متعددة فقالوا في المثل « عسى الغوير أبؤسا » وقال الشاعر

أكثرت في العذل ملحاً دائما لا تعذلن اني عسيت صائما[1]

ومهما يكن من شيء فالنحاة يختلفون في الوارد على وجه الشذوذ وهو المسموع المفرد من حيث الاعتداد به في القياس ، والذي نعرفه أنّ الكوفيين يعتدون بما ورد من الكلمات الشاذة ويعملون بالقياس عليها في حين يمتنع البصريون عن القياس على الشاذ،ويذهبون في مثله الى ان قائله نحا به نحوا خلاف ما يظهر منه ويردونه الى الاصل المعروف عندهم على طريق من التأويل • ومن أمثلة ذلك انه لا يبنى « أفعل التفضيل » مما كان الوصف منه على وزن: « أفعل » ، ولما جاءهم قول الشاعر

جارية في درعها الفضفاض أبيض من أخت بني أباض

نزله الكوفيون منزلة المقيس عليه ، وتأوّله البصريون على انه من

(١) ينظر شرح الاشموني ج ١ ص ١٢٨ ، ومنهج السالك ص ٦٨ ، والارتشاف ص ١٥٢

قولهم « باض فلانا » ، اذا غلبه وفاقه في البياض •

أما الاقوال الشاذة التي لا تجد عند البصريين مساغا للتأويل فانهم يتخلصون منها بجعلها من النادر الذي لا يقوم عليه قياس •

والبصريون انما يقتحمون التأويل اذا كان اللفظ المخالف للمعروف في اللسان واردا عن شخص واحد يتكلم باللغة المألوفة ، اما اذا ثبت انه لغة قبيلة فلا وجه لتأويله والخروج به عن ظاهره(١)

* *

ومن أشهر نحاة البصرة بعد سيبويه ابو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش (٢١٥ هـ) ، وابو عمر الجرمي ، وعلي بن نصر الجهضمي ، ومؤرج بن عمرو السدوسي (١٩٥ هـ) ، ومحمد بن أبي محمد اليزيدي ، وابو العباس الفضل بن محمد بن ابي محمد اليزيدي ، وابو عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازني (٢٤٦ هـ) ، وأبو حاتم السجستاني (٢٥٥ هـ) ، والعباس بن الفرج الرياشي (٢٥٧ هـ) ، وابو اسحق ابراهيم بن زياد الزيادي ، وابو محمد عبدالله التوزي (٢٣٠ هـ)، ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب (٢٠٦ هـ) ، وأبو العباس المبرد الازدي البصري (٢٨٥ هـ) ، وابو العلاء محمد بن ابي زرعة الباهلي (٢٥٧ هـ) ، وابو اسحق الزجاج (٣١٦ هـ) ، ومحمد بن السراج ،وابو بكر محمد بن علي بن اسماعيل العسكري،وابو الحسن علي بن سليمان الاخفش (٣١٥ هـ) ، وابن درستويه ، وابوالقاسم الزجاجي (٣٣٧ هـ)، وابو سعيد السيرافي وغيرهم(٢) •

هؤلاء اشهر النحاة البصريين ، وهم الذين ارسوا قواعد المذهب البصري وثبتوا اركانه ، واستطاع تلاميذهم من بعدهم ان يثبتوا هذا المذهب ، ويجعلوا له الغلبة في آخر الامر •

وبعد فما موقف ابي حيان من هذه المدرسة ؟

---

(١) ينظر دراسات في العربية وتأريخها ص ٤٠ ، والقواعد النحوية ٢٢٢

(٢) تنظر تراجم هؤلاء النحاة في طبقات النحويين واللغويين ص ٧٤ ـ ١٣٢

بصرية أبي حيان ومداها :

كان أبو حيان بصري النزعة في النحو يذهب مذهب سيبويه ويغترف من معينه الذي لا ينضب، وينهج نهج البصريين، ويقتفي أثرهم، ويكبرهم ويرى آراءهم واصولهم هي الراجحة في كثير من الاحيان . ويكفي لدلالته على رجحان مذهب أهل البصرة ان يقول « وذلك لا يجوز عند البصريين » أو « وهذا هو الراجح » ، وان اراد ان يطعن فيمن يخالف البصريين يكفي أن يقول « وهذه نزعة كوفية » . يقول وهو يرد على الزمخشري في تفسير قوله تعالى «ذلك تتلوهُ عليك من الآياتِ والذكرِ الحكيم »[1] واجاز الزمحشري ان يكون « ذلك » بمعنى « الذي» و « تتلوه » صلته ، و « من الآيات » خبر . وقاله الزجاج قبله وهذه نزعة كوفية يجيزون في اسماء الاشارة ان تكون موصولة ، ولا يجوز ذلك عند البصريين الا في « ذا » وحدها اذا سبقها « ما » الاستفهامية باتفاق ، أو «من» الاستفهامية باختلاف[2] . أو يتعجب من مخالفة مذهب البصريين فيقول رادا على ابن عطية « وقال ابو محمد بن عطية النصب بواو الصرف ليس من مذاهب البصريين ، ومعنى واو الصرف ان الفعل كان يستحق معها من الاعراب غير النصب فيصرف بدخول الواو عليه عن ذلك الاعراب الى النصب كقوله تعالى « ويعلم الذين يُجادِلون »[3] في قراءة من نصب ، وكذلك «ويعلمَ الصابرينَ »[4]، قياس الاول الرفع ، وقياس الثاني الجزم ، فصرفت الواو الفعل الى النصب فسميت واو الصرف . وهذا عند البصريين منصوب باضمار « أن » بعد الواو ، والعجب من ابن عطية انه ذكر هذا الوجه أولا وثنى بقول المهدوي ثم قال « والاول أحسن » ، وكيف يكون أحسن وهو

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٨

(٢) البحر المحيط ج ٢ ص ٤٧٦

(٣) سورة الشورى ، الآية ٣٥

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٤٢

شيء لا يقول به البصريون وفساده مذكور في علم النحو »[1] •

ويرد على من يخطيء البصريين أو يخالفهم ويرى ان من يفعل ذلك جاهل لا يفهم من النحو والعربية شيئا ، يقول رادا على صاحب « الغرة » وذلك في كلامه على جواز دخول لام الابتداء في معمول خبر «ان» اذا كان الخبر متقدما على المعمول ، واسم «ان» مؤخر ، وكان المعمول مفعولا من أجله أو مصدرا « واطلاق قولهم معمول الخبر يدخل فيه المصدر والمفعول من أجله فتقول « ان زيدا لقياما قائم » ، و « ان زيدا لاحسانا يزورك » ، وينبغي ان لا يقدم على جواز ذلك الا بسماع ، على انه نقل عن البصريين جوازدخول: «اللام»على الحرف وما دخل عليه اذا كان علة للفعل نحو « كي » و « ان » فتقول « ان زيدا لكي يقوم معترض » و « ان زيدا لان لا يغضب يأتيك » وضع ذلك الفراء ، وفي « الغرة » ذكروا ان هذه اللام لا تدخل على النواصب ولا على الجوازم انما تدخل على الحروف الملغاة فمنعوا من قولهم « ان زيدا لكي يقوم معطيك » ، واجازوا « ان زيدا كي تقوم معطيك » ، واجازوا:« ان زيدا كي تقوم ليعطيك »،ولو تعرض لهذا بصري لاجاز هذه المسألة على قول من قال « كيمه » كما تقول : « ان زيدا لفي الدار قائم » انتهى •

وجهل صاحب « الغرة » مذهب البصريين في « كي» و « أن » اذا كانت علة ، وتقدم نقلنا جواز دخول اللام عليها عند البصريين»[2] •

ويبين أبو حيان موقفه من مذهب البصريين بطرق مختلفة كقوله عند الكلام على دخول «من» الزائدةعلى المفعول في الموجب « ولان المفعول به لا تدخل عليه « من » الزائدة الا بشرط انيتقدمه غيرموجب وان يكون ما دخلت عليه نكرة ، وهذا على الجادة من مشهور مذهب

---

(١) البحر المحيط ج ١ ص ١٤٢

(٢) الارتشاف ص ١٥٨

البصريين »[1] • ويقول عند كلامه في قوله تعالى « ان كنتم مؤمنين »[2] • « قال ابن عطية و « ان كنتم » شرط والجواب متقدم ، ولا يتمشى قوله هذا الا على مذهب من يجيز تقدم جواب الشرط ، وليس مذهب البصريين الا أبا زيد الانصاري »[3]

واعتمد في الاوزان في كتابه « الارتشاف » على مذهب البصريين وقد صرح بذلك فقال « وقد اصطلح النحاة على ان يزنوا بلفظة « الفعل » فقابلوا أول الاصول بالفاء وثانيها بالعين وثالثها باللام ، فان زادت الاصول كررت « اللام » عند البصريين ، ومذهب الكوفيين ان نهاية الاصول ثلاثة وما زاد على الثلاثي حكموا بزيادتها واختلفوا ••والمعتمد في الاوزان في هذا الكتاب مذهب البصريين»[4] •

وفرع بحث المفعول المطلق في « الارتشاف » على قول البصريين الذين يذهبون الى أن المصدر هو الاصل وان الفعل وغيره من المشتقات مشتقة منه[5] •

ولم يقتصر أثر المذهب البصري في نحو أبي حيان على هذه المواضع وانما وافقهم في مواضع كثيرة جدا • والمسائل التي وافقهم فيها هي معظم آرائه النحوية ، ولا بأس ان نورد هنا بعض الامثلة التي تبين موقفه من البصريين •

يقول في تفسير قوله تعالى « فما لكم في المنافقين فئتين »[6] « وانتصب « فئتين » على الحال عند البصريين من ضمير الخطاب في « لكم » • وذهب الكوفيون الى انه منصوب على اضمار « كان» أي كنتم فئتين ، ويجيزون مالك الشاتم ــ أي كنت الشاتم ،

---

(١) البحر المحيط ج ١ ص ٣٤٣
(٢) سورة البقرة ، الايات ٩١ و ٩٣ و ٢٤٨ و ٢٧٨ وكثير غيرها
(٣) البحر المحيط ج ١ ص ٣٠٨
(٤) الارتشاف ص ٤
(٥) الارتشاف ص ١٧١
(٦) سورة النساء ، الآية ٨٨

وهذا عند البصريين لا يجوز لانه عندهم حال والحال لا يجور تصريفها »[1] •

ويقول ذاكرا الخلاف في وزن « صلصال » « الصلصال » ، قال أبو عبيدة الطين اذا خلط بالرمل وجف •• وصلصال بمعنى صلصل ، كالقضقاض أي:المقضقض،وهو فيه كثير،ويكون هذا النوع من المضعف مصدرا فتقول زلزل زلزالا ــ بالفتح ــ وزلزالا ــ بالكسر ــ ووزنه عند البصريين « فعلال » ، وهكذا جميع المضاعف حروفه كلها اصول لا « فعفع » خلافا للفراء وكثير من النحويين ، ولا « فعفل » خلافا لبعض البصريين وبعض الكوفيين ، ولا ان اصله « فعّل » بتشديد العين ابدل من الثاني حرف من جنس الحرف الاول خلافا لبعض الكوفيين »[2] •

ويقول في اصل اشتقاق « اسم » « والبصري يقول مادته سين وميم وواو،والكوفي يقول واو وسين وميم،والارجح الاول »[3] •

هذه امثلة بسيطة تبين لنا موقف أبي حيان من البصريين ، ولم يكن ليذهب هذا المذهب في ترجيح بعض الآراء حسب ، وانما كان يتابعهم في اصول هذا المذهب ويقف موقفهم من الاحاديث الشريفة في عدم الاستشهاد بها ، وقد استند في منع الاستشهاد بها على أمرين

الاول ان الاحاديث لم تنقل بلفظها وانما نقلت بمعناها •

الثاني ان ائمة النحو المتقدمين من المصرين الكوفة والبصرة لم يحتجوا بها • وسنفصل هذه النقطة في الفصل القادم عند بحث منهجه النحوي •

وكان يذهب مذهب البصريين في السماع ، فليست كل القبائل على

---

(١) البحر المحيط ج ٣ ص ٣١٣

(٢) البحر المحيط ج ٥ ص ٤٤٢

(٣) البحر المحيط ج ١ ص ١٤

درجة واحدة من الفصاحة ومن هنا يجب التحري في كل مسموع وقد كان يعيب على ابن مالك أخذه عن لخم وخزاعة وقضاعة ويرد على الكوفيين اتباعهم الشاذ من كلام العرب[1] • ولكن أبا حيان يتوسع في الاخذ بالمسموع وقبوله ما دام لغة لقبيلة ، « فكل ما كان من لسانهم مسموعا ولم يكن بالقياس ممنوعا كان جديرابان لا يكون ممنوعا[2] » ولا يجيز الاخذ برأي الا بعد سماع عن العرب ، ويوافق البصريين في التشديد في القياس فلا يقيس على كل ما سمع فيه شاهد واحد أو شاهدان ، ويرى ان وضع القاعدة التي يقاس عليها لا تتم بمثال أو مثالين وانما تثبت باستقراء جزئيات كثيرة حتى يحصل من ذلك الاستقراء قانون كلي يغلب على الظن ان الحكم منوط به[3] • ولا بني الا على الكثير المعروف من كلام العرب لا النادر الشاذ الذي لم يأت الا في شعر[4] •

هذا موقف أبي حيان من البصريين وهو موقف يوحي بانه كان متابعا لهم في كل ما ذهبوا اليه ، ولكنه مع ذلك لا يقلدهم تقليدا اعمى أو يأخذ بجميع آرائهم من غير تدقيق وتمحيص ، فقد خالفهم في بعض المسائل ورجح آراء الكوفيين في بعض الاحيان ، مستشهدا لهم بالشعر الصحيح والكلام الموثوق به •

لقد اتخذ أبو حيان مثل هذا الموقف من البصريين لانه يرجح ما يراه الافضل ، ويرى ان البصريين لم يحصر العلم بهم ولم يقتصر عليهم ، يقول « وليس العلم محصورا ولا مقصورا على ما نقله وقاله البصريون فلا ننظر الى قولهم ان هذا لا يجوز »[5] • ويرى انه ينبغي الا يتعبد باتباع مذهبهم فيقول في تفسير قوله تعالى « وكفر

---

(١) الارتشاف ص ٢٧٢ ب
(٢) منهج السالك ص ١٠٩
(٣) منهج السالك ص ١٩٤
(٤) منهج السالك ص ٦٥
(٥) البحر المحيط ج ٢ ص ٣١٧ — ٣١٨ ، وتنظر ص ٣٦٢ — ٣٦٣

به والمسجدِ الحرامِ »[1] « وقد خبط المعربون في عطف « والمسجد الحرام » ، والذي نختاره انه عطف على الضمير المجرور ولم يعدجاره. وقد ثبت ذلك في لسان العرب نثرا ونظما باختلاف حروف العطف وان كان ليس مذهب جمهور البصريين ، بل أجاز ذلك الكوفيون ويونس والاخفش والاستاذ أبو علي الشلوبين . ولسنا متعبدين باتباع مذهب جمهور البصريين بل نتبع الدليل »[2] .

ولم يخالفهم في هذا حسب ، وانما خالفهم في الاستشهاد بالقراءات فهو يستشهد بالسبع وبما تواتر من القراءات ويرد بورودها على مامنعه البصريون ، ويرد على نحاتهم الذين يخطئون القراء ويلحنونهم مع ان منهم من أخذ عن اوائل الصحابة والتابعين ، وسنرى ذلك عندما نبحث هذه النقطة بالتفصيل في الفصل القادم

هذا موقف ابي حيان من البصريين بصورة عامة ، اما موقفه من سيبويه فقد كان يُجِلّهُ ويكبره ويعادي من يمسه بسوء وان كان من اخلص اصدقائه واوفى خلانه او من اجلّ شيوخه كما فعل مع ابن تيمية الذي تقدمت قصته وما دار بينه وبين ابي حيان .

وكان ابو حيان يَعُدّ كتاب سيبويه اجلّ كتب النحو ، يقول فيه: « ... ويؤخذذلك منعلم النحو ، وأحسن موضوع فيه واجلهكتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه رحمه الله تعالى.. وقد أخذت هذا الفن عن استاذنا الاوحد العلامة ابي جعفر احمد بن ابراهيم ابن الزبير الثقفي في كتاب سيبويه وغيره »[3]

وقد أوضح رأيه في كتاب سيبويه عند كلامه على علماء الاندلس واهتمامهم بالعلوم وبراعتهم فيها ، يقول « ومما برعوا فيه علمالكتاب انفردوا باقرائه مذ اعصار دون غيرهم من ذوي الآداب ، أثاروا كنوزه

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٧
(٢) النهر الماد ج٢ ص ١٤٦
(٣) البحر المحيط ج ١ ص ٦

وفكوا رموزه وقربوا قاصيه وراضوا عاصيه وفتحوا مقفله واوضحوا مشكله وانهجوا شعابه وذللوا صعابه وابدوا معانيه في صورة التمثيل وابدعوه بالتركيب والتحليل . فالكتاب هو المرقاة الى فهم الكتاب اذ هو المطلع على علم الاعراب . والمبدي من معالمه ما درس والمنطق من لسانه ما خرس ، والمحيي من رفاته ما رمس والراد من نظائره ماطمس. فجدير لمن تاقت نفسه الى علم التفسير وترقت الى التحقيق فيه والتحرير ان يعتكف على كتاب سيبويه فهو في هذا الفن المعول عليه والمستند في حل المشكلات اليه »[1] .

وأبو حيان لا يعتمد في قراءة كتاب سيبويه على نسخة واحدة وانما يذكر النسخ المتعددة التي اعتمد عليها ويوجه كلام سيبويه ان حصل فيه التباس ويحمله على تعدد النسخ[2]

ويبين قيمة كتاب سيبويه وأهمية اطلاع المفسرين والنحاة عليه في معرض كلامه في تفسير الآيات أو اعرابها رادا بذلك على النحاة المختلفين ومبينا فضل من اطلع عليه كالزمخشري ، يقول: « ولكن من تعاطى علما يحتاج الى مثوله بين يدي الشيوخ ، وأما من فسر « مهما » في الآية بانها ظرف زمان فهو كما قال الزمخشري ملحد في آيات الله . وأما قول الزمخشري وهذا وامثاله الى آخر كلامه ، فهو يدل على انه جثا بين يدي الناظر في كتاب سيبويه وذلك صحيح ، رحل من خوارزم في شبيبته الى مكة شرفها الله تعالى لقراءة كتاب سيبويه على رجل من أصحابنا من أهل جزيرة الاندلس كان مجاورا بمكة وهو الشيخ الامام العلامة المشاور أبو بكر عبدالله بن طلحة بن محمد بن عبدالله الاندلسي من أهل بارة من بلاد جزيرة الاندلس فقرأ عليه الزمخشري جميع كتاب سيبويه واخبره به قراءة عن الامام الحافظ ابي علي الحسين بن محمد ابن احمد الغساني الجياني قال قرأته على ابي مروان عبدالملك بن

---

(١) البحر المحيط ج ١ ص ٣

(٢) ينظر البحر المحيط ج ٦ ص ٣٨٦ ، ومنهج السالك ص ٣٦٧ - ٣٦٨

سراج بن عبدالله بن سراج القرطبي ، قال قرأته على أبي القاسم بن الاقليلي عن أبي عبدالله محمد بن عاصم العاصمي عن الرباحي بسنده، وللزمخشري قصيد يمدح به سيبويه وكتابه ، وهذا يدل على انه ناظر في كتاب سيبويه بخلاف ما كان يعتقد فيه بعض أصحابنا من انه انما نظر في تنف من كلام أبي علي الفارسي وابن جني »[١]

ويفتخر باطلاق اسم الكتاب عليه ويرى انه الكتاب الذي ينبغي الاطلاع عليه قبل البدء بتفسير كتاب الله ، يقول « قال الزمخشري ولا نلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في المصحف ، وربما التفت اليه من ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان،وبنى عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة يسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم . انتهى . ويعني بقوله « من لم ينظر في الكتاب » كتاب سيبويه ـ رحمه الله ـ فان اسم الكتاب علم عليه »[٢] .

وقد اعتمد أبو حيان على كتاب سيبويه كثيرا ونقل عنه واحتج لرأيه بما جاء فيه ، يقول « ومن زعم أن « كان » الناقصة لا مصدر لها فمذهبه مردود وهو مذهب أبي علي الفارسي ، وقد كثر في كتاب سيبويه المجيء بمصدر « كان » الناقصة ، والاصح انه لا يلفظ به معها فلا يقال : « كان زيد قائما كونا »[٣] .

ويعتبر رأي سيبويه هو الصحيح من بين المذاهب او هو المسموع من كلام العرب،يقول في تفسير قوله تعالى « أفنضرِبُ عنكم الذكرَ صفحا ان كنتم قوما مسرفين »[٤] « قال الزمخشري الفاء للعطف

---

(١) البحر المحيط ج ٤ ص ٣٧٢
(٢) البحر المحيط ج٣ ص ٣٩٦
(٣) البحر المحيط ج١ ص ٦٠
(٤) سورة الزخرف ، الآية ٥

على محذوف تقديره:أنهملكم فنضرب عنكم الذكر ؟ انكارا لان يكون الأمر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربياً لتعقلوه ونعملوا بموجبه ، انتهى . وتقدم الكلام معه في تقديره فعلا بين الهمزة والفاء في نحو « أفلم يسيروا ؟ »[1] « أفلا تعقلون ؟ »[2] وبينها وبين الواو في نحو « أوَلم يسيروا »[3] كما ان المذهب الصحيح قول سيبويه والنحويين ان الفاء والواو منوي بهما التقديم لعطف ما بعدهما على ما قبلهما ، وان الهمزة تقدمت لكون الاستفهام له صدر الكلام ، ولا خلاف بين الهمزة والحرف[4] .

وقد يعلل الآراء التي اختارها سيبويه فيقول عند الكلام على جواز مجيء الخبر عن اسم المعنى اسم ذات ، في تفسير قوله تعالى « ولكن البِرَّ مَن آمنَ »[5] « البر معنى من المعاني،فلا يكون خبره الذوات الا مجازا ، فاما أن يجعل « البر » هو نفس « مَن آمن » على طريق المبالغة قاله أبو عبيدة والمعنى « ولكن البار » . واما ان يكون على حذف من الاول أي « ولكن ذا البر » قاله الزجاج ، أو من الثاني أي: « بر من آمن » قاله قطرب . وعلى هذا خرجه سيبويه، قال في كتابه « وقال جل وعز « ولكن البر من آمن » وانما هو ، « ولكن البرَّ برُّ من آمن بالله » . انتهى . وانما اختار هذا سيبويه ، لان السابق انما هو نفي كون البر هو تولية الوجه قبل المشرق والمغرب ، فالذي ستدرك انما هو من جنس ما ينفى . ونظير ذلك « ليس الكرم ان تبذل درهما ولكن الكرم بذل الآلاف » فلا يناسب ولكن الكريم من بذل الآلاف الا اذا كان قبله ليس الكريم باذل درهم »[6] .

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١٠٩ ، وسورة الحج الاية ٤٦ ، وسورة غافر ، الاية ٨٢ ، وسورة محمد ، الاية ١٠

(٢) سورة البقرة ، الاية ٤٤ ، و ٧٦ ، وسورة آل عمران ، الاية ٦٥ ، وسورة الانعام ، الاية ٣٢ وغيرها كثير

(٣) سورة الروم ، الاية ٩ ، وسورة فاطر ، الاية ٤٤ ، وسورة غافر ، الاية ٢١

(٤) البحر المحيط ج ٨ ص ٥ ، وينظر ج ١ ص ٤١٢

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٧٧

(٦) البحر المحيط ج ٢ ص ٣

ويرد أقوال النحاة الآخرين بنصوص سيبويه ، ويدافع عنه دفاعا قويا ويختار مذهبه او مذهبا ينصره . ويَعُدّه امامَ النحاة الذي لا ينازعه منازع ، ويرد على النحاة الذين يتجرأون على سيبويه فيقول راداً على ابن مالك: «قال المصنف:على ان كلام سيبويه لو كان صريحا في ان المضارع المنفي بـ « لا » لا يكون الا مستقبلا لم يجز الاخذ به بعد وجود الادلة القاطعة بخلاف ذلك كما قدمنا . انتهى كلامه . وقد تكلمنا على أدلته القاطعة على زعمه وبينا انها ليست ادلة ، وانظر الى جسارة هذا الرجل على سيبويه وهو المستقريء العربية عن العرب مشافهة أو عن مشافهة العرب

وابنُ اللبونِ اذا ما لُزَّ في قَرَنٍ
لم يستَطِعْ صولةَ البُزْلِ القَناعيسِ[(١)]

وليس من السهل حصر المواضع التي وافق فيها أبو حيان سيبويه أو رَدَّ على من يخطئه أو دافع عنه أو رجح آراءه ، اذ يكفي في كل مسألة ان يقول « ومذهب سيبويه كذا .. » أو « ونص سيبويه كذا ... » أو « وقال سيبويه كذا ... » .

ويكفينا دلالة على كثرة اعتماده عليه أو أخذه بآرائه انه يرمز اليه بحرف (س) في « الارتشاف » و « التذييل والتكميل » اختصارا لاسمه لكثرة تكراره فيقول « قال س » ، و « لم يحفظ س » ، و « نص س » ، و « رأي س » ، و « ما ذهب اليه س » . وهذه دلالة واضحة على اهتمام أبي حيان بهذا الرجل واعتماده عليه اعتمادا كبيرا ، ولا غرو في ذلك فقد كان « الكتاب » دستور النحاة على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم ، ولم يسلم نحوي من التأثر به والأخذ عنه .

---

(١) التذييل والتكميل ج١ ص ٥١

مدرسة الكوفة

سبقت البصرة غيرها من الامصار الاسلامية في دراسة النحو واللغة وتدوينها ، وجاءت الكوفة بعدها بنحو مائة عام لتؤسس مذهبا خاصا يضاهي مذهب البصرة وينازعه . ونشأة مذهب الكوفة النحوي ليست واضحة فيرى الاستاذ أحمد أمين ان أبا جعفر الرؤاسي كان أول من ألف في النحو من الكوفيين ، وأول من اسس مدرسة الكوفة ودعمها تلميذاه الكسائي والفراء وكانا نظيري سيبويه رأس المدرسة البصرية[1] . ولكن الدكتور مهدي المخزومي لا يرى هذا الرأي ، يقول « و لانعلم كوفيا كان نحويا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة قبل الكسائي ، فلا معاذ الهراء ولا أبو جعفر الرؤاسي ممن نضعهم في طبقة المؤسسين لهذه المدرسة النحوية الناشئة ، ولم نسمع ان احدا من الكوفيين تخرج بهما واكتفى بما تلقاه عنهما وعرف بنحو خاص استمده منهما لا ينتمي الى نحو أهل البصرة ،والكسائي والفراء ـ وهما عماد المدرسة الكوفية ـ انما عرفا النحو الاصطلاحي بدراستهما نحو البصرة وتخرجهما بشيوخ بصريين »[2] . فالكسائي وتلميذه الفراء

(١) ينظر ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٨٥
(٢) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ص ٨٨

هما المؤسسان الحقيقيان لهذه المدرسة وقد أخذا نحو البصرة وغيرا فيه ونهجا في دراسته منهجا مستقلا سار عليه تلاميذ هذه المدرسة .

مصادر النحو الكوفي :

ومصادر النحو الكوفي هي

١ ـ النحو البصري تلقى رؤساء أهل الكوفة الآراء النحوية المختلفة عن شيوخ المدرسة البصرية مثل عيسى بن عمر ، والخليل بن احمد ، ويونس بن حبيب ، ودرس بعضهم كتاب سيبويه على نحاة بصريين كالكسائي الذي قرأ كتاب سيبويه ودرسه على الاخفش ، والفراء الذي وقف عليه واحتفظ لنفسه بنسخة منه ـ كما مر بنا من اهداء الجاحظ نسخة من الكتاب الى محمد بن عبدالملك الزيات وكانت بخط الفراء ومراجعة الكسائي ـ كل هؤلاء الكوفيين أخذوا الآراء البصرية أما بمشافهة الشيوخ ، أو بالاطلاع على كتبهم وآرائهم ، واستفادوا من هذه الآراء وجعلوها اساسا لبناء مذهبهم النحوي فكانت الآراء البصرية نقطة ارتكاز للمذهب الكوفي .

٢ ـ لغات الاعراب الذين أخذ عنهم البصريون ، وهم سكان البراري ، ومن لم يخالط الاعاجم من سكان الصحارى والمدن البعيدة على العجمة والتي بقي سكانها يحتفظون بعروبتهم ولهجتهم الاصيلة .

٣ ـ لغات اخرى لم يأخذ عنها البصريون ، وقد ذكرنا القبائل التي ابتعدعنها أهل البصرةولم يأخذوا عنها الشواهد اللغوية والنحوية. اما الكوفيون فقد أخذوا عن أكثر هذه القبائل . وكان البصريون لذلك يفخرون بقولهم للكوفيين « نحن نأخذ اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز وباعة الكواميخ»[1] .

٤ ـ الشعر العربي ذكرنا عند كلامنا على شواهد البصريين من الشعر انهم توقفوا في الاحتجاج عند شعر الطبقتين الاولى والثانية،

(١) الاقتراح ص ٨٤

وذكرنا الرواية التي تقول ان سيبويه استشهد بشعر بشار خوفا منه. وكان آخر من يحتج به عند البصريين ابراهيم بن هرمة المتوفى في النصف الثاني من الهجرة[1] .

اما الكوفيون فقد جعلوا الشعر العربي جاهليه ومخضرميه واسلاميه مصدرا من مصادر دراستهم واساسا بنوا عليه الكثير من قواعدهم . وكانت لهم عناية شديدة بالنوادر فكانوا يحفظونها ويروونها ، كما كان فعل علي بن المبارك الاحمر صاحب الكسائي الذي قيل انه كان يحفظ أربعين ألف بيت شاهد في النحو ، وكابي بكر بن الانباري الذي قيل انه كان يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن[2] .

٥ ــ القراءات لم يكن البصريون يستشهدون بالقراءات أو يعتبرونها اساسا في ضبط قواعدهم واصولهم ،وكانوا كثيرا مايخطئون القراء كابن عامر وحمزة ونافع ، لانهم يخالفون قواعدهم التي قعدوها بعد التشديد في الرواية والنقل . أما الكوفيون فكانوا يعتبرون القراءات من المصادر المهمة في دراستهم النحوية واللغوية ، وكانوا يسمعون القراءة ويجيزونها ويقيسون عليها .

٦ ــ الحديث اما الحديث الشريف فلا يستشهد به الكوفيون ولا يحتجون به في اثبات القاعدة ، وقد سار على هذاالنهج نحاتهم الاوائل كالكسائي والفراء وعلي بن المبارك الاحمر وهشام الضرير وتبعهم المتأخرون[3] .

هذه مصادر الدراسة الكوفية ، أما أهم خصائص هذه المدرسة فهي ان الكوفيين كانوا يعتدون بالمثال الواحد ، ويعممون الظاهرة الفردية ، ويقيسون عليها ، بينما كان البصري يبني قاعدته على الاغلب

(١) الاقتراح ص ٢٧
(٢) ينظر نزهة الالباء ص ٦٤ ، ٣٢١ ، ومدرسة الكوفة ص ٣٨١
(٣) ينظر الاقتراح ص ١٩ ، وخزانة الادب ج ١ ص ٥ ــ ٨

الشائع ويرمي ما وراءه من الشاذ والنادر . وكان الكوفيون يعتمدون على من كان يجاور مصرهم من العرب الذين فسدت لغتهم ، ولا يتصلبون في أمر الرواية ، ولذلك نجدهم يعتمدون اعتمادا كبيرا على ما يسمعون من العرب من غير تمحيص كبير ،ولم يكن البصريون ينحون هذا المنحى ، لانهم كانوا يتحرجون في اخذ كلام العرب فيشكون في الامثلة النادرة ويحملونها على الشذوذ[1] .

وبالاجمال فقد كان الكوفيون يكتفون بالشاهد الواحد ويجعلونه اساسا يبنون حكمهم عليه،ويستنبطون منه قاعدة عامة،بل ربما يرخصون بوضع القاعدة اعتمادا على الرأي ان اعوزتهم الشواهد ، وقد كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز الا في الضرورة فيجعله اصلا ويقيس عليه ، يقول الاندلسي « الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للاصول جعلوه اصلا وبوبوا عليه »[2] . وكانوا اكثر رواية للشعر وقد كثر عندهم الشعر المصنوع ، وكانوا شديدي الاحترام لما ورد عن العرب ، وكان كل همهم ان يضعوا قاعدة حتى للشاذ ، بينما كان هم البصريين ان ينشئوا لغة يسودها النظام والمنطق.

واشهر نحاة مدرسة الكوفة أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (١٩٣ هـ) امام الكوفيين في اللغة والنحو ، وعلي بن الحسن المعروف بالاحمر صاحب الكسائي (١٩٤ هـ) ، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء[3] (٢٠٧ هـ) ، وابو عمرو الشيباني (٢٠٥ هـ) أو (٢٠٦ هـ) ، وهشام بن معاوية الضرير صاحب الكسائي (٢٠٩ هـ)، وابو العباس احمد بن يحيى ثعلب (٢٩١ هـ) .

وكان الخلاف واضحا بين مدرستي البصرة والكوفة ، وقدصور

---

(١) تنظر خصائص المدرسة الكوفية في كتاب مدرسة الكوفة من ٤٢٩ وما بعدها ، وضحى الاسلام ج٢ ص ٢٩٤ ، وتأريخ علوم اللغة العربية ص ١٢٦ ، **ونظرات في اللغة** والنحو ص ١١

(٢) الاقتراح ص ٨٤ ، وينظر ضحى الاسلام ج٢ ص ٢٩٥

(٣) يرى الدكتور احمد مكي الانصاري في كتابه « ابو زكريا الفراء » ان الفراء كان المؤسس الحقيقي لمدرسة بغداد النحوية

ابن الانباري في كتابه « الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » هذا الخلاف ، وشرح مائة واحدى وعشرين مسألة في أنواع من الخلاف ، منها ما يرجع الى العامل ، ومنها ما يرجع الى الاعراب والبناء ومنها ما يرجع الى الحقيقة اللغوية أو النحوية لبعض الكلمات ، ومنها ما يرجع الى التقديم والتأخير في نسج الجملة وترتيب كلماتها .

وكانت المجالس تعقد للمناظرة بين النحاة ، وقد سجلت لنا كتب الأدب والنحو بعض تلك المناظرات ، ومن أشهرها ما جرى بين سيبويه والكسائي ، وبين الجرمي والفراء ، وبين الكسائي والاصمعي ، وبين عيسى بن عمر الثقفي وابي عمرو بن العلاء .

وهذه الكتب التي تبحث في الخلاف بين المدرستين ، وهذه المناظرات التي كانت تعقد بين النحاة تدل دلالة واضحة على ما كان عليه الخلاف بين البصريين والكوفيين . وقد بقي هذا الخلاف واضحا في كثير من مسائل النحو حتى فترة متأخرة ، وقد استفاد النحاة المتأخرون كابن مالك وأبي حيان من هذه الخلافات وبنوا على بعضها آراءهم وتوجيهاتهم

فما موقف أبي حيان من مدرسة الكوفة ؟

موقف ابي حيان من مدرسة الكوفة :

كان أبو حيان بصري النزعة يتبع النحاة البصريين في اكثر آرائه وبعظم شيوخهم ويجلهم ولا سيما سيبويه الذي كان أول من وصل الينا عنه أثر في نحو المدرسة البصرية ، وقد رأينا نظرة صاحبنا اليه وموقفه منه ، واجلاله وتقديره له .

وكان موقفه من الكوفيين يختلف عن ذلك تمام الاختلاف ، فهو يخطئهم في أكثر المسائل ويرد عليهم بقول البصريين أو برأي سيبويه مبينا ترجيحه لرأي البصريين ــ كما مر بنا ــ وكما في قوله عند الكلام على اعمال صيغ المبالغة « اختار اعمال هذه الامثلة الخمسة وهو

مذهب سيبويه وجاء السماع باعمالها نظما ونثرا خلافا لاكثر البصريين في منع اعمال « فعيل » و « فَعِل » وللكوفيين في منع اعمال جميعها »[1] . وكقوله في اقسام الفعل « قوله « وأمر على السكون » وبناؤه على السكون ، وهو معرب عند الكوفيين ومقتطع من المضارع وأصله « لتضرب » ، فحذف الجازم فبقي « تضرب » فالتبس بالمضارع غير الامر في الوقف فحذفوا التاء واجتلبت همزة الوصل . فصيغ الافعال عندنا ثلاث وعندهم اثنتان »[2] . وكقوله في اشتقاق الاسم « ومذهب البصريين انه مشتق من «السمو » المحذوف منه « اللام » ومذهب الكوفيين انه من « الوسم » وهو « العلامة » فالمحذوف منه « الفاء » ، والاول أرجح لقولهم اسميت وسمّيت وسُمّى واسماء ، ولو كان على مذهب الكوفيين لقالوا أوسمتُ ووسمت ووسم واوسام . وادعاء ان هذه التصاريف كلها من باب القلب لا ضرورة تدعو الى ذلك »[3]

وخالفهم في « رب » ، وتعريف التمييز ، والرفع بعد كذا ،وجواز دخول نون التوكيد الخفيفة بعد الف الاثنين ونون النسوة ، ومجىء ليس للعطف ، وغير ذلك من المسائل الكثيرة[4] . ونرى ان سبب مخالفته لآراء الكوفيين واتباع آراء البصريين هو الاختلاف في المنهج واصوله التي بنى عليها آراءه ، وقد مر بنا ان ابا حيان اتفق مع البصريين في منهجهم،فهو لا يجيز الاخذ في اللغة الا عن القبائل التي لم تشب لهجتها لكنة أو عجمة ، ولم يأخذ الا عن القبائل التي أخذ عنها البصريون ولذلك نراه يعيب على ابن مالك أخذه عن قبائل لخم وقضاعة وخزاعة . وخالفهم في عدم استشهاده بشعر الاسلاميين

---

(١) النكت الحسان ص ٨ ٢ ب

(٢) النكت الحسان ص ٤٧ ب

(٣) لتذييل والتكميل ج١ ص ٢٣

(٤) ينظر البحر المحيط ج ٥ ص ٤٤٢ ، ج ١ ص ١٩٩ ، همع الهوامع ج ١ ص ٢٥٦ ، والنكت الحسان ص ٤٧ ، على التوالي

والمحدثين ، وكان يأخذ عن الجاهليين والمخضرمين وحدهم ، وان كان قد استشهد بابيات لابي تمام وغيره لكنه لم يجعلها اساسا لوضع قاعدة نحوية بل لتقوية ما بنى عليه القاعدة من الامثلة والشواهد. وخالفهم في عدم الاخذ بالشاذ النادر ، وفي عدم بناء القواعد على الرأي الواحد والقياس عليه ، وانما كان يثبت القاعدة باستقراء جزئيات كثيرة حتى يحصل من ذلك الاستقراء قانون كلي يغلب على الظن ان الحكم منوط به[1]

ولكن أبا حيان لا يقف من المذهب الكوفي موقف المعارض دائما بل يوافقهم في بعض المسائل التي يرى انهم على حق فيها فيحتج بالقراءات وهو بذلك يخالف البصريين الذين لايعتبرونها مادةأساسية من مواد الاحتجاج ، وانما يأخذون منها ما يوافق قواعدهم ويؤولون أو يخطئون ما خالفها وان كانت عن أشهر القراء الموثوق بعروبتهم وبتواتر قراءاتهم ، ويخالف الكوفيين في قبولهم جميع القراءات وقياسهم على ما تواتر منها وصح ، وقبولهم ما شذ منها وما خالف المجمع عليه ، ونجده يقف موقفا وسطا بين المدرستين فهو يحتج بما تواتر من القراءات،ويعتمد على القراء السبعة،ويدافع عنهم ، ويرد على مخطئيهم كما فعل مع أبي اسحاق الذي ذهب الى ان قراءة أبي عمرو وابي بكر وحمزة والاعمش غلط ولحن في قوله تعالى « ومِن أهلِ الكتابِ مَن إنْ تَأْمَنْهُ بقِنطارٍيؤدِّهِ اليكومنهُم مَنْ إنْتأمَنْهُ بدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ اليك الا ما دُمتَ عليه قائماً »[2] ، يقول « وما ذهب اليه أبو اسحاق من ان الاسكان غلط ليس بشيء ، اذ هي قراءةفي السبعة،وهي متواترة،وكفى انها منقولة عن امام البصريين أبي عمرو بن العلاء فانه عربي صريح وسامع لغة وامام في النحو ، ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا . وقد أجاز ذلك الفراء وهو امام في النحو واللغة

(١) ينظر منهج السالك ص ١٩٤
(٢) سورة آل عمران ، الآية ٧٥

وحكى ذلك لغة لبعض العرب تجزم في الوصل والقطع • وقد روى الكسائي ان لغة عقيل وكلاب انهم يختلسون الحركة في هذه الهاء اذا كانت بعد متحرك ، وانهم يسكنون أيضا »[١] •

ويقول مصححا قراءة أبي عمرو ومؤيدا مذهب ثعلب ورادا على البصريين في قراءة أبي عمرو « والابرار ربنا »[٢] ، « والنهار لآيات »[٣] بالادغام من كلمتين « فقال الثقات من أهل البصرة لا تمال اصلا ، وقال الاكثرون تمال ، وهو مذهب ثعلب ، وهو الصحيح »[٤] •

ولم يكن أخذ أبي حيان بالقراءات واحتجاجه بها الا لانه كان يرى ان القراءات جاءت على لغة العرب مقيسها وشاذها فوجب قبولها اذا صحت الرواية بها • فهو يأخذ بالقراءات حتى ولو خالفت مذهب البصريين في قراءة أبي عمرو « والابرار ربنا » [٢] ، « والنهار كثعلب والكوفيين ، ويكفينا دليلا على ذلك ان البصريين لم يكونوا يجوزون العطف على الضمير المخفوض من غير اعادة الخافض ، ولكن ابا حيان جوز ذلك في تفسير قوله تعالى « وفي خلقِكُم وما يَبُثُّ مِن دابَّةٍ آياتٌ لقومٍ يوقِنون »[٥] بان تكون « ما » معطوفة على الضمير في « خَلقكم » ، يقول « ومن أجاز العطف على الضمير المخفوض من غير اعادة الخافض أجاز في « وما يبث » أن يكون معطوفا على الضمير في « خلقكم » ، وهو مذهب الكوفيين ويونس والاخفش ، وهو الصحيح ، واختاره الاستاذ أبو علي الشلوبين »[٦] • وكان تجويزه هذا اعتمادا على قراءة حمزةبكسر « الارحام» في قوله

---

(١) البحر المحيط ج ٢ ص ٤٩٩

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان ١٩٣ ـ ١٩٤

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٩٠

(٤) الارتشاف ص ٥٠

(٥) سورة الجاثية ، الآية ٤

(٦) البحر المحيط ج ٨ ص ٤٢

تعالى « واتقوا اللهَ الذي تَساءَلُون به والارحامَ »[١] ، وقد اتبع في ذلك الكوفيين .

ولا يقتصر ابو حيان على هذا وحده بل يقتدي بائمة الكوفيين في عدم ترجيحه بين القراءات المتواترة ، يقول « وقد تقدم لنا غير مرة انا لا نرجح بين القراءتين المتواترتين ، وحكى أبو عمرو الزاهد في كتاب « اليواقيت » ان أبا العباس احمد بن يحيى ثعلبا كان لا يرى الترجيح بين القراءات السبع ، وقال قال ثعلب من كلام نفسه: اذا اختلف الاعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل اعرابا على إعراب في القرآن ، فاذا خرجت الى الكلام كلام الناس فضلت الأقوى . ونعم السلف لنا احمد بن يحيى كان عالما بالنحو واللغة متدينا ثقة »[٢] .

فابو حيان يفضل من يراه على الحق والصواب حتى ولو كان من مخالفيه في مذهبه ، ويرد على المخطيء وان كان ممن يناصرمذهبهم، ولا يتبع غيره فيقلده تقليدا أعمى بل يمحص ويقرر ويختار .
وليست هذه هي المسائل الوحيدة التي اتبع فيها ابوحيان الكوفيين ووافقهم ورجح آراءهم واقتدى بائمتهم ، وانما هناك مواضع كثيرة تابعهم فيها وخالف البصريين ، وسنذكر قسما آخر منها عند بحث آرائه النحوية في فصل قادم .

ومما تقدم نرى ان أبا حيان يقف موقف المخالف من الكوفيين متى رأى آراءهم شاذة لايسندها سماع من شعر أو لغة او قيا س معتمد عليه ، ويقف منهم موقف المؤيد عندما يرى آراءهم صحيحة راجحة .

(١) سورة النساء ، الآية ١ وينظر ج٢ ص ٤٦ من النهر الماد ، وص ٣٢١ ممن منهج السالك
(٢) البحر المحيط ج ٤ ص ٨٧

مدرسة بغداد

بعد أن أصبحت بغداد حاضرة الدولة العربية الاسلامية أخذ العلماء يتجهون اليها لينشروا علمهم ويتصلوا بالخلفاء والامراء ووجد علماء البصرة والكوفة مجالا رحبا في بغداد فانتقل علماء النحو اليها واحتدم الصراع بين مدرستي الكوفة والبصرة ، وقد نتج عن ذلك ان نشأت طائفة تجمع بين المذهبين وتختار منهما ما تراه صوابا أو قريبا الى وجهة تفكيرها وواقع اللغة العربية .

وقد شك بعضهم في وجود مذهب بغدادي فقال الدكتور عبدالفتاح شلبي ان ما ذكره « هويل » Howell ، وما يذهب اليه بعض الباحثين من ان هناك مدرسة نحوية باسم مدرسة بغداد متميزة عن المدرستين البصرية والكوفية لا يتفق مع ما كان يراه القدماء من أصحاب التراجم والطبقات ، ولا يتفق مع نصوص العلماء المتقدمين . فابن النديم لا يسمي من خلطوا بين المذهبين بغداديين ، والزبيدي في طبقاته لا يذكر غير البصريين والكوفيين والمصريين والاندلسيين ولا يزيد . واما نصوص العلماء الاقدمين فان ابا علي الفارسي حينا يسمي الكوفيين بهذا الاسم ويطلق عليهم البغداديين احيانا ، وقدناقش البغداديين في اجازتهم جمع « طلحة » بالواو والنون ، ومعروف انهم

الكوفيون الذين يجيزون ذلك . وينتهي الدكتور شلبي الى انه لاتوجد مدرسة بغدادية قائمة بذاتها ، يقول « واذن فلم تكن هناك فيما أرى مدرسة بغدادية قائمة بنفسها لها تعاليمها ، غاية ما في الامر ان رجالا خلطوا بين المدرستين البصرية والكوفية فرأوا رأيا من هذه ورأيا من الاخرى وان كانوا في مذهبهم الاصيل يميلون الى هذه أو يميلون الى تلك فيكونون بصريين أو كوفيين حسب . فابن كيسان يحفظ المذهبين لانه أخذ عن المبرد وثعلب وكان ميله الى البصريين أكثر ، وكذلك كان ابن قتيبة ، وابن شقير شديد التعصب للكوفيين مع اعتقاده مذهب البصريين ، وأبو علي نفسه أحد هؤلاء ، فعلى الرغم من نزعته التي تميل به الى البصرية كان يرى رأي الكوفيين في بعض المسائل النحوية »[1]

وقد يكون هذا الكلام صحيحا الى حد ما ، لان خصائص المدرسة البغدادية غير واضحة وضوحها في المدرستين الاخريين ، ولكن التقاء الكوفيين والبصريين في بغداد كان سببا في عرض المذهبين ونقدهما والانتخاب منهما ، فمذهب بغداد كان مذهبا انتخابيا فيه معظم خصائص المدرستين المنهجية وهم في هذا الاتجاه يشبهون ابن مالك في محاولته الجمع بين المذهبين البصري والكوفي . وكان هذا حسنا من البغداديين ومن ابن مالك ، يقول السيوطي « فان مذهب الكوفيين القياس على الشاذ ومذهب البصريين اتباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهر . وابن مالك يحكم بوقوع ذلك من غير حكم عليه بقياس ولا تأويل بل يقول انه شاذ أو ضرورة .. قال ابن هشام وهذه الطريقة طريقة المحققين وهي أحسن الطريقين »[2] .

وقال أبو الطيب اللغوي عن البغداديين « فلم يزل أهل المصرين على هذا حتى انتقل العلم الى بغداد قريبا ، وغلب أهل الكوفة على

(١) أبو علي الفارسي ص ٤٤٧
(٢) الاقتراح ص ٨٦

بعداد وحدثوا الملوك فقدموهم ورغب الناس في الروايات الشاذة ، وتفاخروا بالنوادر ، وتباهوا بالترخيصات ، وتركوا الاصول واعتمدوا على الفروع فاختلط العلم »[1]

هذا وصف القدماء لهذه المدرسة وقد كرر أبو الطيب اللغوي هذا الكلام عندما عرض لاشهر أعلام المذهب البعدادي وهو ابن قتيبة، وقال عنه انه خلّط بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخدها عن ثقات وكان يتسرع في اشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو، وكتابه في تعبير الرؤية ، وكتابه في معجزات النبي (ص) ، « وعيون الاخبار » ، و « المعارف » ، و « الشعر والشعراء » ، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء وان كان نفق بها عند العامة ومن لابصيرة له[2].

ومهما يكن من شيء فقد نشأ اتجاه نحوي جديد يختـــار من المذهبين المتقدمين ، وان كان الطابع البصري يغلب على هذا المذهب الجديد كما هو الشأن في بقية الامصار

وكان نشوء هذا الاتجاه النحوي يوم دخل المبرد وثعلب بعداد ، وبعد ان اقبل نحاة بعداد يأخذون النحو عن الشيخين ويحتارون من المدرستين . وحدث بعد هذا أن سار النحو العربي ببعداد في ثلاثــة اتجاهات

الاول الاتجاه البصري المتمثل بتلاميذ المبرد .

والثاني الاتجاه الكوفي المتمثل بتلاميذ ثعلب .

والثالث اتجــاه تلاميـــذ المبرد وثعلب الذين خلطوا بــين المذهبين واخرجوا مذهبا جديدا اطلق عليه فيما بعد المذهب البغدادي أو مدرسة بغداد النحوية .

وأشهر النحاة الذين ظهروا في بغــداد وســـاروا على النهج

---

(١) مراتب النحويين ص ٩٠

(٢) ينظر مراتب النحويين ص ٨٥

البصري بعد المبرد أبو اسحاق الزجاج (٣١١ هـ) الذي لزم المبرد واخذ عنه النحو ، وابن درستويه (٣٤٧ هـ) الذي قرأ كتاب سيبويه على المبرد ، وأبو سعيد السيرافي (٣٦٨ هـ) ، وأبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) ، وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤ هـ) ، وأبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) .

وأشهر النحاة الذين أخلصوا للمذهب الكوفي وتعصبوا على البصريين من نحاة بغداد أبو موسى سليمان الحامض البغدادي (٣٠٥ هـ) ، وأبو عمر الزاهد (٣٤٥ هـ) وهو المعروف بغلام ثعلب، وأبو بكر بن الانباري (٣٢٧ هـ) .

أما اعلام المذهب البغدادي فيذكر القدماء ان ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة (٢٧٠هـ) أو (٢٧٦هـ) كان على رأس هذه المدرسة، يقول ابن النديم « وكان ابن قتيبة يعلو في البصريين الا انه خلط المذهبين، وحكى في كتبه عن الكوفيين وكان صادقا فيما يرويه ، عالما باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه»[1] . والى هذا ذهب بروكلمان فعد ابن قتيبة اول ممثل لمدرسة بغداد ، يقول « واذن نعد مع صاحب « الفهرست » أول ممثل لمدرسة بغداد رجلا تجاوزت شهرته حقا دائرة النحو والعربية ، ولكنه هو نفسه أراد ان ينظر الى دراساته اللغوية على انها نواة نتاجه الادبي عامة ، ذلك هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المروزي »[2]

ومنهم أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة (٢٨٢هـ) أو (٢٩٠ هـ) ، وأبو بكر بن السراج (٣١٦ هـ) ، وأبو الحسن علي بن سليمان الاخفش الصغير (٣١٥ هـ)، وأبو الحسن بن كيسان (٣٢٠هـ) ، وأبو علي الاصفهاني ، وابو بكر بن الخياط (٣٢٠ هـ) ، ونفطويه (٣٢٣هـ) ، وأبو بكر محمد بن عثمان الجعد المتوفى بعد سنة ٣٢٠ هـ ،

---

(١) فهرست ابن النديم ص ١٢١

(٢) تأريخ الادب العربي ج٢ ص ٢٢١ (الطبعة العربية)

وابو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي (٣٣٧ هـ) وغيرهم .

آراء البغداديين :

ومن آراء البغداديين ان اسم المصدران كان علما لم يعمل اتفاقا، وان كان ميميا فكالمصدر اتفاقا ، وان كان غيرهما وهو ما جاوز فعله الثلاثة وكان على وزن مصدر الثلاثي لم يعمل عند البصريين ويعمل عند الكوفيين والبغداديين .

ومن آرائهم الخاصة مجيء « ليس » للعطف الذي يقتضي التشريك في اللفظ دون المعنى باثباته لما قبله ما انتفى عما بعده[١] وذهابهم في المتنازع فيه عند الاخبار به الى انه يسبك من الفعلين اسما فاعل وتدخل عليهما « أل » وتحذف العوائد المنصوبة منهما ، فيقولون في الاخبار عن « التاء » من « ظننت وظنني زيد عالما » و « الظان والظان عالماً زيد أنا »[٢] .

ومجيء : « ملك » عند البغداديين بضم الميم وكسرها بمعنى واحد[٣] .
ومجيء « ونى » فعلا ناقصا بمعنى « زال »[٤] .
وذهابهم الى أن « كلتا » مثناة لفظا ومعنى . والى ان الحال يجوز ان يأتي معرفة نحو « جاء زيد الراكبَ » قياسا على الخبر .

ومنعهم اعمال المصدر المحلى بالالف واللام . وذهابهم الى جواز التعجب من الفعل الناقص المنفي مثل « ليس » و « لا يزال » فيقولون « ما أحسن ما ليس يذكرك زيد » و « ما أحسن ما لا يزال يذكرنا زيد » .
وتجويزهم الفتح والكسر في همزة « إنّ » إن وقعت جواب قسم سواء أكان اسمها وخبرها متصلين باللام أم غير متصلين بها .

ومنعهم كسر همزة « إنّ » التي تأتي بعد أفعال التحقيق مع لزومها

---

(١) ينظر الارتشاف ص ٢٦٩ ب ، وأوضح المسالك ج ٣ ص ٣٨
(٢) همع الهوامع ج ٢ ص ١٤٨ ، والارتشاف ص ١٢٩
(٣) البحر المحيط ج ١ ص ٢١
(٤) البحر المحيط ج٦ ص ٤٣ ، والارتشاف ص ١٤١ب ، وهمع الهوامع ج١ ص١١٢ ص ١١٢

اللام في نحو « وقد علمنا ان كنت لمؤمناً » .

وذهابهم الى ان « مهما » مركبة من « مه » بمعنى اسكت ، و « ما » الشرطية .

ومنعهم وقوع « كلا » مبتدأ بها . وتجويزهم خفض المعطوف على المنصوب في باب الصفة المشبهة فيقولون « هذا حسن وجها ويدٍ » ، وتجويزهم الاعتراض باكثر من جملة في الكلام[1]

ومن آراء البغداديين اتباع الكوفيين في جواز نداء ما فيه « أل » في الشعر والنثر خلافا للبصريين الذين قصروه على ضرورة الشعر . ومنها جواز عدم تنوين اسم « لا » اذا كان شبيها بالمضاف فيقولون « لا طالعَ جبلا » من غير تنوين . ومنها انهم يعتبرون في الجمع المعدود بلفظ الجمع لا بلفظ المفرد فيقولون « ثلاث حمّامات »[2] .

ومن المسائل التي عولوا فيها على مذهب الكوفيين مجيء « بَلْهَ » للاستثناء بمعنى « لا سيما » . والاتباع في الاستثناء اذا تقدم المستثنى على المستثنى منه ، يقولون « ما لي إلا أبوك ناصر » ، وقد قاسه الكوفيون والبغداديون وابن مالك .

وتابعوا الكوفيين في جواز إعمال اسم المصدر مثل « الثواب والعطاء والكلام والكرامة » ونحوها فقالوا :«عجبت من كرامته زيداً، ومن طعامك طعامنا » . وفي جواز خفض المعطوف على المنصوب باسم الفاعل مثل « هذا ضاربٌ زيداً وعمرو »[3] .

ومن القواعد التي عولوا فيها على المذهب البصري العطف على المحل ، وتفريعهم جواز الاخبار في التنازع عن الاسماء التي مع

---

(1) ينظر البحر المحيط ج٦ ص ١٢٣ والارتشاف ص ٢٠٤ ، ٣٢٠ ب ، ٢٨٩ ب ، ١٥٦، ٢٢٥، ٢٥٠، ٢٦٥، ٢٣٧ ، ومنهج السالك ص١٨٤، ٣١٣، ٣٧٩ ، ومغني اللبيب ج٢ ص ٤٦٠ ، ٣٩٤

(2) ينظر الارتشاف ص ٣٠٩ ب ، ٧٧ ب ، وهمع الهوامع ج ٢ ص ١٤١ ، وأوضح المسالك ج ٣ ص ٢١٦

(3) ينظر الارتشاف ٣٢٩ ، ٣٢٣ ، ومنهج السالك ص ٣١٧ ، ٣٣٨ ، ومغني اللبيب ج ٢ ص ٤٦٠

الفعلين المتنازعين بتحويل الفعلين الى صيغة اسمي فاعلين مع حـذف العوائد المنصوبة وان كانوا لا يحذفون«الهاء»مع اسماء الفاعلين في غير هذا الباب • وتابعوهم في كون « اللام » الداخلة على المبتدأ أو الخبر بعد « ان » المخففة من الثقيلة لام الابتداء التي كانت مع « انّ » المشددة ، لزمت للفرق بين « ان » التي هي لتأكيد النسبة وبين « ان» النافية[1] •

هذه بعض سمات المدرسة البغدادية ، فما موقف أبي حيان منها •

غموض موقف أبي حيان من مدرسة بغداد :

لم يتضح موقف أبي حيان من البغداديين تمـام الوضوح ولا ندري هل كان من مؤيدي هذا المذهب أو من مخالفيه ؟ ولكن يبدو ان البغداديين قد وافقوا الكوفيين في أكثر آرائهم ، ولهذا يرد أبو حيان عليهم هذه الآراء ، ومن ذلك رده عليهم في مسألة نصب ما بعد « بله » على الاستثناء ، يقول « وأما بله » فمذهب جمهور البصـريين انه لا يجوز فيما بعدها الا الخفض ، وأجاز البغداديون والكوفيون فيه النّصب على الاستثناء نحو « اكرمت العبيد بله الاحرار » • وانمـا جعلوها استثناء لانهم رأوا ما بعدها خارجا عما قبلها في الوصف من حيث كان مرتبا عليه ، لان معنى « اكرمت العبيـد بله الاحرار » ان اكرامه للاحرار يزيد على اكرامه للعبيد • والصحيح انهـا ليست من أدوات الاستثناء بدليل ان ما بعدها لا يكون من جنس ما قبلها ومن حيث دخول حرف العطف عليه ولم يتقدمها استثناء »[2]

ورد عليهم في اجازتهم اعمال اسماء المصادر فقال « فهذا النوع من اسم المصدر فيه الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ذهب البصريون الى ان شيئا من هذا لا يعمل ، وذهب الكوفيون والبغداديون الى جواز اعمالها ، فاجاز الكسائي والفراء وهشام « عجبت من كرامته زيدا ،

---

(١) ينظر الارتشاف ص ١٢٩ ، ١٥٨ ب ، ٢٠٢ ب ، ١٩٦ ب ، ٣٠٩ ب ، وهمع الهوامع ج ١ ص ٢٣٥ ، والقواعد النحوية ص ١٠٧ ــ ١٠٨

(٢) منهج السالك ص ١٧٩

ومن طعامك طعامنا » واستثنى الكسائي من ذلك ثلاثة الفـــاظ فلم بعملها وهي الخبز والقوت والدهن ، فلا تقول « عجبت من خبزك الخبزَ » ولا « عجبت من دهنك رأسك » و لا« من قوتك عيالك » ، واجاز ذلك الفراء • وقال هشام ولا يمتنع القياس ••• ولا يجور هذا عند البصريين الا ان اضطر شاعر فيستعمل اسم المصدر استعمال المصدر • والذي أذهب اليه في هذا المسموع من هـــذا النوع ان المنصوب بعده ليس منصوبا باسم المصدر ، ولا اجري مجرى المصدر في العمل بل هو منصوب باضمار فعل يفسِّره ما قبله ، كما أذهب الى ان المصدر الذي هو لفعل لازم اذا جاء بعده مفعول لم يكن منصوبا بذلك المصدر اذ ليس هو مصدرا للفعل المتعدي ، وذلك نحو ما حكى الكسائي عن العرب « الحمد لله على غناه اياي » ، التقـــدير اغناني »[1]

وخالف البغداديين في ذهابهم الى خفض المعطوف على المنصوب يقول « فنقول اذا اتبع معمول اسم الفاعل الصالح للعمل ، فاما ان يكون منصوباً أو مخفوضا ، ان كان منصوبا كان التابع منصوبا فتقول « هذا ضارب زيدا وعمرا » ولا يجوز فيه الا النصب • واجاز الكوفيون والبغداديون خفض المعطوف فتقول « هذا ضاربٌ زيداً وعمروٍ » على موضع « زيد » ، لانه يكون مخفوضا ، وحملوا على ذلك قول امريء القيس مستدلين به

وظلَّ طهاةُ اللحمِ من بين منضجٍ صفيفَ شواءٍ أو قديرٍ معجَّلِ

فعطفوا « أو قدير » على موضع « صفيف » لانه يجوز خفضه باضافة اسم الفاعل الذي هو « منضج » اليه • ولا حجة في ذلك ولا في كونه مجروراً على الجوار ، لان قبله مجرورا وهو « شواء » اذ يمكن حمله على تقدير « منضج » مضاف اليه كانه قال أو منضج قدير ، فخلعه وجعله بمنزلة المثبت لتقدم ذكره ••• »[2]

---

(١) منهج السالك ص ٣١٧

(٢) منهج السالك ص ٣٣٨

ورد عليهم في تجويزهم وقوع الاسم المعرفة صلة بانه لا يجوز عند البصريين[1] . وردّ عليهم في عدم جواز حذف الموصول الاسمي يقول « ولا يجوز عند البصريين حذف الموصول الاسمي الا ان جاء شيء منه في الشعر . واجاز ذلك الكوفيون والبغداديون واختاره ابن مالك »[2] .

ورد عليهم في تجويزهم تثنية « اجمع » أو جمعها ، يقول « واجمع وأكتع وابصع واتبع بمعنى « كل » ، فيؤكد بـ « اجمع » المتجزيء بالذات ، أو بالعامل ، مثاله « قبض المال أجمع » ، ولا يثنى ولا يجمع وما بعده خلافا للكوفيين والبغداديين وابن خروف من اصحابنا »[3] .

هذا ما استطعنا العثور عليه من ردود أبي حيان على البغداديين ويظهر انه يخالفهم في أكثر آرائهم ، ولكنه مال اليهم في مسألة واحدة وهي ذهابهم الى جواز التعجب من الافعال الناقصة المنفية كـ « ليس » و « ما زال » ، يقول « فلو كان الفعل من باب « كان » مما لزمه النفي لكونه وضع له كـ « ليس » ، أو لكونه لا يستعمل الا مقرونا بحرفه أو بحرف النهي والدعاء نحو « ما زال » ففي ذلك خلاف ، ذهب البغداديون الى اجازة « ما احسن ما ليس يذكرك زيد »وما «احسن ما لا يزال يذكرنا زيد » ، وتابعهم أبو بكر السراج ، ويقوي ذلك في «ليس » انها قد وقعت صلة لـ « ما » المصدرية في قوله « بما لستما أهل الخيانة والغدر » . ويقوي ذلك في « لا يزال » انه صورة النفي وهو موجب من حيث المعنى ، وكأنّ « ما » المصدرية انما دخلت على موجب لا على منفي»[4] ، ويظهر من قوله « ويقوي ذلك في ليس..» وقوله « ويقوى ذلك في لا يزال ... » انه يذهب مذهب البغداديين في هذه المسألة أو يؤيدهم على أقل تقدير .

(١) الارتشاف ص ١١٦ ب
(٢) الارتشاف ص ١٢٣
(٣) الارتشاف ص ٢٦٥
(٤) منهج السالك ص ٣٧٩

مدرسة الاندلس

كانت الاندلس على صلة وثيقة بالمشرق العربي ، وقد رحل الكثيرون من الاندلس الى العراق وغيره من الاقطار العربية ليدرسوا على الاساتذة الكبار ، ورحل الكثير من العلماء الى الاندلس يحملون عنم المشرق الى تلك البلاد . وقد بدأ النحو في الاندلس كما بدأ في المشرق ، ولما انتقل الى الاندلس كتاب سيبويه وغيره ألف الاندلسيون في النحو وفصلوا في موضوعاته ومسائله ، يقول الاستاذ أحمد أمين « اما النحو فقد بدأ في الاندلس كما بدأ في المشرق عبارة عن قطعة مختارة فيها لفظ غريب يشرح ،ومشكلةنحوية توضح على النحو الذي نراه في « أمالي القالي » و « الكامل » للمبرد ، ثم ألفوا نحوا في مسائل جزئية كما فعل أبو علي القالي نفسه في : « فعلت » و « أفعلت » و « المقصور والممدود » ، وكما فعل ابن القوطية في كتابه « الافعال» فلما انتقل الى الاندلس كتاب الكسائي وسيبويه ألف الاندلسيون في النحو من حيث هو كل يشمل جميع الابواب »[1] .

وكان نحاة الاندلس الاولون من القراء والفقهاء المؤدبين لابناء الخاصة أو العامة ، ولم تكن لهم آراء نحوية خاصة أو عمل كبير يميزهم عن النحاة الآخرين ، ولكن المتأخرين منهم كابن مالك وأبي

---

(١) ظهر الاسلام ج٣ ص ٩١ ، وينظر تأريخ الفكر الاندلسي ص ١٨٥ وما بعدها

حيان كان لهم أكبر الأثر في تطور النحو العربي وتوجيهه وجهة فيها تبويب منظم ، وترتيب لمسائل النحو وأصوله •

ومن نحاة الاندلس أبو موسى الهواري رأس الطبقة الاولى ، وجودي بن عثمان (١٩٨ هـ) ، وخصيب الكلبي ، وهارون بن أبي عزالة وعبدالملك بن حبيب السلمي ، ومفرح بن مالك ، والأفُشْنيو محمد بن موسى بن هاشم (٣٠٧هـ) ، وابن حجاج (٣٣٦هـ)، ومحمدبن اسماعيل (٣٣١هـ) ، وتلميذه محمد بن يحيى القلفاط،ومحمد بن يحيى الرياحي (٣٥٨ هـ) ، وابن القوطية (٣٦٧ هـ) ، وأبو بكر الزبيدي (٣٧٩ هـ) ، وابن الافليلي (٤٤١ هـ) ، وابن سيده (٤٥٨ هـ) ، والاعلم الشنتمري (٤٧٦هـ) ، وابن السيد البطليوسي (٥٢١ هـ) ، وابن الباذش (٥٢٨ هـ) ، وابن الطراوة (٥٢٨ هـ) ، وابن عطية الغرناطي (٥٤١ هـ) ، وابن طاهر الاشبيلي ، وأبو القاسم السهيلي (٥٨١ هـ) ، وابن مضاء اللخمي الجياني القرطبي (٥٩٢ هـ) وابن خروف (٦٠٥ هـ) ، أو (٦٠٩ هـ) ، والجزولي (٦٠٧ هـ) ، وابن هشام الخضراوي الاندلسي المعروف بابن البرذعي،وابن عصفور(٦٦٣هـ) أو (٦٦٩ هـ)[1] ، وابن مالك (٦٧٢ هـ) ، وابو حيان (٧٤٥ هـ) اللذان رحلا الى المشرق •

وكان المذهب الاندلسي يتخذ من المذهب البصري اماما ولكنه كان يختار ويفضل بعض الآراء • وقد سار المغاربة في هذا الاتجاه وتكونت مدرسة يمكن ان تسمى مدرسة الاندلس والمغرب ، وهي مدرسة ليست لها سماتها وخصائصها الواضحة كل الوضوح ولكنها على كل حال يمكن أن تشل اتجاها معينا في النحو واللغة •

ومن أمثلة مذهب الاندلسيين والمغاربة جواز اعمال « أن » المخففة المفتوحة في المضمر وفي الظاهر • والعطف على تمييز المقدار اذا

---

(١) ينظر هؤلاء الاعلام في طبقات النحويين واللغويين ص ٢٧٥ وما بعدها ، وينظر تأريخ الادب لبروكلمان ج٢ ص ٢٧٧ وما بعدها ، وبغية الوعاة ص ١٨٦ وغيرها

كان مخلطا من جنسين، ومنع تعدد الخبر لمبتدأ واحد، وعدم جواز قياس جزم الفعل المضارع في جواب الفعل الخبري لفظا ، الأمري معنى، وانما هو موقوف عندهم على السماع نحو « اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه » • وجواز وصف الظاهر والمضمر نكرة كان أم معرفة بـ « الا » كما يوصف بـ « غير » • وجواز كون مميز « كم » الاستفهامية جمعا إذا اريد به أصنافا نحو « كم غلمانا عندك ؟ » اذا اريد بالجمع أصنافا من الغلمان ، اما اذا اريد به الجمع نفسه فلا يجوز • وعدم جواز اعمال « إن » النافية عمل « ليس » • وجواز تأخير الحالين عن « أفعل » بشرط ان يليه الحال الاولى مفصولة عنه من الثانية فيقال « هذا أطيب بسرا منه رطبا » و « زيد اشجع أعزل منعمروذا سلاح »، ويرون ان الصحيح جواز تقدم المستثنى على المستثنى منه، وعلى العامل فيه اذا لم يتقدم ، وتوسط بين جزأي كلام وذلك لوروده ، قال لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فالاستثناء من ضمير « باطل » ، و « باطل » عامل في ذلك الضمير وقال الآخر

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة بور

وذهابهم الى ان المحذوف من « ذو » بمعنى صاحب هي الواو الثانية ، لان اصلها « ذوو »[1]

أثر المذهب الظاهري :

ولعل أهم ظاهرة في الاندلس نزوع بعض النحاة الى تطبيق المذهب الظاهري على النحو • فما هذا المذهب ؟ وكيف استفاد منه النحاة في دراساتهم وبحوثهم ؟

نشأ الفقه الظاهري في غير بيئة الاندلس وكان أول من نادى به

---

(١) ينظر همع الهوامع ج ١ ص ١٠٨ ، ١٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، و ج ٢ ص ١٠٤ ، والاشباه والنظائر ج ١ ص ٢٧ ، والقواعد النحوية ص ١٢٠ – ١٢٤!

أبو سليمان داود بن علي بن خلف البغدادي مقاما الاصبهاني أصلا المولود سنة ٢٠٠ هـ ، وقد تخرج داود على تلاميذ الشافعي والتقى بكثير من أصحابه ، وكان معجبا أشد الاعجاب به ولكنه لم يلبث الا قليلا آخذا بالمنهاج الشافعي حتى خرج عنه وقال ان المصادر الشرعية هي النصوص وحدها ، فلا علم في الاسلام الا في النص ، وابطل القياس ولم يأخذ به ، ولقد قيل له كيف تبطل القياس وقد أخذ به الشافعي ؟ فقال أخذت أدلة الشافعي في ابطال الاستحسان فوجدتها تبطل القياس . وبذلك اتجه هذا العالم الى علم السنة وكان باجماع العلماء أول من أظهر القول بالظاهر ، يقول الخطيب البغدادي « إنّه اول من أظهر انتحال الظاهر ونفى القياس في الاحكام قولا ، واضطر اليه فعلا فسماه دليلا »[1] .

واستقر المذهب الظاهري كما جاء به داود ، وكان له مؤيدون ، وانتشر في بلاد المشرق في القرنين الثالث والرابع حتى عُدّ رابع مذهب بعد أن فاق مذهب احمد بن حنبل في الانتشار ، ولكن حملة العلماء على هذا المذهب اشتدت في القرن الخامس الهجري وزحزحته ، يقول الاستاذ محمد أبو زهرة « ولكن جاء بعد ذلك في القرن الخامس الهجري القاضي ابن أبي يعلى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وجعل للمذهب الحنفي مكانة زحزحت المذهب الظاهري عن مكانه وحل محله »[2] .

وفي الوقت الذي خبا فيه ضوء المذهب الظاهري في المشرق وحل محله المذهب الحنبلي كان يحيى حياة قوية في الاندلس على يدي ابن حزم الاندلسي الذي جعل من الظاهرية مذهبا له أصوله وآراؤه الخاصة به ، وكان مذهب ابن حزم الظاهري يقوم على الأخذ بظاهر النصوص لذلك كان يتخذ من ظاهر القرآن الكريم وسنة النبي محمد (ص) أساسا في الدراسات الفقهية ،يقول ابن حزم:«اقسام الاصول التي

---

(١) تأريخ بغداد ج ٨ ص ٣٨٤

(٢) ابن حزم لابي زهرة ص ٢٦٧

لا يعرف شيء من الشرائع الا منها ، وانها أربعة وهي: نص القرآن، ونص كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي انما هو عن الله تعالى، مما صح عنه عليه السلام نقل الثقات أو التواتر ، واجماع جميع علماء الأمة ، او دليل منها لا يحتمل إلا وجها واحدا »[1]

وكان دستوره الذي لم يحد عنه ما عبر عنه بقوله

لا انثني نحو آراء يقال بها في الدين، بل حسبي القرآن والسنن[2]

وابطل ابن حزم القياس والقول بالعلل في جميع أحكام الدين وتكلم عليها كلام المستنكر لها ، يقول « وذهب أصحاب الظاهر الى ابطال القول بالقياس في الدين جملة ، وقالوا لا يجوز الحكم البتة في شيء من الاشياء كلها الا بنص كلام الله تعالى ، أو نص كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، أو بما صح عنه صلى الله عليه وسلم من فعل، أو اقرار، أو اجماع من جميع علماء الأمة كلها متيقن انه قاله كل واحد منهم دون مخالف من أحد منهم ، أو بدليل من النص ، أو من الاجماع المذكور الذي لا يحتمل إلا وجها واحدا »[3] . ويقول عن التعليل « فصح انه لا يحل لاحد تعليل في الدين، ولا القول بان هذا سبب الحكم الا ان يأتي به نص فقط » ، ويقول « انه لا يحل التعليل في شيء من الدين، ولا ان يقول قائل لم حرم هذا واحل هذا ؟ »[4] .

ولقي ابن حزم الاذى في سبيل مذهبه واحرقت كتبه ونفي وسجن وشرد ولكنه بقي منافحا عن مذهبه مدافعا عن عقيدته ، وعندما مات نشر هذا المذهب تلاميذه من بعده ، وشاء الله ان لا يموت هذا المذهب، فقد ازدهر في اواخر القرن السادس الهجري واوائل القرن السابع ، وعمم العمل به في شمال افريقية، وبلاد الاندلس كلها يعقوب بن يوسف

(١) الاحكام في اصول الاحكام ج ١ ص ٧١
(٢) نظرات في اللغة عند ابن حزم سعيد الافغاني ص ٢٢
(٣) الاحكام في اصول الاحكام ج ٧ ص ٥٥
(٤) الاحكام في اصول الاحكام ج ٨ ص ٩٢ ، ١١٤

ابن عبدالمؤمن بن علي الذي تولى الحكم من سنة ٥٨٠ هـ الى سنه ٥٩٥ هـ ، وسار على ذلك من بعده . يقول صاحب« المعجب في تلخيص اخبار المغرب » متحدثا عن يعقوب « وفي ايامه ـ أي أيام يعقوب هذا ـ انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر باحراق كتب المذهب[1] بعد ان يجرد ما فيها من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن فاحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون ، وكتاب ابن يونس ، ونوادر ابن أبي زيد ، ومختصره ، وكتاب التهذيب للبرادعي ، وواضحة ابن حبيب ، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها . لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس أنه يؤتى منها بالاحمال فتوضع ويطلق فيها النار »[2] .

وبذلك اتجهوا الى ترك الرأي والاخذ بظاهر الكتاب والسنة ويعلل صاحب المعجب هذا العمل فيقول « كان قصده في الجملة محو مذهب مالك من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث وهذا المقصود بعينه كان مقصد أبيه وجده الا انهما لم يظهراه واظهره يعقوب هذا ، يشهد لذلك عندي ما أخبرني غير واحد ممن لقي الحافظ أبا بكر بن الجد انه اخبرهم قال لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب أول دخلة دخلتها عليه وجدت بين يديه كتاب ابن يونس فقال لي يا ابا بكر انا أنظر في هذه الآراء المتشعبة التي احدثت في دين الله ، أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو اكثر من هذا فأي هذه الاقوال هو الحق ؟ وأيها يجب ان يأخذ به المقلد ؟ فافتتحت أبين له ما أشكل عليه من ذلك ، فقال لي وقطع كلامي يا أبا بكر ليس إلا هذا ، وأشار الى المصحف، أو هذا وأشار الى كتاب سنن أبي داود ، وكان عن يمينه، أو السيف»[3] .

---

(١) أي المذهب المالكي

(٢) المعجب ص ٢٧٨

(٣) المعجب ص ٢٧٩ ، وينظر مدخل كتاب الرد على النحاة ص ٣ وما بعدها ، وكتاب ابن حزم ص ص ٥٢٢

وأثرت هذه الدعوة في تفكير بعض علماء عصر يعقوب بن يوسف، وبدا المذهب الظاهري واضحا في آثارهم ، وقد تأثر النحو بهذه الدعوة فظهر أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن مضاء القرطبي (٥٩٢ هـ)الذي كان ينزع الى دعوة الموحدين ،وقدأسندوا اليهمنصب القضاء في بعض بلدانهم ، ولم يلبث يوسف بن عبد المؤمن ان جعله قاضي الجماعة في الدولة كلها ، وكان يوسف متعصبا للظاهرية وقد شاركه مولاه ابن مضاء في هذا التعصب ، ولما جاء يعقوب كان ابن مضاء ساعده الايمن .

وألف ابن مضاء القرطبي كتبا حمل فيها على النحو المشرقي كما حمل أولو نعمته على الفقه المشرقي ، وأهم كتبه التي وصلت الينا كتاب « الرد على النحاة » الذي كان واضح التأثر بالمذهب الظاهري واصوله . وكان هذا الكتاب دعوة صريحه الى هدم كثير من الاسس التي استقر عليها النحو المشرقي ، وقد اختار المذهب المصري الذي كان شائعا من حوله واتخذه مسرحا لمعاركه مع النحاة.

ويقوم كتاب « الرد على النحاة » على الغاء نظرية العامل،والغاء العلل الثواني والثوالث ، والغاء القياس ، والتمارين غير العملية ، وكان هذا العمل استجابة للمذهب الظاهري الذي يقوم على الغاء القياس والتعليل في جميع أحكام الدين . وكان لدعوة ابن مضاء أثر فيمن جاء بعده ، ولعل أبا حيان النحوي من أشهر الذين استفادوا من هذه الدعوة ، لانه كان ظاهريا قبل ان يتمذهب بالمذهب الشافعي . وسنرى مدى انتفاعه من هذه الدعوة في الفصل القادم .

واذا لم يكن للاندلسيين أثر كبير في دراسة النحو وتوجيهه ، فان دعوة ابن مضاء القرطبي تعد أكبر عمل قام به هؤلاء القوم ، وأي شيء أعظم من هذه الدعوة التي ارادت ان تحرر النحو العربي من النزعة المشرقية المؤمنة بالقياس والتعليل ، المغرقة في التأويل والتمحلات ؟ ونرى ان عمل ابن مضاء يعد خطوة كبيرة في تطور النحو وقد كان

لهذا العمل ان ينتشر ويسيطر على مناهج الدرس النحوي لولا ان البلاد الاندلسية ابتليت بالنزاع والصراع وفوجئت بمداهمة الاعداء لها من كل جهة ٠

ولعل أهم ما في نحو الاندلس بعد هذا كله تلك الافكار التي حملها ابن مالك وأبو حيان من الاندلس الى مصر والشام ، فقد نزحا الى هذين الاقليمين العربيين ونشرا علمهما فيهما ، فنشأ نحاة كان لهم أكبر الأثر في وضع النحو وضعه الاخير ٠

وبعد فما علاقة أبي حيان بمدرسة الاندلس واعلامها ؟

أبو حيان والاندلسيون

كان ابن عصفور وابن مالك أهم نحـــاة الاندلس الذين تأثر بهم أبو حيان واستفاد منهم ورد عليهم وشرح بعض كتبهم أو لخصها ، ولذلك فسنقف في هذا الفصل عند هذين الرجلين .

أبو حيان وابن عصفور :

كان أبو حيان ملازما لكتب ابن عصفور ، ولا ســـيما كتابه « المتع» الذي كان لا يفارقه كما يذكر صاحب «مفتاح السعادة»[1] . وقد مر بنا ان أبا حيان لخص هذا الكتاب بكتاب سماه « المبدع الملخص من المتع » ، بعد أن اختصر « شرح الجمل الكبير » له بكتاب سماه « الموفور من شرح ابن عصفور » ، ولخص « المقرب » بكتاب سماه « التقريب » ، ثم شرحه ونبـه عليـه في كتاب « التـدريب في تمثيل التقريب » .

ولم يقتصر رد أبي حيان على ابن عصفور أو مناقشته على الكتب التي اختصرها ، بل كان يذكر آراءه ويناقشها ويرد عليها في معظم كتبه الاخرى كالبحر المحيط ، والارتشاف ، ومنهج السالك ، والتذييل والتكميل . واول ما يؤاخذه عليه جسارته وعدم حفظه للقرآن الكريم، تقول في بحث « أم » المنقطعة « وتدخل على اسماء الاستفهام كقوله

(١) مفتاح السعادة ج١ ص ١١٨ ينظر بغية الوعاة ص ٣٥٧

تعالى « أمّاذا كُنتُم تعملون ؟ »[1] وهو كثير فصيح خلافا لما في شرح الصفار الذي كتبه عن ابن عصفور فانه ادعى انه لا يحفظ منه الا قوله « أم هل كبير بكى » ، و « ما انت او ما ذكرها رَبعيّة » ، وقوله « ام هل لامني فيك لائم » ، وانه من الجمع بين أداتي معنى وهو قليل جدا ، وفي كتاب الله تعالى « امّاذا كنتم تعملون »[2] ، « أم مَن هذا الذي هو جُنـد لكم »[3] ، « أمّن هـذا الذي يرزقكم »[4] . وفي « الغرة » يدخلون « أم » على جميع آلة الاستفهام إلا على الهمزة قال

أخَذِمَت ام وَذمَت أم ما لها ؟ [5]

وقال

فاصبح لا يـدري أيقعُدُ فيكُمُ
على حَسَكِ الشحناءِ أم كيف يذهب ؟

وذكر الآيتين . وقال الفراء لا يجمع بين الاستفهامين في موضع واحد لا يجوز « أأين قمت ؟ » ، و « أأيهم في الدار ؟ » ، و « أهل زيد في الدار ؟ » ، الا في ضرورة الشعر . انتهى .

وهذا من ابن عصفور وتلميذه يدل على الجسارة وعدم حفظ كتاب الله تعالى ، وقد دخلت على « كيف » نحو قوله

ام كيف ينفع ما يعطى العلوق به »[6]

ويظهر من ردود أبي حيان على ابن عصفور ان ابن عصفور كان

---

(١) سورة النمل ، الآية ٨٤
(٢) سورة النمل ، الآية ٨٤
(٣) سورة الملك ، الاية ٢٠
(٤) سورة الملك ، الآية ٢١
(٥) في الاصل : « اجرمت ام وذمت » التصحيح من اللسان مادة « ودم »
(٦) الارتشاف ص ٢٧٥ ب ـ ٢٧٦

متابعا للكوفيين في كثير من آرائهم ، لذلك وقف منه أبو حيان موقف المعارض المخطّيء ، كما وقف من الكوفيين •

وقد ردّ عليه عدم تجويزه الجمع بين الجملتين الا بفاصل ، يقول: « ولا يجيز الكوفيون الجمع بين الجملتين إلا بفاصل بينهما ، ولم يعتبر البصريون الفاصل ، قال ابن عصفور ولم يرد السماع الا بالفصل كما ذهب الكوفيون اليه • وليس ما ذكر بصحيح ألا ترى قوله تعالى « وقالوا لن يدخلَ الجنّةَ إلا من كان هُوداً أو نصَارَى »[1] فحمل على اللفظ في « كان » اذ افرد الضمير ، وجاء الخبر على المعنى اذ جاء جمعا ، ولا فصل بين الجملتين ، وانما جاء أكثر ذلك بالفصل لما فيه من ازالة قلق التنافر الذي يكون بين الجملتين »[2] •

ورد عليه تأوله ما ورد من الشواهد على جواز تقديم التمييز على الفعل ، يقول « واختلف النحويون في تقديمه على الفعل فمنهم من منع ذلك ، وهو مذهب سيبويه والفراء واكثر البصريين والكوفيين ، والى ذلك ذهب أبو علي الفارسي في شرحه للابيات، وأكثر متأخري أصحابنا، ومنهم من أجاز تقديمه وهو مذهب الكسائي والمازني، والجرمي، والمبرد، ومن أخذ بمذهبهم من البصريين وبعض الكوفيين ، وبه قال هذا الناظم، وهو الصحيح لكثرة ما ورد من الشواهد على جواز ذلك ، وقياسا على سائر الفضلات ، قال الشاعر

أتهجر ليلى للفراقِ حبيبَها وما كان نفساً بالفراقِ تطيب

فقدم « نفساً » على « تطيب » • وقد تنطع المانعون للجواز في تأويل هذا البيت ، وبعضهم رد هذه الرواية ، وزعم ان الرواية « وما كان نفسي بالفراق تطيب » • وقد تأوله ابن عصفور زاعماً انه لم يجيء ذلك الا في بيت واحد من الشعر فلا حجة فيه ، لانه قد يتقدم في الشعر ما

---

(١) سورة البقرة الآية ١١١

(٢) البحر المحيط ج ١ ص ٥٥ ، وينظر الارتشاف ص ٢٧٨

لا يجوز تقديمه في الكلام ، وذلك منه عدم اطلاع على اشعار العرب، وتقليد لبعض من تقدم ، بل قد جاء من ذلك جملة تبنى على مثلهـــا القواعد »[1] .

فابن عصفور في نظر أبي حيان غير مطلع على أشعار العرب ، مقلد لمن تقدمه من النحاة ،وانه يزعم أشياء مخالفة لما ورد في القرآن الكريم، وفي كلام العرب كزعمه ان النفي بـ « لم » في جملة الحال نحو « قام زيد لم يضحك » قليل[2] ، وذكره آراء تخالف السماع الذي ورد عن العرب ، وذلك في ذهابه الى انه لا يجوز تخفيف الياء من « لا سيما »، لانه لم يُحفظ من كلام فصيح،ولايقتضيه القياس ، لان تخفيفها يؤدي الى بقاء الاسم المعرب على حرفين وثانيهما حرف علة ، وهذا غيرمحفوظ عنده في حال افراد ، ولا في حال اضافة إلا ما جاء من قولهم « فوك » و « ذو مال » وهما خارجان عن القياس ، في حين يرى أبو حيان جوار ذلك بناء علىما سمع من العرب كقول الشاعر

فـ ِ بالعقودِ وبالأيمان لا سِيَما عقد وفاء" به من أعظم القرب[3]

ولم تقتصر ردود أبي حيان على هذه المواضع ، وانما رد على ابن عصفور ذهابه الى أن « ليت » و « لعلّ » و « كأنّ » ينصبن الحال بخلاف أخواتها « إن » و « أن » و « لكن » بينما يرى أبو حيان ان الصحيح عدم جواز ذلك ، وان شيئا من الحروف لا يعمل في ظرف،ولا حال ، ولا يتعلق بها حرف جر الا « كأن » و « كاف التشبيه » ، قال النابغة

كأنّـــه خارجا من جنبِ صفحتِـــه
سَفّود شَرْبٍ نَسُوهُ عندِ مُفْتَأَد

(١) منهج السالك ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩

(٢) ينظر الارتشاف ص ٢١٢ ب ، ومنهج السالك ص ٢١٦

(٣) ينظر منهج السالك ص ١٧٨ ، والارتشاف ص ٢٠٢ ب

وتقول « كأنْ زيداً غضبانَ أسدٌ »[1] .

ورد عليه ذهابه الى ان الماضي لا يجوز أن يقع حالا من غير «قد» ظاهرة أو مقدرة ان كانت هذه الحال حالا مبنية ، مع ان الصحيح جواز ذلك لكثرة ما ورد منه بغير « قد » ، وتأويل الشيء الكثير ضعيف جدا[2] .

ورد عليه ذهابه الى ان الاولى أن يكون النفي بـ « لمّا » في جملة الحال ، يقول « وزعم ابن عصفور أن الاولى ان يكون النفي بـ « لمّا » نحو « جاء زيد ولمّا يضحك » ، وعلل ذلك بان « لمّا يفعل » نفي لقوله « قد فعل » ، وقال : وقد تكون منفية بـ«لم» و « ما » نحو « قام زيد ولم يضحك » أو « ما يضحك » ، وذلك قليل جدا . انتهى .

وانما ادعى ان النفي بـ « لمّا » أولى ، لان من مذهبه ان الماضي لا يقع حالا الا مع « قد » ظاهرة أو مضمرة ، ولذلك علل بأن « لمّا يفعل » نفي لـ « قد فعل » ، و « لمّا »تدل على نفي الفعل متصلا بزمان الاخبار،و«قد» تقرب الماضي من زمان الاخبار،فلذلكقال:«الأولىلمّا»، حتى يكون مناسبا للاثبات ، وقد ذكرنا كثرة وقوع الماضي بغير « قد» حالا وان دعوى الاخبار في ذلك غير مختار فبطلت هذه الاولوية »[3] .

ويرد عليه اعتذاره عن سيبويه في ذهابه مذهبا لم يتبعه أبو حيان نفسه وذلك في الكلام على « دواليك » و « حنانيك » وجوازنصبهما على الحال عند سيبويه وابن عصفور ، بينما يرى أبو حيان انه لا حاجة الى تكلف كونهما حالين اذ الظاهر انهما مصدران في قول الشاعر

اذا شُقَّ بُردٌ شُقَّ بالبردِ مثلُهُ
دواليك حتى كلّنا غير لابس

---

(1) ينظر منهج السالك ص ١٩٩
(2) ينظر منهج السالك ص ٢١٤ ، والارتشاف ص ٢١٣ ، ٢١٢ ب
(3) منهج السالك ص ٢١٦

وقول الشاعر

أبا منذر أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا
حنانيكَ بعضُ الشرِ أهونُ من بعضِ

ولا ينبغي ان يخرجا في هذين البيتين عن الظاهر[1] .

وردود أبي حيان على ابن عصفور كثيرة جدا ، وقد لا تخلو صفحة من صفحات « الارتشاف » من ذكر ابن عصفور اما مستشهدا به ، واما مبينا اختياره ، أو مذهبه،او رادا عليه.وقد يبين خطأه في كتاب وتصحيحه في آخر ، وقد يرد على من نقل عن ابن عصفور رأيا الموجود في كتبه خلافه ، كرده على نقل ابن الضائع عنه استعمال «سوى» غير ظرف ، والموجود في مؤلفاته انه ظرف لا يتصرف[2] . وقد يشير الى ذهابه مذهبا مخالفا للجمهور ولسيبويه ثم رجوعه الى مذهب سيبويه كما في زعمه أن « ان » من الحروف التي تربط القسم بالمقسم عليه ان كانت الجملة الواقعة جوابا لـ « لو » وما دخلت عليه ، ثم اتباعه سيبويه في ان « ان » في جواب القسم كاللام الاولى في « والله لئن فعلت لافعلن »[3] . وقد يتابع ابن عصفور سيبويه في أول الامر كما فعل في عدم جواز الاقتصار على المفعول الاول عن الثاني ولا الثاني عن الاول في باب أعلم[4] . وقد يتفقان في الرأي كاتفاقهما في اختيار الحاق ما كان بمعنى القول في حكم القول مثل « ناديت » و«دعوت» و « وصيت » متابعين في ذلك الكوفيين [5] .

هذا موقف أبي حيان من ابن عصفور بصورة موجزة ، ويظهر فيه انه كان يرد عليه في أكثر آرائه ، ويشير الى ما وافق فيه الكوفيين ، أو الاخفش،أو الزجاج ، أو البصريين ، أو سيبويه،أو غيرهم من النحاة.

---

(١) منهج السالك ص ٢٧٩ ــ ٢٨١
(٢) ينظر الارتشاف ص ٢٠١ ب
(٣) ينظر الارتشاف ص ٢٣٦ ب
(٤) ينظر الارتشاف ص ٢٩٨ ب
(٥) ينظر همع الهوامع ج ١ ص ١٥٧

أبو حيـــان وابن مالك

وكان لابي حيان معاصر مشهور هو ابو عبدالله جمال الدين محمد ابن عبدالله بن محمد بن عبـــدالله بن مالك الطـــائي الجياني الشافعي النحوي المولود بجيان سنة ٦٠٠ هـ والمتوفى بدمشق سنة ٦٧٢ هـ • وقد اشتهرت الفيته وكتبه في مصر وغلبت شهرتها كتب عصره وكانت من أشهر الكتب التي تدرس مع كتاب سيبويه في مصـــر والشام في القرنين السابع والثامن وما بعدهما •

ولما جاء ابو حيان الى مصر بعد رحيله عن وطنـــه الاندلس في الربع الاخير من القرن السابع الهجري اعتنى بكتب ابن مالك اعتنـــاء كبيرا فشرح الالفية في كتاب سماه « منهج السالك في الكلام على الفية ابن مالك » ، وشرح « التسهيل » واعتنى به والف عليه ثلاثـــة كتب هي « التخييل الملخص من التسهيل » و « التكميل لـــكتاب التسهيل » و « التذييل والتكميل في شرح التسهيل »،ولا يزال الكتاب الاخير في دور الكتب باجزائه الكثيرة الضخمة خير شاهد على اهتمام ابي حيان بابن مالك وشرحه لكتبه •

وكان غرض أبي حيان من هذه التآليف ومن هذه العناية العظيمة بكتب ابن مالك تيسيرها وتسهيلها ليستطيع طالبو العلم ان يقفوا عليها ويستفيدوا منها فتنتشر بين الناس ويعرف الدارسون قيمة ابن مالك وكتبه • ومهما يكن من امر فابو حيان هو الذي جســر الناس على

مصنفاته ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غامضها وخاض بهم في لججها وفتح مقفلها ورغبهم فيها ، والزم نفسه الا يقريء تلاميذه الا في كتاب سيبويه او في تسهيل ابن مالك أو في مصنفاته ، وكان هذا دأبه حتى اخر ايامه[1] . وقد جعل أبو حيان كتب ابن مالك ولا سيما كتاب التسهيل في منزلة كتاب امامه سيبويه الذي رأينا تعصبه له وتقديره واحترامه اياه ، كما جعلها في منزلة كتبه وهذا يدل على تقديره لكتب ابن مالك ، ورغبته الاكيدة في رفع شأنها ونشرها بين تلاميذه .

ومع اهتمام ابي حيان بكتب ابن مالك وعمله على نشرها وقوله فيه « لا يكون تحت السماء انحى ممن عرف ما في تسهيله » نجد أكثر القدماء والمحدثين ينسبون تعصب ابي حيان على ابن مالك الى الحسد الشخصي الذي مبعثه شهرة ابن مالك النحوية وعظمته العلمية ومنزلته بين الناس في ذلك العصر ، وهذا الحسد هو الذي دفع ابا حيان الى ان لا يأخذ عنه مع انهما تعاصرا زهاء ثلاثين عاماً كما يرى بعضهم[2] .

ولا نرى ان سبب عدم اخذ أبي حيان عن ابن مالك مع معاصرته اياه هذه المدة هو الحسد وانما سبب ذلك انهما لم يلتقيا خلال هذه الاعوام لان ابن مالك رحل عن الاندلس بين سنتي ٦٢٥ و ٦٣٠ هـ ، ولم يكن ابو حيان قد ولد بعد وانما ولد بعد رحيله بنحو اربع وعشرين سنة ولما هاجر الى المشرق كان ابن مالك قد مات ولذلك لم يلتقيا حتى يتباغضا ويأكل الحسد قلب ابي حيان ، ويدفعه الى أن يقول: «والمصنف رحمه الله قد أكثر من الاستدلال بما أُثِر في الأثر متعقبا بزعمه على النحويين ، وما أمعن النظر في ذلك ولا صحب من له التمييز في هذا

(١) ينظر البدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩ ، والنجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١١٢ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤ ، ونكت الهميان ٢٨٠ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٢٩٥ ، وبغية الوعاة ص ١٢١ ، وشذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٦ ، ومعجم المطبوعات ص ٣٠٧ والتفسير والمفسرون ج ١ ص ٣١٧

(٢) ينظر نفح الطيب ج ٢ ص ٢٧ ، والحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص ٢١١

الفن ولا استبحار ولا امامة ، ولذلك تضعف اســتنباطاته من كلام سيبويه وينسب اليه مذاهب ، ويفهم من كلامه مفاهم لم يذهب اليها سيبويه ولا أرادها »[1] .

والى ان يقول « واما هذا المصنف الذي كملنا شرح كتابه فانه كان رجلا صالحا معنيا بهذا الفن النحوي كثير المطالعة لكتبه ، منفردا بنفسه لا يحتمل ان ينازع ولا يجادل ولا يباحث ، ونظم في هذا الفن كثيرا ونثر وجمع باعتكافه على الاشتغال بهذا الفن ، واشـــتغل به وبمراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربية وطول السن من هذا العلم غرائب ، وحوت مصنفاته منها نوادر وعجائب . ومنها كثير استخرجه من اشعار العرب وكتب اللغة ولم يكن ممن لازم في هذا الفن إمامـــاً مستبحرا به ، ولا يعلم له فيــه شــيخ ، ولا ذكر هو من اشــتغل عليه بهذا الفن . ولقد طال فحصي وتنقيري عمن قرأ عليه هذا المصنف أو من استند في العلم اليه فلم اجد من يذكر لي شيئا من ذلك . ولقد جرى يوما ذكره مع صاحبنا تلميذه علم الدين ابي الربيع سليمان بن ابي حرب الفارقي الحنفي رحمه الله فقال ذكر لنا انه قرأ على ثابت بن خيار من اهل بلده جيان ، وذكر لنا عنه ايضا انه جلس في حلقة الاستاذ ابي علي الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما . وثابت بن خيار هذا ليس مـــن المعدودين في الاندلس من اهل النحو والجلالة والشهرة انما ذكروه بانه مقريء للقرآن فاضل فيه . وثابت هذا هو ثابت بن المظفر بن محمـــد ابن يوسف بن خيار الكلاعي اصله لبلة ويعد في اهل جيان توفي بغرناطة سنة ثمان وعشرين وستمائة »[2] .

ويقول أبو حيان في ابن مالك عند تفسيره قوله تعالى « وقالوا مَهما تأتِنا بِهِ من آيةٍ لِتَسحَرنا بها فما نحنُ لكَ بِمؤمنين »[3]: « وهذا الذي انكره الزمخشري من ان « مهما » لا تأتي ظرف زمان ،

---

(١) التذييل والتكميل ج٥ ص ١٦٩ ب

(٢) التذييل والتكميل ج٥ص ١٧٠

(٣) سورة الاعراف ، الآية ١٣٢

قد ذهب اليه ابن مالك ذكره في التسهيل وغيره من تصانيفه الا انه لم يقصر مدلولها على انها ظرف زمان بل قال « وقد ترد « ما » و«مهما» ظرفي زمان ، وقال في ارجوزته الطويلة المسماة بالشافية الكافية

وقد أتت « مهما » و « ما » ظرفين في
شواهد من يعتضد بها كُفي

وقال في شرح هذا البيت جميع النحويين يجعلون « ما » و «مهما» مثل « من » في لزوم التجرد عن الظرف مع ان استعمالهما ظرفين ثابت في استعمال الفصحاء من العرب وانشد أبياتا عن العرب زعم فيها ان « ما » و « مهما » ظرفا زمان وكفانا الرد عليه فيها ابنه الشيخ بدر الدين محمد . وقد تأولنا نحن بعضها وذكرنا ذلك في كتاب « التكميل لشرح التسهيل » من تأليفنا ، وكفاه ردا نقله عن جميع النحويين خلاف ما قاله ، لكن من يعاني علما يحتاج الى مثوله بين يدي الشيوخ»[1].

ولا يكتفي أبو حيان بالطعن في عدم مقابلته الشيوخ واخذه عن الاساتذة ، وانما يطعن فيه لانه يأخذ من الكتب التي لا تجدي نفعا بالنسبة للأخذ عن الشيوخ والاساتذة ومناقشتهم والاطلاع على اختلاف الآراء وتنمية الذهن بالاسئلة والاجوبة والنقاش الحاد الذي كثيرا ما يحتدم بين التلاميذ وأساتيذهم . والكتب في رأي أبي حيان تقود من يعتمد عليها الى الضلال والالتباس في أموره ، يقول طاعنا فيمن يأخذ علومه من الكتب ولعله يقصد ابن مالك

يظنّ الغَمْرُ أنّ الكُتْبَ تهدِي أخا ذهن لإدراكِ العلوم
وما يدري الجهولُ بأنّ فيها غوامضَ حيّرت عقلَ الفهيمِ
اذا رُمْتَ العلومَ بغيرِ شيخٍ ضَللت عن الطريق المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى تصير أضل من توما الحكيمِ[2]

(١) البحر المحيط ج ٤ ص ٣٧١ – ٣٧٢
(٢) طبقات الشافعية ج ٦ ص ٣٥ ، ونفح الطيب ج ٣ ص ٣٢٠

ويرى بعضهم ان ابا حيان قد بالغ كثيرا في ذهابه الى ان ليس لابن مالك شيخ مشهور يعتمد عليه ويرجع في حل المعضلات اليه ، لان الاقدمين ذكروا له عددا من الشيوخ ، يقول المقري « سمع بدمشق من مكرم وأبي صادق الحسن بن صباح وأبي الحسن السخاوي وغيرهم ، وأخذ العربية عن غير واحد ، فممن أخذ عنه بجيّان أبو المظفر وقيل أبو الحسن ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعي من أهل لبلة . وأخذ القراءات عن أبي العباس احمد بن نوّار وقرأ كتاب سيبويه على أبي عبدالله بن مالك المرشاني وجالس ابن يعيش وتلميذه ابن عمرون وغيره بحلب »[1] . ويذكر السيوطي وابن عماد الحنبلي انه جلس في حلقة أبي علي الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما ، وجالس ابن عمرون بحلب[2] .

غير ان هؤلاء الشيوخ الذين ذكرهم المتقدمون لم يكونوا من الشهرة التي يريدها أبو حيان وهو الذي أخذ عن أعاظم الشيوخ واكابر الاساتذة في عصره .

اختلاف في المنهج :

ويختلف منهج ابن مالك النحوي عن منهج أبي حيان ، وقد مر بنا ان صاحبنا كان من المعارضين في الاستشهاد بالحديث أو اتخاذه مادة تبنى عليها القواعد ، لانه روي بالمعنى ولم يرو بلفظه في أغلب الاحيان ، أما ابن مالك فقد استشهد به ومن هنا أخذ أبو حيان عليه اثباته القواعد النحوية بالالفاظ الواردة في الحديث النبوي الشريف وتوسعه في ذلك ، يقول في « شرح التسهيل » « وقد أكثر هذا المصنف من الاستدلال بما وقع في الاحاديث على اثبات القواعد الكلية في لسان العرب ، وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه

---

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٤٢١ ، وينظر شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٩

(٢) ينظر بغية الوعاة ص ٣٦٤ ، وشذرات الذهب ج ٥ ص ٣٣٩

الطريقة غيره ، على ان الواضعين الاولين لعلم النحو المستقرئين للاحكام من لسان العرب كابي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين والكسائي والفراء وعلي بن مبارك الاحمر وهشام الضرير من ائمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الاقاليم كنحاة بغداد وأهل الاندلس .. والمصنف قد أكثر من الاستدلال بما ورد في الاثر متعقبا بزعمه على النحويين ، وما أمعن النظر في ذلك ولاصحب من له التمييز ، وقد قال قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وكان ممن قرأ على المصنف وكتب عنه نكتا على مقدمة ابن الحاجب ، وقد جرى ذكر ابن مالك واستدلاله بما أشرنا اليه قال له « يا سيدي هذا الحديث روته الاعاجم ووقع فيه بروايتهم ما يعلم انه ليس من لفظ الرسول عليه السلام ، فلم يجب بشيء »[1] .

ويقول في « الارتشاف » عند الكلام على « كأين » ومجيئها استفهامية عند ابن قتيبة « وزعم ابن مالك انها قد يستفهم بها ، واستدل بأثر جاء عن أبيّ على عادته في اثبات القواعد النحوية بما روي في الحديث وفي الآثار مما نقله الاعاجم الذين يلحنون،ومما لم نتعين انه من لفظ الرسول (ص) ولا من لفظ الصحابي فيكون حجة اذا جاوزوا النقل بالمعنى »[2] .

ويقول في بحث : « باب الضمير » عند الكلام على اتصال الاسماء بياء المتكلم واحتياجها الى نون الوقاية « وقال ابن مالك وقد تلحق أفعل التفضيل نون الوقاية واستدل بما روي في الحديث : « غير الرجال أخوفني عليكم » على عادته في اثبات القواعد الكلية بما روي في الحديث »[3] .

---

(١) التذييل والتكميل ج ٥ ص ١٧٠ ب ، والاقتراح للسيوطي ص ١٩

(٢) الارتشاف ص ٨٤

(٣) الارتشاف ص ١٠٤ ب

ويقول عند الكلام على « بين» « وزعم ابن مالك ان « بين» قد تكون ظرف زمان ، واستدل على ذلك بلفظ ما في الاثر على عادته في اثبات القواعد النحوية بما روي من ذلك »[1] .

وقد ردّ البدر الدماميني في « شرح التسهيل » فقال « قد أكثر المصنف من الاستدلال بالاحاديث النبوية ، وشنع أبو حيان عليه وقال ان ما استند اليه من ذلك لا يتم له لتطرق احتمال الرواية بالمعنى فلا يوثق بان ذلك المحتج به من لفظه عليه الصلاة والسلام حتى تقوم به الحجة ، وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوب رأي ابن مالك فيما فعله بناء على ان اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب وانما المطلوب غلبة الظن الذي هو مناط الاحكام الشرعية وكذا ما يتوقف عليه من نقل مفردات الالفاظ وقوانين الاعراب فالظن في ذلك كله كاف ولا يخفى انه يغلب على الظن ان ذلك المنقول المحتج به لم يبدل ، لان الاصل عدم التبديل لا سيما والتشديد في الضبط والتحري في نقل الاحاديث شائع بين النقلة والمحدثين، ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فيغلب على الظن من هذا كله انها لم تبدل ويكون احتمال التبديل فيه مرجوحا فيلغى ، ولا يقدح في صحة الاستدلال بها . ثم ان الخلاف في جواز النقل بالمعنى انما هو فيما لم يدون ولا كتب وأما ما دون وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل الفاظه من غير خلاف بينهم . قال ابن الصلاح بعد ان ذكر اختلافهم في نقل الحديث بالمعنى ان هذا الخلاف لا نراه جاريا ولا أجراه الناس فيما نعلم فيما تضمنته بطون الكتب ، فليس لاحد أن يغير لفظ شيء من كتاب مصنف ويثبت فيه لفظا آخر . وتدوين الاحاديث والاخبار بل وكثير من المرويات وقع في الصدر الاول قبل فساد اللغة العربية حين كان كلام اولئك المبدلين على تقدير تبديلهم يسوغ الاحتجاج به وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال

(١) الارتشاف ص ١٨٥

ثم دون ذلك المبدل على تقدير النبديل ومنع تغييره ونقله بالمعنى كما قال ابن الصلاح فبقي حجة في بابه ولا يضر توهم ذلك السابق في شيء من استدلالهم المتأخر ، والله اعلم »[1] .

ومهما يكن فابن مالك قد خالف البصريين والكوفيين في الاحتجاج بالحديث ، ولذلك حمل عليه ابو حيان حملة عنيفة .

ولم يقف الخلاف بينهما عند الاحتجاج بالحديث ، وانما تجاوزه الى اللغات أو اللهجات التي أخذا عنها ، فقد أخذ أبو حيان بما روي عن القبائل التي أخذ عنها البصريون واحتجوا بها في حين تساهل ابن مالك كالكوفيين فأخذ بما روي عن قبائل لم يكونوا يحتجون بها ، وقد ردّ عليه في شرح التسهيل لانه اخذ بما روي عن لخم وجذام وغسان وتعقبه باللوم فقال « وليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن »[2] . وقال « وأما كلام العرب فيحتج منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم . قال أبو نصر الفارابي في اول كتابه المسمى بالالفاظ والحروف .. فانه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الامم الذين حولهم فانه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام فانهم كانوا مجاورين لاهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون في صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب ولا النمر فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية »[3] .

وأبو حيان لا يقيس على ما قلّ وروده أو جاء في أبيات الشعر القليلة التي لا تبنى على مثلها القواعد في حين جوّز ابن مالك القياس على ما ورد في أبيات قليلة كما في قوله

وصفة صريحة صلة « أل » وكونها بمعرب الافعال قل

---

(١) خزانة الادب للبغدادي ج١ ص ٧

(٢) التذييل والتكميل وينظر الاقتراح ص ٢٤ ، وفي أصول النحو ص ٢١

(٣) التذييل والتكميل ، وينظر الاقتراح ص ١٩ — ٢٠

وقد رد أبو حيان عليه قائلا « وقوله « بمعرب الافعــال » •• قال نحو « اليضرب زيدا » أي « الضارب زيدا » • نصّ الناس ان هذا مخصوص بالضرورة ، ونص هو في غير هذه الارجوزة ان ذلك يجوز اختيارا ولا يحفظ مثل « اليضرب زيداً » في النثر انما جاء في الشعر في ابيات فلا ينبغي ان يجعل ذلك قاعدة يبنى عليها »[1] •

وقد ذهب ابن مالك الى جواز الاقتصار على اسم الاشـــارة وصفا لـ « أي » ولا نعت لاسم الاشارة بعده ، بناه على قول الشاعر:

أي هـــذان كلا زادكما ودعاني واغلا فيمن وغـل

وهذا بيت نادر شاذ لا تبنى على مثله القواعد عند أبي حيان[2] •

وجوز ابن مالك ان تنصب الحال بعد « ما » الاستفهامية بمــا تضمنت من معنى التعظيم كقول الشاعر

يا جارتا ما أنت جــاره

أي « عظيمة انت حال كونك جارة » • ورد أبو حيان عليه وقال ان « ما » هذه التي تقتضي التعظيم لم يأت بعدها ما يعظم بمجيء الحال، فلا ينبغي اثبات قاعدة كلية بمحتمل ظاهر فيه غير الحال ، لانه يجوز أن يكون تمييزا ويتعين ذلك بجواز دخول « من » عليه[3] •

وأبو حيان لا يثبت الحكم بمحتمل تجوز فيه وجوه مختلفة، لذلك يرد على ابن مالك زعمه انه قـــد يستغنى عن الجواب بمعموله واستشهاده بقوله تعالى:«يومَ تَرجُفُ الراجِفَةُ »[4] يقول ابن مالك: التقدير:«ليبعثن يوم ترجفنا الراجفة»،يقول أبو حيان:«ولا يتعين ماقاله

---

(١) منهج السالك ص ٣٠

(٢) ينظر الارتشاف ص ٣٠٩ ب

(٣) ينظر الارتشاف ص ٢٠٨

(٤) سورة النازعات ، الآية ٦

في الآية بل يحتمل وجوها ولا يثبت مثل هذا الحكم بمحتمل »[1] لانه يرى سقوط الاستدلال اذا دخل الدليل الاحتمال[2] • وقد رد بذلك عليه كثيرا في مسائل استدل عليها بأدلة بعيدة محتملة التأويل •

اختلاف في المصطلحات :

واختلف أبو حيان مع ابن مالك في بعض المصطلحات ، فابن مالك يسمي المفعول الذي لم يسم فاعله « باب النائب عن الفاعل » ، في حين يسميه أبو حيان وكثير من النحاة « المفعول الذي لم يسم فاعله »[3] •ويسمي ابن مالك: تعدية الفعل الى ما اتصل بضميرالمشغول عنه كما في « زيد ضربت غلامه»،أو الى ضميره بحرف جر: «فصلا» ، وهذه التسمية غير موجودة في اصطلاح النحاة لا بالوصل ولا بالفصل كما يرى أبو حيان[4] • ولكن صاحبنا يرى انه لا مشاحة في اختلاف المصطلحات اذ لكل مصطلح وجه ، وقد نص على ذلك في اختلاف المصطلح بينه وبين ابن مالك في باب « المسند والمسند اليه » فقال « واختار المصنف في اصطلاح المسند والمسند اليه ما هو جار على أكثر السنة النحاة من أن المسند اليه هو المحكوم عليه والمسند هو المحكوم به • وهذا أحد الاصطلاحات الاربعة •

وثانيهما ان كلاً منهما مسند ومسند اليه ، لان كلا قد أسند الى الآخر والآخر أسند اليه •

وثالثها ان المسند هو الاول مبتدأ كان أو غيره ، والمسند اليه هو الثاني ، فـ « قام » من قولك « قام زيد » ، و « زيد » من قولك: « زيد قائم » هو المسند ، و « زيد » و « قائم » هما مسند اليهما •

والرابع عكس هذا ، فـ « زيد » و « قائم » في التركيبين هما

(١) ينظر الارتشاف ص ٢٣٩
(٢) ينظر التذييل (القسم المطبوع) ج١ ص ٨٢
(٣) ينظر منهج السالك ص ١٢٤ والارتشاف ص ١٦٦
(٤) ينظر الارتشاف ص ١٦٤

مسندان ، و « قام » في جملة الفعل ، و « زيد » في جملة المبتـدأ ، مسند اليهما [1] • وانما ذكرت هذه الاصطلاحات لان المصنف ذكرأحد المصطلحات فيتوهم انه مصطلح النحويين أجمعين،ولئلا يقفأحدفيكلام بعضالنحويينعلى استعماله بعض هذه المصطلحات فيتوهم انه أخطأ في ذلك•ولكلمنهذهالاصطلاحات وجهلان الاسنادهوالالصاقوالاضافة، تقول أسندت ظهري الىالحائط،اذا ألصقته به وأضفته اليه،وهذا المعنى موجود في كل واحد منهما ، لان كلا منهما قد أسند الى صاحبه فصار بينهما تساند ولا مشاحة في الاصطلاح »[2] •

الحـــدود :

وكما رد أبو حيان على ابن مالك في المصطلحات وبيّن اختلافها ، تكلم على الحدود وشروطها ورأى ان ابن مالك لم يحسن التحـدث فيها ، يقول « وقد عدل المصنف في حد الاسم ، عما حده بهالنحويون الى هذا الحد الذي ذكره ، وهذا الذي اختاره غير مختار،لان النحويين حدوا الاسم بالامور الذاتيات التي فيها قبل التركيب ، والمصنف حده بأمر عارض له حالة التركيب وهو خاصة من خواصه حالة التركيب وهو الاسناد المعنوي ، وليس هذا شأن الحدود مع ما في حـده من عموض اللفظ والابهام والترديد والمجاز الذي هو مناف للحد اذ الحد انما يؤتى به لايضاح المحدود وبيانه وصار كل قيد في حده يحتاج الى شرح طويل فيحتاج الى شرح الاسناد والمعنى والنظير ، وهـذه أمور فيها غموض لا تناسب المحدود ، والابهام في قوله « ما لمعنـاها » • والترديد في قوله « أو نظيرها » ، والمجاز في قوله « الى نفسها » ، والكلمة لا يقال لها نفس ، الا بمجاز • وأحسن ما حد به الاسم ان يقال « الاسم كلمة دالة بانفرادها على معنى غير متعرضـة ببنيتهـا للزمان » • قولنا « كلمة » جنس يشمل الاسم والفعـل والحرف ،

---

(1) كذا في الاصل

(2) التذييل والتكميل ج١ ص ٢٥ـ٢٦ المخطوط ، و ج١ ص ٢٧ـ٢٨ المطبوع

وقولنا « دالة بانفرادها على معنى » احتراز من الحرف فانه لا يدل على معناه الا بضميم، وقولنا « غير مُتعرضة الى آخره احتراز من الفعل »[1] .

ويرى أبو حيان ان الحدود لا يجوز أن تدخلها « أو » لذلك رد على ابن مالك حده الكلمة بانها « لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا أو تقديرا أو منوي معه كذلك وهي اسم وفعل وحرف»،وقال: «وجاء في هذا الحد ذكر « أو » مرتين ، وقالوا ان الحدود لا يكون فيهاترديد فلا يؤدى فيها بـ « أو »[2] .

ويرى انه يجب حد الموضوع قبل التكلم فيه ، وقال عن ترك ابن مالك للحد « ذكر المصنف باب شرح الكلمة ولم يذكر باب حـــد الكلمة لان الحد للشيء عسير الوجود فعدل عن لفظ « حد » الى لفظ « شرح » وكلاهما يشترك في كشف المحدود وبيانه » . ورد عليه عدم حده النحو قبل الكلام في موضوعاته فقال « وكان ينبغي از يبدأ اولا بشرح النحو وبيانه وحينئذ يشرع في شرح ماذكر ، لان الناظر في علم من العلوم لا بد له اولا من معرفته على سبيل الاجمال ، ثم بعد ذلك يتعرف ما احتوى عليه ذلك الفن على سبيل التفصيل» ، لكن أبا حيان لا يلومه على تركه حد النحو لانه « قد كثر ما صنف الناس من الكتب في هذا العلم وما تعرض منهم لحده الا القليل »[3].

ويرى ان الحدود يختلف بعضها عن البعض الآخر ، فبعض هذه الحدود شامل كامل ، والبعض الآخر ناقص غير مفهم الشيء المحدود،أو ملبس به غيره ، وقد شرح ذلك في « منهج السالك » عند شرحه بيت ابن مالك

---

(١) التذييل والتكميل ج ١ ص ٢٤ المخطوط و ج ١ ص ٢٦ ــ المطبوع .

(٢) التذييل والتكميل ج ١ ص ٦ و ١١ ــ المخطوط ، و ج ١ ص ١٣ ــ ١٤ و ١٦ ــ المطبوع

(٣) ينظر تفصيل هذه النقطة في التذييل والتكميل ج ١ ص ٦ ــ **المخطوط ، و ج١** ص ١٤ ــ المطبوع

بالجر والتنوين والنـدا وأل ومسند للاسم تمييز حصـل

يقول « لم يذكر للاسم حدا وذكر له هذه الخواص وهي خمسة ، فقوله « بالجر » يشمل الحرف والاضافة والتبعية ، وقوله « والتنوين » هذا ليس بجيد ، لان التنوين على سبعة أقسام تنوين التمكين ، وتنوين التنكير ، وتنوين المقابلة ، وتنوين العوض ، وتنوين الترنم ، وتنوين الاضطرار ، والتنوين الغالي ، وأنكر هذا التنوين الزجاج . والذي ينفرد به الاسم ويكون خاصة له انما هو غير تنوين الترنم والتنوين الغالي ، واما تنوين الترنم والتنوين الغالي فيكونان في الاسماء والافعال والحروف من حيث انهما يختصان بالقوافي . وقوله « وأل » ليس بجيد لانها قسمت الى عهدية في شخص أو جنس ،والى الحضور والغلبة وللمح الصفة،والىموصولة وزائدة ، وجميع أقسامها لا يدخل الا على الاسم ، الا الموصولة فمذهب صاحب هذه الارجوزة انها تدخل على المضارع اختيارا ومذهب الجمهور اضطرارا »[1] .

خلاف في الآراء :

أما الخلاف في الآراء النحوية بين الرجلين فالخلاف الاساسي ان ابن مالك كان ميّالا الى الكوفيين متابعا لهم في كثير من المسائل والآراء ، فهو يأخذ بما يأخذون ويتبعهم في اللغات التي يحتجون بها والابيات التي يبنون عليها القواعد في حين كان أبو حيان ميّالا الى البصريين متابعا لهم في أكثر المسائل . ولما كان النزاع محتدما بين الكوفيين والبصريين في النحو واللغة والادب فقد انتقلت عدوى النزاع الى هذين العالمين الجليلين فوقف أبو حيان من ابنمالك موقف البصريين من الكوفيين ، فهو يخطئه في أكثر ماخالف بهالبصريين، ويرد عليه في المواضع التي اعتمد فيها على آراء ضعيفة أو لغات مهملة ليست من الفصاحة والصحة بدرجة ما يستشهد به النحاة البصريون ،

(١) منهج لسالك ص ٣ ـ ٤

كما يرد عليه آراء لم تؤيد بنقل صحيح عن العرب أو لم يرد بهـــا الاستقراء الجيد • لذلك كان أبو حيان يرد على ابن مالك قلة المامه بكتاب سيبويه اذ لو كان قد ألم به الماما واسعاً لمـــا نسب مذهبا الى الخليل،والصحيح عن الخليل خلافه • يقول أبو حيان في النهر الماد « وبشر » يتعدى الى مفعول بنفسه والى آخر بحرف الجر وهوقوله « أن لهم جَنات »[1] • وحذف منه الحرف وهو في موضع نصب على مذهب الخليل لا موضع جر خلافا لمن قال مذهب الخليل انه في موضع جر وهو ابن مالك قاله في التسهيل »[2] • وعلل أبو حيـــان ذلك بانـــه كان قليل الالمـــام بكتاب ســـيبويه[3] • ويرد عليـــه تطاوله على سيبويه يقول « وانظر الى جسارة هـــذا الرجل على سيبويه وهو المستقريء العربية عن العرب مشافهة أو عن مشافهةالعرب:

وابن اللبون اذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس[4]

وربما فات ابن مالك شيء من كلام سيبويه فلم يفطن اليه ، ولذلك يخطيء في مواضع كثيرة ، يقول أبو حيان « فانظرالى هذه النصوص التي ذهبت على هذا الناظم وما اخاله وقف على كلام سيبويه في هذا المكان ، وقد استدل هو في غير هذه الارجوزة لاختياره باشياء ضعيفة جـــدا »[5] •

والخلافات بين أبي حيان وابن مالك كثيرة جدا وأهمها

اولا ــ الصرف :

١ ــ في الوقف على الفعل المحذوف الفاء واللام

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥ « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار ... »

(٢) النهر الماد ج ١ ص ١١٢

(٣) ينظر النهر الماد ج ١ ص ١١٢

(٤) التذييل والتكميل ج ١ ص ٥١

(٥) منهج السالك ص ١٨

اوجب ابن مالك الوقف بالهاء على الفعل المحذوف الفاء واللام نحو « يفِ » فتقول « لا يَفِه» ، لكن أبا حيان لا يرى ذلك لانه لم يجد فيه نصا لاحد من النحاة يوجب اتصال الهاء به ، والذي يقتضيه النظر عنده ان يكون الوقف عليه بالهاء اختيارا لا وجوبا[1] .

٢ ــ حذف عين « فيعل » من بنات الياء والواو للتخفيف

ذهب ابن مالك الى ان التخفيف في عين « فيعِل » محفوظ في بنات الياء والواو جميعا ، وقد خالفه أبو حيان في ذلك ورأى انحذفها مقيس في بنات الياء والواو للتخفيف مثل « لين » بسكون الياء في « ليّن » ، و « مَيْت » في « ميّت »[2] .

٣ ــ قصر « أخ »

اجاز ابن مالك قصر « اخ » فانشد في شرحه للتسهيل مستدلا على ذلك

أخاكَ الذي ان تدعه لملمة يجبك بما تبغي ويكفيك من يبغي

.. ولا دليل فيه عند ابي حيان لانه يحتمل ان يكون منصوبا باضمار فعل ، التقدير « الزم اخاكَ » واذا دخل الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال »[3] .

٤ ــ حُكّام وحُفّاظ ومفردهما

ذهب ابن مالك في « التسهيل » الى ان « حكّام » و« حفّاظ » هما جمع « حكم » و « حفظ » على وجه الندور ، وكذا « بررة » جمع « بَرّ » ندورا . وخالفه ابو حيان في ذلك وذهب الى ان

(١) ينظر الارتشاف ص ٨٨

(٢) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٣٨ ، وهمع الهوامع ج٢ ص ٢١٨ ، والارتشاف ص ١٩ ب

(٣) ينظر التذييل والتكميل ، القسم المطبوع ج ١ ص ٨٢

« حفَاظ » و « حكّام » جمع « حافظ » و « حاكم » استغني بهم عن جمع « حكيم » و « حفيظ » كما ان قولهم « بررة » عند ابي حيان من باب الاستغناء عن جمع « بَرّ » بجمع « بارّ » ، وليس جمعا لـ « بَرّ » على جهة الندور كما ذهب ابن مالك »[1] .

٥ ـ النحت في باب النسبة

اعتبر ابن مالك النحت قياسيا في باب النسبة الى المركب والمضاف ونحوه . وانكر ابو حيان ذلك عليه وقال ان هذا الحكم لا يطرد ، وانما يقال من ذلك ما قالته العرب فقط ، والمحفوظ عنده « حضرمي » في النسبة الى « حضرموت » ، و « تيملي » في النسبة الى « تيم اللات » ، و «عبدري » و « عبقسي » و « مرقسي» و « عبشمي» في النسبة الى « عبدالدار » و « عبدالقيس » و « امريء القيس » الشاعر ابن حجر ، و « عبدشمس »[2] .

٦ ـ تصغير احد المترادفين والاستغناء به عن تصغير مرادفه

انفرد ابن مالك في ذهابه الى اطراد الاستغناء بتصغير احد المترادفين ان جمعهما أصل واحد مثال ذلك « جليس » بمعنى « مجالس » أجاز في تصغير « جليس » « مجيلس » ، وفي تصغير « مجالس » « جُلَيِّس » . ولم يأخذ ابو حيان برأي ابن مالك هذا ولم يوافقه فيه انما قال « وهذا الذي ذكره لم اره لغيره فينبغي التوقف فيه حتى ينقل ذلك ائمة العربية المستقرئون للسان العرب »[3] .

٧ ـ مصدر « فَعِل » القياسي

اشترط ابن مالك في بعض تصانيفه في « فَعِلَ » المتعدي الذي

---

(١) ينظر الارتشاف ص ٤١ ، والاشباه والنظائر ج ١ ص ٥٢

(٢) ينظر الارتشاف ص ٥٨ ب ، وتاريخ علوم اللغة العربية ـ طه الراوي ص ٢٧

(٣) الارتشاف ص ٣٦

قياس مصدره « فَعْل » ان يكون مما يقتضي عملا بالفم نحو « زَرِدَ ــ زَرْداً » ، و « بلِعَ ــ بلعا » و « سَرِطَ ــ سرْطاً » و « لَقِمَ ــ لَقْما » . قال ابو حيان فزاد هذا الشرط في «فَعِل» المتعدي وهو ان يكون عملا بالفم ، والذي عليه نصوص النحويين انه ينقاس « فَعْل » في مصدر الثلاثي مطلقا »[1] .

٨ ــ الاستغناء بـ « تفعِلة » في مصدر المهموز اللام من «فَعَّل» عن « التفعيل »

ذهب ابن مالك في « التسهيل » الى انه يستغنى بـ « تفعلة » في المهموز اللام عن « التفعيل » . وخالفه ابو حيان في ذلك وردّ عليه ورأى ان ابن مالك قد غلط في ذلك لاعتماده على قول من زعم ان سيبويه لا يجيز في المهموز إلا « تفعلة » مصدرا لـ « فَعَّل » المهموز اللام دون « التفعيل » ، الا في « تنبيء » لكونه سمع ، وقال « والصحيح انه لا نص في كتاب سيبويه على ما ذكر هذا الزاعم وقوله مخالف لنقل ابي زيد عن العرب ان « التفعلة » و « التفعيل » مصدران للمهموز ، وقال ابو زيد « التفعيل » فيه اكثر كلام العرب .فيكون على هذا التجزيء اكثر من التجزئة »[2] .

٩ ــ مصدر « فاعَل »

يأتي مصدر « فاعل » عند ابن مالك على بنائين « المفاعلة » و « الفِعال » ، وذلك نحو ضارب مضاربة وضرابا ، وذكر في غير الارجوزة الالفية ان « فِعالا » ندر فيما فاؤه ياء وذلك نحو :« ياوم»: « يواماً » . أما أبو حيان فقد ردّ عليه مجيء هذين البنائين مقيسين في مصدر « فاعل » وقال « وظاهر كلامه انهما مقيسان في « فاعل » ، واللازم عند سيبويه في مصدر « فاعلت » « المفاعلة » قال سيبويه

(١) منهج السالك ص ٣٤٢

(٢) ينظر منهج السالك ص ٣٤٢ ، والارتشاف ص ٤٧

واما « فاعلت » فان المصدر الذي لا ينكسر ابدا «مفاعلة» • انتهى ولذلك لا يطرد الفعال » في نحو « جالَسَ » و « قاعَدَ » لا يقال فيه الجِلاس ولا القعاد »[1] •

١٠ ــ اسم المرة :

اطلق ابن مالك القول بان اسم المرة من الثلاثي المجرد يأتي على وزن « فَعْلَة » ، وبانه يصاغ مما زاد على ثلاثة بزيادة « تاء » على مصدره •

لكن أبا حيان قيد هذا الاطلاق بان اشترط في الفعل الذي تأتي منه المرة على « فَعلة » من الثلاثي المجرد أن لا يكون مصدره قد جاء على « فَعلة » فان كان مصدره كذلك فلا يُدل على المرة منه بـ « فَعلة » انما يفهم ذلك من قرينة حال او من نعت نحو « رحِمَهُ رحمة واحدة » و « رغب اليه رغبة واحدة » •

وقَيَّدَ الفعل الذي تصاغ منه المرة بزيادة « تاء » على مصدره عند ابن مالك ، بان تكون الزيادة على مصدره المقيس فلا تزاد على غير المقيس ، وبان يكون المصدر المقيس لم يوضع على تاء التأنيث ، فان وضع عليها فالتاء فيه ليست للمرة بل تفهم المرة منها بقرينة حال او بالوصف فيقال « دحرج دحرجة واحدة » ، و « ضارب مضاربة واحدة »[2] •

١١ ــ الصفة المشبهة

جوز ابن مالك القياس على ما جاء قليلا نادرا من الصفات المشبهة الجامدة فقال قد يقال «وردنا منهلا عَسلاً ماؤه »و« عسل الماء»، و « نزلنا بقوم اسدٍ انصارُهم » و « اسدِ الانصار » ، و « صحبنا حيّا اقمارا نساؤه » و « اقمارَ النساء » على تأويل « عسل »

(١) ينظر منهج السالك ص ٣٤٨ ، وينظر الارتشاف ص ٤٧

(٢) ينظر منهج السالك ص ٣٤٨ ــ ٣٤٩ ، والارتشاف ص ٤٦

بـ « حلو » ، و « اسد » بـ « شجعان » ، و « اقمار » بـ «حسان» قياسا على ما جاء من قول الشاعر

فلولا الله والمهر المفدى لأُبت وانت غِربالُ الإهاب

وقول الآخر

فراشةالحلم فرعون العذاب وان تطلب نداه فكلب دونه كلب

أما أبو حيان فقد خالفه في ذلك وردّ عليه بعدم جواز أن يقال « مررت برجل اسد الاب » في فصيح الكلام وان ما جاء من هذا فبابه الشعر وهو نادر[1] .

١٢ ـ التعجب

١ ـ ذهب ابن مالك الى انه قد سمع قولهم « ما اذرع فلانة » أي ما اخفها في الغزل من قولهم « امرأة ذراع » ولم يسمع من « امرأة ذراع » فعل . ورد ابو حيان ذلك عليه مستشهدا بما اورده ابن القطاع من قولهم « ذرعت المرأة » خفت يداها في العمل فهي ذراع[2] .

٢ ـ وجوز ابن مالك ان يأتي فعل التعجب مما جاء الوصف منه على « افعل ـ فعلاء » اذا كان مفهما عسرا أو جهلا ، واورد من ذلك ما احمقهُ وأرعنه وأهوجه وأنوكه وألدّه من حمق ورعن وهوج ونوك ولدّ ـ اذا كان عسر الخصومة ـ .

أما ابو حيان فلم يجوز ذلك لا هو ولا اصحابه وعندهم ان ماجاء منها فهو على سبيل الشذوذ[3] .

٣ ـ وردّ عليه بمثل ذلك ذهابه الى ان صوغ فعل التعجب

---

(١) ينظر منهج السالك ص ٣٥٧

(٢) ينظر الارتشاف ص ٢٨٨ ، ومنهج السالك ص ٣٧٥

(٣) ينظر الارتشاف ص ٢٨٨ ، ومنهج السالك ص ٣٧٦

وافعل التفضيل من فعل المفعول الثلاثي الذي لا يلتبس بفعل الفاعل لا يقتصر فيه على السماع بل يحكم باطراده لعـــدم الضائر وكثرة النظائر[1] ٠

٤ ــ وذهب ابن مالك الى ان تصغير « أفعَل » في التعجب انما هو لشبهه بـ « افعل التفضيل » وهـــذا التصغير في غايـة الشذوذ فلا يقاس على « ما اميلحه » فيقال في «ما اجمله وما اظرفه » « مـا اجيمله وما اظيرفه » ، وردّ على ابن كيسان قياسه تصغير « أفعَل » و « أفعِل » ٠ وخالف ابو حيان ابن مالك في جعله تصغير « أفعَل » في غاية الشذوذ وذهب الى ان قياس تصغير « أفعَل » هو الصحيح لانه ظاهر كلام الناس ، ومسموع من كلام العرب في حين ان تصغـير « أفعِل » بكسر العين لم يسمع من العرب[2] ٠

٥ ــ وذهب الى ان فعلي التعجب « ما افعله » و « افعل به » منعا التصرف ، يقول في ارجوزته

وفي كلا الفعلين قدما لزمـا منع تصـــرف لحكم حتمـا

لكنه جاء في احدهما التصرف ، يقول أبو حيان « وماذكره الناظم من ان كلا الفعلين منع التصرف صحيح ، لكن في « افعل » بعد « ما » خلافا ، ذهب البصريون الى انه يلزم فيه لفظ المضي لا خلاف عنهم في ذلك فتقول « ما احسن زيدا » ٠ واجاز هشام بن معاوية الضرير من رؤوس الكوفيين ان تقول « ما يحسن زيداً » فتأتي به مضارعاً[3] ٠

١٣ ــ اسم التفضيل

يرى ابن مالك انه يوصل الى التفضيل مما فقد أحد الشـروط بما يوصل به الى التعجب منه ٠ وقد تعقبه ابو حيان في ذلك وردّ عليه

---

(١) ينظر الارتشاف ص ٢٨٨ ب ــ ٢٨٩ و ص ٣٢٩ ب ، ومنهج السالك ص ٣٧٧

(٢) ينظر الارتشاف ص ٢٨٦ ، ومنهج السالك ص ٣٨٣

(٣) ينظر منهج السالك ص ٣٧٣ ــ ٣٧٤

بأن بعض الافعال لا يبنى منه فعل التعجب نحو « يذر » و « يدع »، ونحو الفعل المبني للمفعول نحو « ضُرِب زيد » لكن يتوصل الى التعجب بجعل ذلك الفعل صلة لـ « ما » المصدرية ، وتكون « ما » مع الفعل في موضع نصب على المفعول ، ويؤتى بما يسوغ التعجب منه فتقول « ما اكثر ما يذر زيد الشيء » و « ما اكثر ما ضُرِبَ زيد » ، ولا يجوز ذلك في « افعل » التفضيل لا تقول : « زيد ما يذر الشيء من عمرو » ، ولا « زيد اكثر ما ضُرب من عمرو »[1] .

١٤ ــ الزيادة في نحو صمحمح واقعنسس وعلّم

ذهب ابن مالك الى التفصيل في نحو « صمحمح » فحكم بزيادة الثاني والثالث فيه وفي امثاله ، وبزيادة الثالث والرابع في نحو « مرمريس » . وان الثاني في نحو « اقعنسس » والاول في نحو « علّم » اولى بالزيادة .

وخالفه ابو حيان في ذلك وقال بان قول ابن مالك هذا لم يكن مذهبا لاحد انما جمع بين مذهب الخليل ومذهب سيبويه وكوّنَ مذهبا ثالثا على عادته ، جمع فيه بين المذهبين[2] .

ثانيا : النحو :

وخالف أبو حيان ابن مالك في كثير من مسائل النحو وردّ عليه فيها ، من ذلك

١ ــ بناء الاسم

جعل ابن مالك من اسباب بناء الاسم شبهه الوضعي بالحرف ، ويرى أبو حيان ان ابن مالك قد انفرد بالقول بمراعاة الشبه الوضعي وبان احدا لم يقل بذلك . فقال « ولم اقف على مراعاة هذا الشبه الوضعي الا لهذا الرجل بل المنقول في كتب اصحابنا ان من النحويين

---

(١) ينظر منهج السالك ص ٤٠٨

(٢) الارتشاف ص ١٧ ب ، والاشباه والنظائر ج١ ص ٤٥

من اقتصر على شبه الحرف او تضمن معناه وهو الفارسي ، وفسر شبه الحرف بالشبه في الاقتصار كالموصولات واسماء الاشارة والضمائر ، واكثر اصحابنا ذهبوا الى الزيادة على هاتين العلتين فزعموا ان البناء لشبه الحرف ، او لتضمنه معناه ، او لوقوعه موقع المبني ، أو لمضارعته هذا ، او لاضافته الى مبني ، او لخروجه عن النظير . وزعم المبرد ان من موجبات البناء كثرة العلل الموجبة لمنع الصرف »[1] .

٢ ـ العلامات المميزة للفعل

جعل ابن مالك من العلامات التي تميز الفعل عن الاسم والحرف: « تاء الضمير » و « تاء التأنيث الساكنة » ، و « نون التوكيد » .

ولم ير أبو حيان ذلك ، بل كان يرى ان هذه العلامات ليست مقصورة على الافعال ، لان تاء التأنيث الساكنة وتاء الضمير لم يجعلها من خواص الفعل بعض النحويين ، فقد ذهب ابو بكر بن شقير وابو علي الفارسي الى ان « ليس » حرف ومع ذلك تلحقها هاتان الاداتان مما يدل على عدم اختصاصها بالفعل . واما نون التوكيد فقد دخلت على الاسم في الشعر فهي ليست خاصة بالافعال قال الشاعر

أريت أن جاءت به املودا مرجلا ويلبس البرودا
أقائلنّ احضروا الشهودا

لذلك فالافعال لا تتميز بهذه العلامات عند ابي حيان[2] .

٣ ـ مواقع احتمال الماضي للاستقبال

اورد ابن مالك للماضي حالة يحتمل فيها الاستقبال والمضي وذلك إذا وقع بعد همزة التسوية نحو « سواء" علي اقمت أم قعدت » ، اذ

---

(١) منهج السالك ص ٦ ، وينظر التذييل والتكميل القسم المطبوع ج ١ ص ٦٨ ـ ٦٩

(٢) ينظر منهج السالك ص ٥ ، وينظر شرح التصريح على التوضيح للازهري ج ١ ص ٤١ ـ ٤٢ ، وحاشية لعليمي على التصريح ج١ ص ٤١ ـ ٤٢

يحتمل ان يراد ما كان منك قيام أو قعود ،او : ما يكون منك من ذلك • وسواء كان الفعل معادلا بـ « أم » ام لا نحو « سواء علي أي وقت جئتني » • فان كان الفعل بعد « ام » مقرونا بـ « لم » تعين المضي نحو: « سَوَاء عليهم أأنذرتَهُم ام لم تنذرْهم »[1]،لان الثاني ماضٍ معنى ، فوجب مضي الاول لانه معادل له • او وقع بعد اداة تحضيض نحو « هلا فعلت » ان اردت المضي فهو توبيخ نحو « فَلولا كان من القُرون من قبلِكُم أولو بَقيَّة »[2] • او الاستقبال فهو امر به نحو « فلولا نَفَر »[3] أي لينفر • أو بعد « كلما » فالمضي نحو « كلما جاءَ امةً رسولُها كذَّبُوه »[4] ، والاستقبال نحو « كلما نَضِجت جلودُهم بدّ لنا هم »[5] •او بعد « حيث » فالمضي نحو « فاتوهُنَّ من حيث أمرَكم اللهُ »[8] ، والاستقبال نحو « ومن حيثُ خرجت فَوَلّ »[4] • أو وقع صلة فالمضي نحو:« الذين قال لهم الناسُ »[5] • والاستقبال نحو « الا الّذين تابُوا من قبل ان تَقدِروا عليهِم »[6] • وقد اجتمعا في قوله اني لآتيكم بذكر ما مضى من الامر واستيجاب ما كان في غد • أو وقع صفة لنكرة عامة فالمضي نحو « رب رفد هرقته ذلك اليوم » ، والاستقبال كحديث « نضر الله امرءً سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها » • أي يسمع لانه ترغيب لمن ادرك حياته في حفظ ما يسمعه منه •

وانكر ابو حيان هذا القسم بجميع صوره وقال بعد ان ذكرها

---

(١) سورة البقرة الآية ٦
(٢) سورة هود ، الآية ١١٦
(٣) سورة التوبة الآية ١٢٢
(٤) سورة المؤمنون : الآية ٤٤
(٥) سورة النساء : الآية ٥٦
(٦) سورة البقرة : الاية ٢٢٢
(٧) سورة البقرة الآية ١٤٩ و ١٥٠
(٨) سورة آل عمران الآية ١٧٣
(٩) سورة المائدة : الآية ٣٤

« والذي يظهر الحمل على المضي لابقاء للفظ على موضوعه ، وانما فهم الاستقبال فيما مثل به من خارج ، فاذا ورد شيء من هذه المسائل وقفنا فيه مع الظاهر حتى يقوم دليل على انه ماض اريد به الاستقبال »[1] •

٤ ــ حكم همزة « ان »

١ ــ بعد القسم

اختار ابن مالك في همزة « ان » بعد القسم جواز الفتح والكسر اذا لم يكن بعدها اللام ، والكسر ان كان بعدها اللام • ويرى ابو حيان ان اختياره هذا غير مختار ، والمذاهب في ذلك اربعة اجازتهما واختيار الفتح ، واجازتهما واختيار الكسر ، ووجوب الفتح ، ووجوب الكسر ، وهو الذي صححه اصحاب ابي حيان وهو القياس عنده ، وبه ورد السماع وهو مذهب البصريين[2] •

٢ ــ اذا سد المصدر مسدها

وذهب ابن مالك الى ان همزة « ان » تفتح اذا سدَّ المصدر مسدها مثل « يعجبني ان زيد قائم » أي « يعجبني القيام » • ويرى ابو حيان عدم صحة هذا المذهب على الاطلاق لانه وجد همزة « ان » تفتح حيث لا يسد المصدر مسدها ولا تكسر وذلك في مواضع احدها: مجيئها بعد « ما » التوقيتية نحو قولهم « لا اصحبك ما أنّ في السماء نجما » ، والثاني مجيئها بعد « ظننت » واخواتها ، فانها تفتح ولا يسد المصدر مسدها وذلك نحو « ظننت أنّ زيدا قائم » على مذهب سيبويه فلا يصح « ظننت قيام زيد » • الثالث: ان يكون خبرها جامدا نحو : « عرفت أنّ هذا حجر » فلا يسد المصدر هنا مسدّها ، والرابع: مجيئها بعد « لو » نحو « لو أن زيدا قائم لقمت » ولا يصح : « لو

---

(١) التذييل والتكميل القسم المطبوع ج ١ ص ٥٨ ــ ٥٩ ، وينظر الارتشاف ص ٢٨٠ وهمع الهوامع ج ١ ص ٩

(٢) ينظر منهج السالك ص ٧٥

قيام زيد لقمت »[1] .

٥ ــ المعطوف على معمول « ان »

ذهب ابن مالك الى جواز رفع المعطوف على منصوب « ان » بعد استكمال الخبر نحو « ان زيدا قائم وعمرو » . والصحيح عند ابي حيان عدم جواز ذلك لا قبل الخبر ولا بعده وان ما روي عن العرب من الرفع انما هو محمول على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر قبله عليه ، والمشهور في كتب النحو جواز العطف على الموضع [2] .

٦ ــ الادوات العاملة عمل « كان »

١ ــ صار ذهب ابن مالك الى جواز مجيء خبر « صار » جملة مصدرة بماض وقيد ذلك بكون اسمها ضمير الشأن . وخطأه أبو حيان في ذلك ، لانه لا يجوز ان يقع خبر « صار » جملة فعلية مصدرة بماض مطلقا[3] .

٢ ــ ليس ادعى ابن مالك الاجماع على جواز توسيط خبر ليس، لكن ابان حيان نقل الخلاف في ذلك عن ابن درستويه . وهو مسموع ثابت من كلام العرب[4]

٣ ــ حذف اسم « ليس » دون قرينة

جوز ابن مالك حذف اسم ليس دون قرينة مستشهدا بقول الشاعر:

فاما الجود منك فليس جود

وخرّج أبو حيان واصحابه هذا البيت وامثاله على حذف الخبر، لانه لا يجوز عندهم حذف الاسم ولا حذف الخبر لا اقتصارا ولا اختصارا الا انه قد يرد حذف الخبر في الشعر وليس مختصا بـ « ليس » ، لذلك

---

(١) ينظر منهج السالك ص ٧٤

(٢) ينظر الارتشاف ص ١٦ ب ، ومنهج السالك ص ٨١

(٣) ينظر الارتشاف ص ١٤٢ ب

(٤) ينظر الارتشاف ص ١٤٤

خرجوا شواهد ابن مالك في حذف، الاسم على انها من حذف الخبر[١].

٤ ـ « ما » العاملة عمل ليس

ذهب ابن مالك الى ان دخول « إن » بعد « ما » العاملة عمل « ليس » يبطل عملها بلا خلاف فتقول « ما إن زيد قائم ». وليس كما ذكر، بل ذكر أبو حيان ان مذهب البصريين وجوب الرفع، أما الكوفيون فقد ذهبوا الى جواز النصب كما حكى ذلك يعقوب عنهم[٢].

٥ ـ « إن » و « لا » المشبهتان بـ « ليس »

ادعى ابن مالك ان عمل « لا » المشبهة بـ « ليس » كثير بخلاف عمل « ان »، والصحيح عند أبي حيان العكس فعمل « لا » قليل بخلاف عمل « ان »[٣].

٦ ـ اعلم وارى وما يعلق من الافعال

١ ـ ذهب ابن مالك الى ان لمفعولي « اعلم » و « ارى » الثاني والثالث ما لمفعولي « علم » و « رأى » الاول والثاني من احكام الالغاء والتعليق والحذف وغيرها. لكن ابان حيان يرى ان هذا المذهب مردود، « لان النحاة قد اختلفوا في جواز الالغاء والتعليق فيهما، فحكم صاحب التلخيص ان الالغاء لا يجوز في « اعلم » واخواتها قال ولا نعلم في ذلك خلافا. والمنع نص ابي موسى الجزولي، وقال بعض شراح الكراسة من الحفاظ لهذا العلم لم يجز الالغاء احد، واما التعليق فحكى صاحب التلخيص وغيره فيه خلافا وذكر ان النحويين منعوه .. »[٤].

٢ ـ وقد ذكر ابن مالك افعالا من غير هذا الباب جاء فيها التعليق

(١) ينظر الارتشاف ص ١٤٩ ب.
(٢) ينظر الارتشاف ص ١٤٩
(٣) ينظر الارتشاف ص ١٥٠
(٤) ينظر تفصيل ذلك في الارتشاف ص ٢٩٨ ب ومنهج السالك ص ١٠٠

منها « ابصر » في نحو قوله تعالى « فستبصر وتُبصِرون بأيكم المفتون »[1] •يقول ابو حيان « ولا يتعين ان يكون تعليقا » •

ومنها:« نسي » ، ذكر ابن مالك انها تعلق واستدل بقول الشاعر:

ومن انتمْ انا نســينا من انْتمُ

ويرى أبو حيان ان ما استدل به لا يُعيِّن التعليق •

ومنها « نظر » البصرية ، وقد ذهب ابن مالك الى جواز تعليقها وتبع في ذلك ابن خروف ، ورد ابو حيان ذلك بقول استاذه ابي جعفر ابن الزبير « ولم يذهب الى تعليق « نظر » غير ابن خروف وجعل من ذلك قوله تعالى « أفلا يَنظرون الى الابلِ كيفَ خُلِقتْ ؟ »[2]، وجعل ابن مالك « ليبلو » في قوله تعـــالى « لِيَبلُوَكُم ايُّكم احسن عملا »[3] تعليقا ، ولا يتعين ذلك عند ابي حيان اذ يجوز ان تكون موصولة بنيت وحذف صدر صلتها[4] •

٧ ــ الحال

١ ــ ذهب ابن مالك الى ان الحال المنفية قد تجر بباء زائدة نحو قوله

فما رجعت بخائبة ركاب"

وكقوله

فما انبثت بمرفود ولا وكل

تقديرهما عنده « فما رجعت خائبة ركاب » ، و « فما انبعثت مرفودا » •

(١) سورة القلم ، الآية ٥ و ٦
(٢) سورة الغاشية الآية ١٧
(٣) سورة هود ، الآية ٧ ، وسورة الملك ، الآية ٢
(٤) ينظر الارتشاف ص ٢٩٥ ، وهمع الهوامع ج١ ص ١٥٥ ــ ١٥٦

لكن أبا حيان رفض هذا وقال ان هذا المذهب لا يتعين وانه لا حجة في هذه الشواهد[1] .

٢ ــ وذهب ابن مالك في التسهيل الى ان صاحب الحال لا يكون في الغالب نكرة ما لم يخصص بنعت مثل « مررت برجل تميمي راكبا » . بينما ذهب أبو حيان الى جواز مجيئها من النكرة من غير اعتبار لما اعتبره ابن مالك من وجوب تخصيصها ، واستشهد على قوله بشواهد كثيرة من كلام سيبويه وغيره[2] .

٣ ــ واجاز ابن مالك تقديم الحال على صاحبها ان كا نمجرورا بحرف جر كقوله « مررت ضاحكة بهند » ، وقد ورد منه قوله تعالى « ومَا أرسلناكَ الا كافَّةً للنّاسِ »[3] وقول الشاعر

اذا المرء اعيته السيادةُ ناشئا فمطلبُها كهلاً عليه شديدُ

وغيرها من الشواهد .

ولم يجز أبو حيان ذلك ان كانت الحال اسما ، متابعاً في ذلك البصريين ، ورأى ان جميع ما استدلوا به من الشواهد على جواز تقديمها لا حجة فيه ،لانه شعر ، والشعر يجوز فيه ما لا يجوزفي الكلام، وقد تؤولت الآية بان « كافة » حال من « الكاف » في « ارسلناك » والهاء للمبالغة أي « وما ارسلناك الا كافا للناس »[4] .

٤ ــ وذهب الى ان « ليت » و « لعل » و « كأنّ » من الحروف التي تعمل في الحال ، وخالفه ابو حيان ورأى ان الصحيح عدم جواز ذلك ، لان شيئا من هذه الاحرف لا يعمل في ظرف ولا حال،ولا يتعلق بها حرف جر الا « كأنّ » و « كاف التشبيه » قال النابغة

---

(١) ينظر الارتشاف ص ٢٠٣ ، و ١٥١ ، وهمع الهوامع ج١ ص ١٢٧
(٢) ينظر الارتشاف ص ٢٠٦ ب ، ومنهج السالك ص ١٩٠ ــ ١٩١
(٣) سورة سبأ الآية ٢٨
(٤) ينظر الارتشاف ص ٢٠٧ ، ومنهج السالك ص ١٩١ ــ ١٩٢

كأنه خارجا من جنب صفحته سَفُّود شرب نسوه عند مفتأد

وتقول « كأن زيدا غضبانَ اسد » ، وانما اختصت « كأنّ » و « كاف التشبيه » بالعمل في الحال عند ابي حيان دون « ليت » و « لعل » وغيرها من الحروف ، لان فيهما دلالة على التشبيه ، والشبه مسند الى زيد ونحوه اذا قلت « كأنّ زيدا أسد » فشاركت الافعال من هذا الوجه فعمل ذلك المعنى الذي هو الشبه المسند الى « زيد » في الحال والظرف والمجرور • وليس ذلك في التمني ، ولا التأكيد ولا النفي ونحوها[1] •

٥ ــ ومنع ابن مالك تقديم الحال على العامل ان كان العامل نعتا نحو « مررت برجل مسرعا راكبا » ، وجوزه ابو حيان فقال « ولا نعلم خلافا في جوازه وجواز مثله نحو « مررت برجل مسرعا يركب الفرس » يريد « يركب الفرس مسرعا » ، ويركب هو نعت لـ « رجل » وانما امتنع ذلك في تمثيله من جهة عود الضمير متقدما على ما يفسره اذ يصير التركيب « مررت برجل مكسورا سرجها ذاهبة فرسه » لا من جهة كون العامل نعتا »[2] •

٨ ــ التوكيد

١ ــ زعم ابن مالك انه يستغنى باضافة « كل » الى مثل الظاهر المؤكد عن الاضافة الى ضميره ، وانشد على ذلك قوله

يا اشبه الناس كل الناس بالقمر

ونحو ذلك • قال ابو حيان « والذي ذكر الناس ان « كل » في التوكيد يضاف الى ضمير المؤكد ويحمل ما انشد على انه نعت بيِّن كمال المنعوت وهو امدح ، وقد مثل في باب النعت بقوله

(١) ينظر الارتشاف ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ ، ومنهج السالك ص ١٩٩

(٢) ينظر الارتشاف ص ٢٠٧ ب وهمع الهوامع ج١ ص ٢٤٢

« زيد الرجل » وانه نعت بمعنى « الكامل » ، وقد غره من ذلك صلاحية « كلهم » مكان « كل الناس »[1] •

٢ ــ وذهب الى انه قد يستغنى بـ « اجمعين » في التوكيد به عن التوكيد بـ « كل » قبله لكثرة وروده في القرآن الكريم بدون «كل»• ورده ابو حيان بانه ليس من باب الاستغناء وانما يؤكد به كما يؤكد بـ « كل » منفردة »[2]•

٩ ــ حكم اسم الاشارة في النداء اذا وصفت به « أي »

ذهب ابن مالك وابن عصفور الىجواز الاقتصار علىاسم الاشارة وصفا لأي بعد اداة النداء واستشهدا بقول الشاعر

أي هذانِ كُلا زادَكما ودعاني واغلا فيمن وغل

وهذا البيت الذي بنيا عليه حكمهما نادر شاذ لا تبنى عليه القواعد عند ابي حيان والصحيح عنده وجوب اتباع اسم الاشارة بنعت معرف بـ « أل »[3] •

١٠ ــ احرف النداء

ذهب ابن مالك في « شرح التسهيل » الى ان « اعتبار صحة النداء بـ « أيا » و « هيا » و « أي » اولى من اعتبارها بـ « يا » ، لان « يا » قد كثرت مباشرتها الفعل والحرف نحو « يا حبذا » و « يا ليتني » وانما اختص بالنداء ، لان المنادى مفعول في المعنى، والمفعولية لا تليق الا بالاسم •

ورد أبو حيان رأي ابن مالك هذا وقال « اما ما ذكر من اعتبار النداء بـ « أيا » و « هيا » و « أي » فليس بجيد ، لان هذه الحروف

(١) الارتشاف ص ٢٦٥

(٢) ينظر الارتشاف ص ٢٦٥ ب

(٣) ينظر الارتشاف ص ٣٠٩ ب

يقل النداء بها حتى انها لم يجيء شيء منهـا في القرآن ولا في كـلام الفصحاء الا ان كان بعضها ورد في الشعر فالاولى اعتبار النداء بحرفه المشهور الذي هو « يا » . واما دخول « يا » على الفعـل والحرف فليست للنداء على أصح القوانين ، وانما هي للتنبيه فـ « يـا » لفظة تكون للنداء وتكون لمجرد التنبيه . واما قوله « لان المنادى مفعول في المعنى » فهذا سبقه اليه الجزولي في قوله « المنـادى مفعول في المعنى والفعل لا يكون مفعولا فلا يكون منادى » . وظاهر هـذا الكلام ان المنادى ليس بمفعول صحيح من جهة اللفظ والمعنى .فان كان المصنف هنا وافق سيبويه فيكون قد اساء العبـارة حيث خص جانب المفعولية بالمعنى دون اللفظ »[1] .

١١ ـ اعراب الملحق بجمع المذكر السالم

اجاز ابن مالك في نحو:عشرين وبابه وما الحق بجمع المذكر السالم ان يجعل الاعراب في النون وتلزم الياء فقال ولو عومـل معاملة « سنين » « عشرون » واخواته لكان حسنا لانها ليست جموعا فكان لها حق في الاعراب بالحركات كـ « سنين » . لكن ابا حيان منع ذلك وقال لان اعرابها اعراب الجمع على جهة الشذوذ فلا نضم اليه شذوذا آخـر »[2] .

١٢ ـ نواصب المضارع

١ ـ اضمار « أن » بعد لام الجحود

ذهب ابن مالك الى ان « أن » لازمة الاضمار بعـد « لام » الجحود ، وان النصب بها ، وزعم ان الفعلَ بعد اللام هو الخبر لـ «كان» وان « اللام » مؤكدة لنفي الخبر . وخالفه ابو حيان وذهب الى ان قوله هذا يتركب منه مذهب لم يقل به بصري ولا كوفي، لان الكوفيين

---

(١) التذييل والتكميل ج١ ص ٢٩ ـ المخطوط ، و ص ٣١ ـ القسم المطبوع .
(٢) ينظر الارتشاف ص ٥٤ ، وهمع الهوامع ج١ ص ٤٧

يذهبون الى ان الفعل الواقع بعد لام الجحود هو خبر « كان » و « اللام » للتوكيد ، ويذهب البصريون الى ان الخبر محذوف واللام متعلقة بذلك الخبر المحذوف وقدروه « ما كان زيد مريدا ليفعل » ، وانما ذهبوا الى ذلك لان اللام جارة عندهم وما بعدها في تأويل مصدر »[1] .

٢ ــ كي

اتبع ابن مالك الكوفيين في ذهابهم الى ان « كي » تنصب بنفسها ان كانت الموصولة ، وبـ « أن » مضمرة بعدها غالبا ان كانت الجارة ، ويرى أبو حيان والبصريون ان « أن » مضمرة بعدها على سبيل الوجوب فلا يجوز اظهارها »[2] .

٣ ــ النصب باضمار « أن » في جواب الاستفهام

تبع ابن مالك أبا علي الفارسي في ذهابه الى ان الاستفهام اذا تضمن وقوع الفعل لا ينتصب الفعل باضمار « أن » في جوابه ، فقال في « التسهيل » حين عدّ ما يضمر « ان » لزوما في الجواب :« اولاستفهام لا يتضمن وقوع الفعل » ، فان تضمن وقوع الفعل لم يجز النصب عنده نحو « لم ضربت زيدا فيجازيك ؟ » ، لان الضرب قد وقع

ولم يشترط أبو حيان ذلك ، ولم ير أحدا من اصحابه يشترط هذا الشرط في الاستفهام بل يرى انه اذا تعذر سبك مصدر مما قبله اما لكونه ليس ثم فعل ولا ما في معناه ينسبك منه ، واما لاستحالة سبك مصدر مرادا استقباله لاجل مضي الفعل فانما يقدر فيه مصدر مقدر استقباله مما يدل عليه المعنى ، فاذا قال : « لمَ ضربت زيداً فاضربك ؟ أي ليكن منك تعريف بضرب زيد فضرب مِنّا »[3] .

---

(١) ينظر الارتشاف ص ٢١٩ ب ، وشرح الاشموني ج٣ ص ٥٥٧

(٢) ينظر الارتشاف ص ٢١٨

(٣) لبحر المحيط ج٢ ص ٤٩٢

١٣ ـ جوازم المضارع

١ ـ اقتران جواب الشرط بالفاء « وقد » ومجيئه ماضيا

ذهب ابن مالك تابعا الجزولي وغيره الى ان الفعل المقرون بـ « الفاء » و « قد » ظاهرة او مقدرة يكون جوابا للشرط وهوماضي اللفظ والمعنى نحو « إن يَسرِق فقد سَرَقَ اخٌ له »[١] ، و « إن كانَ قميصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فكَذَبَتْ »[٢] أي فقد كذبت ، وقد رَدَّ أبو حيان ذلك وقال بانه مستحيل من حيث ان الشرط يتوقف عليه مشروطه فيجب ان يكون الجواب بالنسبة اليه مستقبلا ، والا لزم من ذلك تقدم المستقبل على الماضي في الخارج او في الذهن وذلك محال فيتأول ما ورد من ذلك على حذف الجواب أي « ان سرق فقد سرق اخ له من قبل »[٣] .

٢ ـ سدّ خبر ما قبل اداة الشرط مسدّ الشرط

وذهب ابن مالك الى ان خبر ما قبل الشرط قدسدّ مسدّ الشرط في مثل قوله تعالى « إنّا ان شاءَ اللهُ لمهتدون »[٤] .لكن الصحيح عند ابي حيان انالجوابمحذوففيهالا ان الخبر قدسَدَّمسدّه»[٥] .

٣ ـ مجيء فعل الشرط مضارعا والجزاء ماضيا

اجاز ابن مالكـمتابعا الفراءـمجيءفعل الشرط مضارعا والجزاء ماضيا في الاختيـار نحو « ان تقم قمت ، وإن لم تقم اقم » . ولا يجوز ذلك عند أبي حيان الا في الشعر ، كما استنتج من كلام سيبويه ضعفه وقبحه »[٦]

---

(١) سورة يوسف الآية ٧٧
(٢) سورة يوسف الآية ٢٧
(٣) ينظر همع الهوامع ج٢ ص ٥٩
(٤) سورة البقرة الآية ٧٠
(٥) ينظر الارتشاف ص ٢٥٣ ب
(٦) ينظر الارتشاف ص ٢٥٤

٤ـ اهمال « إن » الشرطية

ذهب ابن مالك الى جواز اهمال « ان » الشرطية فيرفع مابعدها حملا على « لو » كحديث « فانك إلا تراه فانه يراك » . والى جواز اهمال « متى » حملا على « إذا » كحديث البخاري « وانـه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس » . وردّه أبو حيان بان قوله هـــذا غريب ، ورَدّ عليه استدلاله بالحديث في اثبات القواعـد والاحكام النحوية »[1] .

١٤ ـ اجتماع الشرط والقسم

أجاز ابن مالك ـ متابعا الفراء ـ أن يكون الجواب للشرط مع تقدم القسم عليه ،اذا اجتمع الشرط والقسم،فتقول:«واللهانقامزيديقم عمرو » فيستغنى بجواب الشرط عن جواب القسم ويـكون جواب القسم محذوفا لدلالة جواب الشرط عليه ، وردّ ابو حيان ذلك وذهب الى ان الجواب للقسم ان كان هو السابق[2] .

١٥ ـ الحروف التي يتلقى بها القسم

ذكر ابن مالك في الحروف التي يتلقى بها القسم « ما » و « لا » و « ان » ، وقال بانه لا فرق في ذلكبين الاسمية والفعلية الا انالاسمية اذا نفيت بـ « لا » قدم الخبر ، او كان المخبر عنه معرفة لزم تكرارها في غير الضرورة نحو « والله لا زيد في الدار ولا عمرو » و « لعمري لا أنا هاجرك ولا مهينك » . قال ابو حيان وغلط في ذهابه الى ان الجملة الاسمية لا تنفى بـ « لا » وفي النهاية الجملة الاسمية تنفيها بـ « ما » على اللغتين و بـ « لا » نحو « لا رجل في الدار » ولا يجب تكرارها »[3] .

وأبو حيان هو المخطيء فيما نرى ، لانه مثل للنكرة بعد لا ولم

---

(١) ينظر همع الهوامع ج٢ ص ٥٨

(٢) ينظر الارتشاف ص ٢٣٨ ، وهمع الهوامع ج٢ ص ٤٣

(٣) ينظر الارتشاف ص ٢٣٧ ب ، وهمع الهوامع ج٢ ص ٤١

يمثل للمعرفة لذلك لا يجوزها تكرارها .

١٦ ــ السين وسوف

قال ابن مالك « واتفقوا على ان اصل « سف » و « ســـو » و « سي » « سوف » وزعموا ان « السين » اصل برأسها غير مفرعة على « سوف » ولكنها منها كنون التوكيد الخفيفة من نون التوكيـد الثقيلة قال:وهذا عندي تكلف ودعوى مجردة عن الدليل ،وليس كذلك القول بان نون التوكيد الخفيفة اصل برأسها لان الذي حمل على ذلك أنا رأينا الخفيفة تنفرد بمعاملة لا تعامل بها الثقيلة كحذفها عند ملاقاة ساكن نحو ان تصل « قومن » بـ « اليوم » تقول « قومَ اليوم » ، وكابدالها الفاً في الوقف اذا انفتح ما قبلها نحو: « لنسفعا » ولو كانت مخففة من الثقيلة لكان حذفها بعد الحذف منها اجحافا ، ولما جـاز ان تبدل « الفا » ، لان ابدال الباقي بعد الحذف تغيير ثان وذلك اجحاف أيضا ، فلما كان هذا القول مفضيا الى هذا المحظور وجب اطراحه . والقول بان « السين » فرع « سوف » لا يفضي الى مثل ذلك فوجب قبوله ، وأيضا فقد اجتمعنا على ان « سوف » و « سو » و « سي »عند من اثبتها فروع « سوف » فلتكن « السين » ايضا فرعهـا ، لان التخصيص دون مخصص مردود وهذا التصرف في « سوف » شبيه بالتصرف في « ايمن الله » وفي « حاشى » وفي « أف » . ولكن ابـا حيان يرى انه لا دليل في كلامه مستشهدا بان « أن » المخففة من الثقيلة هي فرع عنها بلا خلاف يعلمه في ذلك ، وقد انفردت باحكام منهـا الالغاء ، ومنها دخول اللام في ثاني جزئي الكلام لزوما ، ومنها دخولها على الافعال النواسخ،ولا يجوز شيء من ذلك في الثقيلة،وكذلك«أن» و«كأن»هما مخففتان من الشديدة ولهما احكام لا تكون لهمـا حالة التشديد.وأما ان يكون الحذف في نحو :« قومَ اليوم »،والابدال في: « لنسفعاً » اجحافا فليس كذلك لان هذا أمر عارض فاحتمل فيه ذلك كما احتمل حذفها بعد الضمة والكسرة في الوقف في مثل « اضربن »

و « اضربْن » فصار « اضربوا » و « اضربي »،وقال بعضهم: لوكانت « السين » فرع « سوف » ك « سف » و « سو » لكانت أقـــل استعمالا منها ، لانها ابعد عن الاصل اذ حذفت الواو والفاء وهو اقرب لقلة الحذف والاصل احق بكثرة الاستعمال من الفرع ،والفرع الاقرب احق من الابعد . ورد هذا التعليل بانه قد يفوق الفرع الاصل ك«نعم» و « بئس» اذ اصلهما «نَعِم» و « بَئِس» ، و ك « أخ » و « أب » فان النقص والقصر فيهما والقصر هو الأكثر فلأن يفوقفرع فرعا اولى. وقال بعضهم « لو كانت « السين » فرعا لتساوت مدة التسويفوهو في « سوف » اطول ، فكل واحدة اصل برأسها »[1] .

١٧ ــ نعم وبئس

١ ــ اجاز ابن مالك أن يؤكد فاعل « نعم » و « بئس » تأكيدا لفظيا فيقال:«نعم الرجلالرجل زيد».ولم يجز ابو حيانذلك الا انورد به سماع عن العرب »[2] .

٢ ــ ويكثر حذف مخصوص « نعم » و « بئس » عند ابن مالك وتخلفه الصفة ان كانت فعلا نحو « نعم الصاحب تستعينبهفيعينك». أي:رجل تستعين به.وهذه المسألة منعها أبو حيان وقال ان فيهاخلاف: اجازها الكسائي ومنعها النحاة »[3] .

٣ ــ وذهب ابن مالك الى انه لا يجوز حذف المخصوص وابقاء التمييز في فصيح الكلام انما ذلك نادر شاذ . وذهب ابو حيان الى ان ما ذهب اليه ابن مالك غير صحيح بل يجوز حذفه في فصيح الكلاممع الاقتصار على ذكر التمييز قال تعالى : « بئسَ للظالمينَ بَدلا »[4] أي: ابليس ، ورؤيته ، وقال تعالى « بئسَ الشراب وسَاءَتْ مرتفقا »[5]

---

(١) ينظر التذييل والتكميل ج١ ص ٥٦ المخطوط و ج١ ص ٥٢ ــ ٥٣ / المطبوع .
(٢) ينظر الارتشاف ص ٢٨٢ ، وهمع الهوامع ج٢ ص ٨٥
(٣) ينظر الارتشاف ص ٢٨٤
(٤) سورة الكهف الآية ٥٠
(٥) سورة الكهف الآية ٢٩

أي تلك النار[1] .

١٨ ـ حبـذا

اجاز ابن مالك ان يستغنى بالتمييز عن « ذا » ، واستدل بقوله: « وحَبَّ دينا » . ولا دليل في ذلك عند أبي حيان اذ هو من باب« نعم رجلا » أي حبّ دينا ديننا ، اضمر في « حب » كما اضمرفي« نعم»، و « دينا » تمييزٌ لذلك المضمر ، وحذف المخصوص لدلالـة المعنى عليـه[2] .

١٩ ـ معمول اسم المفعول

اجاز ابن مالك اضافة اسم المفعول الى مرفوعه نحو « زيـد مضروب الظهر » ، ورد ابو حيان ذلك وذهب الى ان هـذه الاضافة ليست اضافة من مرفوع انما هي من منصوب لان اصـل المثـال « مضروبٌ الظهرَ »[3] .

٢٠ ـ عمل الصفة المشبهة

وظهر من كلام ابن مالك في الالفية ان الرفـع والنصب والجر بالصفة المشبهة سواء في جميع أنواعها معرفة ونكرة ، مضافة الى معرف بـ « أل » أو الى ضمير أو الى مضاف الى ضمير . وليست كذلك عند أبي حيان بل تتفاوت في الجواز ، ومنها ما يختص جوازه بالشعر عند بعضهم ، أو يقل عند بعضهم ، ومن ذلك ما يمتنع عند بعضهم ، ولم ينبه ابن مالك على شيء من ذلك ، والذي تلقفه ابو حيان من شـيوخه ان ما تكرر فيه الضمير من المسائل او عري من الضمير فهو ضعيف ، وما وجد فيه منها ضمير واحد فهو قوي الا ما وقع الاتفاق على منعه»[4] .

---

(١) ينظر منهج السالك ص ٤٠٠

(٢) ينظر الارتشاف ص ٢٨٥ ، ومنهج السالك ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥

(٣) ينظر الارتشاف ص ٣٢٤ ، وهمع الهوامع ج٢ ص ٩٧

(٤) ينظر منهج السالك ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ ، وينظر همع الهوامع ج٢ ص ٩٩

٢١ ـ اعمال المصدر

١ ـ جوز ابن مالك اعمال المصدر ان كان مجموعا جمع تكسير، حيث سمع من كلامهم « تركته بملاحس البقر اولادها » و « مواعيد عرقوب اخاه بيثرب » • لكن أبا حيان يختار عدم الاعمال لكونه احسن عنده ، ويؤول ما ورد مما يقتضي ظاهره انه يعمل مجموعا(١)

٢ ـ الحق ابن مالك المصدر بفعله في العمل اذا كان مضافا ، ويرى ابو حيان خلاف ذلك فالمصدر اذا كان مضافا لا يلحق بفعله في العمل لا بالنسبة الى الاضافة الى الفاعل ولا بالنسبة الى الاضافة الى المفعول لانه اذ ذاك يكون الفاعل والمفعول مجرورا واما في الفعل فيكون كل منهما على ما يستحقه من الاعراب(٢) •

٢٢ ـ الضمير المحصور بـ « انما »

ذهب ابن مالك الى ان الضمير المحصور بـ « انما » يتعين انفصاله • أما أبو حيان فيرى ان انفصاله غلط فاحش وجهل بلسان العرب ، وقول لم يقله احد ، ثم ردّ مذهب ابن مالك بقوله تعالى: « انما أشكو بثّي وحزني الى الله »(٣) وقوله تعالى « انما اعِظكم بواحدة »(٤) ، وقوله تعالى « انما امرتُ ان اعبدَ ربَّ هذه البلدة »(٥) •

هذه بعض الجوانب التي وقف فيها أبو حيان موقف الناقد لآراء ابن مالك وهي تدل بوضوح على ان صاحبنا وقف لابن مالك بالمرصاد يتَصيَّد العثرات ، ويرد عليه ردا عنيفا ، ويخطئه في كثير من الاحيان•

---

(١) ينظر الارتشاف ص ٣١٩ ب
(٢) ينظر منهج السالك ص ٣١٠
(٣) سورة يوسف الآية ٨٦
(٤) سورة سبأ الآية ٤٦
(٥) سورة النمل ، الآية ٩١ وينظر الارتشاف ص ١٠٦ ب، وعروس الافراح للسبكي ج٢ ص ١٩٥

مدرســة مصر والشام

فتح العرب مصر والشام وانتشروا في ارجاء هــذين الاقليمين ينشرون دينهم الجديد ويبثون لغتهم وثقافتهم . وبعد ان استقروا في مصر خاصة انشأوا لهم دراسة دينية مُنظمة كان مقرها جامع عمرو بن العاص ،وقوي شأن هذه الدراسة واتسع نطاقها حتى خرّجت اعلاما من المجتهدين في الحــديث والتفسير والقراآت والفقــه والتــأريخ ، وكان هؤلاء الرجال نواة لاول مدرسة نحوية ولغوية .

ومن نحاة هذه المدرسة: عبدالرحمن بن هرمز(١١٧هـ)،ويزيد بن حبيب الازدي(١٢٧هـ) ، ونافع بن نعيم مولى عبدالرحمن بن عمر ، وعثمان بن سعيد المصري الملقب بورش،والهيثم بن عدي الطائي.وقدشد بعض النحاة المصريين الرحال الى العراق،وكانت أول بعثة مصرية تتجه الى البصرة هي البعثة الممثلة في شخص الوليد بن محمد التميمي المصادري المشهور بولاد ، يقول الزبيدي عنه « ولم يكن بمصر كبير شيء من كتب النحو واللغة قبله »[1] ، وقد اتصل بالخليل بن أحمد وسمع منه ولازمه . وكان يعاصره محمود بن حسان ، وابو الحسن الاعز الذي

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ٢٣٣

اخذ عن علي بن حمزة الكسائي ، ولقيه قوم من اهل الاندلس وحملوا عنه وذلك سنة سبع وعشرين ومائتين[1] .

وكما كان المصريون يرحلون الى العراق ، كان العراقيون يأتون مصر ليدرّسوا فيها وينشروا النحو ، ومن النحويين الذين زاروا مصر ونشروا علمهم فيها واحدثوا مع علمائها نهضة علمية ابراهيم بن عبدالله ابو اسحاق البغدادي النحوي ، وابراهيم بن محمد بن أحمد بن علي الهاشمي الحسيني .

وكان كتاب سيبويه أول كتاب نحوي يدخل مصر ، ولذلك اتجه النحاة الاوائل الى المذهب البصري يحيونه ويؤلفون فيه .

وقد ادرك العصر الاخشيدي من علماء النحو احمد بن محمد ابن ولاد (٣٣٢هـ) وكان شيخ الديار المصرية في العربية ، وقد رحل الى بغداد وأخذ النحو عن الزجاج وعاد الى مصر والف كتاب « انتصار سيبويه على المبرد » وكتاب « المقصور والممدود »[2] . ونبغ من النحاة في أول هذا العصر: أبو جعفر النحاس، وقد درس النحو في العراق على الاخفش الصغير والمبرد والزجاج، وكان زميلا لابن ولاد في الدراسة بالعراق وفي التدريس بمصر ، وكان لهذين الرجلين الفضل الكبير في أطراد نمو الدراسات اللغوية والنحوية بمصر ، وقد تلقى العلم عليهما كثير من المصريين[3] .

وكان من اشهر نحاة العصرين الطولوني والاخشيدي عدا ابن ولاد وأبا جعفر النحاس والدينوري يموت بن المزرع (٣٠٣ هـ) ، وأحمد بن اسحاق الحميري (٣٠١ هـ) ، وعلي بن الحسن الهنائي

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ٢٣٣

(٢) ينظر بغية الوعاة ص ١٦٩

(٣) ينظر مصر في عهد الاخشيديين ص ٣٢٦

المعروف بكراع النمل ، وعبدالله بن محمد بن الوليد وغيرهم[1] .

ولما فتح الفاطميون مصر سنة ٣٥٨ هـ لنشر دعوتهم وبث فكرتهم واقامة دولتهم شجعوا العلم والعلماء لينافسوا بغداد . وقد ظهر في عهد الدولة الفاطمية نحاة كثيرون منهم أبو عبدالله محمد بن جعفر التميمي (٤١٢ هـ) ، وابو طاهر النحوي ، وأبو الفضل جعفر ، وأبو الحسن علي بن ابراهيم النحوي (٤٣٠ هـ) ، وأبو القاسم علي بن جعفر بن علي بن ابراهيم بن سعيد الحوفي (٣٤٠ هـ) ، وابو الحسن طاهر بن احمد بن ادريس المشهور بابن بابشاذ (٤٦٩ هـ) ، وقد اختتم العصر الفاطمي بامام كبير من أئمة النحو في مصر هو أبو محمد عبدالله بن بري بن عبدالجبار المقدسي المصري (٥٨٢ هـ) وكان يلقب بأبي النحاة[2] .

وأهتم بنو أيوب بالنحو ، وكانت الحركة النحوية في عهدهم نصب عيون الخلفاء والحكام واولي الامر ، وقد تميز اقليم الشام عن اقليم مصر في هذه الفترة بظهور مدارس خاصة للنحو تعنى بدراسته وتهتم ببحوثه ومسائله ، ويعود الفضل في ذلك للملك المعظم عيسى فقد عز عليه ان يجد مدارس للفقه والحديث على حين لا توجد مدارس خاصة للنحو ، فأنشأ مدرستين للتخصص في الدراسات النحوية احداهما في القدس وهي تقع على طرف الصخرة من جهة القبلة الى الغرب بنيت سنة ٦٠٤ هـ وكان يدرس فيها كتاب سيبويه ، والمدرسة الثانية العادلية بدمشق . وسار المماليك البحرية على خطا الايوبيين في الاهتمام بالنحو فشجعوا العلماء وقربوهم .

ومن أشهر نحاة الدولتين الايوبية والمملوكية يحيى بن معطي بن

---

(١) ينظر طبقات النحويين واللغويين ص ٢٣٣ وما بعدها ، وبغية الوعاة ص ٣٣٢ ، والحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول ص ٢١٦

(٢) ينظر بغية الوعاة ص ٢٩ ، ٢٧٢ ، وحسن المحاضرة ج١ ص ٢٥٤ وما بعدها ، وتأريخ الدولة الفاطمية ص ٤٣٧ وما بعدها ، والحركة الفكرية في مصر ص ٢١٧

عبد النور الزواوي المغربي الملقب بزين الدين (٦٢٨ هـ) ، كان اماما في العربية وشاعرا محسنا ، ألف عدة كتب وكان له فضل نظم النحو في ارجوزة أشار اليها ابن مالك في خلاصته الكافية •

وجمال الدين أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن الحاجب (٦٤٠هـ)، وكان لكتبه في النحو والصرف أثر كبير في استقرار هذين العلمين •

ورحل الى مصر والشام نحاة كان على رأسهم ابن مالك الجياني الاندلسي (٦٧٢ هـ) صاحب الالفية المشهورة ، وأبو حيان النحوي (٧٤٥ هـ) ، وقد أثر هذان الرجلان في اتجـــاه النحو العربي نحو التبويب الدقيق وتسهيل القواعد والاصول وتيسيرها •

هذه مدرسة مصر والشام ، وهي مدرسة كانت تعتمد اول الامر اعتمادا كبيرا على مدرسة البصرة ، ثم ســـلكت على يدي أبي علي الدينوري وأبي جعفر النحاس مسلك البغداديين وسارت على نهجهم في المزج بين المذهبين • وقد اتضح هذا وضوحا كبيرا في كتب ابن مالك الذي كان اختياريا في النحو ، وقد لقي مذهبه هوى كبيرا في نفوس أهل مصر والشام فساروا عليه كابن هشام الانصاري •

وخلاصة القول ان مصر والشام عكفت على النحو العربي تدرسه وتقارن بين الآراء المختلفة وترجح بعضها على البعض الآخر أو تعلق عليها بالشرح والتدوين ، وان مدرسة مصر والشام هي التي حفظت لنا النحو العربي ونقلته عبر الاجيال •

اما موقف أبي حيان من مدرسة مصر والشام فلم يتضح في كتبه ويبدو انه شغل نفسه بالرد على ابن عصفور وابن مالك وترك أعلام هذه المدرسة • ولم تذكر المصادر القديمة شيئا في هذا الصدد غـير موقفه من ابن الحاجب ، فقد كان يقول عن مقدمتـه « هــذه نحو الفقهاء »(١) ومعنى ذلك انه لم يأبه به ولم يعره اهتماما كبيرا ، وقد

---

(١) ينظر شذرات الذهب ج٦ ص ١٤٦ ، وبغية الوعاة ص ١٢٢ ، ونفح الطيب ج٣ ص ٢٩٥ ، والبدر الطالع ج٢ ص ٢٨٩

صرح أكثر من هذا فقال عن بعض آرائه « ولتركي النظر في كـلام هذا الرجل لم أقف عليه »[1] .

☆ ☆

ونخرج من هذه الجولة في المدارس النحوية بأن أبا حيان كان بصري النزعة في النحو ولكنه لم يكن مقلدا للبصريين دائما ، وانه رجح بعض آراء الكوفيين ورد على ابن عصفور وابن مالك وفند بعض آرائهما . وقد كان له بعد ذلك كله منهج خاص وآراء اجتهاديـــة واختيارية ، وهذا ما سنبحثه في الفصول القادمة .

---

(١) ينظر البحر المحيط ج٥ ص ٢٦٨

الفصل الثاني

منهج أبي حيان وتأثره بظاهريته

مؤلفات أبي حيان صنفان :

ذكرنا عند كلامنا على كتب أبي حيان النحوية واللغوية ان معظم كتبه كان تلخيصا لمؤلفات الآخرين أو شرحا لها . وأشهر مؤلفاته « التذييل والتكميل في شرح التسهيل » الذي سار في تأليفه على طريقة مؤلف « التسهيل » من غير ان يقدم ويؤخر أو يزيد وينقص ، ولا نعرف شيئا عن كتابيه « التخييل الملخص من التسهيل » و « التكميل لشرح التسهيل » لانهما لم يصلا الينا ، وان كانا ـ في أغلب الظن ـ ككتابه « التذييل والتكميل » من حيث العرض وذكر الموضوعات. ومن كتبه التي وصلت الينا وهي شرح لكتب ابن مالك: « منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك » ، وموضوعاته هي موضوعات الفية ابن مالك نفسها وليس بينهما اختلاف في سرد الموضوعات وعرضها . وكانت طريقة أبي حيان في الشرح أن يذكر بيت الالفية ويبين ما فيه من نقص في تحديد معنى أو توضيح عبارة ، أو اشكال او سطحية أو تعقيد فكرة أو تقديم وتأخير في الالفاظ ، ثم يبدأ بسرد رأي ابن مالك،

ويبيّن رأيه موافقا أو مخطئا ، عارضا الآراء المؤيدة أو المخالفة مع ذكر التفصيلات التي لم تتضح في البيت ان كانت هناك حاجة الى الشرح والتفصيل ، وبعد ان ينتهي من هذا كله يذكر ما اهمله أو اغفله ابن مالك وما لم يشر اليه من التفصيلات او الآراء والخلافات •

ولكي نوضح طريقة أبي حيان في الشرح نذكر مثالا واحدا ، يقول ابن مالك في الالفية

وماضي الافعال بالتا مِزْ وسِمْ   بالنون فعل الأمر إنْ أمْر فُهِمْ

ويقول أبو حيان في شرحه « يميز الماضي « التاء » ، وتقدم تاء الضمير وتاء التأنيث وكلاهما يميزه ، وقد أفرد التاء فلا يدري أي التاءين أراد ، ولا يجوز أن يريد بالتاء مجموعهما لانه يكون من اطلاق المفرد على المثنى وهو غير مطرد • وقوله « وسِمْ بالنون فعل الأمر » أي العلامة في فعل الأمر التي تميزه من الماضي والمضارع وهي النون فيلزم من حيث هي علامة لفعل الأمر أن لا توجد إلا فيه ، وهذا فاسد لانها توجد في غيره نحو فعل النهي ، والمضارع المثبت في القسم بشرطه، وفعل الشرط ، والمضارع المستفهم عنه ، فظهر بهذا انها لا تكون علامة لفعل الأمر اذ قد شركه غيره فيها • وقوله « ان أمر فهم » قيد مخل بالمقصود لان هذه النون إذا دخلت على فعل الأمر فلا يشترط ان يقصد به الامر بل تدخل على صيغة الأمر سواء أكان المعنى على الأمر أو لم يكن ، فتدخل هذه النون على ما لفظه أمر ومعناه خبر نحو « أفْعِلْ » في التعجب على الأصح نحو « احسن بزيد »[1] •

ومن كتبه النحوية « تقريب المقرب » وهو تلخيص لكتاب « المقرب » لابن عصفور ، وقد أشار أبو حيان في مقدمته الى انه لم يعترض فيه على ابن عصفور ولم يستدرك عليه شيئاً ، وانما عرض ولخّص فيه آراء هذا النحوي الاندلسي • ولما كان هذا الكتاب موجزاً

---

(١) منهج السالك ص ٤ ـ ٥

كل الايجاز،ويكاديخلو من الأمثلة ،ألّفَ كتابا آخر سماه «التدريب في تمثيل التقريب» ليشرح فيه ما عرض في التقريب من الغموض ويوضح ما أوجزه ويمثل لموضوعاته بأمثلة توضح معانيه وتركزه في ذهن المبتديء . وقداتبع فيهذين الكتابين طريقةواحدة في ترتيب الموضوعات فتكلم على النحو وتعريفه وقسم أحكامه الى تركيبية وافرادية ، ثم قسم التركيبية الى البناء والاعراب وما يتبعهما من موضوعات ، وبحث في الأحكام الافرادية بعض موضوعات الصرف كالادغام والقلب والابدال ، وبعض المشتقات وما يحدث فيها من تثنية وجمع ، وختم الكتابين ببحث الضرائر وما يجوز وما لا يصح فيها .

ولم يتبع أبو حيان في هذين الكتابين طريقة ابن عصفور في « المقرب » تماماً ، وانما قدم وأخر حسبما رآه الأحسن والاقرب الى دقة التبويب وعلاقة الموضوعات بعضها ببعض،وترك بعض الموضوعات كموضوع « ما يذكر ويؤنث من اعضاء الحيوان » ، و « ما يذكر ولا يجوز تأنيثه » ، و « الافعال المهموزة » ، و « أمس » وغيرها .

وأختصر أبو حيان كتابين آخرين من كتب ابن عصفور هما « كتاب الممتع في التصريف » و «كتاب الشرح الكبير لجمل الزجاجي». وقد سار في ترتيب كتابه « المبدع » على خطا ابن عصفور ، ووضح ذلك في مقدمة الكتاب فقال « ولما كان كتاب الممتع من أحسن ماوضع في هذا الفن ترتيبا ، وألخصه تهذيبا ، وأجمعه تقسيما ، وأقربه تفهيما، قصدنا في هذه الاوراق ذكر ما تضمنه من الأحكام بألخص عبارة وأبدع اشارة » . ولم يزد في هذا الكتاب على كتاب « الممتع » شيئا ،ولم يعترض على ابن عصفور أو ينبه على ما في الكتاب من ناقص أومهمل، بل غض طرفه عما فيه ، لانه كان يرجو أن تسنح له الفرصة ليعود اليه مُدقّقا ناقدا .

أما كتابه الثاني « الموفور الملخص من شرح ابن عصفور » فلم يسر فيه على طريقة ابن عصفور وانما فك نظامه ، ونثر حبات

عقده ، وأعاد نظمها في أحسن ترتيب ، وأجمل تبويب ، معتمدا في ذلك على طريقة ابن عصفور في كتابه « المقرب » فيما اشترك به الكتابان من الموضوعات ، ووضع الأبواب الزائدة في الشرح والتي عري عنها كتاب « المقرب » في المكان الذي يليق بها في نظره•ولم يزد أبو حيان في هذا الكتاب شيئا ولم يعترض فيه على ابن عصفور ولا خرج فيه عن الاختصار المفيد البعيد عن الايجاز المخل ، والاسهاب الممل •

هذه ثمانية من كتب أبي حيان النحوية التي ذكرناها في الباب الاول ، لم تكن الا شرحا لكتب ابن مالك او تلخيصا لكتب ابن‌عصفور ولم تتضح فيها طريقته الخاصة في التأليف لانه سار في بعضها على منهج ابن مالك وفي البعض الآخر على منهج ابن عصفور•

ومن كتب أبي حيان التي‌لم تكن‌شرحاً أو تلخيصا لكتب الآخرين: « اللمحة البدرية في علم العربية » ، و « غاية الاحسان في علم اللسان»، و « النكت الحسان في شرح غاية الاحسان » • وكتاب « اللمحة البدرية » مختصر جدا ، لأن أبا حيان وضعه للمبتدئين ولا يتجاوز الكلام في أطول أبوابه أربعة أسطر او خمسة • وقد تكلم على الكلمة واقسامها ، والاعراب وألقابه وعلاماته ، وباب النكرة والمعرفة ، والمرفوعات ، والمنصوبات ، والمجرورات ، والمشتقات ، والتوابع ، وباب الفعل ، والبناء ومواقعه وحكمه ، والوقف • ويلاحظ ان المؤلف اتبع في هذا الكتاب أسلوبا تعليمياً محضا ، وهو أقرب الى الكتب التي تؤلف اليوم لتعليم الطلاب المبتدئين النحو العربي وقواعده ، لما فيه من تقرير القواعد وعرضها عرضاً موجزاً •

أما كتابه « غاية الاحسان في علم اللسان » فقد كان مقدمة في علم النحو كما صرح في مطلعه • وقد نهج فيه منهج أهل البصرة لانهم أهل التحقيق والنصرة في فن النحو ، وقسمه قسمين الأحكام التركيبية ، والاحكام الافرادية • وتكلم في هذين القسمين الكبيرين على موضوعات النحو والصرف المختلفة ، وختم الكتاب ببحث في

الضرائر . ويلاحظ ان أبا حيـان سار في ترتيب موضوعات الصرف في هذا الكتاب الزائدة على موضوعات « اللمحة »،على ترتيب كتبه التي ألّفَها تلخيصا لكتب ابن عصفور ، لانه يرى ان ترتيب « كتـاب المقرب » أحسن ترتيب وأفضله . اما الموضوعات النحوية فلم يتبـع فيها ترتيب ابن عصفور ولا ترتيب ابن مالك وانما سـار على منهج اختطه هو لنفسه .

والكتاب الثالث « النكت الحسان في شرح غاية الإحسان » سار فيه أبو حيان على طريقته في « غاية الاحسان » ولم يختلف عنه في شيء سوى التمثيل وذكر الشواهد الكثيرة في أبواب الصرف بصورة خاصة .

وألف أبو حيان كتباً أخرى منها « التذكرة في العربيـة » ، و « الهداية في النحو » ، و « الشذرة » ، و « شرح كتاب سيبويه » ، و « التجريد لاحكام سيبويه » ، و « الاسفار الملخص من شـرح سيبويه للصفار » ، و « نهاية الإغراب في علمي التصريف والاعراب»، وكل هذه الكتب مفقودة لا نعلم عنها وعن منهجها شيئا ما عدا كتاب « الهداية في النحو » وهو من كتبه المشكوك فيها . ولكننا نستطيع أن نتبيَّن منهج أبي حيان النحوي من آخر ما ألف في النحو وهو كتاب « ارتشاف الضرب من لسان العرب » الذي اختصره من كتاب:«التذييل والتكميل في شرح التسهيل » ، وقد جمع أبو حيان في « الارتشاف » الاحكام المبثوثة في « التذييل والتكميل » عارية من الاسـتدلال والتعليل الا ما ندر مما لا يستغنى عنه ، مستعملا اللفظ المبين والتمثيل الموضح للقواعد ، الميسر للفوائد امام المطلع والناظر فيه . ولم يـكن « الارتشاف » يحوي مادة « التذييل والتكميل » ملخصة مهذبة ممثلة حسب وانما جمع فيه مؤلفه ما كان في كتبـه الاخرى من الأحكام والفوائد ، يقول « وتقضت عليه بقية كتبي لاستدرك ما أغفلته من فوائده ، وليكون هذا المجرد مختصاً عن ذلك بزوائده »[1] .

---

(١) الارتشاف ص ١

وغرض أبي حيان من هذا كله أن يسهل ما صعب من علم النحو حتى لا يحتاج قارئه والمطلع عليه الى اعمال الفكر واكداد النظر • ونستطيع أن نقول ان نحو أبي حيان ومنهجه فيه يتبين بأجلى صورة واكملها في هذا الكتاب الذي كان خلاصة اعماله وتآليفه النحوية •

لقد بحث في « الارتشاف » الموضوعات النحوية والصرفية وكان منهجه في الترتيب والتبويب يختلف عن منهج ابن مالك في « التسهيل» و « الألفية » ، ويختلف عن منهجه في « التذييل والتكميل » وفي « منهج السالك » اذ كانت له طريقة خاصة هي أقرب ما تكون الى طريقته في كتبه التي ألفها على « الممتع » و « المقرب » و « شرح الجمل » لابن عصفور • فقد قسم الكلام فيه الى جملتين ، الاولى في أحكام الكلم قبل التركيب ، والثانية في احكامها عند التركيب • وقسم الجملة الاولى الى ضربين ، الاول في الاحكام الافرادية،وهي: علم التصريف ، الذي قسمه الى قسمين ، تكلم في الاول منهما على حروف الهجاء وصفاتها ، وأحكام الكلم من حيث التجريد والزيادة ، وابنية الاسماء التي الحق بها ، والاسماء الاعجمية ، وابنية الاسماء ، وأبنية الافعال ، ومعاني هذه الابنية ، والمضارع ، ونوادر من التأليف، ومحال حروف الزيادة ، ومحال الحذف والبدل والقلب والنقل ، والالحاق ، والادغام • وتكلم في القسم الثاني على ما يطرأ على الكلمة من تغيير لمعنى من المعاني ، وينحصر عند أبي حيان في التصغير ، والتكسير ، وأبنية المصادر ، والمصدر الميمي ، واسم الزمان ، واسم المكان والآلة ، واسم الفاعل والمفعول ، والمقصور والممدود • وبهذا الفصل ينتهي القسم الاول من الجملة الاولى وهو الاحكام الافرادية• وعقد بعد ذلك بابا في الامالة والحروف التي تقع فيها •

وتكلم على القسم الثاني من الجملة الاولى ، وقسمه الى قسمين ، الاول ما يلحق الكلمة من أولها ، والثاني ما يلحق الكلمة من آخرها وقد تحدث في القسم اول عن همزة الوصل ، وفي الثاني عن: علامتي

التثنية والجمع على حده ، وياء النسب ، وعلامة التأنيث،ونون التوكيد، والتنوين ، وبهذا تنتهي الجملة الاولى في احكام الكلم قبل التركيب .

وقسم الجملة الثانية وهي أحكام الكلم عند التركيب الى قسمين أحكام غير اعرابية ، وأحكام اعرابية ، وقد تحدث في غير الاعرابية عن: البناء ، والادغام من كلمتين ، والتقاء الساكنين من كلمتين ، والتقاء الهمزتين من كلمتين ، ولحاق علامة التأنيث للفعل لاجل مرفوعه ، والعدد ، والكناية عن العدد ، والوقف . وتحدث في القسم الثاني وهو الاعراب عن معنى الاعراب ، وقسمه الى ظاهر ومقدر . وما لا ينصرف ، والتسمية ، والنكرة ، والمعرفة وهي المضمر والعلم واسم الاشارة والمعرف بالاداة والموصول والاخبار عنه . ثم قسم ما بقي من موضوعات النحو الى محال الرفع والنصب والجر والجزم في الاسماء والافعال ، وتكلم في محال الرفع على المبتدأ والخبر ، وكان واخواتها، وان واخواتها ، ولا العاملة عمل ان ، والفاعل ، والمفعول الذي لم يسمّ فاعله ، وفصل يجب وصل الفعل بمرفوعه . وتكلم في محال النصب على المفعول المطلق ، والمفعول له ، والمفعول فيه ، والمفعول به ، والتحذير ، والاغراء ، والمفعول معه ، والمستثنى ، والحال ، والتمييز ، ونصب المضارع . وتحدث في محال الجر عن القسم ، والاضافة . ثم تكلّم بعد ذلك على جزم المضارع وهو :محال الجزم. وبعد أن انتهى من هذه الموضوعات تكلم على التوابع لانها تعم جميع ما تقدم ، ثم انتقل الى القول في الافعال وقسمها الى :متصرفة وجامدة، وتحدث في الجامدة عن نعم وبئس ، ، وحبذا،وصيغ التعجب.وقسم المتصرفة الى افعال لازمة ، ومتعدية وهي الافعال الداخلة على المبتدأ والخبر ، وهي ظن واخواتها . ثم تكلم على الافعال المتعدية الى ثلاثة مفاعيل ، وعلى التنازع والاشتغال ، والنداء ، والاستغاثة ، والتعجب، والندبة والاختصاص ، والتحذّير والاغراء . وتحدث بعد ذلك عن المصدر ، واسم الفاعل ، وصيغ المبالغة ، واسم المفعول ، واسم الفعل،

وأفعل التفضيل ، والصفة المشبهة ، وعن حروف المعاني ، والحقيقة والمجاز • ثم ختم كتاب « الارتشاف » بباب الضرائر التي تجوز للشاعر دون الناثر •

من هذا الترتيب لموضوعات « الارتشاف » ، ومن هذا المنهج المطرد المنظم نستطيع ان نستشف عقلية أبي حيان المنظمة المرتبة ، فقد رتب كتابه ترتيبا منطقيا ، وهو ترتيب مبني على الخبرة الطويلة بالتأليف ، والدراية الكبيرة ، والاحاطة العميقة ، والالمام الكافي بالموضوع الذي يبحث فيه • ولم نجد مؤلفا قبل « الارتشاف » رتب هذا الترتيب وجمع موضوعات النحو والصرف هذا الجمع الذي لم يترك شاردة في النحو والصرف الا ذكرها في مكانها اللائق بها ، المتصل بما قبلها ، وجعلها تنبيء عما بعدها • ونستطيع ان نقول ان بحوث النحو والصرف قد بلغت قمتها في التبويب والترتيب ونالت اقصى ما يمكن من العناية والبحث في كتاب « الارتشاف » الذي جمع فيه مؤلفه ما جمع من قواعد النحو والصرف واصولهما



وأما طريقة أبي حيان في البحث وعرض الموضوعات فقد كانت سهلة سلسلة ، اذ ابتعد عن التعقيد ، وهو مع ذكره الاختلافات النحوية والمناقشات الطويلة لم ينس انه يؤلف ليبسر النحو ويسهله • وقد استعمل في عرض موضوعات هذا الكتاب طريقة ادبية شائقة بابتعاده عن ذكر العلل والخلافات التي لا فائدة فيها ولا طائل تحتها ، وتجنبه مصطلحات الفلاسفة والمتكلمين في التحديد والتوضيح والتعليل • ونستطيع بعد هذا كله ان نقول ونحن مطمئنون ان ابا حيان سهل النحو ويسر موضوعاته فجعله سهل التناول والمأخذ قريبا الى النفس لا تمل منه وانما ترغب فيه وتأنس به وتلتذ بتتبع موضوعاته وتفصيلاته ، وقد احسن ابو حيان حينما سمّى آخر كتبه النحوية « ارتشاف الضرب من لسان العرب » • وليس قبل هذا الكتاب ولا

بعده مؤلف مثله بيّن لنا سلاسة النحو العربي وسهولته ، ونرى ان سبب اتباع ابي حيان هذا المنهج الواضح وتسهيله النحو هذا التسهيل سعة اطلاعه ، فهو قد قرأ كثيرا في النحو للمشارقة والمغاربة ولم يترك بلدة دخلها الا واتصل بشيوخها وقابل أعلامها وعلماءها واطلع على مؤلفات رجالها ، وساعده على ذلك شغفه بعلم النحو الذي لم يمنعه عن تحصيله فقر ولا ضيق أو شدة ، ولم تثبط همته غربة أو معاداة الحكام ومطاردتهم اياه ، ولم يلهه عنه ما حصل عليه من عز وجاه في مصر في عهد السلطان الناصر ووكيل السلطنة المنصورية الناصرية سيف‌الدين أراغون ، ولم تصرفه عنه شؤون الدنيا والدين ، وقد تابع هذه الرغبة وغذاها ولم ينقطع عن النحو حتى وهو يجاور بيت الله الحرام ، فقابل من وجد من الشيوخ في الحجاز عند سفره الى الحج وأخذ عنهم وناقشهم[1] •

بهذا الشغف وهذا الاطلاع الواسع وهذا الالمام بالنحو ومدارسه ومذاهبه المختلفة ، وبهذه العقلية الواعية المدركة استطاع أبو حيان ان يهضم مسائل النحو وان يتمثله ويخرج لنا كتاب « الارتشاف » الذي كان ثمرة الاجيال المتعاقبة منذ سيبويه حتى عصره ، وقد كان لتعيينه مدرسا للنحو في القاهرة ومدرسا للتفسير في قبة السلطان الملك المنصور ثم توليه الاقراء بجامع الاقمر ، وخلافته لشيخه أبي جعفر بن النحاس في تدريس النحو ـ كان لهذا كله أثر في تمكنه من النحو وتسهيله •

وقد حاول أبو حيان قبل ان يؤلف « الارتشاف » ان يسهل النحو على الطلبة بطريقة ثانية وهي نظم المسائل النحوية والصرفية في اراجيز وقصائد ، وقد أشرنا الى ان له ارجوزة « نهاية الاغراب في علمي التصريف والاعراب » ولم يصل الينا منها الا جزء يسير ، ونظم قصيدة في جموع التكسير • وكان الدافع الى ذلك رغبته في تسهيل النحو وحفظ قواعده ودقائقه ، ولكن أبا حيان لم يستطع ان يحلق في هذا

(١) ينظر طبقات الشافعية ج٦ ص ٣٢

بالباب كما حلق ابن مُعْطٍ وابن مالك من قبل ، فانصرف الى وضع الكتب النحوية الميسرة .

هذا منهج أبي حيان في النحو بصورة عامة ، وقبل ان نمضي في الحديث عن منهجه في السماع والقياس والتعليل والشاهد النحوي والضرورة وغيرها ينبغي أن ننظر في ظاهريته لعلنا نفيد منها في تصوير منهجه النحوي .

ظاهريتــه وتأثره بابن مضاء

المعروف أن أبا حيان كان ظاهرياً ثم انتمى الى الشافعية،لكنه بقي ظاهرياً في آرائه ، وكان يقول « محال ان يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه »[1] ، وكان تمذهبه للشافعي على أثر وصوله الى مصر بعد أن وجد المذهب الظاهري مهجورا فيها .

وقد ذكرنا في الفصل السابق أنّ مذهب الظاهرية يقوم على الاخذ بالنصوص وظاهرها لذلك كان يتخذ من ظاهر القرآن الكريم وسنة النبي (ص) أساسا في الدراسات الفقهية ، وقد أبطل ابن حزم — وهو الذي بعث المذهب الظاهري في الاندلس — القياس والقول بالعلل في جميع أحكام الدين ، ولم يجوز الحكم البتة في أمر من الامور بغير كلام الله وحديث نبيه العظيم (ص) واجماع الصحابة والتابعين دون مخالفة من أحد ، أو بدليل من النص ، أو من الاجماع المذكور الذي لا يحتمل الا وجها واحدا .

وكان ابن حزم ظاهريا حتى في اللغة يقول في كتابه « الفصل » « وحمل الكلام على ظاهره الذي وضع له في اللغة فرض لا يجوز تعديه الا بنص أو اجماع ، لان من فعل غير ذلك أفسد الحقائق كلها والشرائع كلها والمعقول كله » .

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٥٩٣ ، و لبدر الطالع ج٢ ص ٢٩٠ ، والدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٤ ، وبغية الوعاة ص ١٢١ ، والشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٦ ، وجلاء العينين ص٥٠ .

ويتشدد في المحافظة على الظاهر ويرى انه لا سبيل الى نقل اللفظ عن موضعه الذي رتب للعبارة عنه يقول « ولا سبيل الى نقل مقتضى اللفظ عن موضعه الذي رتب للعبارة عنه والا ركبت الباطل وتركت الحق ، وجميع الدلائل تبطل نقل اللفظ عن موضعه في اللغة ، ولا دليل يصححه اصلا »[1] .

ووصف الشوكاني المذهب الظاهري فقال « فمذهب الظاهر هو اول الفكر وآخر العمل عند من منح الانصاف ولم يرد على فطرته ما يغيرها عن أصلها . وليس هو مذهب داود الظاهري واتباعه فقط ، بل هو مذهب أكابر العلماء المتقيدين بنصوص الشرع من عصر الصحابة الى الآن وداود واحد منهم ، وانما اشتهر عنه الجمود في مسائل وقف فيها على الظاهر حيث لا ينبغي الوقوف وأهمل من أنواع القياس ما لا ينبغي لمنصف اهماله . وبالجملة فمذهب الظاهر هو العمل بظاهر الكتاب والسنة بجميع الدلالات ، وطرح التعويل على محض الرأي الذي لا يرجع اليهما بوجه من وجوه الدلالة . وانت اذا امعنت النظر في مقالات أكابر المشتغلين بالادلة وجدتها من مذهب الظاهر بعينه ، بل اذا رزقت الانصاف وعرفت العلوم الاجتهادية كما ينبغي ونظرت في علوم الكتاب والسنة حق النظر كنت ظاهريا أي عاملا بظاهر الشرع ، منسوبا اليه لا الى داود الظاهري ، فان نسبتك ونسبته الى الظاهر متفقة ، وهذه النسبة هي مساوية للنسبة الى الايمان والاسلام والى خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والتسليم »[2] .

هذه هي ظاهرية داود وابن حزم في الفقه والتفسير واللغة ، وسنحاول ان نتبين موقف أبي حيان منها في النحو .

☆ ☆

لقد كان أبو حيان يسير مع الظاهر في التفسير ويفسر عبارات

---

(١) ينظر نظرات في اللغة عند ابن حزم ـ سعيد الافغاني ص ٢٤ ـ ٠

(٢) البدر الطالع ج٢ ص ٢٩٠

القرآن على ما يقتضيه ظاهر اللفظ ، ولا يصير الى التأويل مع امكان حمل الشيء على ظاهره ولا سيما اذا لم يقم دليل على خلافه ، يقول « لأنا لا نصير الى التأويل مع امكان حمل الشيء على ظاهره ولا سيما اذا لم يقم دليل على خلافه »[1] ، وهذا هو عين ما قاله ابن حزم مبينا مذهبه ، يقول

وإنْ أنا الا ظـاهري وانني   على ما بدا حتى يقوم دليل[2]

ويرى أبو حيان ان الاولى حمل اللفظ على ظاهره ما امكن ، لانه لا يعدل عن الظاهر ، والعدول عن الظاهر لغير مانع لا يناسب ومتى امكن حمل الشيء على ظاهره كان اولى اذ العدول عن الظـاهر الى غيره لا يكون الا لمرجح[3] . ولا يذهب الى التأويل لذلك رد على من يذهب الى التأويل في تفسير القرآن ، يقول « وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الالفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة الى هذيان افتروه على الله تعالى وعلى علي كرم الله وجهه وعلى ذريتـه ويسمونه علم التأويل . وقد وقفت على تفسير لبعضهم وهو تفسير عجيب يذكر فيه أقاويل السلف مزدريا عليهم وذاكرا انه ما جهـل مقالاتهم ، ثم يفسر هو الآية على شيء لا يكاد يخطر في ذهن عاقـل ويزعم ان ذلك هو المراد من هـذه الآية . وهـذه الطائفة لا يلتفت اليها »[4] . ويرد على من يفسر القرآن تفسيراً بعيدا عن لفظه ويحمل عليه حملة شديدة ويفند رأيه ويذكر غلطه[5] .

ومما يؤيد ذهابه مذهب ابن حزم في الأخذ بالظاهر رفضه كـل

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ٣٠٨

(٢) ينظر البدر الطالع ج٢ ص ٢٩٠

(٣) ينظر البحر المحيط ج٢ ص ٦٥ ، و ج١ ص ٢٥٨ ، والتذييل والتكميل ، القسم المطبوع ، ج١ ص ٥٩

(٤) البحر المحيط ج١ ص ٥

(٥) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٢٢٧

تفسير لم يأت مؤيدا بحديث ، يقول في تفسيره الكبير « وقد نقل المفسرون عن ابن عباس والسدي وغيرهما قصصا كثيرا مختلفا في سبب اتخاذ العجل وكيفية اتخاذه وانجر مع ذلك أخبار كثيرة الله أعلم بصحتها ، اذ لم يشهد بصحتها كتاب ولا حديث صحيح فتركنا نقل ذلك على عادتنا في هذا الكتاب »(١)

وينفي كل قصة لا تعلق لها بلفظ القرآن ولم تصح عن الرسول ، ويذكر ما ورد فيه نص لانه ينبغي ان لا يعتمد الا على ما صح في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، وهذا ما ذهب اليه ابن حزم حينماقال:

من عذيري من أناس جهلوا ثم ظنوا انهم أهل النظر
ركبوا الرأي عنادا فسروا في ظلام تاه فيه من عبر
فطريق الحق نهج مهيع مثل ما ابصرت في الافق القمر
فهو للاجماع والنص الذي ليس الا في كتاب أو أثر(٢)

يقول أبو حيان « وانما حمل من حمل على خلاف الظاهر اعتبار ما رووا من القصص التي لا يصح اذ لم يرد به كتاب ولا سنة ، ومتى أمكن حمل الشيء على ظاهره كان أولى اذ العدول عن الظاهر الى غير الظاهر انما يكون لمرجح ، ولا مرجح »(٣) .

ويقول « وقد ذكر المفسرون في كيفيات ما رتبوه من هذا الذي تلوه قصصاً كثيرة ، الله اعلم به.ولم تتعرض الآية الكريمة ولا الحديث المسند الصحيح لشيء منه ، فلذلك لم نذكره »(٤) .

وقال في تفسير قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيم » « من البيت هو الكعبة ، ذكر المفسرون في ماهية هذا البيت وقدمه وحدوثه ، ومن

---

(١) البحر المحيط ج١ ص ٢٠١
(٢) طبقات الشافعية ج٦ ص ١٣٥
(٣) البحر المحيط ج١ ص ٢٥٨
(٤) البحر المحيط ج١ ص ٣٢٦

أي شيء كان باباه ، وكم مرة حجه آدم ومن أي شيء بناه ابراهيم ، ومن ساعده على البناء ، قصصا كثيرة واستطردوا من ذلك للكلام في البيت المعمور وفي طول آدم والصلع الذي عرض له ولولده ، وفي الحجر الاسود،وطولوا في ذلك باشياء لم يتضمنها القرآن ولا الحديث الصحيح وبعضها يناقض بعضا ، وذلك على جري عـاداتهم في نقل ما دَبَّ وما درج . ولا ينبعي ان يعتمد الا على ما صح في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1] .

ويقول « وذكر المفسرون هنا قضية هلاك عاد ، وذكروا فيهـا اشياء لا تعلق لها بلفظ القرآن ولا صحت عن الرسول ، فضربت عن ذكرها صفحاً »[2]

ويرد على من يذكر تعليلا للحوادث التي وردت في القرآن ويرى ان من يطلب لها التعليل من غير نص من آية اخرى أو من حديث أو من دليل شرعي فاحرى بان يقل صوابه ويكثر خطؤه ، يقول « وقد اختلفوا في الصلاة التي حولت القبلة فيها فقيل الصبح وقيل الظهروقيل العصر وكذلك اكثروا الكلام في الحكمة التي لاجلها كان تحويل القبلة باشياء لا يقوم على صحتها دليل وعللوا ذلك بعلل لم يشر اليها الشرع ولا قاد نحوها العقل فتركنا نقل ذلك في كتابنا هذا على عادتنا في ذلك . ومن طلب للموضعيات تعاليل فاحرى بان يقل صوابه ويكثر خطؤه واما ما نص الشرع على حكمته واشار او قاد اليـه النظر الصحيح فهو الذي لا معدل عنه ولا استفادة الا منه »[3]

من هذه الاحكام التي أطلقها أبوحيان في تفسيره ، ومن كثيرغيرها ومن موقفـه من الفرق المختلفة كالمتصوفة والمعتزلـة ممن يؤولون الالفاظ ويخرجونها عن ظاهرها يتضح لنا مذهبه ونستطيع ان نرجح

---

(١) البحر لمحيط ج١ ص ٣٨٧

(٢) البحر المحيط ج٤ ص ٣٢٦

(٣) البحر المحيط ج١ ص ٤٢١

صحة ما قيل من انه كان ظاهريا ، لانه قد طبق أسس المذهب الظاهري في تفسيره « البحر المحيط » • ويؤكد ترجيحنا استشهاده باقوال ابن حزم في مواضع كثيرة كاستشهاده برأيه في صوم المسافر والمريض يقول « واتفقت الصحابة ومن بعدهم من التابعين وفقهاء الامصار على جواز الصوم للمسافر وانه لا قضاء عليه اذا صام لانهم قدروا حذفا في الآية ، والاصل ان لا حذف فيكون الظاهر ان الله تعالى أوجب على المريض والمسافر عدة من أيام أخر ، فلو صامها لم يجزها ويجب عليهما صوم عدة ما كانا فيه من الايام الواجب صومها على غيرهما ، قالوا وروي عن أبي هريرة انه قال من صام في السفر فعليه القضاء وتابعه عليه سواد من الناس • ونقل ذلك ابن عطية عن عمر وابنه عبدالله ، وعن ابن عباس ان الفطر في السفر عزيمة ، ونقل غيره عن عبدالرحمن بن عوف الصائم في السفر كالمضطر في الحضر ، وقال به قوم من أهل الظاهر • وفرق أبو محمد بن حزم بين المريض والمسافر فقال فيما لخصناه في كتابنا المسمى بـ « الانور الاجلى في اختصار المحلى » ما نصه « ويجب على من سافر ولو عاصيا ميلا فصاعدا الفطر اذا فارق البيوت في غير رمضان ، وليفطر المريض ويقضي بعد ويكره صومه ويجزى » •

ثم احتج ابو حيان لقول ابن حزم بما ورد عن الرسول(ص) فقال: « ويثبت بالخبر المستفيض ان النبي صلى الله عليه وسلم صام في السفر • وروى ذلك عنه أبو الدرداء وسلمة بن المحنق وأبو سعيد وجابر وأنس وابن عباس عنه اباحة الصوم والفطر في السفر بقوله لحمزة بن عمرو الاسلمي وقد قال أصوم في السفر ؟ قال ان شئت فصم وان شئت فافطر »(١)

ووافقه في الاحرف المقطعة في أول السور ، يقول « حروف التهجي هذه التي في أوائل السور اختلف الناس في المراد بها اختلافا

(١) البحر المحيط ٢ ص ٣٤

كثيرا ولم يقم دليل على تعيين شيء مما ذكروه والذي اختاره هو ما ذهب اليه الشعبي والثوري وجماعة من المحدثين قالوا هي سر الله في القرآن وهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه نؤمن بها ونسرها كما جاءت ، والى هذا ذهب الوزير الحافظ أبو محمد علي ابن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب الظاهري رحمه الله تعالى قال هذه الحروف التي في فواتح السور هو المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وسائر كلامه تعالى محكم »[1] .

ومن هذا كله يتضح ان ابا حيان كان ظاهريا في التفسير ، والان نريد ان نتبين أثر الظاهرية في مذهبه النحوي بعد ان عرفنا أثرها في تفسيره .

ظاهريته في النحو :

قيل ان أبا حيان كان ظاهريا حتى في النحو [2] . وقد حاول جولد تسيهر ان يعلل ذلك فذكر بانه كان يتمسك كل التمسك بآراء الاوائل من أئمة هذا العلم وبالاخص سيبويه امام النحاة[3] . وكرر الاستاذ طه الراوي هذا الرأي ، يقول « كان ظاهري المذهب حتى لقد قال عنه ابن حجر انه كان ظاهريا حتى في النحو ، وربما كان قصده من قوله هذا انه كان شديد التمسك بآراء النحويين الاوائل كسيبويه مثلا »[4] .

ولا نذهب مع الاستاذ طه الراوي وجولد تسيهر في هذا الرأي لأن ابن حجر لم يقصد ما اشارا اليه ، ولاننا لم نسمع ان من يأخذ بآراء القدماء ويذهب مذهبهم يسمى ظاهريا في النحو أو في غيره من

---

(١) النهر الماد ج١ ص ٣٢

(٢) ينظر الدرر الكامنة ج١ ص ١٨٥ ، وتأريخ ابن الوردي ج٢ ص ٣٣٩ ، وتأريخ الفكر الاندلسي ص ٢٣٨

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ج١ ص ٣٣٢ – ٣٣٣

(٤) تأريخ علوم اللغة العربية ص ٢٠١

العلوم ، وانما المقصود هو ان ابا حيان كان يطبق المذهب الظاهري في النحو ، ونص ابن حجر صريح حيث يقول في ترجمة احمد بن عبدالله ابن محمد الازدي المراكشي نزيل القاهرة النحوي أبي العباس ما نصه « أخذ عن الشريف أبي علي وغيره وشارك في العلوم وجنح الى التصوف الفلسفي ونسخ الفتوحات المكية والتنزلات الموصلية ، فكان أبو حيان لذلك يرميه بالزندقة وصار هو يطعن على أبي حيان ويقول « أبو حيان ظاهري حتى في النحو »[(١)]

فهذا نص صريح في ان المقصود بالظاهرية اتباع من نادى بالظاهرية من الاندلسيين في عهد أبي حيان وقبله كابن حزم وابن مضاء القرطبي ، وكما كان التصوف واتّباع ابن عربي زندقة في نظر أبي حيان ، كان المذهب الظاهري مذمة في نظر الفرق الاخرى ، وقد حاول هذا الرجل ان يرد على أبي حيان هجومه فوصمه بالظاهرية ونسبه اليها .

ومهما يكن من شيء فنحن لا نريد بهذا إلا أنْ نبين ان وصف القدماء لابي حيان بانه ظاهري ليس المقصود به كونه تابعا لسيبويه ، ونعود لتوضيح هذه النقطة فنقول تقدم في كلامنا على مدرسة الاندلس النحوية انها تميزت بظاهرة جديدة تلك هي الدعوة الى اتباع الظاهر في النحو ، وكان أبو العباس احمد بن عبدالرحمن بن محمد بن مضاء القرطبي اول من نادى بهذه الدعوة وطبقها في النحو بسبب نزوعه الى دعوة الموحدين ولصلته القوية بيعقوب بن يوسف ابن عبدالمؤمن بن علي الذي تولى الحكم بين سنتي ٥٨٠ هـ و ٥٩٥ هـ والذي كان شديد الميل الى الظاهرية فاتبعه ابن مضاء في هذا الميل وحاول تطبيقه على النحو فألف كتاب « الرد على النحاة » وقد ردّ فيه على نحاة المشرق وما اشتهر به مذهبهم من أمور افسدت

---

(١) الدرر الكامنة ج١ ص ١٨٥

النحو وبعدت به عن واقع اللغة ، واتخذ النحو البصري هدفه في هذا الكتاب لانه كان المذهب الشائع في بيئته • وكان كتاب « الرد على النحاة » يقوم على الغاء نظرية العامل ، والغاء العلل الثواني والثوالث التي افسدت النحو ، والغاء القياس والتمارين غير العملية •

وسنحاول أن تتبين علاقة أبي حيان بهذا المذهب فنقول يبدو أن أبا حيان حاول ان يتقرب من منهج أبن مضاء في كتبه فكان وسطا بين المدرسة المشرقية ومدرسة ابن مضاء ، لاننا نجد في كتبه مواضع يقف فيها مع ابن مضاء ويأخذ بآرائه ويذهب مذهبه ، ومواضع اخرى يوافق فيها النحو المشرقي واظن انه حاول ان يستفيد من المدرستين فلم يكن ظاهريا ولا مشرقيا بمعنى الكلمة •

تابع أبو حيان ابن مضاء في الغاء التمارين غير العملية ، وقد كنا نجد في كتاب سيبويه وفي كتب من جاءوا بعده من النحاة كالمازني فصولا طويلة يحاولون فيها معرفة كيفية قياس بناء من كلمة غير مسموع فيها هذا البناء على كلمة اخرى سمع فيها • وعقد سيبويه أبوابا في هذا الاتجاه منها « باب ما قيس من المعتل من بنات الياء والواو ولم يجيء في الكلام الا نظيره من غير المعتل » و « باب ما قيس من المضاعف الذي عينه ولامه من موضع واحد ولم يجيء في الكلام الا نظيره من غيره »[1] ، وغيرها من الاشارات المتفرقة في بعض أبواب الكتاب • وكان غرضهم من هذه الابواب تمرين المتعلم على كيفية القياس من بناء على بناء آخر ، ولم تكن فيه فائدة غير التعقيد وتشتيت ذهن المتعلم ، لذلك حاول ابن مضاء الغاء هذه التمارين لانها لم تنطق بها العرب ولسنا بحاجة الى ذكرها وقضاء الوقت بها من غير جدوى • وقد سار أبو حيان في كتبه على هذه الطريقة ولم يلتفت الى هذه التمارين غير العملية ولم يعرها اهتماما ، وكتبه خالية من مثل هذه

---

(١) ينظر كتاب سيبويه ج٢ ص ٣٩٢ – ٣٩٧ ، ٤٠٣ – ٤٠٤

الابواب ، ولم يشر الى شيء منها في الابواب المختلفة ، وبذلك يكون ابو حيان قد تابع ابن مضاء في الغاء التمارين غير العمليـة وخلص الدارسين من عنائها •

ولم يوافق أبو حيان على الامثلـة الشاذة التي كـان النحـاة يضربونها في كتبهم ، لانه يراها من وضعهم أو من وضع الرواة لان العرب لم تكن تتكلم بها • ومن هـذه الامثلة ما ذكروه في حكم الروابط للخبر بالمبتدأ ان تعددت المبتدآت •

قال أبو حيان « اذا توالت مبتدآت ففي الاخبار عنها طرق

احدها ان يخبر عن احدها مجعولا هو وخبره خبـر متلوه ، والمتلو مع ما بعده خبر متلوه الى ان يخبر عن الاول تاليه معما بعده ويضاف غير الاول الى ضمير المتلو ، مثال ذلك « زيد هند الاخوان الزيدون ضاربوهما عندها باذنه » والمعنى « الزيدون ضـاربو الاخوين عند هند باذن زيد » •

الطريق الثاني ان يجاء بعد خبر الاول بروابط المبتدأ اولالآخر وتال لمتلو مثال ذلك « زيد امه اخواها عمهما قـائم » • والمعنى « عم اخوي ام زيد قائم » •

الطريق الثالث ما تركب من هذين الطريقين وهو ضربان احدهما: ان يتقدم بعض المبتدآت المعريات ويتأخر بعض عن المعرى فيحتاج الاول الى ضمائر اخر ، كقولك « زيد عمرو هند ابوها اخوه منطلق من اجله عنده » ، وتلخيصها « اخو ابو هند منطلق من اجـل عمر وعند زيد • والضرب الثاني عكس الضرب الاول تقول « زيدغلامه ابو عمرو العمران منطلقان من اجله عنـده » وتلخيصه « العمران منطلقان من اجل عمرو عند ابي غلام زيد » ، وقد يتركب تركيبا آخر ثلاثيا بان يتقدم المعرى تثنيه بالمشتغل ثم تثلثـه بالمعرى وبالعكس

فيكثر المفروض • ومثل الطريق الاول من الموصولات « الذي التي اللذان التي ابوهما اختها اخوالك اخته زيد » فلا تدخل العرب موصولا على موصول بل هذه التراكيب كلها من وضع النحويين ولا يوجد نظائرها في لسان العرب »[1]

العلل :

وألغى ابن مضاء العلل الثواني والثوالث لانها تفسد النحو وتجعله مسائل معقدة متشعبة ، وكان أبو حيان ينفر من هذه التعليلات كابن مضاء ، وقد كرر ذلك كثيرا ورد على ابن مالك ذهابه الى تعليل أمور وضعية لا حاجة الى تعليلها فيقول عند كلامه على تاء التأنيث « وعلل المصنف في شرحه كونها لم تدخل فعل الامر ولا المضارع فقال للاستغناء عنها بياء المخاطبة نحو « افعلي » ، وللاستغناء عنها بتاء المضارعة نحو « هي تفعل » ، ولانها ساكنة فالمضارع يسكن في الجزم فلو لحقته التقى فيه ساكنان وهذه التعاليل هي تعاليل لحصر صفات وضعية فلا حاجة اليها »[2] •

ويرد أبو حيان اختلاف النحاة في المسائل النحوية وتعصبهم لآرائهم وكثرة التعاليل عندهم حتى تطول المسألة الواحدة وتتعقد • وقد رد عليهم خلافاتهم في علامات اعراب المثنى وجمع المذكر السالم وقال « وهذا الخلاف الذي في هذه الحروف وهذه النون ليس تحته طائل ولا ينبى عليه حكم » • ورد الخلاف في « أل » التعريف وقال انه خلاف لا يجدي شيئا وينبغي ان لا يتشاغل به ، كما رد علل البصريين والكوفيين وخلافهم في أصل المشتقات لانه لا يجد فيها كثير منفعة[3] •

---

(١) الارتشاف ص ١٤٠ ب ، وينظر همع الهوامع ص ١٠٩

(٢) التذييل والتكميل ج١ ص ٣٨ ، وينظر همع الهوامع ج١ ص ٥٦

(٣) ينظر الارتشاف ص ٥٥ ، ٦٨ ، وهمع الهوامع ج١ ص ٧٩ ، ١٨٦

ولكي نبين تعليلات النحاة وافسادهم النحو بها وموقف أبي حيان منها ، ننقل خلافهم في تقديم التمييز على العامل فيه عنـد قول ابن مالك

وعامل التمييز قدّم مطلقـا والفعلُ ذوالتصريف نَزْراً سبقا

قال « واما باب « وجع زيد رأسه وسفه عمرو رأيه » فاختلف النحويون في جواز تقديمه على الفعل فمنع من ذلك الفراء وأجاز التقديم البصريون والكسائي على اختلاف بينهم في تأويل نصب هذه الالفاظ . قال الزجاج والفارسي المانع من تقديمه كونه منقولا من الفاعل أو فاعل في المعنى فلا يتقدم كما لا يتقدم الفاعل ، وعورض بجواز أخرجت زيدا ، فزيد فاعل من حيث المعنى لانه كان قبل دخول همزة النقل على الفعل « خرج زيد » ومع ذلك يجوز « زيداً أخرجت» باتفاق من النحويين مع انه فاعل في الاصل قبل النقل وفاعل أيضا من جهة المعنى ، وبانه كما يكون منقولا من الفاعل فقد يكون منقولا من المفعول ، والمفعول يجوز تقديمه فكذلك ينبغي ان يجوز هذا وبابه ، وبانه قد لا يكون منقولا من فاعل ولا مفعول نحو « داري خلف دارك فرسخا » . وقال الفارسي ايضا المانع له من التقديم كونـه مفسِّرا ومرتبة المفسِّر ان يأتي بعد المفسَّر ، وعورض بالحال فانه يجوز تقديمها على العامل وان كانت مفسِّرة لما انبهم من الهيئات ، كما كان التمييز مفسِّرا لما انبهم من الذوات . وقال العبدي المانع من التقديم شبهه بالمنتصب بالصفة المشبهة باسم الفاعل من جهة انه منقول كما ان ذلك منقول ، وعورض بانه قد يجيء في غير منقول نحو « امتـلأ الاناء ماءً » فانه لا يقال فيه « امتلأ ماء الاناء » .وقال سيبويه المانع له من التقديم حمله على الصفة ولم يعلل بالنقل ، وقال العبدي أيضـا واختاره الاستاذ ابو علي المانع من التقديم كون الغالب عليه ان يكون في الاعداد وفيما ليس بفعل وهذا لا يتقدم التمييز فيه فعومل ما عمل فيه الفعل معاملته ولا كذلك الحال ، لان أكثر ما يعمل فيها

الفعل ، وعورض بانه لو كان كذلك لجاز ان تتقدم الحال على العامل فيها اذا كان معنى فعل حملا على الفعل مراعاة لحمل الاقل على الاكثر. وقال أبو بكر بن طاهر المانع من تقديمه كون عامله غير متصرف ، اعني انه لا يعمل في معموله معرفة ونكرة كسائر العوامل فضعف لذلك وعورض بالحال فانها لم يتصرف فيها بالتنكير والتعريف بل التزموا فيها التنكير » . وقد قال أبو حيان بعد أن نقل هذه الآراء « فانت ترى هذه التعاليل كلها لمن منع التقديم وهي معارضة للسماع،والتعليل انما ينبغي ان يسلك بعد تقرر السماع ، ولا ينبغي ان يعول منه الا على ما كان من لسان العرب واستعمالاتها تشهد له وتوحي اليه . ولقد كان بعض شيوخنا من أهل المغرب يقول اياكم وتعاليل الرماني والوراق ونظرائهما . وكثيرا ما شحنت الكتب بالاقيسة الشبهية والعلل القاصرة وهي التي لا يعجز عن ابداء مثلها من له أدنى نظر في الحالة الراهنة ولا يحتاج في ذلك الى امعان فكر ولا اكداد بصيرة ولا حث قريحة ، ولذلك قال بعض الادباء

ترنو بطرف فاتن فاتر   أضعف من حجة نحوي[1]

فأبو حيان لا يرى في التعاليل القاصرة كبير فائدة ، ويرى أنّ النحويين قد أفسدوا النحو بعللهم وحججهم الضعيفة الواهية التي ليس لاكثرها نفع أو كبير فائدة ، وان بعض هذه التعليلات لا حاجة اليه أصلا كتعليلهم الامور الوضعية لانه لا يمكن ان يعلل كل شيء ، وهذا هو مذهب الظاهرية نفسه فقد ذهب دعاة الظاهرية الى انه من الحرام ان نسأل عن شيء وجد ، لم وجد ؟ ولم وضع على هذه الصورة ؟ ولم قيل في القرآن كذا ولم يقل كذا ؟ وقد قال ابن حزم في ذلك :« لا يحل التعليل في شيء من الدين ولا ان يقول قائل لم حرم هذا واحل هذا »[2] . وكذلك علم العربية عند أبي حيان فهو « من باب

---

(١) ينظر منهج السالك ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠

(٢) الاحكام في اصول الاحكام ج٨ ص ٩٢ ، ١١٤

الوضعيات العربية ، ففي الحقيقة لا يحتاج فيه الى تعليل كما لا يحتاج في علم اللغة الى تعليل فلا يقال لم جاء هذا التركيب في قولك « زيد قائم » هكذا كما لا يقال لم يقال للمعين الطرف ، والليل الليل ؟ ولا يقال لم كانت حروف المضارعة الهمزة والتاء والنون والياء ؟ وتبدي لذلك عللا كما قالوا ان الاصل ان تكون حروف المضارعة من حروف العلة ، لان اكثر ما يزاد حروف العلة فكان القياس ان تكون حروف المضارعة الالف والواو والياء فلم يمكن ان تكون الالف لسكونها ولا يبتدأ بساكن فابدلوها همزة وجعلوها حرف مضارعة وابدلوا الواو تاء فقالوا تضرب واصلها وضرب ، كما قالوا تراث وتخمة والاصل وراث ووخمة والياء سلمت من مانع الالف والواو فزيدت هي نفسها . والنون زيدت لانها ضارعت حروف المد واللين لان فيها غنة كما فيهن مد ، ولانها تكون اعرابا مثلهن فهذا كله تعليل يسخر العاقل منه ويهزأ من حاكيه فضلا عن مستنبطه ، فهل هذا كله الا من الوضعيات ، والوضعيات لا تعلل »[1] .

ولا يكتفي أبو حيان بهذا الرد وانما يحاول تثبيت قوله بان الوضعيات لا تعلل ، بمقارنة العربية باللغات الاخرى ، فكما وضعت أحرف المضارعة في العربية الهمزة والنون والتاء والياء ، وضعت مقابلها في التركية والفارسية والبشمورية والحبشية علامات لذلك ، فكيف يحاول النحاة أن يعللوا وضع هذه العلامات دون غيرها ؟ لم يكن ذلك التعليل في العربية الا بسبب ولع النحاة به ، يقول « وكما جعلت العرب حروف المضارعة في هذا الفعل جعلت الترك « راء » ساكنة تليها علامة المتكلم والمخاطب ولا علامة للغائب ، فيقولون « كَلْدي » بمعنى « جاء » ، فاذا اردت معنى « يجيء » قلت « كَلُر » ، ومعنى « أجيء » قلت « كَلُرْمَنْ » ومعنى « نجيء »: « كَلُرْبِزْ » ومعنى « تجيء » قلت « كَلُرْسَنْ » ،

---

(١) منهج السالك ص ٢٣٠

وجعلت الفرس علامة لذلك « ميما » مكسورة مســالة فيقولون « خَوْرَدْ » بمعنى « أكــل » فاذا اردت « تأكــل » قلت « مِيخُورَدْ » ومعنى « آكــلُ » « مِيخُورَمْ » ، ومعنى « نأكل » « مِيخُوريْم » ، ومعنى « تأكل » « مِيخُوْر » •
وجعلت البشمور علامة لذلك فيقولون « أفُولُبُو » بمعنى: «خرج»، فاذا أردت معنى: « يخرج » قلت « أفْخُولُبُو»،ومعنى: «اخرج»: « أخُولُبْو » ، ومعنى « يخــرج » « أنخُوانُبْو » ، ومعنى « تخرج » « اكخُولُبُو » • ووافقت الحبشــة العرب في حروف المضارعة فالياء للغائب مطلقا غير المؤنثة فتقول « مَحَط » بمعنى « ضرب » ، فاذا اردت معنى « يضرب » قلت « يَمْحَطُ » ، والتاء للمخاطب مطلقا وللغائبة فتقول « أنا تِمحَطُ » أي « انت تضرب»، و « هند تِمْحَطُ » ، والهمزة للمتكلم وحده فتقول « إيّــاء إمْحَطُ » أي « أنا اضرب » ، والنون للمتكلم ومعــه غيره فتقول « انيا نِمْحَطُ » أي « نحن نضرب » • فانت ترى توافق هــذا اللسان الحبشي للسان العربي في حروف المضارعة الا انهــا في اللسان الحبشي مكسورة كما مثلنا •

واذا تقرر الخلاف في الالسن في حروف المضارعة وفي غيرها أيضا فكيف يمكن أن تظهر علة في اختصاص كل لسان بهــذا الحرف الذي وضع للمضارعة فيه ، وهل ذلك الا فضول من القول لا يحتاج اليه ، وتخرص على اللغات لا يعول عليه »[1]

ويرى أبو حيان ان النحويين قد أفسدوا النحو وجعلوه علما يبعث السأم في النفس بكثرة ما وضعوا من تعليلات ، ويبين لنا كيف أفسدوا بمعارضاتهم ومناقشاتهم اللغة العربية يقول « والنحويون مولعون بكثرة التعليل ولو كانوا يضعون مكان التعاليل احكاما نحوية مستندة للسماع الصحيح لكان أجدى وأنفع ، وكثيرا ما نطالع اوراقا في تعليل

(١) منهج السالك ص ٢٣٠

الحكم الواحد ومعارضات ومناقشات ورد بعضهم على بعض في ذلك ، وتنقيحات على زعمهم في الحدود خصوصا ما صنفه متأخرو المشارقة على مقدمة ابن الحاجب فنسأم من ذلك ولا يحصل في أيدينا شيء من العلم »[1] .

ويذهب أخيرا الى أن احكام لغة من اللغات او نحوها لا يحتاج الى تعليلها أو دخول الأقيسة فيها ، ويشيد بابي جعفر ابن مضاء وبدعوته الى اطراح التعاليل السخيفة فيقول « ولقد اطلعت على جملة من الالسن كلسان الترك ولسان الفرس ولسان الحبش وغيرهم وصنفت فيها كتبا في لغتها ونحوها وتصريفها واستفدت منها غرائب ، وعلمت باستقرائها ان الاحكام التي اشتملت عليها لا تحتاج الى تعليل أصلا وان كل تركيب كلي يحتاج فيه الى نص من السماع ، وانها لا يدخلها شيء من الأقيسة وانما يقال من ذلك ما قاله أهل ذلك اللسان . ولم أرَ أحدا من المتقدمين نبه على اطراح هذه التعاليل الا قاضي الجماعة الامام أبا جعفر احمد بن مضاء صاحب كتاب « المشرق في النحو » فانه طعن على المعللين بالعلل السخيفة ورد عليهم ما شحنوا به كتبهم من ذلك . وكان ابن مضاء من مقرئي كتاب سيبويه والمعتنين بطريقته ، وهو كان من آخر من ختمت به المائة السادسة من علماء هذه الملة رحمه الله »[2] .

ومن هذه النصوص يظهر لنا ان أبا حيان ذهب الى ما ذهب اليه ابن مضاء من اطراح التعليلات السقيمة التي لا فائدة منها ولا داعي لها، وردّ الاقيسة التي لا تعتمد على سماع صحيح . وأخذ على النحويين انشغالهم بهذه التعليلات عن وضع أحكام نحوية صحيحة مستندة على السماع الصحيح عن العرب الأقحاح ، ويحاول اقناعهم بان التعليلات

(١) منهج السالك ص ٢٣٠

(٢) منهج السالك ص ٢٣٠ ـ ٢٣١

لا تنفع في اللغة وان لكل لغة طابعها الخاص[1] • وبذلك استفاد من ابن مضاء وان لم يتبعه في جميع الآراء التي نقلها عنه •

العامل :

اختلف النحاة في العامل والمعمول ، ولا يمر باب من أبواب النحو الا ونجد للعامل فيه أثرا واضحا ، ويكثر فيه اختلاف النحاة ويذهب كل واحد منهم مذهبا ، فهذا يجعل العامل معنويا وذاك يجعله لفظيا ، وذلك يجعله ما قبله من فعل او من كلام أو اداة • وقد حاول ابن مضاء ان يلغي العامل ليريح النحاة ومن يدرس النحو من التعقيدات والخلافات التي تطيل المسائل وتبعث في نفس القارىء الضجر وتبعد الدارس عن تتبع هذا العلم ، ولكن صيحته لم تلق اذنا صاغية من النحاة ولم يأخذ بها من جاء بعده ، فالخلافات تستمر والتعقيد يشتد ، حتى أن أبا حيان الذي اتبع النحاة في بعض الابواب وبيّن رأيه في العامل فيها ، كـان لا يرى فائدة كبيرة في هذا الخلاف لانه لا يؤدي الى جديد في النحو • وكرر أبو حيان هذا القول في عدة موضوعات منهـا « باب الفعل المضارع والرافع له » ، فقد ذهب بعض النحاة الى ان عامل الرفع في الفعل المضارع معنوي على الصحيح ، وقيل لفظي وهو حروف المضارعة واليه ذهب الكسائي • أما العامل المعنوي فاختلف فيه فقيل هو تجريده من الناصب والجازم وعليه الفراء ، وقيل هو تعريه من العوامل اللفظية مطلقا وعليه جماعة من البصريين كالاخفش ، وقال الاعلم الشنتمري ارتفع بالاهمال ، وقال ابو حيان هو قريب من الاول ، وقال جمهور البصريين هو وقوعه موقع الاسم كقولك « زيد يقوم » كونه وقـع موقع قائم هو الذي أوجب له الرفع ، وقال ثعلب ارتفع بنفس المضارعة وقال بعضهم ارتفع بالسبب الذي أوجب له الاعراب لان الرفع نوع من الاعراب •••• الخ •

---

(١) ينظر الارتشاف ص ١٠٢ ب ، ١٨٠ ـ ١٨١ ، ٢٨٨ ب ، ٢٩٩ ب ، ٣٠٦ ، ٣٢٢، ومنهج السالك ص ١٢١ ـ ١٢٢ ، ١٧٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، والنكت الحسان ص ٣٩

هذه الاختلافات المتعددة لم تعجب أبا حيان لذلك يقول « فهذه سبعة مذاهب في الرافع للفعل المضارع ذكر منها المصنف مذهبين ... والكلام على هذه المذاهب بالاحتجاج لها والابطال يستدعي ضياع الزمان فيما ليس فيه كبير جدوى ، لان الخلاف في ذلك لا ينشأ عنه حكم نطقي ، والخلاف اذا لم ينشأ عنه حكم نطقي فينبعي ألا يتشاغل بـه »(١) .

وذكر مثل ذلك في باب « الاستثناء » فقال « واذا انتصب ما بعد « الا » على الاستثناء فالخلاف في الناصب ، فقيل النصب بـ « الا » نفسها ، ونسب الى سيبويه . وقيل بما قبل « الا » من فعل وغيره بواسطة « الا » ، ونسب الى سيبويه . وقيل ما قبلها من غير واسطة « الا » وهو مذهب ابن خروف مستدلا في زعمه بكلام سيبويه . وقيل بـ « ان » مقدرة بعد « الا » ونسب الى الكسائي وقيل بـ « ان » مخففة من « ان » مركبا منها ومن « لا » ، فمن نصب غلب حكم « ان » وخبرها محذوف ومن رفع غلب حكم « لا » . وبعد ان نقل هذه الآراء المختلفة قال « ومثل هذا الخلاف لا يجدي كبير فائدة وهو كالخلاف في رافع المبتدأ والخبر ورافع الفاعل وناصب المفعول ، وانما الخلاف الذي يجدي هو فيما ادى الى حكم لفظي أو معنى كلامي »(٢) .

وذهب الى أبعد من ذلك في « منهج السالك » عند بحثه باب المستثنى فصرح بما ذهب اليه ابن مضاء من ان الرفع والنصب والجر والجزم انما هو للمتكلم لا لشيء غيره ، يقول رادا على ابن مالك في قوله:

ما استثنت إلا مع تمام ينتصب

« وقوله « ما استثنت الا » فيه تجوز ، لان « الا » ليست التي

---

(١) التذييل والتكميل (باب الاعراب) ج٥ ص ٨٤ ب ، وينظر الارتشاف ص ٩٠ب، والاشباه والنظائر ج١ ص ٢٤٣ ــ ٢٤٤ ، وهمع الهوامع ج١ ص ١٦٥

(٢) الارتشاف ص ١٩٤ ب

نستثني انما يستثنى بها ، والمستثني هو المتكلم »[1] .

وقد نقل أبو حيان الخلاف في العامل في بعض الابواب وسكت عنه ولم يبين رأيه في العامل فيها ، ففي باب الابتداء لم يبين رأيه في العامل في كتاب « منهج السالك » وانما نقل الخلاف ولم يرجح رأيا ، وفي باب « الفاعل » نقل الخلاف ولم يذكر رأيه في العامل فيه ، وكذلك فعل في باب « المفعول »[2]

ومن هذه الآراء وهذا المنهج في البحث يتبين لنا ان أبا حيان تأثر كثيراً بدعوة ابن مضاء في الغاء العامل وعدم القول به ولكن هذا التأثر لم يكن قويا لذلك لم يقف هذا الموقف في ابواب النحوالاخرى ، لان الخلافات الموجودةوطريقة النحاة في البحثوتشعب الآراءوالابواب اضطرته الى ان يرجح رأيا ويرد آخر . وقد ذكرنا انه لم يذكر رأيه في العامل في المبتدأ عندما بحثه في « منهج السالك » لكننا نراه يختار في « الارتشاف » مذهب الكوفيين بعد ان ينقل مختلف الآراء ، يقول: « والذي نختاره من هذه المذاهب هو مذهب الكوفيين ، وهو انهما ترافعا أي رفع كل منهما الآخر وهو اختيار ابن جني »[3] . وبين رأيه في الفاعل في « منهج السالك » في حين سكت عنه في « الارتشاف » ، فذهب الى ان العامل فيه لفظي لا معنوي وهو المسند ، كما ذهب الى ان العامل في المفعول فيه والمفعول المطلق والحال هو الفعل[4]

فنحن نجد من هذه الآراء انه يرجح في أغلب الاحيان ـ ان لم نقل جميعها ـ العامل اللفظي فيما اختار له عاملا ، ولم يكن يتبع مدرسة معينةفي العوامل انما كان يختار أيّ مذهب يراه صحيحا فاختار في أحدها مذهب الكوفيين كما رأينا في المبتدأ والخبر ، واختار رأي ابن مالك في العامل في الفاعل .

---

(1) منهج السالك ص ١٦٠

(2) ينظر منهج السالك ص ٣٨ ، ١٤٣ والارتشاف ص ١٦٥ ب ، ١٧٥ ب

(3) الارتشاف ص ١٣١ ب

(4) ينظر منهج السالك ص ١٤٦ ، ١٨٠ ، والارتشاف ص ١٧١ ، ١٧٦ ب ، ٢٠٣

فموقف أبي حيان من العمال كان وسطا بين المذهبين مذهب ابن مضاء ومذهب النحاة المتعلقين بالعامل ولن يستطيع النحوي مهما ابتعد عن التأويل وعن خلافات النحويين ان يبتعد عن فكرة العامل لا سيما وان باب التنازع مبني على فكرة العامل والاعمال والمعمول لذلك لم يستطع أبو حيان ان يتخلص من العامل ، وحتى ابن مضاء نفسه اضطرَ مع مناداته بالغاء العامل — الى ان يذهب الى وجود العامل في باب التنازع فرجح اعمال الفعل الثاني بين المتنازعين لقربه[1] . ولولا قوله بالعامل وبان هناك اعمالا لما رجح فعلا على فعل

القياس والسماع :

وكان أبو حيان يأخذ بالقياس ولا يلغيه ، ومن أمثلة ذلك قوله عند الكلام على « ذراع » والخلاف في تأنيثه وتذكيره « فاما ذراع فمؤنث عند معظم العرب ، وتذكره عقيل ، ولو سميت به مذكراً صرفته سماعا عن العرب والقياس ترك الصرف »[2] . وقوله عند الكلام في « باب ما لا ينصرف » على ثلاث ومثلث ورباع ومربع ومنعها الصرف « ويمنع العدل أيضا مع الصفة فيما وازن « مفعل » و « فعال » في العدد ، وفي ذلك ثلاثة مذاهب

أحدها مذهب الكوفيين وهو القياس فيما لم يسمع على ما سمع ، والمسموع عند الكوفيين والبصريين عشار ومعشر وخماس ومخمس ورباع ومربع وثلاث ومثلث وثناء ومثنى واحاد وموحد ، فقاس على هذا الكوفيون: سداس ومسدس وثمان ومثمن وتساع ومتسع ، وترك البصريون القياس واقتصروا على مورد السماع . وقيل يقاس على ما سمع من « فعال » لا على ما سمع من « مفعل » وقيل يقاس البناءان، وهو الصحيح لسماع ذلك عن العرب فتقول: موحد واحاد

---

(١) ينظر الرد على النحاة هامش ص ١٦ ، ومنهج السالك ص ٢٣٨ ، والارتشاف ص ٢٢٨ ب

(٢) الارتشاف ص ٩٧

الى معشر وعشار ٠٠٠٠ »[١] • وقوله عند الكلام على الجمل الحالية المبدوءة بمضارع مسبوق باداة نفي « وان كان حرف النفي « ان» نحو « جاء زيد ان يدري كيف الطريق » فلا أحفظه من لسان العرب، والقياس يقتضي جوازه كما وقع خبرا لـ « ظل » في قولـه « حتى يظل إن يدري كيف يصلي »[٢] • وقوله عند الكلام في تقديم معمول الفعل على « لن » الناصبة « وقـد حكى ابن مضاء في كتـاب « العوامل والهوامل » عن الاخفش الصغير منع تقـديم منصوب منصوبها وهو القياس ، لان تقديم المعمول يوزن بجواز تقديم العامل، وكما لا يجوز تقديم المضارع على « لن » فكذلك لا يجوز تقـديم معموله على « لن »[٣]

لكن أبا حيان لم يكن يطلق القياس كما يفعل الكوفيون حيث جوزوا القياس على مثال واحد او بيت شـعر كما جوزوا القيـاس على ما لم يرد به سماع ، وانما كان يقيس على ما ورد به السماع أو كان السماع كثيرا يجوز في مثله القياس ، يقول عند الكلام على«أي»: ولا بد ان تكون مضافة الى ما يماثل الموصوف فلا يجوز « مررت برجل أي عالم » فان ماثله معنى لا لفظا فقال ابن مالك : يجوز ، نحو: « رأيت امرءً أيّ فتى » • وهذا لم يذكره اصحابنا فينبغي ان لايقدم على جوازه الا بسماع ، والاصل ان لا يوصف بـ « أي » فلا يتوسع فيها بالقياس »[٤] •

ويَستحسِن القياس اذا ورد به السماع،مثل قوله بعد الكلام في مجيء « أفعل التفضيل » عامـلا في حالين ، يقول « وزعم بعض اصحابنا انه يجوز « زيد انفع منفردا من عمرو معانا » و « هذا أطيب

---

(١) الارتشاف ص ٩٦

(٢) الارتشاف ص ٢١٢ ب

(٣) ينظر النكت الحسان ص ٥٣

(٤) ينظر الارتشاف ص ١٢٢

بسرا منه رطبا » فـ « بسرا » حال من الضمير في «اطيب» ، و «رطباً» حال من الضمير المجرور في « منه » ، لان تقدم احـدى الحالين على « من » وتأخر الاخرى عنها فاصل بين المفضل والمفضل عليه ، اذ لا يكون بعد « من » الا المفضول ، ولا يكون هنا اضمار «اذا كان » ولا « اذ كان » ، لانه لا ضرورة تدعو الى ذلك وهـذا الذي ذهب اليه هذا الذاهب حسن في القياس ان وافقه سماع من العرب »[1] .

ويرى انه لا يجوز ان يقاس على شيء الا اذا ثبت وروده في لسان العرب ، يقول عند كلامه على « كان » وجواز تعويض « ما » عنهـا بعد « أن » « وزعم المبرد انه يجوز اظهار الفعل مع المفتوحة ويجعل « ما » زائدة فيقول « أن ما كنت منطلقا انطلقت معك » ، والصحيح انه لا يجوز ذلك ، لانه كلام جرى مجرى المثل ، والامثال وما يجري مجراها تحكى كما سمعت ولا يطرد فيها قياس ، ولذلك نقول ان الاسم متى كان ظاهرا نحو « أن كان زيد منطلقا انطلقت معه» فلا يجوز هاهنا التعويض .. ونحو « اما انا منطلقا » في ذلك نظر ، والذي نختاره ان ذلك مقصور على مورد السماع ، والسماع انما جاء والضمير للخطاب ، قال الشاعر

أبا خراشة أمـا انت ذا نفر فان قومي لم تأكلهم الضبـع

وقال آخر

أما اقمت وأما انت مرتحـلا فالله يكلأ ما تأتي ومـا تـذر

وانما اخترنا الاقتصار على مورد السماع ، لان ذلك خـارج عن القياس ، ألا ترى ان ذلك لا يجوز في غير « كان » من أفعال هـذا الباب وهو كلام جرى مجرى المثل وقد وقع في كتاب سيبويه في هذه المسألة « أمّا زيد ذاهبـاً ذهبت معه » والمعنى ان كان زيد ذاهبـا

---

(١) منهج السالك ص ٢٠٣

ذهبت معه ، فاتى بالاسم الظاهر مرفوعا على اضمار « كان » معوضا « ما » ، لكن من تمثيله ، ولم ينقله من كلام العرب فينبغي ان لا يقاس عليه الا ان ثبت من لسان العرب »[1] .

وأوضح أبو حيان رأيه في القياس فقال وهو يتحدث عن « كذا » « فلما اطلعنا على مذاهب الناس في هذه المسألة ولاختلافهم فيها رجعنا عند الاختلاف الى اسماع من العرب ، فما وجدناه منقولا عنهم اخذنا به ، وما لم ينقل من لسانهم اطرحناه وذلك مذهبنا في اثبات الاحكام النحوية انا نرجع فيها الى السماع فلا نثبت شخصيا من الاحكام الا بعد اثبات نوعه ، ولا نثبت شيئا منه بالقياس ، لان كل تركيب له شيء يخصه ، فلو قسنا شيئا على شيء لاوشك ان نثبت تراكيب كثيرة ولم تنطق العرب بشيء من أنواعها . والقياس الذي نذكره نحن في النحو انما هو بعدتقرر السماع فلا نثبت الاحكام بالقياس انما نثبتها بالسماع من العرب ويكون في الاقيسة اذ ذاك تأنيس وحكمة لذلك السماع . ومن تأمل كلام سيبويه وجده في اكثره سالكا هذه الطريقة التي اخترناها من اثبات الاحكام بالسماع »[2] .

ويأخذ بالقياس عند انعدام السماع فان ورد السماع والقياس رجح السماع ، يقول عند كلامه في مصدر « فعل» المعتدي «اما فعل المعتدي فالمختار انه ان سمع له مصدر وقف مع ذلك المسموع وان لم يسمع له مصدر جعلنا مصدره « فَعْلا » قياسا على الاكثر ، وبعض النحويين أجاز « فعلا » مع المسموع وبعضهم لم يجز « فعلا » وان كان لم يسمع له مصدر . وهذان المذهبان طرفا نقيض ، والمختار ما تقدم من القياس عند عدم السماع أو عدمه عند وجوده »[3] .

---

(١) منهج السالك ص ٦٠

(٢) التذييل والتكميل ج٣ ص ١٥٣ ، مخطوطة رقم ٦٢ نحو

(٣) النكت الحسان ص ٨٤

ويقول عند الكلام في الجموع « وان كان المنقول من الجامد مستقراً له جمع بان كان لم يجمع البتة كالمنقول من أكثر المصادر نحو « ضَرْب » فتجمعه في القلة على « أضرب » كـ « كلب » و«أكلب»، وفي الكثرة على « فعول » كـ « كعب » و « كعوب » . أو جمع لكن لم يستقر له جمع بل اضطربت الجموع فيه ، فان كان فيهـــا مقيس اتبع كـ « اعزل » جمع مقيساً على « عزل » وشــاذا على « عُزُل » و « عزال » و « اعزال »[1] .

ويعتبر المسألة غلطا من قائلها ان لم يرد بها سماع او كانت جارية على القياس كما فعل في رده على ابن خروف في « كين » ، يقول بعد ان نقل اللغات في «كأين» « وكأي » وبه قرأ ابن محيصن والاشهب العقيلي وحكاها ابن كيسان والاعلم ، وزعم ابن خروف ان الاعلم غلط في ذلك ، وانها « كأي » بالف وياء ، وهو الغالط ، لم يحك هذا أحد غيره وهو جائز في القياس ان تبدل من الهمزة الساكنة الفاً كما تقول في رأس « راس »[2] . وكما يظهر من رده على الاخفش في تجويزه مجيء « أي » نكرة موصوفة ، يقول « .. نحو « مررت بمن معجب لك » فاجاز ان تقول مررت بأي معجب لك . فقال انما اجاز ذلك بالقياس على « ما » و « من » وليس مسموعا عن العرب ، ويكفي من الرد عليه انه احداث تركيب لم ينقل عن العرب »[3]، وكل ما يصـــح قياسه عن العرب فالذاهب اليه غير مخطيء . وقد ذهب الى ذلك عنـــد كلامه في « وحده » ورأي يونس فيها ، يقول « وذهب يونس وهشام في أحد قوليه الى انه منصوب انتصاب الظروف فيجريه مجرى « عنده » فاذا قلت : « جاء زيد وحده » فكان التقدير « جاء زيد على وحـــده » ثم حذف حرف الجر ونصب على الظرف ، وحكى من كلامهم «جلساعلى

(١) الارتشاف ص ٤٤
(٢) الارتشاف ص ٨٤
(٣) منهج السالك ص ٢٩٣

وحديهما » •• وردّ مذهب يونس بان حذف حرف الجر لا يجوز بقياس وهذا ليس بشيء ، لان يونس لم يحذف الحرف بقياس بل العرب حذفته وذلك بعدما أدخلته ، ألا ترى ان ما حكى يونس عن العرب « جلسا على وحديهما » أي موضع انفرادهما »[1] •

فابو حيان يجعل السماع هو الاصل ويأخذ به كثيرا ويعتمد عليه ويبني الاحكام والقواعد على ما كثر السماع فيه ، ويكون في الاقيسة تأنيس بذلك فيقول « ومثل هذه القاعدة لا تثبت بمثال او مثالين يحتملان غير الحال ، انما يثبت هذا باستقراء جزئيات كثيرة حتى يتحصل من ذلك الاستقراء قانون كلي يغلب على الظن ان الحكم منوط بذلك »[2] •

ولا يمكن ان يبني القاعدة او يقيس على مثال واحد نادر لانه لا تثبت القاعدة ببيت واحد يحتمل التأويل ، ولا يمكن بناء قاعدة على الفاظ قليلة، وانما تبنى القواعد وتوضع المقاييس على وجود الكثرة لعدم امكان تأويل الكثير، ويؤول ما خالف القياس وهو ما كان قليلا جدا، يقول في جواز دخول « قد» على الحال الماضي « وقال صاحب اللباب وقد تكلم على المسألة : خلافا للكوفيين فانهم يجيزون ذلك دون « قد » ظاهرة ولا مضمرة قالوا لان اكثر ما فيه انها غير موجودة في زمن الفعل وذلك لا يمتنع كما لا يمتنع الحال المقدرة • وذكر بعض الناس ان ذلك مذهب الاخفش ، والصحيح جواز ذلك لكثرة ما ورد منه بغير « قد » ، وتأويل الشيء الكثير ضعيف جدا لانا انما نبني المقاييس العربية على وجود الكثرة »[3] • ويقول « ولا يبنى الا على الكثير المعروف من كلام العرب لا النادر الشاذ الذي لم يأت الا في الشعر»[3] •

---

(١) منهج السالك ص ١٨٦
(٢) منهج السالك ص ١٩٤
(٣) منهج السالك ص ٢١٤
(٤) منهج السالك ص ٦٥

ويقول : « وهذا كله يدل على ان اعمال « لا » اعمال ليس ضعيف جدا ولو ذهب ذاهب الى انه لا يجوز ان تعمل « لا » هـذا العمل لذهب مذهبا حسنا ، اذ لا يحفظ ذلك في نثر أصـلا ولا في نظم الا في بيت نادر ينبغي ان لا تبنى عليه القواعد »[1] • ويقول في موضـع آخر « ولا يبنى الا على الكثير المعروف من كلام العرب لا النادر الشاذ الذي لم يأت الا في شعر »[2] • ويقول عند كلامه على « التي » و « الذي» واللغات فيها « وقال ابن مالك وقد يقال الذي والذات والذين والتي والاتي ، ولم يذكر شاهدا على ذلك الا قراءة اعرابي « صراط الذين » بتخفيف اللام فيما سمعه أبو عمرو • ولا يجعل ذلك قياسـا ان صح فيحذف من بقية الالفاظ التي ذكرها ، لان هـذا التخفيف شاذ »[3] • ويقول في الوقف على الالف « وجاز حذف ألف ضمير الغائب منقولا فتحها الى ما قبلهـا سـمع ذلك في قول بعض طيء « والكرامة ذات اكرمكم الله بهَ » يريدون « بها » ، ولم يحفظ منـه غير هذا لبعض العرب ولا يتعدى فيوقف على « منها » و « عنها » منهَ وعنهَ ، ويجعل ذلك قانونا كلياً »[4] •

فان كان هذا القليل لغة قبيلة من القبائل الموثوق بها صح أن يؤخذ به ويقاس عليه ، يقول أبو حيان عند كلامه في : « كم » واللغات فيها « ولزمت « كم » التصدير الا اذا جرت باضافة أو بحرف ، أو كـانت استفهاما ، أو عطفت في الاستثبات ، او كانت خبرية في اللغة المشهورة نحو : « غلام كم رجلٍ ضربت » و « علم كم فاضل حصلت »و« بكم درهم اشتريت هذا » و « بكم فاضل اقتديت » و « قبضت عشـرين وكم » اذا استثبت من قال « قبضت عشرين وكذا وكذا » و « كم فاضل صحبت » • واما اللغة الاخرى فحكاها الاخفش وهي جواز ان

---

(١) منهج السالك ص ٦٤

(٢) منهج السالك ص ٦٥

(٣) الارتشاف ص ١١٧

(٤) الارتشاف ص ٨٥ ب

لا تتصدر فتقول « فككت كم عان » و « ملكت كم غلام » لانها بمعنى « كثير » ، كما جاز « فككت كثيرا من العناة » و « ملكت كثيرا من الغلمان » . واضطرب في القياس على هذه اللغة فقيل هي من القلة بحيث لا يقاس عليها ، والصحيح انه يجوز القياس عليها لانها لغة »[1] .
ويقول « كل ما كان لغة لقبيلة قيس عليه » ، ويقول « انما يسوغ التأويل اذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول ، اما اذا كان لغة طائفة من العرب لم يتكلم الا بها فلا تأويل ، ومن ثم رد تأويل أبي علي قولهم « ليس الطيب الا المسك » على ان فيها ضمير الشأن ، لان أبا عمرو نقل ان ذلك لغة بني تميم »[2] .

ولا يجوز عند أبي حيان بناء القاعدة بالقياس على محتمل ظاهر فيه غير موضع الاستدلال انما يجب ان يكون الدليل ثابتا لا يتطرق اليه الشك والاحتمال لذلك نجده يرد على من أثبت أحكاما يتطرق اليها الاحتمال فيقول رادا على ابن مالك في زعمه انه قد يستغنى عن الجواب بمعموله مستشهدا بقوله تعالى « يوم ترجف الراجفة »[3] ، أي ليبعثن يوم ترجفنا الراجفة « ولا يتعين ما قاله في الآية بل يحتمل وجوها ولا يثبت مثل هذا الحكم بمحتمل »[4] .

ويقول عند الكلام على حذف ادوات الشرط « ولا يجوز حذف ادوات الشرط لا « ان » ولا غيرها ، وقد جوز ذلك بعضهم في « إن » قال ويرتفع الفعل بحذفها صفة أو يقدرها لا تعمل ، مثاله صفة قوله تعالى « وآخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما »[5] ، ومثاله مقدرة لا تعمل قوله

---

(١) الارتشاف ص ٨٢ ب
(٢) ينظر التذييل والتكميل ج٢ ص ٢٧ ب ـ ٢٨ ب والارتشاف ص ١٤٦ ، والمزهر ج١ ص ٢٥٨ ، والاقتراح ص ٧٨
(٣) سورة النازعات ، الآية ٦
(٤) الارتشاف ص ٢٣٩
(٥) سورة المائدة ، الآية ١٠٦

وانسانُ عيني يحسرُ الماءَ تارة فيبـــدو وتارات يجم فيغـرق

أي يحسر الماء ، وهذا ضعيف ولا تبنى القواعد الكليـة بالمحتملات البعيدة الخارجة عن الاقيسة »[1] ، لانه « اذا دخل الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال »[2] .

ولما كان السماع عند أبي حيان هو الاساس الذي تبنى عليه القواعد وجدناه يأخذ بالسماع ويترك القياس اذا ما تعارضـا ، ولا يقيس على شيء الا حينما ينعدم السماع ، ونراه يختـار من المذاهب ما وافقـه السماع وشهد له سواء أكان مذهبا بصريا أم كوفيا اعتدّ به سيبويه أو الكسائي أو الفراء ، ولم يكن يعتد باقوال البصريين ويعتمد عليهم لولا انهم كانوا قد اعتمدوا في تقعيد اصولهم النحوية على السماع الكثير المطرد الذي لا يدخله الشك،وبنوا أقيستهم على ما توافر السماع به من قبائل موثوق بها ، ولولا ان اصولهم في هذا شبيهة بالاصول التي سار عليها ، لذلك نجده لا يأخذ بمذهبهم اذا خالفه نص من السماع المخالف لقياسهم كما في قوله عند الكلام في جواز رفع الفاعل بعد اسم المصدر المنون ، يقول « فهي مسألة خلاف ، البصريون يجيزون ذلك فيقولون « عجبت من ضربٍ زيدٌ عمرا » والفراء يقول لا يجوز ذلك بل اذا نون المصدر لم يجيء بعده فاعل مرفوع ، والصحيح مذهب الفراء ، وليس للبصريين حجة على اثبات دعواهم من السماع بل أثبتوا ذلك بالقياس على « ان والفعل »، فمنع هذا التوجيه الذي ذكروه ظاهر »[3] . فأبو حيان يرد على البصريين ويفضل مذهب الفراء لمجيء السماع مؤيدا له في حين بنى البصريون مذهبهم على القياس الذي لم يؤيد بسماع ، ولذلك فهو لا يتعبد البصريين انما يختار ما فيه الدليل من السماع .

ويقول في تفسير قوله تعالى « يسألونك عن الشـهرِ الحرامِ

---

(1) الارتشاف ص ٢٥٣ ب

(2) التذييل والتكميل القسم المطبوع ج١ ص ٨٢

(3) البحر المحيط ج١ ص ٤٦١

قِتالٌ فيه قلْ قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌ عن سبيلِ اللهِ وكفرٌ بهِ والمسجدِ الحرامِ »[1] وقد خبط المعربون في عطف « المسجد الحرام » ، والذي نختاره انه عطف على الضمير المجرور ولم يعد جاره، وقد ثبت ذلك في لسان العرب نثرا ونظما باختلاف حروف العطف وان كان ليس مذهب جمهور البصريين بل أجاز ذلك الكوفيون ويونس والاخفش والاستاذ أبو علي الشلوبين ولسنا متعبدين باتباع مذهب جمهور البصريين بل نتبع الدليل »[2] .

ويقول في مسألة جواز العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تأكيد بضمير منفصل « وقد ذهب الكوفيون الى جواز ذلك من غير اشتراط فصل ، والسماع الكثير يعضدهم نحو قوله

فلما لحقنا والجياد عشية دعوا يالبكر واتمينا لعامرِ[3]

ويقول عند كلامه على الابدال من ضمير المخاطب « ويحتاج الى تفصيل ، وذلك انه ان كان في بدل بعض من كل وبدل اشتمال جاز بلا خلاف ، وان كان في بدل شيء من شيء وهما لعين واحدة فان كان يفيد التوكيد جاز بلا خلاف نحو « مررت بكم صغيركم وكبيركم » وان لم يفد التوكيد فمذهب جمهور البصريين المنع ومذهب الاخفش والكوفيين الجواز وهو الصحيح لوجود ذلك في كلام العرب »[4].

من هذه الامثلة يتبين لنا ان ابا حيان لم يكن يختار رأيا يخالفه السماع وان جاء القياس به ، وانه كان يقف حتى في وجه البصريين وقواعدهم واحكامهم ان لم تكن مؤيدة بسماع وان كان القياس يسندها مع ان أبا حيان كان بصري الهوى والنزعة . ولم يقف هذا الموقف في السماع تجاه البصريين وحدهم انما وقف الموقف نفسه من

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٧

(٢) النهر الماد ج٢ ص ١٤٦ ، وينظر البحر المحيط ج٢ ص ١٤٧ – ١٤٨

(٣) النكت الحسان ص ٤٧

(٤) البحر المحيط ج٦ ص ٥٠٧

سيبويه الذي كان يجله ويعظمه • ونرى انه لم يقدمه الا لانه يوافقه في آرائه ، فسيبويه يعتمد على السماع ولم يبن قواعده الا على ماسمعه عن العرب وتوافر فيه السماع ولم يكن يبني أقيسته على ما قل به السماع مع وجود ما كثر فان لم يسمع وقف عند المسموع ولم يجز غيره ، ولم يأخذ بابيا تشاذة كما فعل الكوفيون وغيرهم • وقد صرح أبو حيان باختياره منهج سيبويه فقال « مذهبنا في اثبات الاحكام النحوية انا نرجع فيها الى السماع فلا نثبت شخصيا من الاحكام الا بعد اثبات نوعه، ولا نثبت شيئا منه بالقياس، لان كل تركيب له شيء يخصه، ولو قسنا شيئا على شيء لاوشك ان نثبت تراكيب كثيرة ولم تنطق العرب بشيء من أنواعها • والقياس الذي نذكره نحن في النحو انما هو بعد تقرر السماع فلا نثبت الاحكام بالقياس انما نثبتها بالسماع من العرب ويكون في الاقيسة اذ ذاك تأنيس وحكمة لذلك السماع ومن تأول كلام سيبويه وجده في أكثره سالكا هذه الطريقة التي اخترناها من اثبات الاحكام بالسماع »[1] •

وأبو حيان يأخذ برأي سيبويه ان كان مؤيدا بسماع ، فان لم يسمع سيبويه الرأي عن كلام العرب يقف عنده أبو حيان ويأخذ بما ورد مؤيدا بالسماع كما فعل عند الكلام على الجر بـ « عدا » و « خلا » يقول « والاكثر ان خلا وعدا فعلان ضمنا معنى الاستثناء ، ولم يعرف سيبويه الجر بـ « عدا » و « خلا » وانما نقل الجر بهما الاخفش ، وثبت بالنقل الصحيح عن العرب ان « حاشا » و « عدا » و « خلا » ينصب الاسم بعدها في الاستثناء وينجر »[2] • أما اذا كان رأي سيبويه مؤيدا بسماع ورأي غيره ليس له سماع يؤيده فانه يأخذ بالرأي المؤيد به كما فعل عند كلامه على تصغير ابراهيم واسماعيل لغير الترخيم، وذكره الخلاف في كون همزتها زائدة أو أصلية، يقول « وابراهيم واسماعيل تقول فيهما بريه وسميع اتفاقا ، وان

---

(١) التذييل والتكميل ج٣ ص ١٠٣

(٢) الارتشاف ص ١٩٩

وقع الخلاف في تصغيرهما غير الترخيم فقال المبرد « أُبَيرِه واسيمع» اذ الهمزة عنده محكوم باصالتها • وقال سيبويه « بريهيم وسميعيل » اذ الهمزة عنده زائدة ، وهو الصحيح الذي سمعه أبو زيد من العرب »[1] •

وقد يُتَّهَمُ سيبويه بانه لم يأخذ عن العرب في بعض الآراء ، لكن أبا حيان العالم بسيبويه وبآرائه ينفي هذه التهمة الشنيعةفي نظره ويقف مدافعا عن سيبويه رادا على متهمه كما فعل عند الكلام في: « استغاث» وما يتعدى به هذا الفعل عند تفسيره قوله تعالى « اذ تستغيثون ربَّكم فاستجاب لكم اني مُمِدُّكم بالف من الملائكة مُردِفين »[2] ، يقول « واستغاث» يتعدى بنفسه كما هو في الآية ، ويتعدىبحرفجر كما جاء في لفظ سيبويه في باب الاستغاثة ، وفي باب ابن مالك في النحو: المستغاث ولا يقول المستغاث به ، وكأنه لما رآه في القرآن تعدى بنفسه قال المستغاث ولم يعده بالباء كما عداه سيبويه والنحويون ، وزعم أن كلام العرب بخلاف ذلك ، وكلامه مسموع من كلام العرب ، فمما جاء معدى بالباء قول الشاعر

حتى استغاث بماء لا رشاء له   من الاباطح في حاجاته البرك
مكلل باصول النبت تنسجه   ريح حريق لضاحي مائه حبك
كما استغاث بشيء قبر عنظلة   ضاف العيون ولم ينظر به الحشك[3]

وقد يعتبر مذهب سيبويه متكافئا مع مذهب غيره اذا كان السماع مؤيدا المذهبين ، ويرد على من يخطيء مذهب سيبويه ويعتبره غير صحيح مع وجود السماع المؤيد له[4] •

---

(١) الارتشاف ص ٣٧ ب

(٢) سورة الانفال ، الآية ٩

(٣) البحر المحيط ج٤ ص ٤٦٥ ، كذا في البحر المحيط اما في لسان العرب مادة « **حشك** » فجاء

كما استغاث بسيء فز غيطلة   خاف العيون فلم ينظر به **الحشك**

(٤) ينظر منهج السالك ص ١٣٣

ولا يأخذ أبو حيان برأي أو بمذهب لم يأت السماع به ، ويتوقف عن قبول آراء النحاة عند المسموع منها ، وامثلة ذلك كثيرة في كتبه منها قوله فيما نقله ابن خالويه عن ابن الانباري من انه يقال في جمع «امة» اميات واموات ، يقول « ويحتاج ذلك الى نقل عن العرب »[1] .
ويقول عن « ثبة وظبة وربة » ونحوها والخلاف في جمعها بالواو والنون أو الالف والتاء « فان كانت التاء عوضا عن فاء الكلمة نحو عدة ، أو لامها نحو ثبة ، وسميت به رجلا أو بربت مخففا قلت:عدون وثبون وربون وعدات وثبات وربات ، هذا مذهب سيبويه . وخالف المبرد في « عدون » فقال لا يجوز الا « عدات » ، ولا يجوز « عدون » . انتهى . ولا ينبغي ان يجوز الا ان سمع » . ويقول في مكان آخر : « وفي حواشي مبرمان[2] قال المبرد النحويون يجيزون: شاها ، قال المبرد هذا خطأ ، ويجيز النحويون « شفاه واماه » . والصحيح ان هذا لا يجوز ولم يسمع شيء منه »[3] .

ويقول في كلامه على:«كأين»رادا على ابن قتيبة:«وقال ابن قتيبة في كتابه: «الجامع في النحو ». كأين معنى «كم» تقول بكأين تبيع هذا الثوب؟أي بكم تبيعه؟. وفي هذا التمثيل ثلاثة اشياء تحتاج الى سماع من العرب،ادخال حرف الجر عليها،وحذف تمييزها،واستعمالها استفهامية. ونصوص من وقفنا على كلامه من النحويين ان « كأين » لا تصير خبرية » . ثم يقول بعد ذلك « فقد استقرأت جملة مما وردت فيه مبتدأة فوجدت خبرها لا يكون الا جملة فعلية مصدرة بماض او مضارع ، او جارا ومجرورا ، ولم أقف على كون خبرها يكون اسما مفردا ، ولا جملة اسمية ، ولا فعلية مصدرة بمستقبل ، فينبغي ان لا يقدم على شيء من ذلك الا بسماع من العرب »[4] .

---

(١) الارتشاف ص ٥٦ ب

(٢) هو محمد بن علي بن اسماعيل العسكري المعروف بـ « مبرمان » المتوفى سنة ٣٤٥ هـ (ينظر بغية الوعاة ص ٧٤ ـ ٧٥)

(٣) الارتشاف ص ٥٥ ب ، ٥٦ ب

(٤) الارتشاف ص ٨٤ ، وينظر همع الهوامع ج٢ ص ٧٥ ـ ٧٦

ولا نريد أن نطيل بذكر الامثلة التي اعتمد فيها أبو حيان على السماع أو فضل الرأي المسموع او ردّه على المذاهب التي لم يؤيدها السماع ، ويكفي ان نشير الى انه لم يختر رأيا غير مستند الى السماع فما لم يجد نصا عن العرب أو نقلا صريحا عنهم فانه يحاول ان يستقريء الكتب القديمة ودواوين الشعراء لعله يعثر على ضالته ، فان لم يجد يرجع الى القياس الثابت الصحيح . ومن ذلك ذهابه الى ان اسماء الاجناس لا يعرف تعريفها من تنكيرها الا بالاستقراء[1] .

ويقول في « كلما » « والمستقرأ من لسان العرب ان « كلما » هذه تقتضي التكرار لا يليها الا فعل ماضي اللفظ ، والعامل فيها متأخر فعل ماضٍ أيضا ، ومن أدعى غير هذا من التركيب يحتاج الى ان يستدل بسماع من العرب »[2] .

ويقول في الكلام على جواز حذف تمييز « كأين » « وأما حذف تمييزها فان المبرد جوز في « كأين رجلا ضربت » ان يكون « رجلا » مفعولا بـ « ضربت » ويكون التمييز محذوفا ويقدره « كأين مرة رجلا ضربت » ... وقال صاحب « البسيط » : حذفه ضعيف .انتهى .وقد تتبعت كثيرا مما ورد في الاشعار من « كأين » فلم أره محذوفا ولا في موضع واحد »[3] .

ويقول في الكلام على جواز تقديم خبر « ليس » او معموله عليها: « وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقدم خبر « ليس » عليها و لامعموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الآية وقول الشاعر

فيأبى فما يزداد إلا لجاجة وكنت أبيا في الخفا لست اقدم[4]

---

(١) ينظر الارتشاف ص ١٠٢

(٢) الارتشاف ص ٢٥٥

(٣) الارتشاف ص ٨٤

(٤) البحر المحيط ج٥ ص ٢٠٦

وخلاصة القول فان موقف أبي حيان من القياس لم يكن كموقف النحاة المتقدمين أو الذين عاصروه،انما كان يختلف عنهم باتخاذه السماع أساس كل حكم ولا يقيس الا على ما كثر فيه السماع ، واذا اجتمع عنده السماع والقياس رجح السماع على الثاني واخذ به ، ولا يأخذ برأي أو مذهب لاحد ما لم يكن مؤيـــدا بسماع ، ويرد حتى آراء البصريين وسيبويه ان لم يكن هناك نقل يؤيدها ، ويرجح عليها أقوال نحـاة آخرين .

وأبو حيـان من هـذه الناحيـة أقرب الى الظاهرية منـه الى غيرهم ، فكما الغى ابن مضاء القرطبي القياس متابعاً في ذلك فقهـاء الظاهرية في الغائه ، ألغى أبو حيان القياس أو بعبارة أوضح لم يعتد به إلا عند الضرورة أو للاستئناس به كما يقول ، حتى انه ليدعو النحاة الى الاخذ به ، ويرى ان المختلفين في المسائل النحوية لو عملوا بالسماع وأخذوا به لما اختلفوا ولما نشأت هذه المسائل المعقـدة الطويلة التي أفسدت النحو افسادا عظيما وأساءت الى اللغة العربية وأساليبها البيانية المشرقة .

مزجه النحو بالصرف :

بحث أبو حيان موضوعات النحو والصرف معا ، وقد رأينـــاه في كتبه الخاصة بالشروح قد اتبع طريقة المصنفين وكانت كتبهم تجمع النحو الى جانب الصرف وقد سار أبو حيان على نهجهم واقتفى أثرهم ، ففي « التذييل والتكميل » مثلا تكلم على موضوعات نحوية في الاجزاء الاولى ، وتكلم في الجزء الرابع على أبنية الفعل،وهمزة الوصل وهي من موضوعات علم الصرف ، وقـد خلط في الجزء الخامس بين النحو والصرف فنجده يذكر باب مصادر الفعل الثلاثي، فمصادر غير الثلاثي، وباب ما زيدت الميم في أوله ، ثم يذكر بعده موضوعا نحوياً هو باب اسماء الافعال ، فموضوعا صرفيا هو باب نوني التوكيد ، فباب منع الصرف ، والتسمية بلفظ كائن ما كان ، واعراب الفعل وعوامله ، وباب

عوامل الجزم وباب تتميم الكلام ، وادوات الاستفهام ، والتنبيه وغيرها، وباب الحكاية والاخبار ، والمنصوبات والمجرورات،وباب ألفي التأنيث، والتذكير والتأنيث وهـذه أبواب نحوية ، ثم يتكلم بعـد ذلك على موضوعات صرفية هي المقصور والممدود ، والتقاء الساكنين ،والنسب، والتصغير • ويختم أبو حيان كتابه الكبير بالتصريف ذاكرا تعريفه وابنية المجرد والمزيد من الاسماء ، وابنية الافعال ، فمخارج الحروف،والامالة، والوقف ، والهجاء • وبذلك يمزج بين موضوعات النحو والصرف في هذا الكتاب وان ختمه بموضوعات سماها « التصريف » • ولم يكن لابي حيان ان يتبع غير هذا الطريق وهو يشـرح التسهيل لابن مالك الذي بنى كتابه هذا البناء ورتبه هذا الترتيب • وقد سار على هـذا النحو في كتاب « منهج السالك » الذي شرح به ألفية ابن مالك •

أما تلخيصه لكتب ابن عصفور فقد ذكرنا انه قسم كتاب «التقريب» الى احكام تركيبية وهي النحو ، والى أحكام افرادية وهي الصرف، فبحث كلا منهما في موضوعات مستقلة ، وقد فعل هذا الفعل في كتابه « التدريب » و « الموفور من شرح ابن عصفور » •

وأما الكتاب الرابع وهو « المبدع الملخص من الممتع » فقد كان في الصرف لذلك لم يتطرق فيه أبو حيان للموضوعات النحوية ، لان ابن عصفور أفرد كتاب الممتع للصرف وحده وليس من أمانة التلخيص أن يضيف أبو حيان الى الكتاب موضوعات لا علاقـة لها بمادته التي يبحث فيها •

هذا ما يتعلق بكتبه التي الفها شرحا لكتب ابن مالك أو تلخيصا لكتب ابن عصفور ، أما كتبه التي انفرد بتأليفها فقد أشرنا الى ان جل ما وصل الينا منها كان رسائل صغيرة أو مقدمات في النحو ولم تكن كتبا بالمعنى الدقيق • وقد جمع في هذه الكتب بين النحو والصـرف ورتبها ترتيبا قريبا من تبويب المقرب والتدريب والموفور • وقد عكس هذا العمل في كتابه « الارتشاف » الذي قسم فيه الموضوعات الى

قسمين كبيرين الاول يخص الاحكام التركيبية وهو علم النحو ، والثاني يخص الاحكام الافرادية وهو الصرف ، وهذا تبويب حسن معقول .وقد تكلم على الاحكام الافرادية قبل الاحكام التركيبية وهذا أمر طبيعي ، لان معرفة احكام الكلمة المفردة يجب أن يأتي قبل معرفة أحكام الكلام المركب .

أما اللغة فقد أفرد لها كتبا خاصة وهي « الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء » ، و « كتاب لغات القرآن » أو « تحفة الاريب بما في القرآن من الغريب » وقد مر بنا هذان الكتابان .

هذا من ناحية تبويبه وتنسيقه للموضوعات ، اما من حيث بحثه هذه المواد فنحن نجده قليلا ما ينتقل من النحو الى الصــــرف والى اللغة ، وبذلك نستطيع ان نقول ان أبا حيان كان دقيقا في منهجه وعرضه للموضوعات لا يخرج عما رسمه الا لضرورة ملحة أو مجاراة لمؤلفي الكتب التي شرحها أو لخصها .

الشواهد

ذكرنا في الفصل السابق ان الشواهد النحوية أربعة آيات القرآن الكريم ، وقراءاته ، وأحاديث الرسول العربي (ص) ، وكلام العرب شعرهم ونثرهم ، وذكرنا الخلافات بين المذاهب النحوية في الاستفادة من هذه العناصر • أما هنا فسنذكر موقف أبي حيان من هذه الامور •

القراءات :

اعتمد أبو حيان على القرآن الكريم في استخلاص القواعد النحوية وتثبيتها ، وليس أدل على عنايته بالكتاب العزيز من تفسيره « البحر المحيط » الذي اعتنى فيه بالفاظ القرآن وتراكيبه واهتم فيه بالرد على مؤولي الفاظه ومحرفي كلمه عن مواضعها • اما قراءاته فقد كان موقف أبي حيان منها موقفا يحمد عليه ويبعث في قلوبنا الاجلال والاكبار له ، حيث أخذ بما تواتر منها وما صح عن قرائها الثقات •

وقد اختلف النحاة في الاخذ بقراءات القرآن فكان البصريون لا يعتبرونها حجة ولا يعتمدون عليها في استنباط قواعدهم انما كانوا يخطئون القراءة حتى ولو كانت متواترة وكان القاريء من السبعة إنْ كانت غير موافقة لاقيستهم وقواعدهم • وكان الكوفيون وابن مالك يحتجون بها ويعتدون حتى بالشاذ منها ويقيسون عليه ويبنون أحكامهم

وقواعدهم • أما أبو حيان فقد وقف موقفا وسطا بين المدرستين فلم يتشدد فيها تشدد البصريين فيرفض كل ما خالف القواعد والاقيسةالتي بنوها ، ولم يتساهل تساهل الكوفيين وابن مالك فيعتمد على الشاذ منها الذي تفرد بقراءته شخص لا يعرف من القراءة شيئا كما فعل ابن مالك في اعتماده على قراءة أعرابي شاذة لقوله تعالى « صراط الذين » بتخفيف « اللام » فجعلها قاعدة قاس عليها تخفيف « اللام » في بقية الأسماء الموصولة[1] • فابن مالك قد استشهد بقراءة هذا الاعرابي دون ان يعرف صحة هذه القراءة أو خطأها ، ومن غير ان يعرف انكانت مروية عن ثقة أو انه انفرد بقراءتها دون اعتماد على سماع •

ولم يكن أبو حيان ليرضى بهذا أو ليسمح لنفسه ان يستشهدبكل قراءة تصل اليه انما كان يعتمد على صحة الرواية وتواترها ، فهو يرى ان القراءات قد جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها ، ولكنلا يجوز ان يؤخذ بجميعها انما يجب الاخذبماصحت روايته منها،لذلكنجدهيأخذ بقراءة القراء السبعة ويعتمد عليها ويبني القاعدة على ما وردت به هذه القراءات حتى ولو كانت مخالفة لنصوص النحاة وأقيستهم •

وأعلىالقراءات وأصحهاما أجمعت عليهالسبعة•والقراءات السبع التي أخذ بها المسلمون واعتبروها أصح القراءاتهي:قراءةنافعوابن كثير وأبي عمرو بن العلاء وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ، وهي التي اختارها مجاهد • وقد اهتم أبو حيان بقراءة هؤلاء القراء واعتمد عليها اعتمادا كبيرا ودافع عن قراءاتهم التي خطأ بعضها النحاة حتى انه لم يتورع عن رمي النحاة بالعجمة وقد ينسبهم الى الكفر لتخطئتهم أحد هؤلاء القراء • ولشدة عنايته واهتمامه بهؤلاء القراء وقراءاتهم ألف في كل منهم كتابا وقد مرت بنا هذه الكتب وهي النافع في قراءة نافع ، والاثير في قراءة ابن كثير ، والورد الغمر في قراءة أبي عمرو ، والمزن الهامر في قراءة ابن عامر ، والروض الباسم في قراءة عاصم ،

---

(١) ينظر الارتشاف ص ١١٧

والرمزة في قراءة حمزة ، والنائي في قراءة الكسائي • ولم يقتصر اهتمامه على القراء السبعة ، بل ألف كتابا في القراءات السبع سماه « عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي » ، ولم يصلنا كتاب من هذه الكتب لنعرف اتجاهه فيها وآراءه الخاصة •

ولم يكن اعتماد أبي حيان في القراءات على القراء السبعة فحسب، بل كان يأخذ عن غيرهم من القراء الذين صحت عنده روايتهم كأبي جعفر المتوفى سنة ٢٥٠هـ[1] الذي انتهت اليه رياسة الاقراء في المدينة وهو ثامن القراء العشرة ، ويعقوب وهو تاسع القراء العشرة وقد ألف في قراءته كتابا هو « غاية المطلوب في قراءة يعقوب » ودافع عن قراء آخرين منهم « ورش » راوية « نافع » ، وأخذ بقراءته ودافع عنه، كما دافع عن ابن عباس وطلحة والحسن البصري وابن أبي اسحاق •

وقد أخذ أبو حيان بقراءة القراء السبعة لان قراءاتهم متواترة صح سندها ووثق رواتها ، وهؤلاء القراء عرب أقحاح عدول تلقى اكثرهم القراءة عن الصحابة ، يضاف الى ذلك انهم كانوا رؤساء مدارس القراءات في الامصار الاسلامية ، يقول ابو حيان « وما قرئ في السبعة لا يرد ولا يوصف بضعف ولا بقلة »[2] • ولا يقتصر في الاخذ عن السبعة بل يأخذ عن كل من قرأ بالقراءات السبع ان كان عدلا ضبطا ويحتج بنقله القراءة سواء كان كوفيا أم بصريا ، لذلك نجده يأخذ بكل قراءة متواترة ولا يرجح بين قراءتين منهما ويعتبر القراءتين صحيحتين ، وقد اقتدى في هذه الناحية بثعلب أحد ائمة الكوفيين ،يقول في تفسير قوله تعالى « مَن يُصرَف عنه يَومئذ فقد رَحِمَهُ »[3] « قرأ حمزة وابو بكر والكسائي « من يصرف » مبنيا للفاعل فـ « من » مفعول مقدم والضمير في « يصرف » عائد على الله،ويؤيده قراءة أُبَيّ

(١) ينظر البحر المحيط ج١ ص ١٥٢ ، وج٦ ص ٤٦٦

(٢) همع الهوامع ج٢ ص ٥٥

(٣) سورة الانعام ، الآية ١٦

« من يصرف الله » • وفي « عنه » عائد على العذاب والضمير المستكن في « رحمه » عائد الى الرب •• وقرأ في السبعة « من يصرف » مبنيا للمفعول ، ومعلوم ان الصارف هو الله تعالى فحذف للعلم به أوللايجاز اذ قد تقدم ذكر الرب ، ويجوز في هذا الوجه ان يكون الضمير في « يَصرف » عائدا على « من » ، والضمير في « يُصرف» عائدا على العذاب أي أي شخص يصرف عنه العذاب •• وتكلم المعربون في الترجيح بين القراءتين على عادتهم فاختار أبو عبيد وأبو حاتم وأشار أبو علي الى تحسينه قراءة « يَصرف » مبنيا للفاعل لتناسب « فقد رحمه » ، ولم يأت « فقد رحم » ، ويؤيده قراءة عبدالله وأبيّ « من يصرف الله » ، ورجح الطبري قراءة « يُصرف » مبنيا للمفعول قال لانها أقل اضمارا • قال ابن عطية واما مكي بن أبي طالب فتخبط في كتاب « الهداية » في ترجيح القراءة بفتح الياء ومثّل في احتجاجه بامثلة فاسدة • قال ابن عطية وهذا توجيه لفظي ـ يشير الى الترجيح ـ تعلقه ضعيف ، وأما المعنى فالقراءتان واحد •انتهى• وقد تقدم لنا غير مرة انا لا نرجح بين القراءتين المتواترتين ، وحكى أبو عمرو الزاهد في كتاب « اليواقيت » ان أبا العباس احمد بن يحيى ثعلب كان لا يرى الترجيح بين القراءات السبع وقال قال ثعلب من كلام نفسه ادا اختلف الاعراب في القرآن عن السبعة لم افضل اعرابا على اعراب في القرآن ، فاذا خرجت الى الكلام كلام الناس فضلت الاقوى • ونعم السلف لنا أحمد بن يحيى كان عالما بالنحو واللغة متدينا ثقة »(١) •
وذلك لان هذه القراءات قد وردت عن الرسول (ص) بالتواتر وقد أشار أبو حيان الى ذلك عند تفسيره قوله تعالى « الا مَن اغترف غُرفَةً بِيَدِهِ »(٢) ، يقول « وقرأ الحرميان وأبو عمرو «غَرفة» ـ بفتح الغين ـ وقرأ الباقون بضمها فقيل هما بمعنى المصدر،

---

(١) البحر المحيط ج٤ ص ٨٧
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٤٩

وقيل هما بمعنى المغروف ، وقيل:« الغَرفة » ــ بالفتح ــ المرة،وبالضم: ما تحمله اليد ، فاذا كان مصدرا فهو على غير الصدر اذ لو جاء على الصدر لقال « اغترافة » ويكون مفعول « اغتراف » محذوفا أي ماء ، واذا كان بمعنى المغروف كان مفعولا به ، قال ابن عطية وكان أبو علي يرجح ضم الغين ، ورجحه الطبري أيضا ان « غرفة » ــ بالفتح ــ انما هو مصدر على غير اغتراف . انتهى . وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون والنحويون بين القراءتين لا ينبغي لان هذه القراءات كلها صحيحة ومروية عن رسول الله (ص) ولكل منها وجه ظاهر حسن في العربية فلا يمكن ترجيح قراءة على قراءة »[١] .

وأبو حيان لا ينكر أيا من القراءتين المتواترتين انما يأخذ بهما ، وقد صَرَّح بذلك في تفسيره لقوله تعالى « واذ واعدنا موسى اربَعين ليلةً »[٢] ، يقول « قرأ الجمهور « واعدنا » ، وقرأ أبو عمرو « وعدنا » بغير ألف هنا وفي الاعراف وطه ، ويحتمل « واعدنا » أن يكون بمعنى « وعدنا » ويكون صدر من واحد ، ويحتمل ان يكون من اثنين على أصل المفاعلة أو يكون الوعد من الله وقبوله كان من موسى وقبول الوعد شبيه الوعد . قال القفال ولا يبعد ان يكون الآدمي يعد الله بمعنى يعاهده ، وقيل وعد اذا كان عن غير طلب وواعد اذا كان عن طلب . وقد رجح أبو عبيدة قراءة من قرأ « وعدنا » بغير ألف وانكر قراءة من قرأ « واعدنا » بالالف وافقه على معنى ما قال ابو حاتم ومكي . وقال أبو عبيد المواعدة لا تكون الا من البشر،وقال أبو حاتم اكثر ما تكون المواعدة من المخلوقين المتكافئين كل واحد منهما يعد صاحبه ... ولا وجه لترجيح احدى القراءتين على الاخرى ، لان كلا منهما متواتر فهما في الصحة على حد سواء . واكثر القراء على

---

(١) البحر المحيط ج٢ ص ٢٦٥
(٢) سورة البقرة ، الآية ٥١

القراءة بألف وهي قراءة مجاهد والاعرج وابن كثير ونافع والأعمش وحمزة والكسائي »[1] .

ويرى انه لا يمكن انكار القراءة المتواترة الا اذا لم يكن المنكر يعلم بتواترها ، يقول في تفسير قوله تعالى « ولما ضُرِبَ ابن مريم مثلا اذا قومُك منــهُ يَصِدُّون »[2] « وقرأ أبو جعفر والاعرج والنخعي وأبو رجاء وابن وثّاب وعامر ونافع والكسائي « يصدون » ــ بضم الصاد ــ أي يعرضون عن الحق من أجل ضرب المثل ، وقرأ ابن عباس وابن جبير والحسن وعكرمة وباقي السبعة بكسرها أي: يصيحون وترتفع لهم ضجة بضرب المثل ، وروي ضم الصاد عن علي وانكرها ابن عباس ، ولا يكون انكاره الا قبل بلوغه تواترها »[3] .

اما القراءات التي كان فيها ايضاح أو بيان لبعض كلمات القرآن فلم يأخذ بها أبو حيان انما اعتبرها من قبيل التفسير ، واما القراءات الشاذة فلا يغلط قارئيها بل يتطلب لها وجها في العربية ولا يعتد بها أو يبني عليها قاعــدة مثال ذلك قوله في تفسير قوله تعــالى « كلا إنَّ الانسانّ ليطغى ، إن رآهُ استَغنى »[4] « وقرأ الجمهور « ان رآه » بالف بعد الهمزة وهي لام الفعل ، وقنبل بخلاف عنــه بحذف الالف ، وهي رواية مجاهد عنه قال وهو غلط لا يجوز . وينبغي ان لا يغلطه بــل يتطلب له وجها ، وقد حذفت « الالف » في نحو من هذا قال

« وصانِيَ العجاج فيما وصني »

يريد « وصاني » فحذف « الالف » وهي لام الفعل ، وقــد

---

(1) البحر المحيط ج١ ص ١٩٩
(2) سورة الزخرف ، الآية ٥٧
(3) البحر المحيط ج٨ ص ٢٥
(4) سورة العلق ، الآية ٦ و ٧

حذفت في مضارع « رأى » من قولهم « أصاب الناس جهد ولو تر أهل مكة » . وهو حذف لا ينقاس لكن اذا صحت الرواية به وجب قبوله ، والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها »[1] . فان جاءت قراءة شاذة تلمس لها أبو حيان مخرجا على لغة من اللغات كما فعل في تفسير قوله تعالى « لكِنّا هُوَ اللهُ ربي »[2] ، حيث قرأها نافع بإثبات « الالف » وهي هنا الف « أنا » ، وألف « أنا » تحذف في الوصل دون الوقف ، ونافع اثبتها وصلا ، وقد اعتبرها بعضهم قراءة شاذة وخرجها آخرون على انها من اجراء الوصل مجرى الوقف . أما أبو حيان فقد قال « قرأ نافع باثبات الف « أنا » اذا كان بعدها همزة مفتوحة أو مضمومة ، وقرأ الباقون بحذف الالف واجمعوا على اثباتها في الوقف ، واثبات الالف وصلا ووقفا لغة بني تميم ، ولغة غيرهم حذفها في الوصل ولا تثبت عند غير بني تميم وصلا ، والاحسن ان تجعل قراءة نافع على لغة بني تميم ، لانه من اجراء الوصل مجرى الوقف على ما تأوله عليه بعضهم . قال وهو ضعيف جدا وليس هذا مما يحسن الأخذ به في القرآن ، فاذا حملنا ذلك على لغة تميم كان صحيحا »[3] .

مما تقدم نرى ان ابا حيان يستشهد بالقرآآت ويبني عليها القواعد والاحكام النحوية ، وهي عنده الاساس الذي يجب الاخذ به ، اما القرآآت الاخرى غير المتواترة فلا يبني عليها قاعدة ابدا . وقد انكر على البصريين وعلى من تابعهم تخطئتهم القراء ، لانهم خالفوا قواعدهم وذهب الى ان الاولى ان تبنى القواعد على القرآآت المتواترة لا أن يحاولوا اخضاع القرآآت لقواعدهم ، لان الاصل القياس على القرآن الكريم لا أن يقاس القرآن على العربية وقواعدها .

---

(١) البحر المحيط ج٨ ص ٤٩٢

(٢) سورة الكهف ، الآية ٣٨

(٣) البحر المحيط ج١ ص ٢٨٨

وقد بيّن موقفه من القراءات في كتابه « البحر المحيط » ، ودافع عن القراء وتعصب لهم ورد على من خطأهم ورماهم بأقبح الاوصاف ، من ذلك رده على ابن عطية والزمخشري في تخطئتهما قراءة ابن عامر « قتلَ اولادِهِم شركاؤهم »[1] ـ برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء ـ على اضافة « القتل » الى « الشركاء » والفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير ظرف ، يقول « وهي مسألة مختلف في جوازها ، فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ولا يجيزون ذلك الا في ضرورة الشعر ، وبعض النحويين أجازها وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة الى العربي المحض ابن عامر الآخذ بالقرآن عن عثمان بن عفان قبل ان يظهر اللحن في لسان العرب ولوجودها أيضا في لسان العرب في عدة ابيات ... ولا التفات الى قول ابن عطية وهذه قراءة ضعيفة في استعمال العرب . ولا التفات الى قول الزمخشري ان الفصل بينهما يعني بين المضاف والمضاف اليه فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا فكيف به في القرآن المعجز لحسن نظمه وجزالته . والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف « شركائهم » مكتوبا بالياء ، ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء ، لان الاولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب» .وهنا يوجه أبو حيان نقده اللاذع الى الزمخشري ويدافع عن ابن عامر فيقول « واعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت ، واعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الائمة الذين تخيرتهم هذه الامة لنقل كتاب الله شرقا وغربا ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم ، ولا التفات أيضا لقول أبي علي الفارسي هذا قبيح قليلٌ في الاستعمال ولو عدل عنها ـ يعني ابن عامر ـ كان أولى لانهم لم يجيزوا الفصل بين المضاف

---

(١) سورة الانعام ، الآية ١٣٧

والمضاف اليه بالظرف في الكلام مع اتساعهم في الظرف انما اجازوه في الشعر » • ولم يسكت أبو حيان عن أبي علي الفارسي كما لم يسكت عن الزمخشري من قبل فيرد عليه بعد ذلك قائلا « واذا كانوا قد فصلوا بين المضاف والمضاف اليه بالجملة في قول بعض العرب « هو غلام ان شاء الله اخيك » فالفصل بالمفرد أسهل ، وقد جاء الفصل في اسم الفاعل في الاختيار ، قرأ بعض السلف « مخلف وعده رسله » بنصب « وعده » وخفض « رسله » •• وقال أبو الفتح اذا اتفق شيء من ذلك نظر في حال العربي وما جاء به ، فان كان فصيحا وكان ما اورده يقبله القياس فالاولى ان يحسن به الظن لانه يمكن ان يكون ذلك وقع اليه من لغة قديمة وقد طال عهدها وعفا رسمها »[١] •

من هذا نرى أن صاحبنا لا يقبل من النحاة تخطئتهم للقراء كابن عامر أو غيره وقد رد على أبي علي الفارسي في توجيهاته البعيدة لقراءة الكسائي ومحمد بن عيسى الاصبهاني بفتح همزة «ان »في قوله تعالى: « إنَّ الدينَ عندَ اللهِ الاسلامُ »[٢] ، يقول بعد ان ينقل توجيهاته « فانظر الى هذه التوجيهات البعيدة التي لا يقدر أحد أن يأتي لها بنظير من كلام العرب وانما حمل على ذلك العجمة وعدم الامعان في تراكيب كلام العرب وحفظ اشعارها ••• وانه لا يكفي النحو وحده في علم الفصيح من كلام العرب بل لا بد من الاطلاع على كلام العرب والتطبع بطباعها والاستكثار من ذلك »[٣]،ثم يأخذ في تبيين التوجيهات الصحيحة لهذه القراءة •

ولم تقف حملته على مخطئي القراءات عند هذا الحد بل وقف في وجوههم وقفة المدافع الذي لا يكل وأخذ يدافع عن أبي عمرو بن

---

(١) البحر المحيط ج٤ ص ٢٢٩ — ٢٣٠
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٩
(٣) البحر المحيط ج٢ ص ٤٠٧ — ٤٠٨

العلاء في قراءته لقوله تعالى « ومِن أهلِ الكتابِ مَنْ إنْ تأمَنْهُ بقِنْطارٍ يُؤدِّهِ اليك ، ومنهم مَنْ إن تأمَنْهُ بدينارٍ لا يُؤدِّهِ اليك الا ما دُمْتَ عليه قائماً »[1] حيث قرأها هو وأبو بكر وحمزة والاعمش بالسكون ، يقول ابو حيان « قال أبو اسحاق وهذا الاسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بيّن ، لان « الهاء » لا ينبغي ان تجزم واذا لم جزم فلا يجوز ان تسكن في الوصل ، وأما أبو عمرو فاراه كان يختلس الكسرة فغلط عليه كما غلط عليه في « بارئكم »[2] ، وقد حكى عنه سيبويه وهو ضابط لمثل هذا انه كان يكسر كسراً خفيفا . انتهى كلام أبي اسحاق . وما ذهب اليه أبو اسحاق من ان الاسكان غلط ليس بشيء ، اذ هو قراءة في السبعة . وهي متواترة وكفى انها منقولة عن امام البصريين أبي عمرو بن العلاء فانه عربي صريح وسامع لغة وامام في النحو ، ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل هذا ،وقد أجاز ذلك الفراء وهو امام في النحو واللغة ، وحكى ذلك لغة لبعض العرب تجزم في الوصل والقطع . وقد روى الكسائي ان لغة عقيل وكلاب انهم يختلسون الحركة في هذه الهاء اذا كانت بعد متحرك ، وانهم يسكنون أيضا . وقال الكسائي سمعت اعراب عقيل وكلاب يقولون « لربهْ لكنود »[3] ، بالجزم و « لِربِهِ لكنود » بغير تمام .. ونص بعض أصحابنا على ان حركة هذه الهاء بعد الفعل الذاهب منه حرف لوقف أو جزم يجوز فيها الاشباع ويجوز الاختلاس ويجوز السكون ، وأبو اسحاق الزجاج يقال عنه انه لم يكن اماما في اللغة ولذلك أنكر على ثعلب في كتابه « الفصيح » مواضع زعم ان العرب لا تقولها ، ورد الناس على أبي اسحاق في انكاره ونقلوها من لغة العرب . وممن رد عليه أبو منصور الجواليقي ، وكان ثعلب اماما في اللغة ، اماما في النحو على مذهب

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٧٥

(٢) سورة البقرة ، الآية ٥٤

(٣) سورة العاديات ، الآية ٦

الكوفيين »[1] .

ولننظر الى هذا الحماس وهذا الدفاع الصادق عن القراء وكيف انه أخذ يبين عيوب من يطعن عليهم ، ويصفهم بقلـــة الفهم والادراك والاطلاع ،ولننظر الى رده عليهم ووقوفه الى جانب القراء،واستشهاده على وجود ما قرأوا به في لغات العرب وكلامهم من شعر ونثر .

وقد وقف موقفا مماثلا من الزمخشري الذي طعن في قراءة أبي عمرو بن العلاء لقوله تعالى :« فَيَغْفِرُ لِمَن يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَن يَشاءُ »[2] بادغام اللام في الراء ، يقول « وقال الزمخشري ومدغم الراء في اللام لاحن مخطيء خطأ فاحشا وراويه عن أبي عمرو مخطيء مرتين ، لانه يلحن وينسب الى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة ، والسبب في قلـــة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا أهل النحو ، انتهى كلامه . وذلك على عادته في الطعن على القراء ، واما ما ذكـــر ان مدغم الراء في اللام لاحن مخطيء خطأ فاحشا الى آخره ، فهذه مسألة اختلف فيهـــا النحويون ، فذهب الخليل وسيبويه واصحابه الى انه لا يجوز ادغـــام الراء في اللام من اجل التكرير الذي فيها ، ولا في النون . قـــال أبو سعيد ولا نعلم أحدا خالفه الا يعقوب الحضرمي ،والا ما روي عن أبي عمرو انه كان يدغم الراء في اللام متحركة بحركة ما قبلهـــا انتهى .. واجاز ذلك الكسائي والفراء وحكياه سماعا ووافقهما على سماعه رواية وأجازة ابو جعفر الرؤاسي وهو امام ائمة اللغة والعربية من الكوفيين ، وقد وافقهم أبو عمرو على الادغام رواية،واجازه وتابعه يعقوب..وذلك من رواية الوليد بن حسن ، والادغام وجه من القياس » . ثم يرد على اصحابه وعلى نحاة البصرة والزمخشري فيقول « وقد اعتمد بعض

---

(١) البحر المحيط ج٢ ص ٤٩٩ ــ ٥٠٠

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٤

اصحابنا على ان ما روي عن القراء من الادغام الذي منعه البصريون بكون ذلك اخفاء لا ادغاما ، وذلك لا يجوز ان يعتقد في القراء انهم غلطوا وما ضبطوا ولا فرقوا بين الاخفاء والادغام . وعقد هذا الرجل بابا قال « هذا باب يذكر فيه ما ادغمت القراء مما ذكر انه لا يجوز ادغامه » وهذا لا ينبغي فان لسان العرب ليس محصورا فيما نقله البصريون فقط ، والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه بل القراء من الكوفيين يكادون يكونون مثل قراء البصرة . وقد اتفق على نقل ادغام الراء في اللام كبير البصريين ورأسهم أبو عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي وكبراء أهل الكوفة الرؤاسي والفراء واجازوه ورووه عن العرب فوجب قبوله والرجوع فيه الى علمهم ونقلهم اذ من علم حجة على من لم يعلم » . وبعد ذلك يدافع عن راوي هذه القراءة فيقول « واما قول الزمخشري ان راوي ذلك عن أبي عمرو مخطيء مرتين فقد تبين ان ذلك صواب ، والذي روى ذلك عنه الرواة ومنهم أبو محمد اليزيدي وهو امام في النحو ، امام في القراءات ، امام في اللغات »[1] .

ومن هذا نعلم موقف أبي حيان من القراء ومن النحاة الذين خطؤوهم ، فهو يرى ان القراءة أحق بالاتباع من أقيسة البصريين وأصولهم وقواعدهم ، لان القراءة سنة متبعة ، ويعتمد على المسموع المروي منها ، وليس السماع أو النقل محصورا على البصريين وانما الكوفيون قد نقلوا وحفظوا ورووا قراءات متواترة يصح الاعتمادعليها والخروج بها عن أقيسة البصريين ونحوهم.ولن يضير القراءة الصحيحة شيئاً تخطئةُ البصريين وغيرهم لها ، ولا ينبغي ان تخطأ القراءات حتى ولو كانت مؤيدة بما ورد في لغة ضعيفة ، فلكل ما لُحِّنَ أو خُطِّيءَ مذهبٌ ووجه في العربية لا يستطيع ان يدركه من كان أعجمي التخيل

---

(١) البحر المحيط ج٢ ص ٣٦١ – ٣٦٣

بعيدا عن ادراك ما يفهمه الاعراب الخلص من القراء ، وينبغي ان لا تغلط القراءات بل تحمل على التفسير لمخالفتها سواد المصحف . كل هذا لان القراء المشهورين عند أبي حيان لا يمكن ان يقرأوا بقراءة لا وجه لها ، فكيف يُخَطَّأونَ أو ترد قراءاتهم ؟

ولم يكتف النحاة بتخطئة القراء الذين لم يكونوا من السبعة او العشرة انما حاولوا تغليط مشاهيرهم كما فعل بعضهم في تغليط قراءة ابن أبي اسحاق « إنَّ البقرة تشَّابهت »[١] ـ بتشديد الشين ـ مع كونه فعلا ماضياً ـ وبتاء التأنيث آخره ، وذكر انه لا وجه لها . وقد وجهها أبو حيان توجيهاً صحيحا جاريا على العربية اذ لا يظن بابن أبي اسحاق وهو رأس في علم النحو وممن أخذ النحو عن أصحاب أبي الاسود الدؤلي مستنبط علم النحو أن يقرأ قراءة لا وجه لها ، وهو الذي كان يزري على العرب وعلى من يستشهد بكلامهم كالفرزدق اذا جاء في شعرهم ما ليس بالمشهور في كلام العرب ، فكيف يقرأ مثل هذا بقراءة لا وجه لها[٢] . والذين يغلطون القراء ويلحنونهم هم الذين لا علم لهم بعلم النحو ولا اطلاع لهم على لغة العرب ، فهم لقصور ادراكهم ـ فيما يرى أبو حيان ـ يحاولون تخطئة القراء كابي عبيدة الذي حكى عن أبي عمرو بن العلاء اعرابا لا يجوز ان يصدر عن مثله في قوله تعالى « إنَّ اللهَ ربي وربَّكم فاعبُدُوه هذا صِراطٌ مُستقيمٌ »[٣] ، وانما هذا الاعراب الذي نقله عن أبي عمرو تخبيط منه في الاعراب ، لانه يبعد أن يكون قاله أبو عمرو بن العلاء فانه من الجلالة في علم النحو بالمكان الذي قل ان يوازنه أحد مع كونه عربيا ، ولعل ذلك من فهم أبي عبيدة فانه يضعف في النحو[٤] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٧٠ ، في المصحف « ان البقر تشابه »

(٢) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٢٥٤

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٥١

(٤) ينظر البحر المحيط ج٤ ص ٢٧١ وج٦ ص ١٨٩ ـ ١٩١ ، ٤٦٤ ـ ٤٦٦

وخلاصة القول ان انكار النحويين للقراءة لا يؤثر فيها مادامت القراءة صحيحة مقبولة عند ابي حيان وغيره ممن ذهب مذهبه في الاحتجاج بالقراآت .

الحديث النبوي :

ذكرنا موقف النحاة من الحديث النبوي وذكرنا ان اكثرهم لم يحتجوا به ورفضوه ، ويمكن ان تقسم النحاة بالنسبة للاستشهاد بالحدث الى ثلاث طوائف طائفة منعت الاحتجاج به مطلقا وعلى رأس هذه الفرقة ابو حيان الاندلسي ، وطائفة اتخذت الوسط سبيلا في هذا الامر وعلى رأسها الشاطبي ، وطائفة ثالثة اجازت الاستشهاد بالحديث كله وعلى رأسها ابن مالك الاندلسي .

كان ابو حيان لا يجوز الاستشهاد بالحديث ، وقد عرض حجته في كتاب « التذييل والتكميل » فقال رادا على ابن مالك « قد لهج هذا المصنف في تصانيفه بالاستدلال بما وقع في الحديث في اثبات القواعد الكلية في لسان العرب بما روي فيه ، وما رأيت احدا من المتقدمين ولا المتأخرين سلك هذه الطريقة غير هذا الرجل ، على ان الواضعين الاولين لعلم النحو المستقرئين الاحكام من لسان العرب والمستنبطين المقاييس كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، وكمعاذ والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الاحمر وهشام الضرير من ائمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الاقاليم كنحاة بغداد واهل الاندلس . وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الاذكياء فقال انما تنكبت العلماء ذلك لعدم وثوقهم ان ذلك نفس لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لو وثقوا به لجرى مجرى القرآن الكريم في اثبات القواعد الكلية به ، وانما كان كذلك لامرين:

احدهما ان الرواة جوزوا النقل بالمعنى ، فنجد قصة واحدة قد

جرت في زمانه صلى الله عليه وسلم فقال فيه لفظا واحدا فنقل بانواع من الالفاظ بحيث يجزم الانسان بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل بتلك الالفاظ ، نحو ما روي من قوله عليه السلام :«زوجتكها بما معك من القرآن » ، « ملكتكها بما معك » وغير ذلك من الالفاظ الواردة في هذه القصة ، فنعلم قطعا انه لم يلفظ بجميع هذه الالفاظ بل لا نجزم بانه قال بعضها اذ يحتمل انه قال لفظا مرادفا لهذه الالفاظ غيرها فأتت الرواة بالمرادف اذ هو جائز عندهم النقل بالمعنى ولم يأتوا بلفظه صلى الله عليه وسلم اذ المعنى هو المطلوب ولا سيما مع تقادم السماع وعدم ضبطه بالكتابة ، والاتكال على الحفظ ، فالضابط منهم من ضبط المعنى • واما ضبط اللفظ فبعيد جدا لا سيما في الاحاديث الطوال التي لم يسمعها الراوي الا مرة واحدة ، ولم تمل عليه فيكتبها • وقد قال سفيان الثوري فيما نقل عنه « ان قلت لكم اني احدثكم كما سمعت فلا تصدقوني انما هو المعنى » ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين انهم يروون بالمعنى •

الامر الثاني انه وقع اللحن كثيرا فيما روي من الحديث ، لان كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ولا تعلموا لسان العرب بصناعة النحو فوقع اللحن في نقلهم وهم لا يعلمون ذلك ووقع في كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب • ونعلم قطعا غير شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افصح الناس فلم يكن ليتكلم الا بافصح اللغات واحسن التراكيب واشهرها واجزلها ، واذا تكلم بلغة غير لغته فانما يتكلم بذلك مع اهل تلك اللغة على طريقة الاعجاز وتعليم الله ذلك من غير معلم انساني ولا ملقن لها من اهلها كحديثه عليه السلام مع النمر بن تولب ومع الوافدين عليه من غير اهل لغته • ولله در ابي عبدالله ابن الاعرابي رحمه الله فانه مر على قوم من الزنادقة وهم نتطلبون على زعمهم في القرآن لحنا فقال لهم ويلكم هبكم شككتم في كونه نبيا اتشكون في كونه عربيا ؟

والمصنف رحمه الله قد اكثر من الاستدلال بما اثر في الاثر متعقبا بزعمه على النحويين وما امعن النظر في ذلك ولا صحب من له التمييز في هذا الفن ... وقال لنا قاضي القضاة ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن جماعة الكناني الحموي وكان ممن قرأ على المصنف وكتب عنه نكتا على مقدمة ابن الحاجب ، وقد جرى ذكر ابن مالك واستدلاله بما اشرنا اليه ، انه قال له « يا سيدي هذا الحديث روته الاعاجم ووقع فيه بروايتهم ما يعلم انه ليس من لفظ الرسول عليه السلام » ، فلم يجب بشيء »[1] .

وقد بين أبو حيان السبب الذي دعاه الى توضيح هذا الرأي أو هذا المذهب فقال « وانما امعنت الكلام في هذه المسألة لئلا يقول مبتدىء ما بال النحويين يستدلون بقول العرب وفيهم المسلم والكافر، ولا يستدلون بما روي في الحديث بنقل العدول كالبخاري ومسلم واضرابهما ؟ فاذا طالع ما ذكرناه ادرك السبب الذي لاجله لم يستدل النحاة بالحديث[2] .

ولم يكن صاحبنا وحده ممن دافعوا عن هذا الرأي وانما تقدمه الى ذلك شيخه ابو الحسن بن الضائع فقال في « شرح الجمل » « تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الائمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على اثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الاولى في اثبات فصيح اللغة كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، لانه افصح العرب »[3] .

---

(١) التذييل والتكميل ج٥ ص ١٦٩ ، وينظر الاقتراح ص ١٦ – ١٨ ، وخزانة الادب للبغدادي ج ١ ص ٤٠٦

(٢) التذييل والتكمل ج ٥ ص ١٧٠ ب ، وينظر خزانة الادب ج ١ ص ٦ ، والاقتراح ص ١٨

(٣) الاقتراح ص ١٨

أما الفريق الآخر الذي توسط في الاستشهاد بين ابن مالك وأبي حيان فقد كان الشاطبي المتكلم بلسانهم وقد اجاز الاستشهاد بالاحاديث التي اعتني بنقل الفاظها ، يقول « لم نجد أحدا من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على أعقابهم ، واشعارهم التي فيها الفحش والخنا ويتركون الاحاديث الصحيحة لانها تنقل بالمعنى وتختلف رواياتها والفاظها ، بخلاف كلام العرب وشعرهم فان رواته اعتنوا بالفاظها لما يبنى عليه من النحو . ولقد وقفت على اجتهادهم وقضيت منه العجب وكذا القرآن ووجوه القراءات .

وأما الحديث فعلى قسمين قسم يعتني ناقله بمعناه دون لفظه فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان ، وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص ، كالاحاديث التي قصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم ككتابه لهمدان وكتابه لوائل بن حجر والامثال النبوية ، فهذا يصح الاستشهاد به في العربية . وابن مالك لم يفصل هذا التفصيل الضروري الذي لا بد منه وبنى الكلام على الحديث مطلقا ولا أعرف له سلفا الا ابن خروف فانه أتى باحاديث في بعض المسائل حتى قال ابن الضائع لا اعرف هل يأتي بها مستدلا أم هي لمجرد التمثيل ، والحق ان ابن مالك غير مصيب في هذا فكأنه بناه على امتناع نقل الحديث بالمعنى وهو قول ضعيف »[1]

فالشاطبي لم يوافق أبا حيان واصحابه في منهجهم ، ولم يرض بعمل ابن مالك ، ولم يكن الوحيد الذي وقف هذا الموقف انما تبعه السيوطي فقال في الاقتراح « واما كلامه صلى الله عليه وسلم فيستدل منه بما ثبت انه قاله على اللفظ المروي وذلك نادر جدا ، انما يوجد في الاحاديث القصار على قلة أيضا ، فان غالب الاحاديث مروي بالمعنى ،

---

(١) خزانة الادب للبغدادي ج ١ ص ٦

وقد تداولها الاعاجم والمولدون قبل تدوينها فردوها بما أدت اليه عباراتهم فزادوا ونقصوا وقدموا واخروا وابدلوا الفاظا بالفاظ ، ولهذا ترى الحديث الواحد مرويا على أوجه شتى بعبارات مختلفة ومن ثم انكر على ابن مالك اثباته القواعد النحوية بالالفاظ الواردة في الحديث »[1] .

وجاء بعد أبي حيان ابن هشام فاكثر من الاستشهاد بالحديث كثرة فاقت استشهاد ابن مالك به ، وكانت حجة ابن مالك وابن هشام وامثالهما ممن اجازوا الاحتجاج بالحديث ما رد به البدر الدماميني في «شرح التسهيل» على أبي حيان قال « قد أكثر المصنف من الاستدلال بالاحاديث النبوية وشنع أبو حيان عليه وقال ان ما استند اليه من ذلك لا يتم له لتطرق احتمال الرواية بالمعنى فلا يوثق بان ذلك المحتج به من لفظه عليه الصلاة والسلام حتى تقوم به الحجة . وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوب رأي ابن مالك فيما فعله بناء على ان اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب انما المطلوب غلبة الظن الذي هو مناط الاحكام الشرعية ، وكذا ما يتوقف عليه من نقل مفردات الالفاظ وقوانين الاعراب ، فالظن في ذلك كله كاف و لايخفى انه يغلب على الظن ان ذلك المنقول المحتج به لم يبدل لان الاصل عدم التبديل لاسيما والتشديد في الضبط والتحري في نقل الاحاديث شائع بين النقلة والمحدثين ، ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فانما هو عنده بمعنى التجويز العقلي الذي لا ينافي وقوع نقيضه ، فلذلك تراهم يتحرون في الضبط ويتشددون مع قولهم بجواز النقل بالمعنى ، فيغلب على الظن من هذا كله انها لم تبدل ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحا فيلغى ولا يقدح في صحة الاستدلال بها . ثم ان الخلاف في جواز النقل بالمعنى انما هو فيما لم يدون ولا كتب ، واما ما دون وحصل في بطون الكتب

---

(١) الاقتراح ص ١٦ ـ ١٩ ، وخزانة الادب ج١ ص ٦ ـ ٧

فلا يجوز تبديل الفاظه من غير خلاف بينهم . قال ابن الصلاح بعد ان ذكر اختلافهم في نقل الحديث بالمعنى « ان هذا الخلاف لا نراه جاريا ولا أجراه الناس فيما نعلم فيما تضمنه بطون الكتب فليس لاحد ان يغير لفظ شيء من كتاب مصنف ويثبت فيه لفظا آخر » . أ هـ ـ كلام ابن الصلاح ـ ..

وتدوين الاحاديث والاخبار بل وكثير من المرويات وقع في الصدر الاول قبل فساد اللغة العربية حين كان كلام اولئك المبدلين على تقدير تبديلهم يسوغ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبـديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال ، ثم دون ذلك المبدل على تقدير التبديل ومنع من تغييره ونقله بالمعنى كما قال ابن الصلاح فبقي حجة في بابه ، ولا يضر توهم ذلك السابق في شيء من استدلالهم المتأخر . والله أعلم بالصواب »[1] .

هذا هو موقف كل فريق من الطوائف الثلاث ، وقـد رأينا أن اشدهم نكيرا على الاستشهاد بالحديث أبو حيان واستاذه ابن الضائع ، لكننا نرى ان ميل الفريق الثاني الذي توسط بين الفريقين الى أبي حيان وابن الضائع أقوى من ميلهم الى ابن مالك وجماعته ، فالسيوطي يقول بعد ان نقل حجتهما « ومما يدل على صحة ما ذهب اليه ابن الضائع وأبو حيان ان ابن مالك استشهد على لغة « أكلوني البراغيث » بحديث الصحيحين « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » واكثر من ذلك حتى صار يسميها « لغة يتعاقبون » . وقد استدل به السهيلي ثم قال لكني أقول ان الواو فيه علامة اضمار ، لانه حديث مختصر رواه البزار مطولا مجردا قال فيه « ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » . وقال ابن الانباري في : « الانصاف » في منع « أن » في خبر « كاد » واما حديث « كاد الفقر ان يكون

---

(١) خزانة الادب للبغدادي ج ١ ص ٦ ـ ٧

كفرا » فانه من تغييرات الرواة لانه صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد »[1] •

وقال السيوطي في « همع الهوامع » عند كلامه على قوله (ص) « لولا قومك حديثو عهد بكفر لاسست البيت على قواعد ابراهيم » « قلت والظاهر ان الحديث حرفته الرواة بدليل ان في بعض رواياته « لولا حدثان قومك » وهذا جار على القاعدة • وقد بينت في كتاب « اصول النحو » من كلام ابن الضائع وابي حيان انه لا يستدل بالحديث على ما خالف القواعد النحوية لانه مروي بالمعنى لا بلفظ الرسول ، والاحاديث رواها العجم والمولدون لا من يحسن العربية فأدوها على قدر ألسنتهم »[2] •

ومن هذا يظهر لنا ان السيوطي يميل الى رأي أبي حيان وابن الضائع بعد أن رأى كثرة تحريف الاحاديث ، فاما أن يُقتطَع الحديث ويروى قسم منه ويترك قسم بحيث يضيع محل الشاهد أو ينقلب الى ضده ، أو تحذف منه كلمة تؤثر في قلب القاعدةالنحوية رأسا على عقب فهذا ما لا يمكن الاخذ به والاعتماد عليه •

وبعد هذا العرض للخلاف بين النحاة في الاحتجاج بالحديث نعود الى كتب أبي حيان لنرى هل استشهد بالاحاديث ؟ وأيها ؟ وكيف ؟

لقد استشهد أبو حيان بالحديث بكثرة في تفسيره «البحرالمحيط»، وقد مر بنا انهكان يعتمد في روايةالاخبار والقصص التييفسربها الآيات القرآنية على ما كان مؤيدا منها بحديث نبويويترك ما لم يؤيد بحديث أو نص • ولم يقتصر في استشهاده بالحديث على ما يفسر حادثة أو خبرا انما جاوز ذلك الى الاستشهاد على المعنى اللغوي للكلمة بالحديث كقوله في تفسير قوله تعالى « يُصَبُّ من فوقِ رؤوسِهِم الحميم ،

---

(١) الاقتراح ص ١٩ ، وينظر خزانة الادب للبغدادي ج ١ ص ٧

(٢) همع الهوامع ج ١ ص ١٠٥

يصهر به ما في بطونهم والجلود »[1] « وقرأ الحسن وفرقة « يصَهَّر » ـ بفتح الصاد وتشديد الهاء ـ ، وفي الحديث « ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلب ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان »[2] .

ويقول عند الكلام على « طوبى »[3]ومعناها اللغوي:«واختلف القائلون في معناها فقال الضحاك المعنى غبطة لهم ... وعن ابن عباس وابن جبير طوبى اسم للجنة بالحبشية ، وقيل بلغة الهند ، وقال أبو هريرة وابن عباس ايضاومعتب بن سمي وعبيد بن عمير ووهب بن منبه هي شجرة في الجنة ... وروي مرفوعاً الى رسول الله (ص) من حديث عتبة بن عبيد السلمي انه قال وقد سأله أعرابي يا رسول الله أفي الجنة فاكهة ؟ قال نعم ، فيها شجرة تدعى « طوبى » . وروى الحديث . قال القرطبي والصحيح انها شجرة ،للحديث المرفوع ، حديث عتبة »[4] .

وجاوز ذلك الى الاستشهاد بالحديث في امور نحوية كاستشهاده بقوله (ص) « من مات له ثلاث من الولد لم تمسه النار الا تحلة القسم » على كون الواو في قوله تعالى:« وإن منكُم إلا وارِدُها »[5] للقسم ، كما استشهد بقوله عليه السلام « ثم اتبعه بست من شوال » على مجيء العدد بلا « تاء » مع ان المعدود مذكر ، وانما جاز ذلك لحذف المعدود ، والمقصود بالحديث « ستة ايام »[6] .

أما في كتبه النحوية فقد استشهد بالحديث في مواضع منها : اثباته

---

(١) سورة الحج ، الآية ١٩ و ٢٠
(٢) البحر المحيط ج ٦ ص ٣٦٠
(٣) تنظر سورة الرعد ، الآية ٢٩
(٤) البحر المحيط ج ٥ ص ٣٨٩
(٥) سورة مريم ، الآية ٧١
(٦) ينظر البحر المحيط ج ٦ ص ٢٠٩ ، ٢٧٩

مجيء « بيد » للاستثناء ، يقول « فاما « بيد » فانها تساوي « غير » في الاستثناء المنقطع مضافا لـ « ان » وصلتها نحو قوله صلى الله عليه وسلم « أنا أفصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش واسترضعت في بني سعد »[1] .

وقال عند كلامه على معمول الصفة المشبهة وجواز اتباعه «ويجوز أن يتبع معمول الصفة المشبهة بجميع التوابع ما عدا الصفة فانه لم يسمع من كلامهم ، هكذا زعم الزجاج . وقد جاء في الحديث في صفة الدجال « أعور عينه اليمنى » ، و « اليمنى » صفة لـ « عينه » وهو معمول الصفة فينبغي ان ينظر »[2] .

ويقول في جواز افراد اسم التفضيل أو جمعه اذا اضيف الى معرفة، « فاذا كان مضافا الى معرفة فالذي عليه الجمهور ان « افعل » اذا اضيف الى معرفة لا يخلو من التفضيل البتة ويكون بعض ما يضاف اليه ، وتارة تفرد وان كانت مضافة ، كقوله تعالى « ولَتَجِدَنَّهُم أحرصَ النّاسِ على حياةٍ »[3] ، وتارة تجمع كقوله تعالى « كذلكَ جعلنا في كلِّ قريةٍ أكابِرَ مُجرِميها »[4] ، وقال تعالى « وما نراكَ اتَّبعك إلاّ الذينَ هُم اراذِلُنا »[5] . وفي الحديث « ألا اخبركم باحبكم اليّ واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقاً » فافرد « أحب » و « اقرب » وجمع « أحاسن » وعلى هذا القياس تقول « أخواك أحسن الثلاثة ، واحسنا الثلاثة » ، و « هند أحسن النساء ، وحسنى النساء » ، و « الهندان احسن النساء ، وحسنيا النساء » ، و « الهنود أحسن النساء » ، و « الهنود فُضَّل

---

(١) منهج السالك ص ١٧٧ ، وينظر الارتشاف ص ٢٠١
(٢) منهج السالك ص ٣٦٦ ، وينظر الارتشاف ص ٣٣٦ ب
(٣) سورة البقرة ، الآية ٩٦
(٤) سورة الانعام الآية ١٢٣
(٥) سورة هود ، الآية ٢٧

النساء ، أو فضليات النساء » . وفي ثبوت الافراد والمطابقة في لسان العرب ردٌّ على ابن السراج اذ زعم انه يتعين الافراد »[1] .

وقال عند الكلام على مجيء « من » لابتداء الغاية في غير المكان « ومثال دخولها لابتداء الغاية في غير المكان « قرأت من أول سورة البقرة الى آخرها » ، و « أعطيت الفقراء من درهم الى دينار » ، وتقول اذا كتبت كتابا « من فلان الى فلان » ، وفي الحديث « من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم »[2]

واستشهد على مجيء « في » للسببية أو التعليل بقوله (ص) « دخلت امرأة النار في هرة حبستها » يقول « وذكر ابن مالك انها تكون للتعليل نحو قوله تعالى « لمسَّكُم في ما أفضتُم فيهِ »[3] ، وما روي في الاثر « دخلت أمرأة النار في هرة حبستها »[4] .

وقال في استعمال :«أيم » « وقد تضاف «ايمن » الى الكعبة ، والكاف ، والذي يقول « ايمن الكعبة لأقومَنَّ » ، وفي الحديث « وايم الذي نفسي بيده »[5] .

وقد استشهد أبو حيان بالحديث في مواضع أخرى منها استشهاده بالحديث « أو مخرجي هم ؟ » على قلب واو « مخرجو » الى « ياء» وادغامها في ياء المتكلم ، والاصل « أومخرجوي ».واستشهاده بقوله (ص) « من أتى الجمعة وقد توضأ فبها ونعمت » على جواز حذف التمييز الذي يميز فاعل « نعم » المضمر . وبقوله (ص): « يتمثل لي الملك رجلا » ، على الحال الموطئة . وبقوله (ص) « ثم اتبعه بست من شوال » على جواز تذكير العدد اذا حذف المعدود . وبقوله « ها

---

(١) الارتشاف ص ٣٣٠ ب ـ ٣٣١ ، وينظر منهج السالك ص ٤١١
(٢) الارتشاف ص ٢٢٨
(٣) سورة النور ، الآية ١٤
(٤) الارتشاف ص ٢٢٩ ، وينظر منهج السالك ص ٢٤٦
(٥) الارتشاف ص ٢٣٦

انذا يا رسول الله » على جواز دخول المضمر بين هاء التنبيه واسم الاشارة . وبقوله (ص) « من أبر يا رسول الله ؟ قال امك . قال ثم أي ؟ قال : امك ، اي ثم أي من أبر » على جواز الوصف بـ « أي» الاستفهامية او الشرطية ان كانت مضافة الى معنى الموصوف لا لفظه . وبقوله (ص) « ولولا انه شيء قضاه الله لألِمَ أن ذَهَبَ صبره » على دخول « أن » في خبر « ألِمَ » عند عملها عمل افعال المقاربة . وبقوله (ص) « قوموا فلأصل لكم » على لزوم اللام للامر اذا اسند الفعل الى غير الفاعل المخاطب . وبقوله (ص) « كما تنائج الابل من بهيمة جمعاء » على اثبات مجيء « جمعاء » بمعنى « مجتمعة » . وبقوله (ص) « ذروا الحبشة ما وذرتكم » ، و « لينتهين أقوام عن وذرهم الجمعة » على استعمال الماضي والمضارع من « ذر » مع انه استغنى عنه بـ « ترك » و « يترك »[1] .

فهذه الاحاديث وغيرها استشهد بها أبو حيان في كتبه النحوية ، وقد ذكرها لمجرد الاستدلال وذلك بعد ان يستشهد بقراءات القرآن وآياته أو بأبيات شعرية ، في حين استشهد ببعضها على اثبات حكم نحوي ولم يذكر شاهداً الا الحديث كقوله عليه السلام « أنا أفصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش » ، و « أعور عينه اليمنى » ، و « كما تنائج الابل من بهيمة جمعاء » ، و « لولا انه شيء قضاه الله لألم ان ذهب صبره » ، و « ثم اتبعه بست من شوال »[2] .

كلام العرب :

ونقصد بكلام العرب شعرهم ونثرهم ، أما النثر فقد ذكرنا عند الكلام على مدرسة البصرة والكوفة وعند الكلام على ابن مالك ان أبا حيان لم يكن يحتج بلغات القبائل التي خالطت الاعاجم وهي التي تسكن

---

(١) ينظر منهج السالك ص ٣٠٦ ، ٣٩٠ ، ٢٠٦ ، والارتشاف ص ٧٧ب ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ، ٢٤٨ ب ، ٢٦٥ ب ، ٢٨١

(٢) ينظر الارتشاف ص ٢٠١ ، ٣٣٦ ب ، ٢٦٥ ب ، ١٥٢ ، ٧٧ ب

اطراف الجزيرة العربية،فلم يكن يعتبر لغاتهم حجة بحيث يكفي السماع الواحد لبناء قاعدة عامة يقاس عليها كما فعل الكوفيون وابن مالك في بنائهم الأحكام والقواعد على كل ما سمعوه من مختلف القبائل حتى التي كان جمهور النحاة واللغويين لا يأخذون عنها . أما أبو حيان فلم يبن قواعده على اللغات الضعيفة وكان يعتبر أفصح اللغات لغة الحجاز ويراها الفصحى التي ليس بعدها فصيح ، وبها كتب المصحف الامام لذلك نجده يفضل دائما لغة الحجاز فيما وردت فيه لغات مختلفة[1] . أما اللغات الاخرى فانا لم نجد له تصريحا بأفضلية واحدة منها ، انما كان يأخذ بلغات كل القبائل ويعتبرها من المسموع غير انه لا يمكن ان يقاس عليه .

اما في القراءات فقد أخذ بكل القراءات وقاس على السبع وغيرها مما تواتر وصح سنده الى الرسول (ص) ، ولم يخطّيء أي قراءة حتى وان كانت بلغة قبيلة ضعيفة لم يعتد بها . وقد أخذ بقراءة نافع وابن عامر التي جاءت على لغة غطفان ، وبقراءة ابن كثير التي غلطها أبو حاتم وقد جاءت على لغة بني كلاب وبني عقيل ، وبقراءة الجمهور بلغةالحجاز وبقراءة الحسن والاعرج وأبي عمرو بلغة غطفان وأسد ، وأخذ بقراءة نافع في اثبات ألف « أنا » في الوصل والوقف وخرجها على لغة بني تميم ، وبقراءة الكسائي وهشام بلغة قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بني أسد ، وبقراءة باقي القراء بلغة قريش وبني كنانة وبلغةهذيل وبني دبير في القراءة بالافعال الثلاثية المعتلة العين والمبنية للمجهول ، وأخذ بلغة أزدشنوءة وهي لغة ضعيفة كما وصفها الزجاج والفارسي ولم يأخذ بها الزمخشري[2] .

هذه وغيرها من القبائل التي لم يؤخذ بلغتها ولم يحتج بها في

---

(١) ينظر البحر المحيط ج١ ص ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨٩ ، و ج ٨ ص ٣٣٢ – ٣٣ ،والنهر الماد ج٢ ص ١٥٠

(٢) ينظر البحر المحيط ج١ ص٦٠ ، ١٥٢ ، و ج٢ ص٢٨٨ ، و ج٤ ص١٤٩ ، وج٧ ص٤١٧ ، وج٨ ص١١٧

النحو خرج عليها أبو حيان القراءات الشاذة التي رفضها غيره ، أما في النحو فانه لم يأخذ بها ولم يستشهد بها في بناء قاعدة او حكم نحوي.

اما الشعر الذي احتج به فهو شعر الشعراء الذين اعتمد عليهم البصريون ، ولم يحتج بشعر المولدين وقد صرح بذلك عند كلامه على استشهاد الزمخشري ببيت الحمداني

أيا جارتا ما انصفَ الدهر بيننا   تعالي اقاسمك الهمومَ تعالي

يقول : « وأما قوله في شعر الحمداني فقد صرح بعضهم بانه أبو فراس وطالعت ديوانه جمع الحسين بن خالويه فلم أجد ذلك فيه ، وبنو حمدان كثيرون وفيهم عدة من الشعراء ، وعلى تقدير ثبوت ذلك في شعرهم لا حجة فيه ، لانه لا يستشهد بكلام المولدين »[1]

ووردت في كتبه أبيات لا يعرف ان كان قائلوها ممن يستشهد بشعرهم أم لا ، وقد استشهد بها لمجرد الاستشهاد والتمثيل ولم يثبت بها قاعدة او يبن عليها حكما لكنه كان يستدرك بعد ذكر كل بيت بانه لا يعلم ان كان ممن كان يستشهد بشعره أم لا ، أو ان كان عربياً أم لا، مثال ذلك ما جاء في كلامه في « باب الاخبار » على حكم الاخبار عن المبتدأ ان كان أحد الضمائر وكان الموصول « مَن » أو « ما » ، يقول « فلو كان الموصول غير « الذي » وفروعه كـ « من » و « ما » وجبت الغيبة نحو « أنا من قام » و « انت من قام » ، ومن اطلق جوازالوجهين في الموصولات كلها فهو واهم . فأما قول بعضهم[2]

تعير أموراً لست ممن أشاؤها   ولو جعلت في ساعدي المجامع[3]

فقال « ممن أشاؤها » وهو المنصوص ، وانه لا يجوز ذلك في « من » و « ما » والظاهر أنه لا يستشهد بقوله . فان صح انه لعربي فتأويله

(١) البحر المحيط ج٣ ص٢٨٠

(٢) في الاصل البحتري بن ابي صفرة

(٣) في اللسان مادة « جمع » « ولو كبلت في ساعدي الجوامع ».

على انه لما كان ذلك في معنى لست أفعل جاز »[1] .

ويقول عند كلامه على نصب المضارع بعد « واو المعية » في جواب الاستفهام بعد أن ذكر قول الشاعر

أتبيت ريّان الجفون من الكرى وأبيت منك بليلة الملسوعِ

« ولا أدري أهو مصنوع أم لا »[2] . وعند الكلام على زيادة « من » في الكلام ، وذهاب لكدة الاصبهاني الى ان « من » زائدة في قول الهذلي

فما العَمرانِ من رَجُلَي عديٍّ وما العَمرانِ من رَجُلَي قيام

يقول أبو حيان بعد هذا البيت قولا يدل على انه لا يعرف ان كان هذا البيت صحيح النسبة الى الهذلي أم انه منحول ، وليس من شعره[3] .

ولم يقتصر أبو حيان على الاستشهاد بهذه الابيات ، انما استشهد بشعر الشريف الموسوي في باب التعجب على اسقاط « الباء » من« أن» و « إن » في التعجب ، ويقول في آخر كلامه « لا يجوز حذف الباء من « أن » و « إن » في التعجب بل تقول « أحبب اليّ بان تزورني » و « أهون علي بأن زيدا يغضب » ، وفي شعر الشريف الموسوي اسقاطها قال

أهون عليّ اذا امتلأت منالكرى أني أبيتُ بليلة الملسوع[4]

ومثل بشعر أبي تمام في مواضع منها استشهاده عند كلامه على حذف الفعل في جملة « ربما » بعد اتصال « رب » بـ « ما » ، يقول « ولم يحضرني في ذلك شعر للعرب ، ولكني وجدت في شعر أبي تمام:

---

(١) الارتشاف ص ١٢٠

(٢) الارتشاف ص ٢٢٣

(٣) الارتشاف ص ٢٢٩

(٤) الارتشاف ص ٢٨٦

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وان تعقب الايام فيهم فربما

أي فربما بشرت أو اعادتهم »[1] •

ويقول عند كلامه على اللغات في « هلم » « وتنقل أيضا حركة الميم الى اللام ولا يحضرني شاهد في شيء من ذلك الا اني رأيت في شعر أبي تمام بيتاً والظاهر الوثوق بقوله وان كنا لا نستشهد به ، قال:

هلمن اعجبوا من ابنه الناس كلهم ذريعتــه فيما يحاول خامــل[2]

ويقول عند رده على الزمخشري في استشهاده ببيت أبي تمام

هما أظلما حــالي ّ ثمت أجليــ ظلاميهما من وجه أمرد أشــيب

على مجيء «أظلم» متعديا « واما ما وقع في كلام حبيب فلا يستشهد به ، وقد نقد على أبي علي الفارسي الاستشهاد ببيت حبيب

من كان مرعى عزمه وهمومه روض الاماني لم يزل مهزولا

وكيف يستشهد بكلام من هو مولد ، وقد صنف الناس فيما وقع له من اللحن في شعره »[3] •

فأبو حيان يرى أن شعر أبي تمام لا يستشهد به ولا يحتج به في النحو مع انه محدث راوية يؤخذ عنه ويوثق به ، ولم تغفر لــه شــدة محبته اياه وتفضيله على بقية الشعراء وقوله فيه بعد أن لامه الصفدي وابن نباته على تقديمه اياه على البحتري

« أنا لا اسمع لوما في حبيب »[4]

لم تغفر له هذه المحبة كونه مولدا لا يحتج بشعره عنــد أبي حيان كما لا يحتج بشعره غيره من النحاة •

(١) الارتشاف ص ٢٣٢ ب

(٢) الارتشاف ص ٣٢٧ ب

(٣) البحر المحيط ج١ ص٩٠

(٤) تنظر خزانة الادب للحموي ص ١١٧

ومثل ببيت من شعر المتنبي على جواز اتصال « هلم » بضمير جماعه الاناث وزيادة ياء قبلها ، يقول « وعن أبي عمرو انه سمع العرب تقول «هلمّين يا نسوة » بكسر الميم المشددة وزيادة ياء ساكنة بعدها نون الاناث ، وعليه جاء قول أبي الطيب

قصدنا له قصد الحبيب لقاؤه   الينا وقلنا للسيوف هلمّينا[1]

وقد يمثل بشعر بعض المولدين ليبين مجيء الشعر على رأي من آراء النحاة التي انفردوا بها ، من ذلك تمثيله ببيت ابن المعتز

مرت بنا سحرا طير فقلت لها   طوباك يا ليتني اياك طوباك

مستدلا به على كثرة مذهب ابن سلام وجماعة من المتأخرين في جواز نصب خبر « ليت » حتى عمل عليه هذا المولد[2] .

ويتمثل بشعر جاء على مذهب الفراء في تجويز تقديم التمييز على المميز في ما كان التمييز فيه قد انتصب بعد اسم شبه الاول لا بلفظ « مثل » ، يقول « وقد عمل بعض المحدثين على مذهب الفراء فقال

رشأً أتانا وهو حسناً يوسف   وغزالة في صحبة بلقيس[3]

وقد يستشهد ببيت من الشعر متابعا في ذلك بعض النحاة الذين استشهدوا به ، وحين يخاف الطعن عليه يشير الى انه لا يدري ان كان ممن يستشهد بقوله أم لا . مثال ذلك قوله بعد استشهاده بشعر عمار الكلبي

فكان لما يكونون قبل تماما

وقد رأيت في كلام بعض النحاة الاستشهاد بشعره »[4] .

---

(١) الارتشاف ص ٣٢٧ ب
(٢) الارتشاف ص ١٥٤ ب
(٣) الارتشاف ص ٢١٦ ب
(٤) الارتشاف ص ١٥٩ ب .

ومثله ما استشهد به عند رده على ابن مالك في مجيء الجملة الحالية فعلية فعلها مضارع مسبوق بـ « لما » مع اقترانه بواو الحال ، يقول « قال ابن مالك هو كالنفي بـ « لم » في القياس . الا اني لم أجده مستعملا الا بالواو كقوله تعالى « ولَمَّا يأتِكُم مثلُ الذين خَلَوا مِن قبلِكُم »[1] وكقول الشاعر

بانت قطامِ ولما يحظَ ذو مِقَةٍ

ونسي ابن مالك أنه أنشد لـ « لما »ما فيه دليل على مجيء النفي بـ «لما» حالا دون الواو ، وذلك في أول شرحه الكتاب « التسهيل » وهو

فقالت له العينان سمعاً وطاعةً وحدَّرتا كالدر لمّا يُثَقَّبِ

ووجدت أنا ذلك بغير « واو » في شعر من احتج بشعره بعض النحاة ، ولا أدري هل هو يحتج بشعره أو لا يحتج به ، وهو عبدالله بن محمد ابن أبي عينية قال

يعد بلاي عنده اذ وجدته طريحاً كنصل السيف لمّا يركب

وقوله

وفللت منه حده وتركته كهدبة ثوب الخز لما يهذّب[2]

هذا هو الشعر الذي استشهد به أبو حيان ولم يذكره للاحتجاج به ، انما للاستئناس به ، ويظهر من ذلك كله أنه قد أخذ بشعر الطبقات الثلاث الاول وهي طبقة الجاهليين وطبقة المخضرمين وطبقة الاسلاميين ورَدَّ ما جاء من شعر شعراء الطبقة الرابعة كابي تمام والبحتري ومن بعدهما من الشعراء حتى عصره .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٤

(٢) الارتشاف ص ٢١٢ب وينظر التذييل والتكميل القسم المطبوع ج١ ص ١٩

الضـــرورة :

الضرورة هي أن يجوز للشاعر في الشعر ما لا يجوز لغيره في النثر ، وقد خصها سيبويه باضطرار الشاعر اليها ورد فرع الى أصل وتشبيه غير جائز بجائز ، وخصها ابن مالك بالاضطرار ايضا متابعا في ذلك سيبويه ، لان ما لم يضطر اليه الشاعر فليس بضرورة انما يجوز في الاختيار على قلة ، يقول عند كلامه على وصل « أل » بالمضارع في شرحه للتسهيل « وعندي ان مثل هذا مخصوص بالضرورة لامكان ان يقول الشاعر « صوت الحمار يجدع » بدلا من « صوت الحمار اليجدع » . واذا لم يفعلوا ذلك مع الاستطاعة ففي ذلك اشعار بالاختيار وعدم الاضطرار »[1] ، ولذلك جوز ابن مالك تبعا لهذا وصل« أل »بالمضارع وغيره اختياراً لكنه قليل . أما ابن جني وابن عصفور فلم يشترطا الاضطرار وتبعهما في ذلك ابن هشام الانصاري فجوزوه مطلقاً وان لم يضطر اليه ، لانه موضع الفت فيه الضرائر بدليل قول الشاعر

كم بجود مقرف نال العلى

ففصل بين « كم » ومدخولها بالجار والمجرور وذلك لا يجوز الا في الشعر ، ولم يضطر اليه الشاعر اذ قد يزول الفصل بينهما برفع « مقرف» أو نصبه[2] .

وأما الاخفش فقد كان يرى جواز ذلك للشاعر ، وللناثر في السجع ودليله على ذلك قوله تعالى « وتَظُنُّونَ بالله الظنُّونا »[3] و « أضلّونا السَّبيلا »[4].زاد الالف لتتفق الفواصل كزيادة الالف في الشعر للاطلاق ، وفي الحديث « ارجعن مأزورات » وفي كلامهم «شهر

(١) ينظر ابن مالك النحوي في كتابه التسهيل ص ١٤٨ (مخطوط)
(٢) الارتشاف ص ٣٤٠ ب ، وينظر همع الهوامع ج٢ ص ١٥٦
(٣) سورة الاحزاب ، الآية ١٠
(٤) سورة الاحزاب ، الآية ٦٧

ثرى ، وشهر ترى ، وشهر مرعى » حـــذف التنوين من « ثرى » و « مرعى » اتباعا لـ « ترى »[1] وقالوا «الضيح والريح » أبدلوا الحاء ياء اتباعا لـ « الريح» والاصل «الضحّ » حكى ذلك الخليل وأبو حنيفة، ولكون السجع يجري في ذلك مجرى الشعر ساغ للحريري أن يقول « فألفيت فيها أبا زيد السروجي يتقلب في أقاليب الانتساب ويخبط في أساليب الاكتساب » ، فاشبع الكســرة في « أقاليب » اتبــاعا لـ « أساليب »[2] .

أما أبو حيان فقد كان يذهب في الضرورة مذهب ابن جني وابن عصفور في عدم اشتراط الاضطرار في الضرورات ، انما جوز ذلك للشاعر ســواء اضطر ام لم يضطر ، وقد بين رأيه ذلك وموقفــه من الآراء المتقدمة في بحثه الضرائر في كتابه « الارتشاف » فقال «يجوز للشاعر في الشعر ما لا يجوز في الكلام عند سيبويه بشرط الاضطرار اليه ورد فرع الى أصل ، وتشبيه غير جائز بجائز ، خلافا لابن جني في كونه لم يشترط الاضطرار ووافقه ابن عصفور قال لانه موضع قد ألفت فيه الضرائر ، دليل ذلك قوله

كم بجود مقرف نال العلى

فصل بين « كم » وما اضيفت اليه بالمجرور وذلك مما يختص بجوازه الشعر ولم يضطر الى ذلك اذ قد يزول الفصل بينهما برفع « مقرف » أو نصبه.وخلافا للاخفش اذ يجيز ذلك للشاعر فيالكلام والسجعدليل ذلك قوله تعالى « وتظنون بالله الظنونا » ، و « أضلونا السبيلا »[3] زاد الالف لتتفق الفواصل كزيادة الالف في الشعر للاطـلاق ، وفي الحديث « ارجعن مأزورات » ومن كلامهم « شهر ثرى وشهر ترى وشــهر مرعى » حذف التنوين من « ثرى » و « مرعى » اتبــاعا

---

(١) اي تمطر اولا ، ثم يطلع النبات فتراه ،ثم يطول فترعاه النعم (اللسان ،ثرا)

(٢) الارتشاف ص ٣٤٠ ب

(٣) سورة الاحزاب ، الايتان ١٠ و ٦٧

لـ «ترى» وقالوا « الضيح والريح » أبدلوا الحاء يـاء اتبـاعا للريح والاصل « الضحّ » حكى ذلك الخليل وابو حنيفة ، ولكون السجع يجري في ذلك مجرى الشعر ساغ للحريري انيقول:«فالفيتبها أبا زيد السروجي يتقلب في اقاليب الانتساب ويخبط في أساليب الاكتساب » ، أشبع الكسرة في « أقاليب » اتباعا لـ « أساليب »[1] •

وقال في شرح التسهيل وأما قول المصنف بان قائل البيت الاول متمكن من ان يقول بدل « كنت منه » (في) •

من يكدني بسيء كنت منــه كالشجى بين حلقــه والوريد

« الك منه » ، وقائل الثاني متمكن من كذا ، فهذا حديث من لم يفهم معنى قول النحويين في ضرورة الشعر فقال ويتمكن القائل الاول من كذا والقائل الثاني من كذا ففهم ان الضرورة في اصطلاحهم هو الالجاء الى الشيء فقال بانهم لا يلتجئون الى ذلك اذ يمكن ان يقول كذا • فعلى زعمه لا توجد ضرورة اصلا ، لانه ما من ضرورة الا يمكن ازالتها ونظم تركيب آخر غير ذلك التركيب ، فانما يعنون بالضرورة أن ذلك من تراكيبهم الواقعة في الشعر المختصة به ولا يقع في كلامهم النثر ، وانما يستعملون ذلك في الشعر خاصة دون الكلام ولا يعني النحويون بالضرورة انه لا مندوحة عن النطق بهذا اللفظ وانما يعنون ما ذكرناه والا كان لا توجد ضرورة ، لانه ما من لفظ الا وامكن الشـاعر ان يغيره »[2] •

ومعنى هذا ان ابا حيان يخالف ابن مالك في الضرورة وقد تبين من هذا النص ردّه عليه عدم فهمه للمقصود منها عند النحاة •

ويظهر أن أبا حيان قد وافق الاخفش في تجويزه الضـرورات في

---

(١) الارتشاف ص ٣٤٠ب ، وينظر همع الهوامع ج٢ ص ١٥٥ — ١٥٦

(٢) التذييل والتكميل ج٥ ص ١٧٠ ب ١٧١ ، وينظر همع الهوامع ج٢ ص ١٥٦ ، والاشباه والنظائر ج١ ص ٢٢٤ — ٢٢٥

السجع كما جازت في الشعر ، ودليلنا على ذلك انه اطلق على هـذا الفصل في كتابه « غاية الاحسان في علم اللسان » اسم « باب الشعر والسجع » وقال فيه انه يجوز فيهما في الضرورةمالايجوز في غيرهما[1] . وسماه في « تقريب المقرب » « باب يختص بسجع وشعر بجواز رد فرع الى أصل أو تشبيه غير جائز بجائز اضطر الى ذلك أو لا »[2]

وقد بحث صاحبنا هذه الضرورات في معظم كتبه الصغيرة مثل تقريب المقرب » ، وشرحه « التدريب » و « غايـة الاحسان في علم اللسان » ، وشرحه « النكت الحسان » ، كما تكلم عليها في كتابه الكبير « الارتشاف » وعقد لها بابا باسم « باب الضرائر » ، وهي عنده أما بحرف ، أو حركة ، أو كلمة ، وتنحصر في الزيادة ، والنقص ، والتقديم ، والتأخير ، والبدل ، ويرى انه لا ينقاس منه الا ما كثر ،وقد بحث في « غاية الاحسان » ما كان منه مقيسا وترك ما لم يكن كذلك. والمقيس عنده من الزيادة زيادة حركة في عين ساكنة لاتباع ، أو فك مدغم ، أو اعراب معتل كصحيح . وزيادة حرف كتنوين ما لا ينصرف مطلقا الا ما آخره ألف ، ومنادى مضموم ، وحرف لاحق قافية مطلقة ، وتنوين مبدل منه ، وهمزة قطع حشوا أصلها الوصل ، وفي الوصل لاحد مدغمين ولاحق لبيـان حركة بابهما الوقف . ومن الحـذف حذف حركة وهي حركة اعراب أو تاء تأنيث أو ضمير أو منقوص نصباً أو مجزوم بحذف . وحذف حرف وهو نون « من » و « لكن » لالتقـاء ساكنين ، وياء منقوص مضاف ، أو بـ « أل » ، وهمزة ممدود مطلقا ، ومعتل اجتزيء بحركة عنه ، وصلة ضمير مذكر غائب ولي متحركا ،أو واو « هو » وياء « هي » ، ونون خفيفة بعد فتحة ، وياء في جملة اسمية جواب شرط،ونون علامة رفع . وفي قافية لاحد المدغمين، ولترخيم في غير نداء . وحذف كلمة ياء اضافة في قافية ، ومضاف لا دليل عليه في

---

(١) غاية الاحسان ص ٢١ ب

(٢) تقريب المقرب ص ٥٨ ب

الجملة التي هو فيها ، وموصوف، حيث لا يحذف في الكلام ، وضمير نصب من عامل « كان » اذا اعمل الاول ، ومسوغ عطف على ضمير جر أو رفع متصل •

وضرورة البدل عنده هي:ان يستعمل للشيءمجازا ما لا يكون الا لغيره وان يؤتى في قافية بحرفين متقاربين مخرجا ، ووضع « مهما » موضع « ما » الاستفهامية ، وقلب الاعراب •

ومن ضرورة التقديم والتاخير الفصل بين متضايفين بظرف أو مجرور ، وبين نعت ومنعوت بمعطوف أو مجرور غير نعت •

أما غير هذه الانواع من الضرائر فهي الضرائر التي لا تقاس[1] •

وبحث الضرائر في « الارتشاف » بحثا مطولا ، وقد ذكر فيه الخلافات في كل ضرورة ورد على ابن مالك وابن عصفور وغيرهما في عدة مواضع ، وزاد فيه على ما جاء في « غاية الاحسان » كثيرا[2] •

* *

هذا هو منهج أبي حيان النحوي الذي تميز به عن غيره من النحاة ، ويتجلى فيه مذهبه الاختياري واضحا فهو لم يعتمد في طريقته على منهج احد من سابقيه فليس هو بصريا دائما ولا ظاهريا ، ولم يكن يقصر تأييده لسيبويه وحده انما كان يتبع من يرى ان الصواب والصحة في اتباعه ويختار من كل فريق الرأي الذي يعجبه •وقد رأيناه يقف مرة مع البصريين ويأخذ بآرائهم ويمدحهم ويتعصب لهم ،ويقف تارة في وجههم حاملا عليهم مفتخرا بانه لا يتعبد أقوالهم دائما ، مرجحا أقوال مخالفيهم ، ووقف الموقف نفسه من الكوفيين ومن سيبويه الذي كان يعتمد عليه اعتمادا كبيرا•وسبب هذا كله هو اعتمادمذهبه على الاختيار،واستقلاله في التفكير هذا الاستقلال الذي جعله يقف هذه المواقف المختلفة •

---

(١) ينظر غاية الاحسان ص ٢١ ـ ٢٢

(٢) ينظر الارتشاف ص ٣٤٠ وما بعدها

وتجلت لنا رغبته في تبسيط النحو وتسهيل أبوابه ومسائلة بوقوفه هذا الموقف الواضح من مقاييس النحاة وتعليلاتهم وتأويلاتهم التي لم يكن يرضى بها ، انما كان يراها من الامور التي لا فائدة فيها ولا تزيد النحو الا تعقيدا ، ولا تفيد الباحث أو المتتبع الا تشتيت الذهن والملل واخيرا الانصراف عن النحو العربي والابتعاد عن تتبع ابوابه وموضوعاته .
وقد ظهر لنا اطلاعه الواسع في علوم شتى، هذا الاطلاع الذي ساعده على تبويب كتبه وترتيب موضوعاته ترتيبا منطقيا،وكان لاطلاعه على اللغات الاجنبية كالتركية والفارسية والحبشية والبشمورية اطلاعا واسعا ، وتعمقه في دراستها وتتبعه خواص هذه اللغات ، وفهمه نحوها وصرفها واصول لغاتها وفقه هذه اللغات ، كان لهذا كله أثر حسن في تفكيره وعقليته ، دفعه الى اطراح التعقيدات والتعليلات المطولة التي لا فائدة فيها .

الفصل الثالث

آراء أبي حيان

ذكرنا في الفصل السابق منهج أبي حيان في النحو ورأيه في اصوله وكثير من المسائل العامة ، وقد اتضح لنا أن ابا حيان لم يكن مقلدا ولم يكن متابعا لاحد كل المتابعة ، وانما كان ينظر في المسألة الواحدة نظرة تمحيص وتدقيق فيأخذ رأي هذا النحوي ان اعتقد بصحته ويرفض رأي ذاك ان رأى فيه خللا واضطرابا ، ولكن سماته العامة انه كان بصري النزعة في النحو وان لم يتقيد بها دائما .

ونستطيع ان نقسم آراءه النحوية الى قسمين كبيرين الاول آراؤه الانفرادية ، والثاني آراؤه الاجتهادية . أما آراؤه العامة التي اتبع البصريين فيها أو سيبويه بوجه خاص فليس من السهل حصرها ، لانها معظم آرائه النحوية . وسنكتفي بالكلام على القسمين الاولين باختصار لنرى نزعته واتجاهه النحوي .

الاراء الانفرادية

ونقصد بالآراء الانفرادية الآراء التي انفرد بالتنبيه اليها وبناها على استقرائه الخاص ، والابنيـة التي استدركها على سـيبويه وغيره من النحاة • وأهم هذه الآراء

في بنية الكلمة ودلالتها

١ ـ إنمـا :

ذهب بعض النحاة الى ان « إنما » مركبة من « ما » النافية دخلت عليها « إنّ » التي للاثبات فأفادت الحصر ، وذهب ابو حيان الى انها لا تدل على الحصر ، يقول « وفي الفاظ المتأخرين من النحويين وبعض أهل الاصول انها للحصر وكونها مركبة من « ما » النافية دخل عليهـا إنّ » التي للاثبات فافادت الحصر قول ركيك فاسد صادر عن غير عارف بالنحو • والذي نذهب اليه انها لا تدل على الحصر بالوضع،كما ان الحصر لا يفهم من اخواتها التي كفت بـ « ما » فلا فرق بين « لعل زيدا قائم » و « لعلما زيد قائم » فكذلك «ان زيداً قائم » و « انما زيد قائم » • واذا فهم حصر فانما يفهم من سياق الكلام لا أن « إنما » دلّت عليه ، وبهذا الذي قررناه يزول الاشكال الذي اوردوه في نحو قوله تعالى «إنّما انتَ مُنذِر » [1] ، « قُلْ إنّما أنا بَشَر » [2] ، « إنّما انتَ مُنذِرُ مَن يخشاها » [3] • واعمال « إنما » قد زعم بعضهم انه مسموع من لسان العرب ، والذي عليه اصحابنا انه غـير مسموع [4] •

---

(١) سورة الرعد الآيـة ٧

(٢) سورة الكهف الآية ١١٠ ، وسورة فصلت ، الآية ٦

(٣) سورة النازعات الآية ٤٥

(٤) البحر المحيط ج١ ص ٦١ ، والنهر الماد ج١ ص ٦٦ ، وينظر عروس الافـراح ج٢ ص ١٩٢

ويقول « وقال الزمخشري « انما تقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك « انما زيد قائم » ، و « انما يقوم زيد » ، وقد اجتمع المثالان في هذه الآية ، لان« انما يوحي اليَّ »[١] مع فاعله بمنزلة « انما يقوم زيد »، و «انما الهكم إله واحد »[٢] بمنزلة « انما زيد قائم »،وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية . انتهى .

وأما ما ذكر في « انما » انها لقصر ما ذكر فهو مبني على(ان)[٣] « انما » للحصر وقد قررنا انها لا تكون للحصر وان « ما » مع «ان» كهي مع « كأنّ » ومع « لعل » ، فكما انها لا تفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر في الترجي فكذلك لا تفيده مع « إن »[٤]

وقد أيد ابنُ هشام الزمخشري في رأيه وردّ على أبي حيان،يقول: « ومن هنا صح للزمخشري ان يدعي أن « أنما » بالفتح تفيد الحصر ك « إنّما » ، وقد اجتمعتا في قوله تعالى « قل إنما يوحى الي أنما الهكم اله واحد » فالاولى لقصر الصفة على الموصوف ، والثانية بالعكس ، وقول ابي حيان « هذا شيء انفرد به ، ولا يعرف القول بذلك الا في « انما بالكسر »مردود بما ذكرت ، وقوله « ان دعوى الحصر هنا باطلة لاقتضائها انه لم يوح اليه غير التوحيد » مردود أيضا بانه حصر مقيد ، اذ الخطاب مع المشركين فالمعنى ما اوحي اليّ في امر الربوبية الا التوحيد لا الاشراك . ويسمى ذلك«قصر قلب»لقلب اعتقاد المخاطب ، والا فما الذي يقول هو في نحو « وما محمد الا رسول »[٥] ، فان « ما » للنفي و « الا » للحصر قطعا وليست صفته

---

(١) سورة الانبياء ، الآية ١٠٨

(٢) سورة الانبياء ، الآية ١٠٨

(٣) بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق

(٤) البحر المحيط ج٦ ص ٣٤٤

(٥) سورة ل عمران ، الآية ١٤٤

عليه الصلاة والسلام منحصرة في الرسالة ، ولكن لما استعظموا موته جعلوا كانهم اثبتوا له البقاء الدائم فجاء الحصر باعتبار ذلك ويسمى قصر افراد »[1] .

٢ ـ جمع « فَعْلَة » معتلة اللام على : « فُعَل » :

ذكر النحويون مما يجمع على « فُعَل » ما كان على « فَعْلَة » معتل اللام وحفظ منه قرية وقرى ، ونزوة ونزًى ، وكوّه وكوًى . وانفرد أبو حيان باستدراك كلمة رابعة هي « شهوة وشُهى » يقول « الشَهوة ما تدعو النفس اليه ، وانفعل منه « اشتهى» ويجمع بالالف والتاء فيقال « شهوات » . ووجدت أنا في شعر العرب جمعها على « شُهى » ، نحو « نزوة ونزًى » ، و « كوّة وكوًى » على قول من زعم ان « كوًى » جمع « كوّة » بفتح الكاف ـ ،وهذا مع«قرية وقرًى » ذكره النحويون مما جاء على وزن « فَعْلَة » معتل اللام وجمع على « فُعَل » . واستدركت انا « شُهى » ، وقالت امرأة من بني نضر بن معاوية

فلولا الشُهَى والله كنت جديرة بان اترك اللذات في كل مشهد
وحق لعمري انه غاية الردى وليس شهى لذاتنا بمخلد [2]

٣ ـ اسم المرة والهيئة :

ذهب ابن مالك ومن قبله من النحاة الى ان اسم المرة يصاغ من الثلاثي على وزن « فَعْلَة » سواء اكان مصدره المقيس على « فَعْل » أم غيره ، فيقال « ضربت ضربة » و « جلست جلسة » و « قعدت قعدة » ، وذهبوا الى ان اسم الهيئة يصاغ من الثلاثي على

---

(١) مغني اللبيب ج١ ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٢) البحر المحيط ج٢ ص ٣٩٢ ، والدر اللقيط ج٢ ص ٣٩٢ ، والارتشاف ص٣٦ب وينظر الاشباه والنظائر ج٣ ص ١٣ ، وشرح الاشموني ج٣ ص ٦٨١

ورن « فِعْلَة » ، تقول « هو حسن الركبة والجلسة والمِشية والقِعدة » . وذهبوا الى ان اسم المرة مما زاد على ثلاثة يصاغ بزيادة « التاء » على مصدره القياسي .

لكن ابا حيان لم يتبعهم في ترديد ذلك كما قرروه انما نبه الى ان ذلك الاطلاق قد يُلبس المرة والهيئة بالمصادر المستعملة التي جاءت على اوزانها فنبه الى وجوب تقييد ذلك في الثلاثي وغيره ، يقول « فان كان المصدر قد وضع على « فَعْلَة » نحو « رحمة » و « رغبة » فلا يُدل على المرة منه بـ « فَعْلَة » بل يفهم ذلك من قرينة حال ، او من نعت نحو « رحِمَه رحمةً واحدةً » و«رغِبَ اليه رغبةً واحدةً » .

ويقول في اسم الهيئة من الثلاثي « وهذا أيضا ما لم يوضع المصدر على « فِعْلَه » ، فان فِعلة » اذ ذاك لا تدل على الهيئة نحو « نشد نشدة » .

وقيد ما زاد على ثلاثة بقيدين « احدهما ان لا يكون المصدر قد وضع على تاء التأنيث نحو قولهم « دحرج ـ دحرجة»و«ضارب مضاربة » و « عزّيت ـ تعزية » فالتاء في مثل هذه لا تكون للمرة ، بل انما تفهم المرة من قرينة حال أو من الوصف نحو « ضارب مضاربة واحدة » كما تقول « ضربت ضربا واحدا » .

القيد الثاني أن « التاء » لا تدخل على مصدر ما زاد على ثلاثة الا اذا كان مصدرا مقيسا له اما اذا كان قد جاء على غير القياس نحو « فِعلال » لـ « فَعلَلَ » ، و « فِعال » لـ « فاعَلَ » و « فَعْلَلَى » لـ « فَعْلَلَ » فلا تقول سرهفت سرهافة ، ولا « قاتلت قتالة » ولا « قهقرت قهقراة »[1] .

ومما يدلنا على ان ابا حيان انفرد بهذا التنبيه قول ياسين في

---

(١) ينظر منهج السالك ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ، والارتشاف ص ٤٦

حاشيته على التوضيح معلقا على قول ابن هشام « ويدل على المرة من مصدر الفعل الثلاثي بـ « فَعْلَة » بالفتح . كـ « جلس جلسةً ولبس لبسةً » « قال الدنوشري ظاهره شموله لكل فعل وليس كذلك ، فقد قال بعض شراح الفية ابن معطي ما نصه وهنا تنبيه نبه عليه الشيخ ابو حيان وهو ان هذه التاء الدالة على المرة الواحدة لا تدخل على كل مصدر بل على المصادر الصادرة عن الجوارح المدركة بالحسّ نحو « قومة » و « ضربة » و « قعدة » و « أكلة » ، وأما مصادر الافعال الباطنية والخصال الجبلية الثابتة نحو « الظرف » « الحسن » و « الجبن » و « العلم » و « الجهل » فلا يقال من ذلك « علمته علمة » ولا « فهمته فهمة » ولا صبرته صبرة » .

وهذا الذي نبه عليه الشيخ ابو حيان قال انه امر منقول عنه يعني. أن اكثر النحويين لم ينبهوا عليه اذ لم يستنبطه هو من عند نفسه ، لان الاحكام النحوية اليوم تقررت فليس لاحد ان يزيد فيها لكون العرب المسموع منهم قد انقرضوا ، واما الاستقراء فلم يترك المتقدم المتأخر استقراءً » اهـ كلامه

قال العليمي معلقا على قول الدنوشري « وفي آخره نوع تحامل على ابي حيان ، وقوله « اما الاستقراء الخ » مردود ، وما هي باول مسألة افادها ابو حيان »[1] .

٤ ــ ترخيم المنادى

الترخيم لغة التسهيل ، واصطلاحا يكون في باب التصغير وفي باب النداء وهو حذف آخر الاسم في النداء . ولا يرخم المنادى المضاف اليه عند البصريين ، لان المضاف اليه ليس هو المنادى ، ولا يرخم عندهم الا المنادى،وقد اجاز الكوفيون ترخيم المضاف اليه المنادى بحذف آخر المضاف اليه ، والمسموع من ذلك حذف « التاء » من العلم

(١) حاشية ياسين على التوضيح ، ج٢ ص ٧٧

المضاف اليه المنادى نحو قوله

خذوا حذركم يا آل عكـــرم واذكـــروا
اواصـــرنا والـــرحم بالغيب تذكـــر

وذهب سيبويه الى انه ضرورة ، وانفرد ابو حيان برأيه في ذلك فقال « ولو ذهب ذاهب الى جواز ذلك اذا كان آخر المضاف اليه تاء التأنيث وقوفا مع الوارد ومنعه اذا كان غيرها لكان مذهباً[1]

وان رخم ما آخره « تاء » من الاعلام فالغالب ان تلحقه هـــاء ساكنة فتقول في ترخيم « طلحة » « يا طلحَهْ »،فقيل هي هاء السَّكت، وقيل هي التاء المحذوفة اعيدت لبيان الحركـــة . فالاول مـــذهب سيبويه ، والثاني مذهب ابن مالك[2] .

أما ابو حيان فقد انفرد برأيه في ذلك فقال « فاذا رخمت ما فيه «التاء» من الاعلام نحو « طلحة » و« عائشة» جاز على اللغتين فتقول « يا طلحَ » و « يا طلحُ » ، ومن لم يرخم بناه على الضم كالاسماء المفردة غيره ، ومنهم من فتح التاء فقال يا طلحةَ قال

كليني لهم يا اميمةَ ناصب (وليل اقاسيه بطيء الكواكب)

وللنحاة كلام كثير في هذه الفتحة ، وهل هو مرخم او غير مرخم فذهب بعضهم الى انه نصب المنادى على اصله ولم ينونـــه لانه غـــير متصرف وهذا الذي اخترناه ، وذهب بعضهم الى انه بناه على الفتح لانها حركة تشاكل حركة اعرابه لو اعرب فجرى مجرى « لارجل في الدار » وانشد هذا القائل

يا ريحَ من نحو الشمال هبّي

بالفتح »[3]

---

(1) الارتشاف ص ٣١٥ب وما بعدها وهمع الهوامع ج١ ص ١٨٢ وينظر الاشـــموني ج٢ ص ٤٧٠ ـ ٤٧١

(2) ينظر الارتشاف ص ٣١٧ب ، وشرح الاشموني ج٢ ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩

(3) الارتشاف ص ٣١٧ب ـ ٣١٨

واكد انفراده بهذا المذهب وبانه لم يقل به احد من النحاة قبله في كتابه « التدريب » بقوله « ولو ذهب ذاهب الى ان الاسم الذي فيه تاء التأنيث يجوز فيه وجهان احدهما البناء على الضم نحو « يا طلحةُ » كما استقر في بناء المعرفة المتحركـة ، والآخر اعراب المضاف والمشبَّه به فقالوا « يا طلحةَ » كما قالوا « يا ضـارب زيد » و « يا ضاربا زيدا » لكان مذهبا حسنا . ورفعها قوي ولم يحتج الى هذه التمحلات ، ولم أر أحدا من النحويين ذهب الى هذا ، وأنا أختاره ، فالنصب في مثل « طلحة » نوع من القياس ، وذلك ان المؤنث بالتاء فرع عن المذكر ، وتتنزل التاء منزلة كلمة اخرى ، الا ترى انها تسقط في النسب كما يسقط ثاني التركيب ، ولا يلحق بها ، بخلاف الالف فانها تكون للتأنيب وتكون للالحاق »[(١)] .

٥ ــ الضمير المستتر :

يستتر الضمير في مواضع ذكر النحاة وابن مالك منها امر الواحد المخاطب مثل « إفعَلْ يا زيد » ، والمضارع للمتكلم مثل « أنـا اضرب » والمضارع لجماعة المتكلمين مثل « نغتبط » ، والمضارع للمخاطب المفرد مثل « تشكر » ، وفعل الاستثناء مثل « خلا وعدا »، و « أفعل التعجب » مثل « ما احسن الزيدين »،و « اسم فعل الامر » مطلقا ، والصفة في نحو « زيد قائم » ، وفي الظرف والمجرور اذا وقعا صفتين او صلتين او خبرين أو حالين ، وفي موضع ثاني «ظننت»، او ثالث « اعلمت » ... الخ »[(٢)] .

وزاد ابو حيان في مواضع استتاره موضعا آخر ودلك في اسم الفعل المضارع للمتكلم نحو « اوه » اتوجـــع ، و « اف » « اتضجر »[(٣)] .

---

(١) التدريب في تمثيل التقريب ص ١٦

(٢) ينظر منهج السالك ص ١٧ ، والارتشاف ص ١٠٢ ،وشرح الاشموني ج١ ص ٥٠، وهمع الهوامع ج١ ص ٦٢

(٣) الارتشاف ص١٠٢ وهمع الهوامع ج١ ص٦٢ وهامش شرح ابن عقيل ج١ ص٨٥. والبهجة المرضية في شرح الالفية ص ٢٤

٦ ـ العلم :

قسم اكثر النحاة العلم الى « مرتجل » و « منقول » ، وذهب سيبويه الى ان الاعلام كلها منقولة ، وزعم الزجاج انها كلها مرتجلة .

وقد انفرد أبو حيان بتقسيمه الى « مرتجل » و « منقول » و «ماعلميته بالغلبة»، وهو لا مرتجل ولا منقول. يقول: «وتقسيم الاكثرين العلم الى منقول ومرتجل هو بالنسبة الى الاكثر والاغلب ، والا فالذي علميّته بالغلبة لا منقول ولا مرتجل كالثريا والعبران ، وابن عمر»[1].

ولا يتبين من نص ابي حيان هذا انه انفرد به ، ولكن السيوطي ذكر في كتبه ما يفهم انه من تفردات ابي حيان . يقول « العلم منه منقول ومنه مرتجل ومنه قسم ثالث لا منقول ولا مرتجل وهو الذي علميته بالغلبة ذكره ابو حيان »[2] .

ويقول « وذهب بعضهم الى ان الاعلام كلها منقولة وليس منها شيء مرتجل ، وقال ان الوضع سبق ووصل الى المسمى الاول وعُلِم مدلول تلك اللفظة في النكرات وسمي بها وجهلنا نحن اصلها فتوهمها من سمى بها من اجل ذلك مرتجلة. وذهب الزجاج الى انها كلها مرتجلة والمرتجل عنده ما لم يقصد في وضعه النقل من محل آخر الى هذا ولذلك لم يجعل « ال » في « الحارث » زائدة وعلى هذا فتكون موافقتها للنكرات بالعرض لا بالقصد . حكى هذا الخلاف ابو حيان وقال قبله « المنقول » هو الذي سبق له وضع في النكرات ، و « المرتجل » هو الذي لم يسبق له وضع في النكرات فحكى قولين ، ويؤخذ من تقرير كلام الزجاج قول ثالث في حد « المرتجل » انه ما لم

---

(١) الارتشاف ص ١١٠ ـ آ ـ ب ، وينظر منهج السالك ص٢٢ وشرح الاشموني ج١ ص ٦٠ ، والبهجة المرضية في شرح الالفية ص ٢٩

(٢) الاشباه والنظائر ج١ ص ٣٠٢

يقصد في وضعه النقل من محل آخر الى هذا ••• ثم قال ابو حيان « بنقسم العلم قسمين منقول ومرتجل بالنظر الى الاكثر والا فقد لا يكون منقولا ولا مرتجلا وهو الذي علميته بالغلبة » •

وحكاه ابن قاسم بصيغة « قيل » ، وتلك عادته في ابحاث شيخه أبي حيان ، فظاهره ان ذلك من تفرداته »[1] •

٧ ـ اسم الاشارة :

ومن الفاظه « ذا » لمفرد مذكر قريب ، واختلف النحويون في ألفه ، فقال البصريون انها منقلبة عن أصل ، واختلفوا في هذا الاصل فذهب بعضهم الى انه « ياء » والمحذوف « ياء » فالعين واللام ياءان • وقال بعضهم اصل الالف « واو » والمحذوف « ياء » فهو من باب « طويت » • وذهب ابن الاخضر وابن ابي العافية الى ان المحذوف « العين » وهذه الالف هي اللام وزعما ان وزنه في الاصل « فَعَلٌ » بتحريك العين • وذهب الكوفيون ووافقهم السهيلي الى انها زائدة ، وذهب السيرافي الى ان « ذا » ثنائية الوضع ك « ما » فالالف اصل ليست منقلبة عن شيء[2] •

ونقل السيوطي ان ابا حيان انفرد بالرأي الذي قال به السيرافي وقال به قبل ان يعلم بذهاب السيرافي اليه • يقول السيوطي بعد نقله الآراء المختلفة في ألف « ذا » « قال أبو حيان ولو ذهب ذاهب الى ان « ذا » ثنائي الوضع نحو « ما » وان الالف اصل بنفسها غير منقلبة عن شيء اذ أصل الاسماء المبنية ان توضع على حرف او حرفين لكان مذهبا جيدا سهلا قليل الدعوى • قال ثم رأيت هذا المذهب للسيرافي والخشني ونقله عن قوم »[3] •

---

(١) همع الهوامع ج١ ص ٧٢

(٢) ينظر الارتشاف ص ١١٢ ـ آ ـ ب ومنهج السالك ص ٥٤ ، وهمع الهوامع ج١ ص ٧٥

(٣) همع الهوامع ج١ ص ٧٥

١ ــ تعليق ظن واخواتها عن العمل :

التعليق هو ابطال العمل لفظاً لا محلا ، وقد قسمه أبو حيان الى قسمين قسم يجب فيه التعليق ، ويكون بتقدم اداة استفهام على الاسم نحو « ظننت أزيد قائم » ، او « إن » النافية نحو « ظننت إن زيد قائم » ، او « لا » النافية نحو « ظننت لا زيد عندك ولا عمرو » ،او « لام الابتداء » نحو « ظننت لزيد قائم » ، او « إنَّ » وفي ثاني معموليها اللام نحو « ظننت إنَّ زيدا لقائم » •

وقسم يجوز فيه التعليق ، ويكون في الاسم الذي لم يدخل عليه شيء مما ذكر وما بعده مستفهم عنه نحو « علمت زيدا ابو من هو »،فيجوز في «زيد» وجهان أحدهما النصب،وهو الاولى،والجملة التي بعده في موضع المفعول الثاني • والوجه الثاني الرفع على الابتداء والجملة التي بعده في موضع مفعوليها[١] •

وقد ذكر ابو حيان في الادوات التي توجب التعليق «لعل» فقال في « منهج السالك » « ومما ظهر لي ان من اسباب التعليق « لعل » وهو شيء اهمله النحويون ولم أجد فيه نصا لبصري ولا كوفي ، والدليل على صحة ما ذهبت اليه وانه مسموع من لسان العرب وان لم ينبه النحويون عليه قوله تعالى « وإنْ أدرِي لَعَلَّهُ فتنةٌ لكم »[٢] ، وقوله تعالى « وما يُدرِيك لعلَّهُ يزَّكَّى »[٣] وقوله تعالى « لا تَدري لعلَّ اللهَ يُحدِثُ بعد ذلك أمرا »[٤] ،«ودرى» من الافعال التي تعلق كما علقت في قوله تعالى « وإن ادري اقريبٌ

---

(١) ينظر منهج السالك ص ٩٤ وما بعدها

(٢) سورة الانبياء ، الآية ١١١

(٣) سورة عبس ، الآية ٣

(٤) سورة الطلاق ، الآية ١

أم بَعيد" ما توعدون »[1] وقوله تعالى « وما أدراكَ ما الحاقةُ »[2] و « ما ادراكَ ما القارعةُ »[3]

وانما كانت من اسباب التعليق لشبهها بادوات الاستفهام حتى ان بعض الكوفيين زعم ان « لعل » تكون استفهاما ... قال صاحب « الواضح » « « لعل » من حروف الاستفهام ، يقول العربي لمخاطبه « لعلك تسبني فاعاقبَك » يريد هل تسبني ؟ وقد قال تعالى ـ وله المثل الاعلى ـ « لا تَدري لعلَّ اللهَ يُحدِثُ بعدَ ذلِكَ أمرا » ، فجعل « لعل » في موضع حرف الاستفهام مقرونا بدليل الاستفهام وهو « تدري »[4] .

هذا نص صريح من ابي حيان يدل على انه استنبط ذلك بنفسه من غير اعتماد على نحوي سابق،لكننا نرى في الكتب النحوية الاخرى هذا الرأي منسوبا لأبي علي الفارسي ، فالاشموني يقول في شرحه على الفية ابن مالك « الثاني من المعلقات ايضا « لعل » نحو «وإن ادري لعلَّه فِتنة" لكم » ذكر ذلك ابو علي في التذكرة »[5] .

والسيوطي يقول « وعد ابو علي الفارسي منها « لعل » نحو « وما يُدريكَ لعلَّهُ يزَّكَّى » و « ما يُدريكَ لعلَّ الساعَةَ قريب" »[6] ووافقه أبو حيان ، لانه مثل الاستفهام في انه غير خبر،وان ما بعده منقطع مما قبله ولا يعمل فيه »[7] .

على اننا نجد ابا حيان نفسه يعود فيقول في « الارتشاف » « وكنت قد ذكرت في كتاب « منهج السالك » انه ظهر لي ان من

---

(1) سورة الانبياء ، الآية ١٠٩
(2) سورة الحاقة ، الآية ٣
(3) سورة القارعة ، الآية ٠٣
(4) منهج السالك ص ٩٤ وقد مرت الآية وهي من سورة الطلاق ، الآية ١
(5) شرح الاشموني ج١ ص١٦١، وقد مرت الاية وهي من سورة الانبياء ، الآية ١١١
(6) سورة الشورى ، الآية ١٧
(7) همع الهوامع ج١ ص ١٥٤

جملة الحروف المعلقة « لعل » ومنه « وما يُدريك لعلَّ الساعةَ تكونُ قَريبا »[1] ، « وما يُدريك لعلَّهُ يزَّكّى » ، « وإنْ أدري لَعَلَّه فتنةٌ لكُم »، ورأيت مصب الفعل وهذه الآيات على جملة الترجي فهي في موضع نصب بالفعل المعلق ، الى ان وقفت لابي علي الفارسي على شيء من هذا قال ـ وقد ذكر «وما يُدرِيك لعلَّه يزَّكّى» ،و«ما يُدرِيك لعلَّ الساعةَ تكونُ قريبا»ـ ما نصه :«والقول في « لعل » وموضعها انه يجوز أن يكون في موضع نصب ، وان الفعل لما كان بمعنى العلم علق عما بعده وجاز تعليقه ، لانه مثل الاستفهام في انه غير خبر وان ما بعده منقطع مما قبله ولا يعمل فيه »[2] .

فتعليق « ظن » واخواتها عن العمل بـ « لعل » مما انفرد ابو حيان بالتنبيه عليه والقول به ، لانه مما ظهر له قبل ان يطلع على قول ابي علي الفارسي .

٢ ـ التعجب :

من آرائه في هذا الموضوع ذهابه الى انه لا يجوز ان يقال « ما أعلمَ اللهَ » و « ما أحلم الله » ونحو ذلك . يقول « فاما صفات الله تعالى فلا يجوز التعجب منها ، لا يقال « ما أعلم الله » ، لان علمه تعالى لا يقبل الزيادة ، وقالت العرب « ما أعظم الله وأجلَّه » ،وقال الشاعر

ما أقدر الله ان يدني على شَحَطٍ مَنْ داره الحزن ممن داره صول

وتأول النحويون قول العرب « ما أعظم الله على وجوه »[3] .

ويبدو من هذا النص أن أبا حيان لم ينص على أن هذا رأيه

---

(١) سورة الاحزاب ، الآية ٦٣

(٢) الارتشاف ص ٢٩٥

(٣) منهج السالك ص ٣٧٥ ، والارتشاف ص ٢٨٨ ب ، وينظر همع الهوامع ج ٢ ص ١٦٧

الخاص به ، ولكن السبكي يذكر أنه منع التعجب من صفات الله ، يقول « منع الشيخ أبو حيان ان يقال « ما اعظم الله » و « وما أحلم الله » ونحو ذلك ، ونقل هذا عن أبي الحسن بن عصفور احتجاجا بان معناه « شيء عظمه او حلمه » ، وجوّزه الامام الوالد محتجا بقوله تعالى « أبصِرْ به وأسمِعْ »[1] والضمير في « به » عائد على الله أي ما أبصره واسمعه ، فدل على جواز التعجب من ذلك ، وللوالد تصنيف في تجويز ذلك أحسن القول فيه » .

ثم يقول السبكي بعد ذلك:«قلت :وفي شرح ألفية ابن معطٍ لابي عبدالله محمد بن الياس النحوي وهو متأخر من أهل حماة:سأل الزجاج المبرد فقال : كيف تقول ما أحلم الله وما أعظم الله ، فقال كما قلت . فقال الزجاج وهل يكون شيء حلم الله أو عظمه ؟ فقال المبرد: ان هذا الكلام يقال عندما يظهر من اتصافه تعالى بالحلم والعظمة وعند الشيء يصادف من فضله،والمتعجب هو الذاكر له بالحلم عند رؤيته اياهاعيانا. وقد نقل الوالد هذه الحكاية في تصنيفه عن كاب « الانصاف »لابن الانباري ، وذكر من التأويل ان يعنى بالشيء نفسه أي انه عظم نفسه او انه عظيم بنفسه لا شيء جعله عظيما »[2] .

٣ ـ الفصل بين حرف العطف والمعطوف :

نصّ النحويون على جواز الفصل بقلة بين حرف العطف والمعطوف بشرط ان يكون المفصول به: قسما أو ظرفا أو مجرورا وان تكون أداة العطف على أزيد من حرف . وأنفرد أبو حيان بتجويزه الفصل بينهما بالحال ذهب الى هذا عند تخريجه قوله تعالى:«فاذكُروا اللهَ كذكرِكُم آباءَكُم او اشَدَّ ذِكرا »[3] ، فقال « والذي يتبادر اليه الذهن في الآية انهم امروا بأن يذكروا الله ذكرا يماثل ذكر

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٢٦

(٢) طبقات الشافعية ج٦ ص ٣٨

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٠٠

آبائهم او اشد ، وقد ساغ لنا حمل الآية على هذا المعنى بتوجيه واضح ذهلوا عنه ، وهو ان يكون « اشد » منصوبا على الحال ، وهو نعت لقوله « ذكراً » لو تأخر ، فلما تقدم انتصب على الحال كقولهم

« لميَّة موحشاً طلل »

فلو تأخر لكان « لمية طلل موحش » وكذلك لو تأخر هـذا لكان « او ذكراً أشدّ » يعني « من ذكركم آباءكم » ويكون اذ ذاك « او ذكراً أشد » معطوفا على محل الكاف من « كذكركم »..
ولا يقال انه يلزم فيه الفصل بين حرف العطف وهو « او » وبين المعطوف الذي هو « ذكر » بالحال الذي هو « أشد » ، وقد نصوا على انه اذا جاز ذلك فشرطه ان يكون المفصول به قسما او ظرفا او مجرورا وأن يكون حرف العطف على أزيد من حرف ، وقد وجد هذا الشرط الآخر وهو كون الحرف على أزيد من حرف ، وفقد الشرط الاول ، لان المفصول به ليس بقسم ولا ظرف ولا مجرور بل هو حال، لان الحال هي مفعول فيها في المعنى فهي شبيهة بالحرف فيجوز فيها ما جاز في الظرف وهذا اولى[1] .

وواضح ان هذا تكلف شديد من أبي حيان .

٤ ـ زيادة الكاف في النسب :

سمع عن العرب في المنسوب الى « هند » « هنديّ » و « هندكي » في معنى واحد وعليه قال الشاعر

ومقرونة دُهْمٍ وكمت كأنها طماطم يوفون الوفاز هنادك

فخرجه بعض النحاة على ان « الكاف » فيه زائدة وبنى عليه غيرهم جواز كونها زائدة في « كوكب » ، وذهب آخرون الى ان « الكاف» ليست زائدة ، لانه لم يثبت زيادتها في موضع من المواضع فيحمل هذا

(١) البحر المحيط ج٢ ص ١٠٣ ـ ١٠٤

عليه وانما هو من باب « سبط » ، و « سبطر » .

أما ابو حيان فقد انفرد بتخريجه لها بانها ليست من لغة العرب بل سرت اليهم من لغة الحبش يقول « والذي اخرجه عليه ان من تكلم بهذا من العرب ان كان تكلم به فانما سرى اليه من لغة الحبش ، لقرب العرب من الحبش ودخول كثير من لغة بعضهم في لغة بعض . والحبشة اذا نسبت الحقت آخر ما تنسب اليه كافا مكسورة مشوبة بعدها ياء ، يقولون في النسب الى « قندي » « قندكي » ، والى « شواء » « شوكي » ، والى « الفرس » « الفرسكي »[1] .

٥ ــ نعم وبئس :

نص بعض النحاة ومنهم ابن ابي الربيع على انه لا يجوزان يفصل بينها وبين فاعلها بظرف ولا بمجرور ، ولا بغيرهما ، لا تقول: « نعم في الدار الرجل زيد » ، وتقول « نعم الرجل في الدار »، واجاز الكسائي: « نعم فيك الراغب زيد » ، ومنعه عامة النحويين وابطلوه لاجل الفصل بين « نعم » وفاعلها بمعمول الفاعل ، ولاجل تقديم صلة « ال » عليها وهو غير جائز . وانفرد أبو حيـان بذهابه الى جواز الفصل بينهما بالجار والمجرور وبـ « اذن » وبـ « القسم » ، لان ذلك قد ورد في القرآن الكريم والشعر يقول « وقد جاء في الشعر ما يدل على ما ذهب اليه الكسائي قال رفاعة الفقعسي

تبادرن الديار يزفن فيهـا وبئس من المليحات البـديل

قال الاستاذ ابو الحسين بن ابي الربيع « ولا يجوز الفصل بين « نعم » ومفسر الضمير لا تقول « نعم في الدار رجلا زيد » انتهى. وقد جاء في التنزيل ما يخالف قوله ، قال تعالى « بئسَ للظـالمينَ بَدَلا »[2] ففصل بين « بئس » وتفسيره بقوله «للظالمين». ووجدت

(١) البحر المحيط ج٤ ص ١٦٢ ــ ١٦٣ والدر اللقيط ج٤ ص ١٦٢
(٢) سورة الكهف ، الآية ٥٠ .

في شعر العرب الفصل بين « بئس » ومرفوعها بـ « اذن » قال الشاعر

اروح ولم احدث لليلى زيارة   لبئس اذن داعي المودة والوصل

وبالقسم قال

بئس عمر الله قوم طرقوا   فقروا اضيافهم لحما وحر[1]

٦ ـ البدل :

ذكر النحاة ان البدل انواع ، فمنه بدل كل من كل نحو « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين»[2]، ومنه بدل بعض من كل نحو « اكلت الرغيف ثلثه او نصفه او ثلثيه » وبدل الاشتمال نحو « اعجبني زيد علمه » ومنه قوله تعالى « يسألونَكَ عن الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيه »[3]،والبدل المباين ، وزاد بعضهم بدل كل من بعض.

وتبدل المعرفة من المعرفة نحو « الى صراطِ العزيزِ الحميدِ ، اللهِ »[4] ، والنكرة من النكرة نحو « ان للمتّقين مفازا ، حدائقَ وأعنابا »[5] ، والمعرفة من النكرة نحو :«وإنَّك لتَهْدي الى صِراطٍ مستقيمٍ صراطِ اللهِ »[6] ، والنكرة من المعرفة نحو « لَنَسفَعن بالناصيةِ ناصيةٍ كاذبةٍ »[7] .

واختلف النحاة في بدل الاشتمال فقيل باشتمال الاول على الثاني وقيل باشتمال الثاني على الاول ، لكن أبا حيان خالف الفريقين وانفرد بذهابه الى ان الصحيح عدم اشتمال احدهما على الآخر بل المشتمل هو العامل فاذا قلت « استحسنت الجارية ادبها » فالاستحسان مشتمل

---

(١) الارتشاف ص ٢٨٢ ، ومنهج السالك ٣٩٢ ـ ٣٩٣

(٢) سورة الفاتحة ، لآيتان ٦ و ٧

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢١٧

(٤) سورة ابراهيم ، الآيتان ١ و ٢

(٥) سورة النبأ ، الآيتان ٣١ و ٣٢

(٦) سورة الشورى ، ، الآيتان ٥٢ و ٥٣

(٧) سورة العلق الآيتان ، ١٥ و ١٦

على الجارية عموما بطريق المجاز وعلى الادب خصوصا بطرق الحقيقة[1].

ولم يجز احد تكرار غير بدل البداء لكن ابا حيان قال بذلك عند تخريجه قوله تعالى « غيرِ المغضوبِ عليهم »[2] يقول « وقدر بعضهم في « غير المغضوب » محذوفا قال التقدير: غير صراط المغضوب عليهم ، واطلق هذا التقدير فلم يقيده بجر « غير » ولا نصبه ، وهذا لا يتأتى بنصب « غير » فيكون صفة لقوله « الصراط » وهو ضعيف التقدم البدل على الوصف ، والاصل العكس ، او صفة للبدل وهو « صراط الذين » ، او بدلا من « الصراط » او من « صراط الذين » ، وفيه تكرار الابدال وهي مسألة لم أقف على كلام أحد فيها الا انهم ذكروا ذلك في بدل البداء . او حالا من الصراط الاول أو الثاي »[3].

في المعمولات

١ ـ نائب الفاعل :

يحذف الفاعل من الجملة اما لغرض لفظي كالايجاز وتصحيح النظم ، أو معنوي كالعلم به والجهل والابهام والتعظيم والتحقير والخوف منه او عليه ، وينوب عنه المفعول به وهو الاصل في النيابة عن الفاعل في الاحكام التي كانت له من رفع ووجوب تأخير ونحوها . فان فقد المفعول جازت نيابة أحد ثلاثة أشياء عن الفاعل وهي المجرور والظرف والمصدر .

واختلف في ايها الاولى بالنيابة ان اجتمعت ثلاثتها ، فقيل بان المتكلم مخير في اقامة ما شاء وهو مذهب البصريين ، وقيل يختار اقامة المصدر نحو قوله تعالى « فاذا نُفِخَ في الصّورِ نفخة" »[1] وعليه ابن عصفور ، وقيل يختار اقامة المجرور وعليه ابن معطي ، وقيل

---

(١) النكت الحسان ص ٤٣ب ، وينظر شرح الاشموني ج٢ ص٤٣٥.

(٢) سورة الفاتحة ، الآية ٧

(٣) البحر المحيط ج١ ص ٣٠

(٤) سورة الحاقة ، الآية ١٣

يختار اقامة ظرف المكان وعليه أبو حيان الاندلسي[1] •

أما سبب اختيار أبي حيان اقامة ظرف المكان فقد بيّنه بقوله «والسبب في اختيار ذلك انه اذا كان المحكوم بهمفهوما من ذكر المحكوم عليه لم يكن في الاخبار بذلك فائدة ولذلك منع أبو علي « سيد الجارية مالكها » لان الجنس مفهوم من المبتدأ • ولذلك كان المفعول به متقدما في النيابة على سائر ما ينوب عن الفاعل ، فكل فعل ليس يتعدى الى المفعول به بخلاف المصدر وظرف الزمان وظرف المكان فان في الفعل مطلقا دلالة على المصدر بالتضمين ، وعلى ظرف الزمان بالتضمين ايضا • واما على المكان فبالالزام فصارت دلالة الفعل على ظرف المكان أبعد من دلالته على المصدر وعلى ظرف الزمان • فلما كان ظرف المكان أبعد كان اذ ذاك شبيهاً بالمفعول به فلذلك اخترنا انابته دون المصدر وظرف الزمان »[2] •

هذا ما ذكره أبو حيان في تعليل وجهة نظره ولعل النص الذي ذكره السيوطي أقرب الى الفهم ، يقول « وقيل يختار اقامة ظرف المكان، وعليه أبو حيان • ووجهه بان المجرور في اقامته خلاف ، والمصدر في الفعل دلالة عليه فلم يكن في اقامته كثير فائدة ، وكذا ظرف الزمان، لان الفعل يدل على الحدث والزمان معا بجوهره بخلاف المكان فانما يدل عليه دلالة لزوم كدلالته على المفعول به ، فهو أشبه به من المذكورات فكان أولى بالاقامة »[3] •

٢ ــ الاضافة :

اختلفت عبارة النحاة في الاضافة فمنهم من ذهب الى انها بمعنى « من » او معنى: « اللام » ، واليه دهب الجرمي وأكثر النحاة المتأخرين

---

(١) ينظر الارتشاف ص ١٦٩ ، ومنهج السالك ص ١١٦ ، **والنكت الحسان ص ١٢،** وشرح الاشموني ج١ ص ١٨٤

(٢) النكت الحسان ص ١٢ ، وينظر منهج السالك ص ١١٦

(٣) همع الهوامع ج١ ص ١٦٣

كالجزولي وابن مالك • وذهب الفارسي الى انها بمعنى « اللام » ، وذهب ابن كيسان وابن السراج الى انها بمعنى « من » ، وأثبت ابن مالك وجود اضافة بمعنى « في » وبها قال الشيخ عبدالقاهر الجرجاني•

وانفرد أبو حيان بالقول بانها ليست على تقدير حرف مما ذكروه ، يقول « وزعم الزجاج » ان الجر هو بمعنى « اللام » ، وعنده ان « اللام » أو « من » هو الخافض ••• وذهب قوم منهم ابن كيسان والسيرافي الى انه وان لم يصح فيه الاخبار فانه بمعنى « من » •

ومذهب ابن السراج والفارسي واكثر المتأخرين انها اضافة بمعنى «اللام» في باب التمييز••واختلفوا في الاضافة في العدد في نحو قولهم: « ثلاثة أثواب » فذهب ابن السراج الى انها بمعنى « من » • وذهب الفارسي الى انها على معنى « اللام » ، فاذا اضفت العدد الى عدد مثله نحو « ثلاثا » فاتفقا على ان الاضافة بمعنى « من » • واثبت ابن مالك الاضافة بمعنى « في » وقال « اغفل اكثر النحويين التي بمعنى «في» وهي ثابتة في الكلام الفصيح بالنقل الصحيح » • وعند عبدالقاهر ان ثم اضافة تتقدر بـ « في » ••• وزاد الكوفيون الاضافة بمعنى « عند » ••• وذهب شيخنا الاستاذ أبو الحسن بن الضايع الى ان الاضافة بمعنى « اللام » ، لان الخز مستحق للثوب لكونه اصله، فالاضافة بمعنى:«اللام» على كل حال ، ومعنى « اللام » الاستحقاق على كل حال والملك نوع من أنواع الاستحقاق ، كما ان الجنسية نوع من معانيه • والذي اذهب اليه ان الاضافة تفيد الاختصاص وانها ليست على تقدير حرف مما ذكروه ولا على نيته ، وان جهات الاختصاص متعددة يبين كل منها الاستعمال فاذا قلت : « غلام زيد » و«دار عمرو» كانت الاضافة للملك ، واذا قلت « سرج الدابة » و « حصير المسجد » كانت للاستحقاق ، واذا قلت « شيخ اخيك » و « تلميذ زيد » كانت لمطلق الاختصاص »[1] •

---

(١) الارتشاف ص ٢٤٠ ب ، وينظر منهج السالك ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ، والنكت الحسان ص ٤٠

٣ ـ اول :

لهذه الكلمة استعمالان في كلام العرب

أحدهما ان تكون صفة أي:أفعل تفضيل ، بمعنى:الاسبق،ويعطى حكم أفعل التفضيل من منع الصرف وعدم تأنيثه بالتاء ودخول « من » عليه نحو « هذا أول من هذين » و « لقيته عام أول » .

والثاني ان يكون اسما فيكون مصروفا ويجري مجرى « أفعل» الاسم ، تقول

« ما له اول ولا آخر » .

وانفرد ابو حيان بالتنبيه على أن مؤنث « أول » اذا كان اسما يكون بالتاء ، يقول في « الارتشاف » « وفي محفوظي ان مؤنث أول بالتاء مصروفة »[1]

٤ ـ حيث :

اجاز بعض النحاة اخراج « حيث » عن الظرفية والاتساع فيها بنصبهامفعولا بهوقال بعضهم انها اسم لا ظرف ويجوزانتصابها انتصاب المفعول به سواء اتسع فيها أم لم يتسع .

ولكن أبا حيان انفرد عنهم بعدم امكان الاتساع فيها ، ورأى ان الاولى اقرارها على الظرفية وجعل هذه الظرفية مجازية يقول عند كلامه في تفسير قوله تعالى « اللهُ اعلم حيثُ يجعلُ رسالَتَهُ »[2]: « وما قاله من انه مفعول به على السعة أو مفعول به على غير السعة تأباه قواعد النحو ، لان النحاة نصوا على ان « حيث » من الظروف التي لا تتصرف ، وشذ اضافة «لدى» اليهاوجرها بالباء ، ونصوا على

(١) الارتشاف ص ٣٣٢ ، وينظر همع الهوامع ج١ ص ٢١٠

(٢) سورة الانعام ، الآية ١٢٤

ان الظرف الذي يتوسع فيه لا يكون الا متصرفا ، واذا كـان الامر كذلك امتنع نصب « حيث » على المفعول به لا على السـعة ولا على غيرها • والذي يظهر لي اقرار حيث على الظرفية المجازية على انتضمن « اعلم » معنى ما يتعدى الى الظرف، فيكون التقدير « الله انفذ علما حيث يجعل رسالته » اي هو نافذ العلم في الموضع الذي يجعل فيـه رسالته • والظرفية هنا مجاز كما قلنا »(١)

٥ ـ ضمائر الرفع المنفصلة

قال ابنمالك في الالفية

وذو ارتفاع وانفصال انا هُوْ   وانتَ والفروعُ لا تشـتبِهُ

قال السيوطي شارحا رأي ابن مالك « ثم شـرع في الثاني من قسمي الضمير وهو المنفصل فقال « ذو ارتفـاع وانفصال أنا هو وانت » والفروع الناشئة عن هذه الاصول لا تشتبه وهي نحن هي هما هم هنّ وانت انتما انتم انتهن » •

قال ابو حيان وقد تستعمل هذه مجرورة كقولهم « أنا كأنت وكهو ، و « هو كأنا » ، ومنصوبة كقولهم « ضربتك انت »(٢) •

---

(١) البحر المحيط ج٤ ص ٢١٦ ، وينظر في احكام « حيث » منهج السالك ص ٢٤٣ ومـا بعـدها

(٢) البهجة المرضية في شرح الالفية ص ٢٤

الاراء الاجتهادية

لم يكن أبو حيان مقلداً للبصريين أو غيرهم ، وانما كان يعرض الأراء المختلفة ويمعن النظر فيها ، فاذا ما اعتقد بصحة رأي أخذ به ورجحه على غيره وان كان مخالفا لآراء البصريين الذين سار على منهجهم ورجح معظم آرائهم . ومن هنا نجده يوافق البصريين أحيانا أو الكوفيين في بعض المسائل او غير هؤلاء في بعض الاحيان . وهذا ما نقصده في هذا الجزء من الفصل ، وسنعرض هنا أهم الآراء التي قال بها غيره من النحاة المتقدمين ورجحها هو على غيرها من الآراء . واهمها

في العوامل المعنوية واللفظية

١ ـ المبتدا والخبر :

اختلفوا في رافع المبتدأ والخبر ، فقال البصريون ان المبتدأ مرفوع بالابتداء وهو كون الاسم اولا مقتضيا ثانيا ، وقيل ارتفع بالتجريد من العوامل اللفظية . فالابتداء رافع للمبتدأ وهما رافعان للخبر وروي ذلك عن المبرد والسيرافي ، وكثير من البصريين والخليل ويروى عن المبرد والزجاج انه ارتفع بشبهه بالفاعل ، وقيل انه ارتفع بالخبر ويروى ذلك عن الكوفيين . واما الخبر فقيل ارتفع بالمبتدأ وهو ظاهر مذهب سيبويه والفارسي واصحابه وقول الكوفيين . وقيل هو مرفوع بالابتداء وهو قول ابن السراج ، وقيل ارتفع بالابتداء والمبتدأ جميعا ،

ويروى هذا عن المبرد • وقد اختار ابو حيان مذهب الكوفيين وهو ان المبتدأ مرتفع بالخبر،والخبر مرتفع بالمبتدأ،أي انهما ترافعا فرفع احدهما الآخر ، يقول « واختلفوا في الرافع للمبتدأ والخبر فذهب سيبويه وجمهور البصريين الى ان الابتداء يرفع المبتدأ والمبتدأ يرفع الخبر وقد نسب هذا الى المبرد ، وذهب الاخفش وابن السراج والرماني الى انهما مرفوعان بالابتداء ، وذهب الجرمي والسيرافي وكثير من البصريين الى انهما مرفوعان بتعريهما للاسناد من العوامل اللفظية ونسبه الفراء الى الخليل ، واصحاب الخليل لا يعرفون هذا ، وذهب الكوفيون الى ان كلا منهما رفع الآخر ، كذا اطلق النقل عنهم ابن مالك وقيده غيره فحكى ان المبتدأ مرفوع بالذكر الذي في الخبر فان لم يكن ثم ذكر ترافعا ، اي رفع كل منهما الآخر قال وهذا مذهب الكوفيين • واقول :الذي نختاره من هذه المذاهب هو مذهب الكوفيين وهو انهما يرفع كل واحد منهما الآخر وهو اختيار ابن جني »[1] •

٢ ـ لات :

اختلف في « لات » هل تعمل او لا عمل لها ؟ فذهب سيبويه والجمهور الى انها تعمل عمل « ليس » ولكن في لفظ الحين خاصة،وقيل لا تقصر على لفظ الحين بل تعمل ايضا في مرادفه كـ « أوان » و« ساعة » وعليه ابن مالك ، كقوله

ندم البغاة ولات ساعة مندم

والتزموا فيها ان لا يذكر الجزءان معها بل لا بد من حذف احدهما والاكثرون على ان المحذوف الاسم ، وقد يكون الخبر ، وقريء بالرجهين قوله تعالى : « ولات حينَ مناصٍ »[2] ، وذهب ابن عصفور

---

(١) الارتشاف ص ١٣١ ، وينظر منهج السالك ص ٣٨ ، وشرح الاشموني ج١ ص٩٠ والتذييل والتكميل (المطبوع) ج٢ ص ١٢ وهمع الهوامع ج١ ص ٩٤ـ٩٥ ، وتنظر المسالة الخامسة في الانصاف ج١ ص ٣١ وما بعدها

(٢) سورة «ص» ، الآية ٣

والشلوبين الى انها لا تختص بلفظ الحين انما يجوز ان تعمل فيما رادف الحين من الالفاظ كقول الشاعر

حنت نوار ولات هنا حنت   وبدا الذي كانت نوار أجنَّت

وكقوله « لات هنا ذكرى جبيرة »

ف « هنا » اسمها ، وجبيرة خبرها . أي « ولات الحين حين ذكرى جبيرة » . وتقدير البيت : « ليس هذا اوان حنين » ، وقيل انها لا تعمل شيئا بل الاسم الذي بعدها ان كان مرفوعا فمبتدأ او منصوبا فعلى اضمار فعل ، أي « ولات ارى حينَ مناص » ونقله ابن عصفور عن الاخفش ، وصاحب البسيط عن السيرافي .

واختار ابو حيان مذهب الاخفش والسيرافي فقال « والاولى عندي أن «لات» لا تعمل شيئا وان كان معناها معنى « لا » ، لانها كما ذكرنا لا يحفظ لها الاتيان باسمها وخبرها مثبتين فنقول في قوله تعالى: « ولاتَ حينَ مناصٍ » في قراءة من قرأ بالنصب واعملها اعمال « ليس » وادعى ان اسمها يلفظ به وان « حين مناص » انتصب خبرا لها لا يخلو هذا الاسم المدعى انه مرفوع بها ولم يلفظ به من امرين: اما ان يكون مضمرا او محذوفا ، لا جائز ان يكون مضمرا في «لات»، لان الحروف لا يضمر فيها ، ولا جائز ان يكون محذوفا ، لانها اجريت مجرى « ليس » في العمل ، و « ليس » هي الاصل ، واسم « ليس » لا يجوز حذفه فكذلك اسم « لات » لا يجوز حذفه اذ لو جاز حذف اسم « لات » لكانوا قد تصرفوا في الفرع ما لم يتصرفوا في الاصل ، و « لات » على زعم من اعملها مقصورة على اعمالها في الحين حتى انها لا تعمل في غيره عنده اصلا بخلاف « ليس » فانها تعمل في المعارف والنكرات ، وانما لم يجز حذف اسم « ليس » ، لانها مشبهة في عملها بالفعل المتعدي الى واحد في رفع احد الاسمين ونصب الآخر ، كما ان الفعل المتعدي كذلك فمرفوعها مشبه بالفاعل ،

ومنصوبها مشبه بالمفعول فكما ان الفاعل لا يحذف فكذلك اسمها لا يحذف ، وهــذا الذي اخترناه من ان « لات » لا تعمل شيئا هو مذهب الاخفش »[1] .

٣ ـ ان النافية :

اختلف في اعمال « إن » النافية عمل « ليس » ، فاجاز اعمالهــا الكسائي واكثر الكوفيين وابن السراج والفارسي وابن جني ، ومنع من ذلك اكثر البصريين والمغاربة ، وعزي الى سيبويه والمبرد فيما نقلـــه السهيلي ان سيبويه اجاز اعمالها ، وان المبرد منع من ذلك،ونقل النحاس عنهما العكس . واختار ابو حيان مذهب الكوفيين ومن اتبعهم وهو جواز اعمالها يقول « والصحيح اعمالها اذا قدرت ذلك لغــة لاهل العالية نثرا ونظما ، فمن النثر « إن ذلك نافعك ولا ضارك » و « إن احد خيرا من احد الا بالعافية » وقال اعرابي « إنَّ قائما » يريد « ان انا قائما » حذف الهمزة ونقل حركتها الى نون « إن » وادغم كقوله « لكِنَّا هو اللهُ ربي »[2] أي « لكن أنا »[3] .

٤ ـ اخوات صار :

اختلف في الافعال التي تلحق بـ « صار » في العمل ، فاثبت بعضهم افعالا لتأوله عملها عمل « صار » ومعناها على معنى « صار » ، ومن هذه الافعال المختلف فيها « ضرب » في المثل ، الحقها قوم بـ « صيَّر » نحو « ضَرَبَ اللهُ مثلا عبداً مملوكا »[4] ، « أن يضرب مثلا مـــا

---

(١) منهج السالك ص ٦٦ـ٦٧ ، وينظر الارتشاف ص ١٥٠ ، وهمع الهوامع ج١ ص ١٢٦ ، وشرح الاشموني ج١ ص ١٢٥ـ١٢٦

(٢) سورة الكهف ، الآية ٣٨

(٣) الارتشاف ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ، وينظر منهج السالك ص ٦٥ والاشموني ج١ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ، وهمع الهوامع ج١ ص ١٢٥

(٤) سورة النحل ، الآية ٧٥

بعوضة »[1] ، « واضرِبْ لهم مثلاً اصحابَ القرية »[2] • ، فقالوا هي في الآيات ونحوها متعدية الى اثنين ، ومنع الحاقها ابن مالك وقال: ان الصواب ان لا يلحق به لقوله تعالى « ضُرِبَ مثل" فاستمعوا له »[3] فبنيت للمفعول واكتفت بالمرفوع ، ولا يفعل ذلك بشيء من افعال هذا الباب ، وذهب ابن ابي الربيع الى ان « ضرب » بمعنى « صير » متعد لاثنين مطلقا مع المثل وغيره نحو « ضربت الفضة خلخالا »• ومال أبو حيان الى مدهب ابن ابي الربيع ، ورد على ابن مالك استشهاده بالآية على عدم الحاقها بـ « صير » فقال وهواستدلال ظاهر ، الا انه يمكن تأويله على حذف المفعول لدلالة الكلام عليه»[4]•

٥ ـ اذا الشرطية :

اختلف في ناصب « اذا » الشرطية وفي عملها ، على قولين

الاول قول الجمهور وهو ان « اذا » تضاف الى جملة الشرط وضمنت الربط بين ما يضاف اليه وغيره ، والعامل فيها جواب الشرط •

والثاني انها ليست مضافة والعامل فيها الفعل الذي يليها وهو الشرط •

وقد اختار ابو حيان مذهب الفريق الثاني وقال « واذا استعملت اذا شرطا فالجمهور على انها مضافة للجملة بعدها ، وضمنت الربط بين ما يضاف اليه وغيره والعامل فيها جواب الشرط ، والمنصور انها ليست مضافة اليها والعامل فيها الفعل الذي يليها »[5] •

٦ ـ اعمال المصدر :

أ ـ أختلف في اعمال المصدر المجموع جمع تكسير، فذهب قوم الى

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦

(٢) سورة يس ، الآية ١٣

(٣) سورة الحج ، الآية ٧٣

(٤) الارتشاف ص ٢٩٣ ، ومنهج السالك ص ٩١ ، وهمع الهوامع ج١ ص ١٥١

(٥) الارتشاف ص ٢٥٠ب ، وينظر البحر المحيط ج٨ ص ٥٢٣ ، وهمع الهوامع ج١ ص ٢٠٧

جواز اعماله وهو اختيار ابن هشام اللخمي وابن عصفور وابن مالك وسمع من كلامهم « تركته بملاحس البقر اولادها » ، و « مواعيد عرقوب أخاه بيثرب » .

وذهب قوم الى انه لا يجوز اعماله مجموعا وهو مذهب أبي الحسن بن سيدة . واختار ابو حيان مذهب ابي الحسن بن سيدة فقال: « واياه اختار ويؤول ما ورد مما يقتضي ظاهره انه يعمل مجموعا »[1].

ب ــ واختلف في اعمال المصدر المعرف «بال»فمذهب سيبويه اجازة إعماله كالمصدر المنون فيرتفع به الفاعل وينتصب المفعول فتقول « اعجبني الضرب زيد عمرا » ومذهب الكوفيين انه لا يجوز اعماله ، ووافقهم البغداديون وجماعة من البصريين كابن السراج ، وان ما اظهر بعده من معمول فهو لعامل يفسره المصدر كما في المنون حتى انهم اجازوا خفض الاسم بعده على تقدير مصدر محذوف ، وقالوا « قالت العرب: « يعجبني الاكرام عندك سعد بنيه» أي « اكرام سعد بنيه » ،ومذهب الفارسي وجماعة من البصريين انه يجوز اعماله على قبح ، وذهب أبو الحسين بن الطراوة وابو بكر بن طلحة الى التفصيل بين ان تكون الالف واللام معاقبة للضمير فيجوز عمله نحو « انك والضرب خالدا المسيء اليه » ، او لا تكون معاقبة للضمير فلا يجوز اعماله نحو « عجبت من الضرب زيد" عمرا » .واختار أبو حيان مذهب التفصيل في جواز اعماله ، وهو مذهب ابن الطراوة وابن طلحة يقول « واياه اختار ، مثال المعاقبة «فانك والضرب خالدا المسيء » أي:«وضربك» . ومثال غير المعاقبة « عجبت من الضرب زيد عمرا » .ويقول في«منهج السالك » « وهذا هو الصحيح على ما يتضح ان شاء الله وعنه نذكر ما وقفنا عليه من الشواهد السمعية فمن ذلك قول الاخطل

وانك والتكليف نفسك كارها ... كشيء مضى لا يدرك الدهر غالبه

---

(1) الارتشاف ص ٣١٩ ب

ثم نقل كثيرا من الشواهد على ذلك ، وقال بعدها :«فهذه مصادر كلها انتصب بعدها المفعول ، والالف واللام فيها معاقبة للضمير ، الا ترى ان التقدير « انك وتكليفك نفسك » ، و « لتركه اشباع » و « فانك وتأبينك عروة » ••• الخ »[1] •

٧ ــ الصفة المشبهة :

اختلف النحاة في جواز تشبيه الفعل اللازم بالفعل المتعدي في العمل كما شبهت الصفة المشبهة باسم الفاعل المتعدي في العمل ،وذهبوا عدة مذاهب منها:ما ذهب اليه بعض المتأخرين من جواز ذلك وان العرب تفعله فاجاز « زيد تفقأ الشحمَ » والتقدير عنده « زيد تفقأ شحمه » • ثم جُعل الضمير فاعلا ونصب الشحم تشبيها بالمفعول به ، واستدل على هذا بقولهم في الاثر « كانت امرأة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تُهراقُ الدماءَ » على التشبيه بالمفعول به ،ومذهب صاحب « الكافي »[2] ان ذلك التشبيه انما يكون في الصفات واسماء الفاعلين والمفعولين على الشروط المذكورة ، ويتأول الحديث على حذف الحرف ، ودليله على ان هذا لا يكون في الافعال انك لا تقول :«زيد حَسُنَ الوجهَ » ، ولا « تصبب العرقَ »•وان من ادعى انه يقال هذا فقد ادّعى ما لم يسمع ، وانما قاله بالقياس على ما جاء في الاثر « تهراقُ الدماءَ » ، وقد مضى تأويله ، ولا تقوم الحجة بمتأول ويكون هذا بمنزلة « زيد يسيل بالعرق » ، و « هذا الزق يسيل بالماء » ، كأنه قال « يسيل الماءَ » • ويكون بمنزلة «ذهبت به» و «اذهبته» •

وقد اختار أبو حيان مذهب صاحب « الكافي » يقول « ومنع

---

(١) منهج السالك ص ٣١٣ ــ ٣١٤ ، والارتشاف ص ٣٢٠ ، وينظر همع الهوامع ج٢ ص ٩٣ وشرح الاشموني ج٢ ص ٢٣٣ وما بعدها •

(٢) الكافي : هو الكافي في الافصاح للفارسي كما ذكر في ص ٤٤٤ منهج السالك لابي حيان • ولم اجد في ترجمة الفارسي كتابا له بهذا الاسم ينظر ابو علي الفارسي للدكتور شلبي ص ١٤٧ ــ ١٥٢ وبغية الوعاة ص ٢١٦ ــ ٢١٧ ، وطبقات النحويين للزبيدي ص ١٣٠

من ذلك الاسناذ ابو علي وهو الصحيح اذ لم يثبت من لسان العرب ولا حجة في قوله « تهراق الدماء » ــ إن صح ــ لاحتمال التأويل»[1] •

٨ ــ حبذا :

اختلف في « حبذا » على أقوال في اعرابها فذهب ابن درستويه وابن كيسان والفارسي في البغداديات وابن برهان وابن خروف الى انها فاعل ، ونسب الى الخليل وسيبويه • وهذا بناء على قولهم بعدم التركيب ، وافرد « ذا » ، لانه كالمثل ، وذهب المبرد وابن السراج والسيرافي والاكثرون الى انهما تركبا وصارا اسما واحدا مرفوعا بالابتداء وينسب هذا الى الخليل وسيبويه ، وذهب قوم منهم الاخفش وخطاب الماردي الى انهما تركبا وصارا فعلا والمخصوص هو الفاعل • وقد اختار ابو حيان المذهب الاول الذي هو مذهب ابن درستويه ومن وافقه • يقول: « اختار انها باقية على الفعلية وان « ذا » اسم اشارة فاعل بـ « حب » لان الاصل عدم التركيب خلافا لمن زعم انها مركبة وغلب الفعلَ لسبقه فاعرب «حبذا» وجعله كله اسما مرفوعا ومعناه: «المعظم في يقيني زيد»، وانما غلب الاسم لانه الاصل في الكلام »[2] •

في الصيغ

١ ــ الفصل بين المضاف والمضاف اليه :

اختلف النحاة في جواز الفصل بين المضاف اذا كان شبيها بالفعل وبين المضاف اليه فالجمهور على ان ذلك لا يجوز الا في ضرورة ، وذهب الاخفش الى جواز ذلك في الكلام وهو الذي اختاره ابن مالك ، واجاز يونس الفصل في الكلام بالظروف غير المستقلة واجاز الكوفيون الفصل بينهما بغير الظرف وحرف الجر في الشعر وفي الكلام[3] ، وقد

---

(١) الارتشاف ص ٣٣٨ ، ومنهج السالك ص ٣٦٨

(٢) النكت الحسان ص ٤٩ ، وينظر الارتشاف ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥ ، ومنهج السالك ص ٤٠٢ ــ ٤٠٣

(٣) ينظر الارتشاف ص ٢٤٧ ، والبحر المحيط ج٤ ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠ ، ومنهج السالك ص ٣٠٣ ــ ٣٠٤ ، وشرح الاشموني ج٢ ص ٣٢٧ وما بعدها

صحح أبو حيان رأي الكوفيين ، يقول « واما الفصل بالمفعول بين المصدر والمخفوض كقراءة ابن عامر « قتل اولادَهم شركائِهم »[1] فقد جاءت نظائره في اشعار العرب والصحيح جوازه وان كان اكثر النحاة يخصونه بالشعر »[2] •

ويقول في موضع آخر « وقرأ ابن عامر كذلك الا انه نصب « اولادهم » وجر « شركائهم » فصل بين المصدر المضاف الى الفاعل بالمفعول ، وهي مسألة مختلف في جوازها ، فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ولا يجيزون ذلك الا في ضرورة الشعر ، وبعض النحويين اجازها ، وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة الى العربي الصريح المحض ابن عامر الآخذ القرآن عن عثمان ابن عفان قبل ان يظهر اللحن في لسان العرب ولوجودها أيضا في لسان العرب في عدة أبيات »[3] • وقد دافع عن هذا الرأي ورد على من خطأه من النحاة والمفسرين •

٢ ـ الحال :

يجيء الحال مفردا وهو الاصل ويأتي جملة وتكون اسمية وفعلية ، وتكون الفعلية اما مصدرة بالمضارع او مصدرة بالماضي • والماضي اما ان يكون منفيا او مثبتا • فان كان منفيا والجملة عارية من الضمير لزمت الواو نحو « جاء زيد وما طلعت الشمس » ، او غير عارية جازت نحو: « لقد جاء زيد ما درى كيف جاء » ، وان كان مثبتا فاما ان يكون اصله فعل شرط ، او لا ، ان كان اصله فعل شرط لم تدخل عليه « قد» ولا « واو الحال » نحو قولهم « لأضربن زيدا مكث او ذهب » ، وان لم يكن أصله فعل شرط فاما ان تكون الحال مؤكدة أومُبيِّنه،وان كانت

---

(١) سورة الانعام ، الآية ١٣٧

(٢) الارتشاف ص ٢٤٧

(٣) البحر المحيط ج٤ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ، وينظر الارتشاف ص ٢٤٧ ، ومنهج السالك ص ٣٠٣

مؤكدة لم تدخل « الواو » نحو قوله: «ابو بكر الخليفة قد علمه الناس»
وقال أمرؤ القيس :

خالي ابن كبشة قد علمت مكانه   وابو يزيد ورهطه اعمامي

وان كانت مبينة اختلف النحويون في ذلك ، فذهب الجزولي وابن عصفور وابو الحسن الابدي وابو العباس المبرد والفراء الى انه لابد مع الفعل الماضي من «قد» ظاهرة او مقدرة، وذهب الكوفيون والاخفش الى جواز مجيئها من غير « قد » ولا الواو[1] .

واختار ابو حيان مذهب الكوفيين والاخفش القائل بجواز مجيء الحال جملة مصدرة بماض مثبت خالية من « الواو » و « قد » لكثرة ما ورد من ذلك يقول « فان كان ماضيا غير ما ذكر ـ وهو ما كان منفيا او واقعا بعد « إلا » ـ ولا ضمير فلا بد من « الواو » و « قد » نحو قول امريء القيس :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها

وان كان ثَمَّ ضمير جاز اجتماع « الواو » و « قد » كقوله تعالى: « وقد فَصَّل لكُم ما حَرَّمَ عليكم »[2] . وقد تنفرد « الواو » كقوله تعالى : « كيفَ تكفُرونَ باللهِ وكُنتُم امواتا فأحياكُم »[3] وقد تنفرد « قد » نحو قوله

اتيناكم قد عمكم حذر العدا

وقد يخلو الماضي منهما كقوله تعالى « هذه بضاعتُنا رُدَّت إلينا »[4] ، والصحيح جواز ذلك بغير « واو » ولا « قد » وهو قول

---

(١) ينظر الارتشاف ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ، ومنهج السالك ص ٢١٣ ـ ٢١٤ ، وشرح الاشموني ج٢ ص ٢٥٩

(٢) سورة الانعام ، الآية ١١٩

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٨

(٤) سورة يوسف ، الآية ٦٥

الجمهور والكوفيين والاخفش لكثرة ما ورد من ذلك ، ولا تقدر قبله « قد » خلافا للفراء والمبرد وابي علي ومتأخري اصحابنا الجزولي وابن عصفور وشيخنا ابي الحسن الآبدي »[1] .

٣ - ربَّ :

اختلف في مجرور « ربّ » فذهب المبرد وابن السراج والفارسي والعبدي[2] واكثر المتأخرين الى وجوب نعته وعزي للبصريين ، لان « رب » اجريت مجرى حرف النفي حيث لا تقع الا صدرا ولا يتقدم عليها ما يعمل في الاسم بعدها بخلاف سائر حروف الجر ، والأقيَس في مجرورها ان يوصف بجملة وقد يوصف بما يجري مجراها من ظرف او مجرور او اسم فاعل او مفعول وجزم به ابن هشام في المغني واختاره الرضي ، وذهب الاخفش والفراء والزجاج وابو الوليد الوقشي وابن طاهر وابن خروف الى انه لا يجب نعته ، لان تضمنها القلة او الكثرة يقوم مقام الوصف واليه ذهب ابن مالك . وقد اختار أبو حيان مذهب من لا يوجب وصفه يقول « ومجرورها النكرة لا يلزم وصفه وفاقا للزجاج » والوقشي وابن طاهر وابن خروف ولظاهر كلام سيبويه خلافا للمبرد وابن السراج والفارسي والعبدي »[3] .

٤ - الاستثناء :

لا يستثنى باداة واحدة دون عطفٍ شيئان ، واذا عقبت الاستثناء معمولات والعامل فيها واحد نحو « اهجر بني فلان وبني فلان الا من صلح » ، كان الاستثناء راجعا الى تلك المعمولات . وكذا لو تكرر العامل توكيدا نحو « اهجر بني فلان واهجر بني فلان الا من كان

---

(١) الارتشاف ص ٢١٢ - ٢١٣ ، وينظر منهج السالك ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، والبحر المحيط ج٧ ص ٤٩٣ ، و ج٨ ص ٤٢٣ ، والبهجة المرضية ص ١١٨

(٢) هو احمد بن بكر بن احمد بن بقية العبدي أبو طالب توفى سنة ٤٠٦ هـ (ينظر بغية الوعاة ص ١٢٩) .

(٣) منهج السالك ص ٢٦١ ، وينظر الارتشاف ص ٢٣١، وهمع الهوامع ج٢ ص٢٦.

صالحا » ، فان اختلفت العوامل والمعمول واحد كقوله تعالى « ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً واولئك هم الفاسقون • الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا ، فإن الله غفور رحيم »[1] اختلف النحاة فيه فقال ابن مالك الحكم كالحكم فيما اتحد العامل فيه • وقال المهاباذي[2] في « شرح اللمع » لا يكون الاستثناء الا من الجملة التي تليه • فقوله « الا الذين تابوا » مستثنى من قوله « واولئك هم الفاسقون » لا غير • وحمله على انه مستثنى من الجميع خطأ •

وقد اختار أبو حيان مذهب المهاباذي ، يقول « ولم أرَ من تكلم عليها من النحاة غير المهاباذي وابن مالك ، فاختار ابن مالك ان يعود الى الجمل كلها كالشرط ، واختار المهاباذي ان يعود الى الجملة الاخيرة ، وهو الذي نختاره »[3] •

٥ ـ « كان » الزائدة في التعجب :

يفصل بين « فعل التعجب » و « ما » التعجبية بـ « كان » نحو « ما كان احسن زيداً » ونحو قول الشاعر يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما كان اسعد من اجابك آخذاً بهداك مجتنبا هوى وعنادا!

واختلف في « كان » هذه على ثلاثة مذاهب ، احدها انها زائدة لا اسم لها ولا خبر وهو مذهب الكوفيين والفارسي ، والثاني انها « كان » التامة واسمها ضمير المصدر أي « كان هو » أي «الكون» وهو مذهب السيرافي وخطاب الماردي ، الثالث انها « كان » الناقصة

---

(١) سورة النور ، الآيتان ٤ و ٥

(٢) هو احمد بن عبدالله المهاباذي الضرير قال ياقوت : من تلاميذ عبدالقاهر الجرجاني له شرح اللمع (بغية الوعاة ص ١٣٨)

(٣) البحر المحيط ج٦ ص ٤٣٣ ، وينظر الارتشاف ص ١٩٦ ـ ١٩٧ ، والدر اللقيط ج٦ ص ٤٣٣ ، وهمع الهوامع ج١ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧

واسمها ضمير يعود على « ما » وخبرها « فعل التعجب » وهو مذهب الجرمي ونقله بعضهم عن البصريين •واختار ابو حيان من هذه المذاهب مذهب الفارسي والكوفيين يقول :«ومذهب اكثر الكوفيين والبصريين ان « كان » الداخلة بين « ما » و « افعل » زائدة لا اسم لها ولا خبر واختاره الفارسي ، وذهب السيرافي وتبعه خطاب الماردي الى انها زائدة وهي تامة ، وفاعلها قال السيرافي ضمير المصدر الدال عليه « كان » وقال خطاب ضميرها عائد على غير « ما » و « كان » يعود على مجهول تقديره « كان الأمر » • وذهب الجرمي الى انها « كان» الناقصة واسمها ضمير « ما » وخبرها « أفعل » • وعزاه بعضهم الى البصريين ،ولا يصح ذلك ••• وحكي زيادة « يكون » بين « ما » و « أفعل » ، قالوا « ما يكون أهون زيداً »[1] • وقال « ولا يصح ذلك عن البصريين وهو أبعد الاقوال من الصواب والاحسن مذهب الفارسي »[2] •

٦ ـ بناء الفعل للمجهول :

حكم الفعل المضعف عند بنائه للمجهول حكم المبني للفاعل فان كان فك في فعل الفاعل يفك في فعل المفعول ، فتقول في « مششت الدابة » « مُشِشَ مشش كثير » والمضارع « يُمشَشُ » ،وان لم يفك قلت في « رَدّ » « رُدّ » وفي « وَدّ » « وُدّ » ، ويجوز قلب « الواو » المضمومة « همزة » فتقول « اُدّ » ، واختلف في ذلك فقال الجمهور لا يجوز الا ضم الفاء ، واجاز الكسر بعض الكوفيين » وقد اختار ابو حيان مذهب الكوفيين فقال « وهو الصحيح وهو لغة لبني ضبة وبعض تميم ومن جاورهم يقولون « رِدّ الرجل » و « قِد قميصه » وقرأ « ردّ » علقمة ودريور

---

(١) الارتشاف ص ٢٨٧ ، وينظر منهج السالك ص ٣٨١ ــ ٣٨٢ •

(٢) منهج السالك ص ٣٨٢

« رِدَّت إلينا » بكسر الراء »[1] .

واختلف في بناء « كان واخواتها »للمجهول فمنعه الفارسي وجوزه سيبويه والسيرافي والكوفيون ، واختار ابو حيان مذهب الفارسي لانه لم يسمع بناؤها والقياس يأباه[2] .

٧ ـ ليس :

اختلفَ في « ليس » والزمان الذي تدل عليه فزعم الكوفيون انها تكون عاطفة في المفردات تقول « قام القوم ليس زيد » ولا يجوز هذا عند البصريين ، وهي عند بعضهم للنفي مطلقا ، وعند المبرد وابن السراج والصيمري انها تنفي في الاستقبال ، ومنعه الزمخشري فقال « ولا تقول ليس زيد قائما غدا » . وذهب الاستاذ ابو علي الى انها لنفي الحال .

وقد اختار ابو حيان مذهب ابي علي يقول « وفي الغرة وقد منعوا من قولهم « ليس زيد قد ذهب » ولا « قد يذهب » لتضاد الحكم بين « قد » و « ليس » ، وذهب الاستاذ ابو علي الى انها لنفي الحال في الجملة غير المقيدة بزمان والمقيدة بزمان تنفيه على حسب القيد وهو الصحيح[3] .

في بنية الكلمة ودلالتها

١ ـ دلالة « من » الجارة على الغاية :

تجيء « من » الجارة لمعان كثيرة منها « ابتداء الغاية » . وقد اتفق الكوفيون والبصريون على مجيئها لابتداء الغاية في المكان . أما ابتداء الغاية في الزمان فقد اختلف فيه فذهب الكوفيون والمبرد وابن

---

(١) الارتشاف ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ، وينظر منهج السالك ص ١١٢ ـ ١١٣ ، وهمع الهوامع ج٢ ص ١٦٥ ، وشرح الاشموني ج١ ص ١٨١ ، وسورة يوسف الآية ٦٥

(٢) الارتشاف ص ١٦٦ ، وينظر همع الهوامع ج٢ ص ١٦٥

(٣) الارتشاف ص ١٤٣ ، وينظر منهج السالك ص ٥٦ وما بعدها .

درستويه الى جواز ذلك مستشهدين بقوله تعالى « لمسجد" اُسِّس على التقو ى من اول ِ يوم ٍ »[1] وبقول الشاعر

تخيرن من ازمـــان يوم حليمة الى اليوم قد جُرِّبن َ كلَّ التجارب

وذهب البصريون الى عدم جواز مجيئها لهذا المعنى[2] .

وقد وافق أبو حيان الكوفيين ومن تبعهم في ذلك ، يقول « ولا تكون لابتداء الغاية في الزمان عند البصريين ، وقد كثر ذلك في كلام العرب نثرها ونظمها وقال به المبرد والكوفيون وابن درستويه وهو الصحيح ، وتأويل ما كثر وجوده ليس بجيد »[3] .

٢ ــ تفاوت المعارف :

ذهب ائمة النحو المتقدمون والمتأخرون الى ان المعارف متفاوتة في المراتب ، وخالف في ذلك أبو محمد بن حزم اذ ذهب الى انها لا تتفاوت وانها كلها متساوية . واختلف النحويون القائلون بالتفاوت ، فذهب سيبويه والجمهور الى ان اعرفها « المضمر » ويليـــه « العلم » ثم « المبهم » ثم « ذوأل » ، و « المضاف » في رتبة ما اضيف اليـــه ان كانت الاضافة محضة ، الا المضاف الى « المضمر » فـــانه في رتبـــة « العلم » ، وذهب المبرد الى ان المضاف الى واحد منها هو دون ما اضيف اليه في الرتبة . وقيل اعرفها « العلم » ونسب الى سيبويه والكوفيين وهو قول الصيمري . وقيل اعرفها « اسم الاشـــارة » ونسب الى ابن السراج ، وقيل اعرفها « المعــرف بأل » ، وذهب الفراء الى ان « المبهم » اعرف من « العلم » ، وبه قال جماعة منهم ابن السراج وابن كيسان وهو مذهب المنطقيين . أما أبو حيان فقـــد

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٨

(٢) ينظر الارتشاف ص ٢٢٨ ، ومنهج السالك ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩ ، وشرح الاشموني ج٢ ص ٢٨٧

(٣) الارتشاف ص ٢٢٨

اختار مذهب الصيمري وهو ان « العلم » اعرفها ، يقول « والذي اختاره ان المعارف خمس اعرفها « العلم الشخصي » ثم « المضمر » ثم « المبهم » ثم « ذو أل » ، وان « المضمر » و « المبهم » و « ذا أل » كليات وضعا جزئيات حالة الاستعمال ، الا ترى ان كل متكلم يقول « انا » ، وكل مخاطب يقال له « انت » وكل غائب يقال له « هو »، وكذا اسماء الاشارة يشار بـ « هذا » لكل قريب وبـ « هذي » لكل قريبة ، وكذا باقيها »[1] .

٣ ـ مد المقصور في الشعر :

منع البصريون مد المقصور في الشعر والنثر ، واجاز ذلك الكوفيون في الشعر وقد وافقهم ابو حيان يقول « ... ومد المقصور مطلقا خلافا لاكثر البصريين في المنع مطلقا يرد عليهم سماع ذلك من العرب قال

قد علمت اخت بني السعلاء وعلمت ذاك مع الجراء
ان نعم مأكولا على الخواء يا لك من تمر ومن شيشاء
ينشب في السهل وفي اللهداء[2] !

مدّ « سعلى » و « الخواء » و « اللها » وهي مقصورة وقال طرفة

لها كبد ملساء ذات مسرة وكشحان لم ينقص طواءهما الحبل[3]

وقال العجاج

والمرء يبليه بلاء السربال تناسخ الاهلال بعد الاهلال[4]

---

(١) الارتشاف ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، وينظر همع الهوامع ج٢ ص ٥٥ ـ ٥٦ ، ومنهج السالك ص ١٥

(٢) ورد هذا البيت في لسان العرب مادة (شوش)

يا لك من تمر ومن شيشاء ينشب في المسعل واللهاء

(٣) ورد الشطر الثاني من هذا البيت في لسان العرب مادة (طوى) :

« وثديان لم يكسر طواءهما الحبل »

(٤) في لسان العرب مادة (بلا)

والمرء يبليه بلاء السربال كر الليالي وانتقال الاحوال

ومذهب الكوفيين جواز ذلك وتبعهم ابن ولاد وابن خروف، وزعما ان سيبويه دل على جوازه في الشعر . وربما مدّوا فقالوا « منابير» قال ابن ولاد فزيادة الالف قبل آخر المقصور كزيادة هذه « الياء » في الشعر اذ كانا جميعا ليس من اصل الكلمة . وخلافا للفراء في اشتراطه ان يكون له قياس يوحدها . اما قراءة طلحة بن مصرف « يكادُ سنا برقِه »[1] بمد « سناء »فشاذة ينبغي ان يعتقد فيه ان مده لغة ، او اراد العلو والارتفاع كما قال

وسنّ كسنَّور سناءً وسنما ذعرت بمد لاج الهجير نهوض

فلا يكون بمعنى « الضوء »[2] .

٤ ـ أحرف المضارعة :

اختلف في أحرف المضارعة وفي حكمها عند الاخبار بالفعل عن ضمير الغيبة للمؤنث المثنى ، فاجاز ابن الباذش[3] ان يقال « هما يقومان » و « هما يخرجان » حملا على اللفظ ، وذكر انه قاله قياسا ولم يعلم في المسألة سماعا من العرب ولا نصا لاحد من النحاة . وذهب ابن ابي العافية[4] الى لزوم « التاء » حملا على المعنى ، تقول « هما تخرجان » . وقد وجد السماع في قول ابن أبي ربيعة

لعلهما ان تبغيا لك حاجة[5] .

وصحح أبو حيان مذهب ابن ابي العافية ، يقول « فان كان

---

(١) سورة النور ، الآية ٤٣

(٢) الارتشاف ص ٣٤١ ـ ٣٤٢

(٣) هو علي بن احمد بن خلف بن محمد الانصاري لغرناطي الامام ابو الحسن ابن الباذش ، وله عدة كتب في النحو توفي سنة ٥٢٨ هـ (بغية الوعاة ص ٣٢٦) .

(٤) هو محمد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن خليفة بن أبي العافية الازدي ،توفى سنة ٥٨٣ هـ (بغية الوعاة ص ٦٥)

(٥) كذا في الارتشاف ص ٢٧٩ ، وهمع الهوامع ج٢ ص ١٧١ ، أما في ديوان عمر ابن ابي ربيعة (ص ٩١)

لعلهما ن تطلبا لك مخرجا وارترحبا سربا بما كنتاحصر

« هما » ضمير غائبتين ففيه خلاف ، فابن الباذش يقول « همـا يخرجان » كضمير المذكر وابن أبي العافيـة يقول « تخرجـان» كظاهرهما ، وهو الصحيح[1] .

٥ ـ الإمالة :

اختلف في امالة « الالف » التي قبل « الراء » المدغمة في مثلها أو في «اللام » نحو « مع الابرار ربنا »[2] و « والنهار لآيات»[3] ، فقال بعضهم يمنع الامالة في ذلك لذهاب الجالب لها وهي الكسـرة بالادغام ، وهذا مذهب النحاة من اهل البصرة ، وقال الاكثرون ان الإمالة ثابتة في ذلك مع الادغام كثبوتها مع غيره ، وذلك ان تسكين الحرف للادغام عارض بمنزلة تسكينه للوقف ، اذ هو بصـدد أن لا يدغم ولا يوقف عليه ، والعارض لا يعتد به والى هذا ذهب احمد ابن يحيى ثعلب .

وقد رجح ابو حيان مذهب ثعلب يقول « فان كان الادغام من كلمتين نحو قراءة ابي عمرو « الابرارِ رَبَّنا » ، و « والنهـار لآيات » فقـال النحـاة من اهل البصـرة لا تمال اصلا ، وقـال الاكثرون تمال ، وهو مذهب ثعلب وهو الصحيح »[4] .

٦ ـ الادغام :

اذا تحرك المثلان من كلمتين جـاز الاظهار وهو لغة الحجاز والادغام ما لم يكن ساكنا غير لين ، او لينا مدغمـا . وان ولي اول المثلين ساكنا غير لين فقالوا لا يجوز الادغام وهو مذهب البصريين غير بي عمرو وبه جزم ابن مالك في « التسهيل » ، واجازه الكوفيون .

---

(١) الارتشاف ص ٢٧٩

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٩٣ و ١٩٤

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٩٠

(٤) الارتشاف ص ٥٠ ، وينظر البحر المحيط ج٢ ص ٣٦١ـ٣٦٣ ، وهمع الهوامع ج٢ ص ٢٠٣

وقد ذهب ابو حيان مذهب الكوفيين في ذلك ، لانه قد جاء في قراءة ابي عمرو الادغام في مثل « الرعب بما » و « البحر رهواً »، « هو واقع » ، « خذ العفو وامر » ، « من اللهو ومن التجارة » ، « فهي يومئذٍ » ، « من خزي يَومِئِذٍ » ، « عن امر ربهم » « ذكر رحمة »[1] ، ومن روى هذه القراآت عن ابي عمرو ائمة ثقات ، ومنهم علماء بالنحو كابي محمد اليزيدي وغيره •

يقول في موضع من « البحر المحيط » « وقد اتفق على نقل ادغام « الراء » في « اللام » كبير البصريين ورأسهم ابو عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي وكبراء اهل الكوفة • الرؤاسي والكسائي والفراء واجازوه ورووه عن العرب فوجب قبوله والرجوع فيه الى علمهم « ونقلهم » •

وقال في موضع آخر « والذي روى ذلك عنه أبو محمد اليزيدي وهو امام في النحو امام في القرآآت امام في اللغات »[2] •

في المعمولات

١ ـ البدل :

اختلف في الابـدال من ضمير المتكلم بدل كـل من كل فذهب البصـريون الى عـدم جواز ذلك ، وذهب الكوفيون والاخفش الى جوازه •

وقد اختار أبو حيان مذهب الاخفش والكوفيين ، يقول في تفسير قوله تعالى « قال الذين استكبروا:إِنّا كُلٌ فيها إنَّ اللهَ قد حكَم بين العباد »[3]

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥١ ، والدخان ، الاية ٢٤ ، والشورى ، الاية ٢٢ ، والاعراف ، الاية ١٩٩ ، والجمعة ، الاية ١١ ، والحاقة، الاية ١٦ ،وهود الاية ٦٦ ،والاعراف، الاية ٧٧ ، ومريم ، الاية ٢ حسب تسلسل ذكرها

(٢) البحر المحيط ج٢ ص ٣٦١ ـ ٣٦٣ ، وينظر الارتشاف ص ٧٢ وهمع الهوامع ج٢ ص ٢٢٦

(٣) سورة غافر ، الآية ٤٨

« والذي اختاره في تخريج هذه القراءة ان « كل » بدل من اسم « ان » ، لان « كل » يتصرف فيها بالابتداء ونواسخه وغير ذلك ..
فان قيل فكيف يجعله بدلا وهو بدل كل من كل من ضمير المتكلم وهو لا يجوز على مذهب البصريين؟قلت :مذهب الاخفش والكوفيين جوازه وهو الصحيح »[1] .

٢ ـ العطف ب ((لكن)) :

اختلف في مجيء « لكن » المخففة للعطف فذهب الجمهور الى انها تكون عاطفة ، وذهب يونس الى انها ليست من حروف العطف .

واختار ابو حيان رأي يونس ، لانه لا يحفظ العطف بها من لسان العرب بل اذا جاء بعدها ما يوهم العطف كانت مقرونة بالواو كقوله تعالى « ما كان محمدٌ ابا احدٍ من رجالكم ولكنْ رسولَ اللهِ »[2] يقول « وذهب يونس الى انها ليست من حروف العطف وهو الصحيح ، لانه لا يحفظ ذلك من لسان العرب بل اذا جاء بعدها ما يوهم العطف كانت مقرونة بالواو كقوله تعالى « ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله » .

واما اذا جاءت بعدها الجملة فتارة تكون بالواو وتارة لا يكون معها الواو كما قال زهير

ان ابن ورقاء لا تخشى بوادره لكن وقائعه في الحرب تنتظر

واما ما يوجد في كتب النحويين من قولهم « ما قام زيد لكن عمرو » و « ما ضربت زيدا لكن عمرا » و « ما مررت بزيد لكن عمرو » فهو من تمثيلهم لا انه مسموع من العرب »[3] .

---

(١) البحر المحيط ج٧ ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠
(٢) سورة الاحزاب ، الآية ٤٠
(٣) البحر المحيط ج١ ص ٣٢٧ ، وينظر الارتشاف ص ٢٧٣

٣ـ العطف على الضمير المرفوع:

واختلف في العطف على الضمير المرفوع فذهب البصريون الى انه لا يجوز الا بالفصل بين المتعاطفين بتوكيد بضمير منفصل او بغيره ، وذهب الكوفيون وابن الانباري الى انه لا يشترط في ذلك الفصل بل يجوز في الكلام « قمت وزيد » • وحكي عن ابي علي اجازة ذلك من غير فصل •

واختار ابو حيان مذهب الكوفيين وابن الانباري ، ويدل على ترجيحه هذا المذهب قوله « وقد ذهب الكوفيون الى جواز ذلك من غير اشتراط فصل ، والسماع الكثير يعضدهم نحو قوله

فلما لحقنا والجياد عشية ... دعوا يا لبكر واتمينا لعامر[١]

٤ ـ العطف على الضمير المجرور :

واختلف في العطف على الضمير المجرور فذهب البصريون الى انه لا يجوز الا باعادة الجار نحو قوله تعالى « فقال لها وللارض »[٢] ، وقوله « وعليها وعلى الفلك »[٣] • وذهب الكوفيون ويونس والاخفش الى جواز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الخافض، وقد جاء في الشعر والنثر • وذهب الجرمي والزيادي[٤] الى جواز العطف عليه اذا اكد بضمير منفصل نحو قولهم « مررت بك انت وزيد » وهو الظاهر من كلام الفراء •

واختار ابو حيان مذهب الكوفيين ويونس والاخفش ، يقول

---

(١) النكت الحسان ص ٤٧،وينظر الارتشاف ص ٢٧٦،وشرح الاشموني ج٢ص٤٢٩.

(٢) سورة فصلت ، الآية ١١

(٣) سورة المؤمنون ، الآية ٢٢

(٤) هو ابراهيم بن سفيان ابو اسحاق الزيادي ، كان نحويا لغويا راوية ، توفي سنة ٢٤٩ هـ (بغية الوعاة ص ١٨١) •

« واذا عطفت على الضمير المجرور بغير « لولا » فيمن قال هو حرف جر حقيقة ، فمذهب جمهور البصريين على المنع الا باعادة الجار نحو « مررت بك وبزيد » . الثاني جواز ذلك في الكلام ، ولا يشترط اعادة الخافض وهو مذهب الكوفيين ويونس والاخفش ، وهو اختيار الأستاذ أبي علي . والثالث اذ اكد الضمير جاز نحو « مررت بك أنت وزيد » وهو مذهب الجرمي والزيادي . وقال الفراء يجوز « مررت به نفسه وزيد » و « مررت بهم كلهم وزيد » .. وقول الفراء هذا هو قول الجرمي والزيادي .

والذي اختاره جواز العطف عليه مطلقا لتصرف العرب في العطف عليه ، فتارة بالواو ، وتارة بلا واو ، وتارة بـ « بل » ، وتارة بـ « أو » ، وتارة بـ « ام » ، وان كان الاكثر ان يعاد الجار »[1] .

٥ ـ العطف ب ((بل)) :

واختلف النحويون في جواز العطف بـ « بل » في الكلام الموجب ، فاجازه البصريون نحو « قام زيد بل عمرو » ، فهواضراب عن الاول وايجاب ذلك للثاني ، وذهب الكوفيون الى انه لا يكون « بل » نسقا الا بعد نفي او ما جرى مجراه قال هشام « وقال « ضربت عبدالله بل اباك » واختار هذا المذهب أبو جعفر بن صابر[2] ، ومال أبو حيان الى مذهب الكوفيين ويظهر ذلك من قوله « وكون الكوفيين وهم اوسع من البصريين في اتباع كلام شواذ العرب يذهبون الى ان « بل » لا يجيء في النسق بعد ايجاب دليل على عدم سماعه من العرب او على قلة سماعه »[3] .

---

(١) الارتشاف ص ٢٧٦ب ، وينظر شرح الاشموني ج٢ ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

(٢) هو احمد بن صابر أبو جعفر النحوي الداهب الى ان للكلمة قسما رابعا وسماه الخالفة قرا عليه ابو جعفر بن الزبير (بغية الوعاة ص ١٣٤)

(٣) الارتشاف ص ٢٧٢ ب ، وينظر همع الهوامع ج٢ ص ١٣٦ وشرح الاشموني ج٢ ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩

التوكيـد :

الفاظ التوكيد كلها معارف ، أما ما اضيف الى الضمير فتعريفه بالاضافة اليه ، واما « اجمع » و « اكتع » واخواتهما فقد اختلف في سبب تعريفهما على قولين:الاول انها تعرفت بنيّة الاضافة،وعزي هذا الى سيبويه ، واختاره السهيلي وابن مالك . والثاني انها تعرفت بالعلمية على معنى الاحاطة لما يتبعه ك « أسامة » ونحوه من اعلام الاجناس ، وهو اختيار ابن سليمان السعدي ومحمد بن مسعود الغزني صاحب « البديع » قال فيه « اجمع واخواته معارف وتعريفها تعريف علمي نحو تعريف « اسامة » و « هنيدة » و « شعوب» ونحوها . واختاره ابن الحاجب ، واختاره ابو حيان فقال « ويؤيده انه لم ينصرف وليس بصفة ولا شبهها ، وما منع وليس كذلك وهو معرفة فالمانع فيه هو تعريف العلمية فانه جمع بالواو والنون ، ولا يجمع من المعارف بهما الا العلم خاصة »[1] .

واختلف في حذف المؤكد واقامة التوكيد مقامه مثل « الذي ضربت نفسه زيد » فذهب سيبويه والمازني والخليل وابن طاهر وابن خروف الى جواز ذلك ، وذهب الفارسي وابن جني والاخفش وثعلب الى منع ذلك . وصحح أبو حيان المنع ، قال السيوطي « وصححه ابن مالك وابو حيان ، لان التوكيد بابه الاطناب ، والحذف للاختصار، فتدافعا ، ولانه لا دليل على المحذوف . وردّ الاول بان دلك تأكيد التكرار دون غير ، والثاني بأن التوكيد يدل على المحذوف . قال ابو حيان والذي نختاره عدم الجواز ، لان اجازة مثل ذلك يحتاج الى سماع من العرب »[2] .

☆ ☆

---

(١) الارتشاف ص ٩٤ ب و ٩٥ و ٢٦٥ب ،وينظر همع الهوامع ج٢ص١٢٣-١٢٤.
(٢) الارتشاف ص ٢٦٥ ب ، وهمع الهوامع ج٢ ص ١٢٤

هذه آراء أبي حيان التي انفرد بها عن النحاة وأوجد له مذهبا مستقلا ورأيا جديدا لم يحذ فيه حذو احد من المتقدمين ، ولم ينسج فيه على منوال شيخ • وتلك آراؤه التي كان لاجتهاده الاثر الواضح فيها ولم تكن مجرد اتباع لمدرسة معينة أو لمذهب معيّن او لرجل معين •

ويتضح مما تقدم سعة تفكيره وتحرره ، وذلك بمخالفته ما لم تثبت صحته ، وبنبذه ما لم يوافق ذوقه العربي من الشواهد والتعليلات التي لم ترد ، وبتقريره آراء وقواعد ثبتت عنده وصح السماع بها من كلام العرب وان كانت مخالفة لآراء النحاة وقواعدهم على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم •

الفصل الرابع

أبو حيان بين مؤيديه ومعارضيه

كان ابو حيان باعث نحو ابن مالك ومحيي رسومه ومعالمه ، وهو الذي جسر الناس على قراءة كتبه ودفعهم الى التعمق والبحث فيها ، وهو الذي نهج نهجا وسطا ليس فيه تعصب البصريين وتزمتهم ولا لين الكوفيين وتساهلهم ، واعاد للنحو رونقه واعطاه قيمته وبعث فيه الحياة . ولكن ابا حيان لم يحظ باهتمام بالغ بعد ان طواه الردى ، فقد سادت كتب ابن مالك النحوية واتجه الناس اليها قارئين ومقرئين حتى اليوم . ولعل سبب انتشار كتب ابن مالك ما فيها من طرافة في العرض وسهولة في التمثيل ، ونرى ان كتب ابي حيان لوطبعت ونشرت على الناس لتقبلوها بقبول حسن ، لان هـذا الرجـل امتـاز بامور كثيرة منها سعة اطلاعه وفهمه للنحو واصوله وعرضه الحسن الاخاذ لموضوعاته ، ومنها اسلوبه المشرق الوضاء وعباراته الناصعة .

ومع هذا الاهمال كله من المتأخرين نجد بعض تلاميذه وبعض النحاة يعرضون آراءه ويناقشونها ويأخذون بها او يردونها .وسنقسم تلاميذه الى طائفتين

الاولى تلاميذه الذين اثنوا عليه ولم يتعرضوا له تعرضا عنيفا .

والثانية:تلاميذه الذين كانوا ينقدونه ويراجعونه ويفندون آراءه.

وسنختم الفصل ببعض النحاة الاعلام الذين لم يتتلمذوا عليه ، ولم يأخذوا عنه ، وانما استفادوا من مصنفاته ونقلوا عنها واشاروا اليها.

تلاميذ يطيلون في الثنـــاء عليه

كان ابو حيان ملاذا لكثير من الطلاب وكان محبا لهم مخلصا في تدريسهم ، وقد لهج هؤلاء الطلاب بمديح اســـــتاذهم وذكر آرائه والاشادة بها . ومن هؤلاء الذين استفادوا منه ولم يقفوا له بالمرصاد

ابراهيم السفاقسي :

هو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن ابي القاسم القيسي المالكي العلامة برهان الدين ابو اسحاق السفاقسي النحوي صاحب : « اعراب القرآن » . ولد في حـــدود ســـنة ٩٦٧ هـ وسمع ببجـــاية من شيخها ناصرالدين ثم حج وأخذ عن ابي حيان بالقاهرة وذكره في كتــــابه « المجيد في اعراب القرآن المجيد »[١] احسن ذكر واجمله،وذكر كتابه « البحر المحيط » ومدحه غير انه قال عنه « لكنه ســــلك سبيل المفسرين في الجمع بين التفسير والاعراب فتفرق فيه المقصود » . وقد استخار في تلخيصه وجمع ما بقي في كتاب ابي البقاء في اعرابــه لكونه كتابا عكف عليه الناس[٢] .

وقيل انه ردّ على أبي حيان . جاء في فهرست الخزانة التيمورية عند الحديث عن كتاب «المجيد فياعراب القرآن المجيد »ما نصه «في

---

(١) ينظر فهرس الخزانة التيمورية ج١ ص ١٣٨ ومنه نسخة فى الخزانة التيمورية تحتوى على الجزء الاول الى اخر سورة ال عمران برقم ٩٠٤

(٢) ينظر كشف الظنون ج١ ص ١٢٢

آخر نسخة كتاب « المثلث » لابن السيد رقم ٢٢٧ لغة اول ص ٢٢٢ ، فائدة مذكور بها ما كتبه أبو حيان في اجازة له من ذمَّة تلميذه السفاقسي لردّه عليه في « اعراب القرآن » الخ • وانظر هذا الكلام في « نيل الابتهاج » بحاشية الديباج رقم ٨٦٠ تاريخ »[1] •

ولم نستطع الاطلاع على ما في هذه الفائدة المذكورة•كما لايمكن معرفة قيمة هذا الرد واثره في منزلة أبي حيان عنده •

وقدم دمشق فسمع من المزي وزينب بنت الكمال وخلق ، ومهر في الفضائل • مات في ثامن عشر ذي القعدة سنة ٧٤٢هـ[2] •

ابن مكتوم :

هو تاج الدين احمد بن عبدالقادر بن احمد بن مكتوم بن احمد ابن محمد بن سليم بن محمد القيسي الحنفي النحوي • ولد في أواخر ذي الحجة سنة ٦٨٢ هـ ، واخذ عن بهاءالدين بن النحاس والدمياطي وغيرهما ، يقول ابن حجر « فرأيت بخطه انه حضر درس البهاء بن النحاس وسمع من الدمياطي اتفاقا قبل ان يطلب »[3] • ولازم أبا حيان دهرا طويلا واخذ عن السروجي وغيره وتقدم في الفقه والنحو واللغة وناب في الحكم ، وله عدة كتب منها « الجمع بين العباب والمحكم » في اللغة ، و « شرح الهداية » في الفقه ، و « الجمع المتناه في أخبار اللغويين والنحاه » ، و « شرح كافية ابن الحاجب » و«شرح شافيته » ، و « شرح الفصيح » ، و « التذكرة » ، و « الدر اللقيط من البحر المحيط » وقد قصره على مناقشة ابي حيان للزمخشري وابن عطية في بعض آرائهما ، ونقل ردوده عليهما سواء كانت هذه الردود نحوية أم عقائدية • وقد طُبع هذا الكتاب على حاشية « البحر

(١) فهرس الخزانة التيمورية ج١ ص ١٣٨ و ٢٣٢

(٢) تنظر ترجمته فى الدرر الكامنة ج١ ص ٥٥ ، وبغية الوعاة ص ١٨٦ ، ومفتاح السعادة ج١ ص ١٩٧

(٣) الدرر الكامنة ج١ ص ١٧٦

المحيط » ، وكان ابن مكتوم يشير فيه الى شيخه ابي حيان بحرف « ح » ، والى الزمخشري بحرف « ش » ، والى ابن عطية بحرف « ع » . وذكر في سبب تأليفه انه لما كان ابو حيـــان قد ردّ على الزمخشري وابن عطية فيما ذكراه في كتابيهما في التفسير من اعراب وغيره أحسن ردّ ، ونبّه على خطئهما في الاحكام الاعرابية وقرر ذلك أحسن تقرير رأى ان يجرده ليستفيد منه ، يقول « جردته عنـــد الوحشة لأُنسي اذ كان نخبة ما فيه وزبدة ما يتضمنه من المعـــاني الشريفة ويحويه ، وان كانت فرائده تزهو على الزهر وفوائده تزيد على عدد نقط القطر ، وربما ذكرت فيه من فوائد الكتاب المذكور غير ذلك مما يعم به النفع ويثلج به الصدر »[1] .

ولم يعمل ابن مكتوم في « البحر المحيط » وفيما جاء فيه من اعراب أو ردود نحوية أو غيرها شيئا غير التلخيص والجمع ، وكان لا يعلق على ما ينقل ولا يبين رأيه في الاعراب الا في مواضـــع قليلة ذكرناها عند حديثنا عن الكتاب .

والذي يبدو من كتاب « الدر اللقيط » ان ابن مكتوم يرى رأي شيخه أبي حيان ويذهب مذهبه في التعصب على الزمخشـــري وابن عطية ، ويدلنا على ذلك قوله في المقدمة « وبعد فهذا كتاب يشتمل على ما ذكر في كتاب شيخنا الاستاذ العالم الحافظ أبي حيان .. نزيل القاهرة أيده الله في تفسير القـــرآن المسمى بـ « البحر المحيط » من الكلام مع الامام العلامة جار الله الزمخشري والقاضي المفسر العالم أبي محمد بن عطية المحاربي رحمهم الله ، والرد عليهما فيمـــا ذكراه في كتابيهما في التفسير والتنبيه على خطئهما في الاحكام الاعرابية وتقرير ذلك أحسن تقرير جردته لنفسي وجعلته عمدة عند الوحشة لانسي »[2] .
ولكن ابن مكتوم رد على شيخه مرة واحدة وذلك في رد أبي حيـــان

---

(١) الدر اللقيط ج١ ص ٤ ـ ١٢
(٢) الدر اللقيط ج١ ص ٤ ـ ٨

على الزمخشري اعرابه لقوله تعالى « أو يُوبِقْهنَّ بمـا كسَبوا ويعفُ عن كثير »[1] ، فقد قال أبو حيان « وقال الزمخشري فان قلت علام عطف « يوبقهن » ؟ قلت على « يسكن » لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها • انتهى •

قال ابو حيان « لا يتعين أن يكون التقدير « أو يعصفها » ، لان اهلاك السفن لا يتعين أن يكون بعصف الريح بل قد يهلكها تعالى بسبب غير الريح كنزول سطحها بكثرة الثقل ، أو انكسار اللوح يكون سببا لاهلاكها ، أو يعرض عدو يهلك أهلها » • وقـال ابن مكتوم معلقا على هذا الكلام « وما ذكره (ش) فيه مناسبة تكاد تعينه وان كان اهلاكها قد يكون بغيره كما ذكره (ح) الا ان نجاة السفن لما كانت باجراء الريح طيبة وكان اسكانها سببا لركودها كان المناسب لتقدير سبب الهلاك هو العصف كما قدره (ش) لا غيره فاعرفه »[2] •

وتوفي الشيخ تاج الدين في الطاعون العام في رمضان سـنة ٧٤٩ هـ [3] •

المرادي :

هو الحسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري المولد الاسفي المحتد النحوي اللغوي الفقيه بدرالدين المعروف بابن ام قاسم ، وهي جدته ام ابيه واسمها زَهراء ، وقيل انها امرأة تبنته وكانت من بيت السلطان[4] •

كان اماما في العربية والقراءات وقد اخذ العربية عن ابي حيان وأبي عبدالله الطنجي والسراج الدمنهوري وأبي زكريـاء الغمـاري ،

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٣٤

(٢) الدر اللقيط ج٧ ص ٥٢١

(٣) تنظر ترجمته في الدرر الكامنة ج١ ص ١٧٦ ، وبغية الوعـاة ص ١٤٠ ، وكشف الظنون ج١ ص ٢٢٦ ، والتفسير والمفسرون ج١ ص ٣٢٠

(٤) ينظر بغية الوعاة ص ٢٢٦ ، والدرر الكامنة ج٢ ص ٣٢

واجازه كثيرون منهم رئيس الكتاب ابو الحسن بن الجياب ، وقد توفي في عيد الفطر سنة ٧٤٩هـ[١] .

ومن مصنفاته « شرح المفصّل » و « شرح الالفية » و « الجنى الداني في حروف المعاني » و « شرح الاستعاذة والبسملة » و «شرح التسهيل » ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب بالقاهرة برقم ٦٣ نحو والباقي منه اربعة اجزاء وهو ناقص من الاخير وينتهي باول بــاب « التعجب » .

وقد اهتم المرادي في هذا الكتاب بآراء ابي حيان ونقل بعضها في مختلف ابوابه ولم يتعصب لابي حيان او عليه وان كان يميل اليه في كثير من الاحيان ويأخذ برأيه حينما يرد على ابن مالك كما فعل في رده على ابن مالك في باب الحال . فقد ذهب ابن مالك الى عدم جواز مجيء الحال من المجرور بحرف واطلق ذلك ولم يقيده بزائد او بغير زائد .

يقول المرادي « اطلق المصنف الكلام في المجرور بالحرف ، وينبغي ان يكون موضع الخلاف انما هو في غير الزائد فان كان زائدا جاز التقديم نحو « ما جاءني من احد راكباً » كما جاء في الاضافة غير المحضة » . ويقول مستشهدا على رأيه « وقد جزم بجواز ذلك في الارتشاف » [٢] .

وكما فعل عند كلامه على حذف عين المعتل اذا كانت ياء او واوا، فقد ذكر ابن مالك ان هذا يحفظ في عين « فيعلان » و « فيعلة » و « فاعل » يقول المرادي « وجعل المصنف تخفيف هذا محفوظا ، وهو مخالف لكلام الناس ، لان مذهب الجمهور ان ذلك مقيس مطرد في ذوات « الواو » وذوات « الياء » . وذهب أبو علي الى أنه مقيس مطرد في ذوات « الواو » لا في ذوات « الياء » ، ولا يقال في بين بين، فالمصنف موافق له في ذوات « الياء » مخالف له ولغيره في ذوات

(١) تنظر ترجمته في الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٢ ، وبغية الوعاة ص ٢٢٦

(٢) شرح التسهيل للمرادي ج٤ (باب الحال)

« الواو » . ثم يقول مستشهدا بقول أبي حيان « وقال الشيخ أثيرالدين ولا نعلم خلافا في اقتياسه ، و « شاك » « فاعل » ، و « هار » و « شاك » ، اصلهما « هائر » و « شائك » فحذفت « العين » وبقي الاعراب على « اللام » ، فيقول « هذا شاك » و « رأيت شاكا ، وفيهما لغة اخرى وهي القلب »[1] .

ومن ذلك رده على ابن مالك بما استدركه عليه أبو حيان عند الكلام فيما ينصب بتقدير فعل من اسم مصدر ومكان وغيرهما ، فقد قال ابن مالك « فان وجد عمل بعد ما تضمن حرفا من اسم ما يفعل به فهو كمدلول به عليه ، وذلك انه لا عمل لهذين النوعين . ومثال ما تفعل به « الدهن » ، و « الكحل » وقد روي عن العرب مثل « اعجبني دهن زيد لحيته » ، و « كحل هند عينها » فيقدر عامل نصب « لحيته » ويدل عليه « الكحل » و « الدهن » ، تقديره « ودهن » ، « وكحلت » . ومثال ما تفعل فيه اسم المكان من نحو قوله تعالى « ألم نجعل الارضَ كِفاتا ، أحياء وأمواتا »[2] ،فتقدر: « يكفت أحياء وأمواتا » على التمييز . ويقول المرادي مستدركا على ابن مالك « قال الشيخ أثيرالدين ونقصه ان يقول أو من اسم ما يفعل نحو الخبز والطعام والطحن والرعي . قال وكل هذا نطلق عليه اسم المصدر ، ومعناه اسم" اصل وضعه ان لا يكون مصدرا بل مفعولا به وفيه من حيث الوضع . ثم اطلق ، ويراد به المصدر مجازا وهو الذي وقع في اعماله الخلاف الذي تقدم »[3] . وقد اكتفى المرادي بقول أبي حيان ولم يزد عليه شيئا .

ومن ذلك رده على ابن مالك في باب « كنايات العدد » عند كلامه على « كذا » ، يقول ابن مالك « وكنى بعضهم بالمفرد المميز

---

(١) شرح التسهيل للمرادي ج٢

(٢) سورة المرسلات ، الآيتان ٢٥ و ٢٦

(٣) شرح التسهيل ج٢

بجمع عن ثلاثة وبابه ، وبالمفرد المميز لمفرد عن مائة وبابه ، وبالمكرر دون عطف عن أحد عشر وبابه ، وبالمكرر مع عطف عن أحد وعشرين وبابه » ، ويقول المرادي « وهذا اختيار ابن عصفور ، وزعم انه مذهب البصريين بناء على ما نقله ابن السيد من ان البصريين والكوفيين اتفقوا على ان « كذا وكذا » كناية عن الاعداد المعطوفة ، وان « كذا كذا » كناية عن الاعداد المركبة ، وكان ابن السيد وقف على قول المبرد ومن وافقه من البصريين وهو من أكابرهم ولم يحفظ خلافا عن غيره فلذلك نقل الاتفاق . وقد حكى غيره الخلاف كما ذكرنا واضطرب فيها قول الفارسي فمرة قال بقول البصريين ومرة قال بقول الكوفيين » . ثم يقول المرادي مستشهدا بقول أبي حيان ورأيه في ذلك « قال الشيخ أثيرالدين المسموع من لسان العرب ان « كذا » اذا كانت كناية عن غير عدد مفردة ومعطوفة خاصة ولا يحفظ تركيبها ، فاذا كانت كناية عن عدد فلا يحفظ الا كونها معطوفة ، ولا تحفظ مفردة ولا مركبة ولا تخص عددا دون عدد . وسائر التراكيب التي جاء بها الكوفيون ومن وافقهم ليست من لسان العرب . ألا ترى أن ابن خروف قال عند ذكر المبرد هو دعوى وقياس في اللغة وان توقيفه « كذا وكذا » على المعطوف قياس في اللغة ولا يؤخذ الا من أفواه العرب بالمشافهة ، وقد أخطأ الفارسي والزجاجي وابن أبي الربيع وابن عصفور في جر التمييز بعد « كذا » ، وقال الفارسي حين سأله أبو الفتح عن التفصيل في « كذا » وتنزيله على مذهب الكوفيين فقال: هذا من استخراج الفقهاء وليس هو في النحو كذا ، انما كذا يميز له عدد منون » . وقال ضياءالدين بن العلج واما تجويزهم الرفع بعد « كذا » فخطأ لانه لم يسمع من كلامهم ، واما تجويز ابن قتيبة الخفض بعد « كذا » المعطوف فمنصوص على انه لحن ، واما « كذا درهم » بالخفض فلا يجوزُ لا على الاضافة ولا على البدل خلافا لزاعميهما . قال الشيخ فعلى هذا الذي اخترناه اذا قال قائل « له عندي كذا وكذا درهما » انزلناه على درهم واحد الا ان قال اردت

أكثر . ولو قال « كذا كذا درهما » لم يجعله تركيبا بل يجعله مما حذف منه حرف العطف على مذهب من يجيزه . وكذا لو قال « كذا درهما » لم يجعله مفردا بل يكون مما حذف منه المعطوف ، وكل ذلك حفظ لما استقر في كلامهم . وكذلك لو لحن بخفض الدرهم أو رفعه ، لان اللحن لا يبطل الاقرار بهذه الكناية . وقد اختلفت مذاهب الفقهاء في الاقرار بهذه الكناية اختلافا كثيرا ، واذا لم يكن قياس عرف منها ولا اصطلاح خاص لبعضهم وجب حملها على اللغة ، وقال والعجب انه لم يقل أحد منهم بما يوافق اللغة »(١)

ومن ذلك اكتفاؤه بالرد على ابن مالك في قوله بجواز تمييز المركب بـ « مائة » بكلام أبي حيان ، فقد قال ابن مالك « ومن تمييز المركب بـ « مائة » قول جابر رضي الله عنه « كنا خمس عشرةَ مائةً » يعني أهل الحديبية . وفي حديث البراء رضي الله عنه « كنا يوم الحديبية اربع عشرة مائة » . وقال المرادي « قال الشيخ أثيرالدين يحتاج في ذلك الى صحة نقل ، بل المعروف ان يقال ألف ومائة ، وألف ومائتان ، وألف وثلاث مائة ونحوه . وما اظن هذا الرجل أخذ هذا الحكم ولا بناه الا على ما روى في حديث جابر والبراء فان عادته ذلك »(٢) .

وليس كل المواضع التي ذكر المرادي فيها أبا حيان على هذا النمط ، انما كان ينقل في بعضها رأي ابن مالك وآراء النحاة الآخرين ثم يبين رأي أبي حيان الذي اختاره ولا يعتبره ردا على ابن مالك انما ليذكر رأي أبي حيان الذي اختاره من الآراء المتقدمة . ومن ذلك ما فعله في باب الحال عند كلامه على العامل فيه ، يقول:«قال ابن مالك وقد يعمل فيها غير عامل صاحبها خلافا لمن منع ذلك ». ثم يقول « ومذهب الاكثرين ان العامل في الحال هو العامل في ذي

---

(١) شرح التسهيل للمرادي ج١ باب كنايات العدد
(٢) شرح التسهيل للمرادي ج١ باب العدد

الحال » • ثم يقول « قال الشيخ أثيرالدين والذي نختاره مذهب الأكثرين من ان العامل في الحال هو العامل في ذي الحال • وأقول ان حرف التنبيه واسم الاشارة لا يعملان في الحال فيكون العامل في « منطلقا » من « هذا زيد منطلقاً » محذوفا دل على الجملة السابقة ، وتقديره انظر اليه منطلقا • وفي كتاب سيبويه ما يدل على ذلك • انتهى •• وتقدم ان هذا مذهب السهيلي »(١) •

ومن ذلك ما جاء في باب « الاستثناء » عند الكلام على « لا سيما » فقد ذهب ابن مالك الى ان « لا سيما » تجيء بالتخفيف، يقول « المرادي « حكى تخفيف الياء الاخفش وابن الاعرابي والنحاس وابن جني ، وفي ذلك رد على ابن عصفور اذ زعم انه لا يجوز تخفيف الياء • ونص الاخفش على اجازة الرفع والجر مع التثقيل والتخفيف • وأصل « سيّ » سوًى ، والمحذوفة عند ابن جني لام الكلمة » • ثم يقول « قال الشيخ أثير الدين والاحسن عندي ان يكون المحذوف عين الكلمة وقوفا مع ظاهر اللفظ ، وحكى بعضهم « لا سيما »باسكان الياء • ويوجد في كلام المولدين« سيما» بحذف « لا » ولا يوجد في كلام من يحتج بكلامه »(٢) •

وقد يذكر رأي أبي حيان لا للرد على ابن مالك ولا ليبين رأيه الذي يختاره من الآراء المخالفة ، انما يذكره لمجرد التبيين والاحتجاج به كما يفعل في آراء النحاة الآخرين • ومثال ذلك ما جاء في باب المفعول فيه ، يقول المرادي « ومذهب الجمهور ان « اذا » مضافة أبدا وان الجملة بعدها في موضع خفض بالاضافة والعامل فيها الجواب • وذهب بعض النحويين الى انها ليست مضافة الى الجملة بل هي معمولة للفعل الذي بعدها لا لفعل الجواب واختاره الشيخ أثيرالدين قال ومذهب الجمهور فاسد من وجوه

---

(١) شرح التسهيل جا باب الحال

(٢) شرح التسهيل جا باب الاستثناء .

أحدها ان « إذا » الفجائية تقع جوابا لـ « اذا » الشرطية وما بعد « اذا » لا يعمل فيما قبلها •

الثاني اقتران جوابها بالفاء وما بعد فاء الجزاء لا يعمل فيما قبلها •

الثالث ان جوابها جاء منفيا بـ « ما » نحو « واذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات ما كان حجتهم »[1] ، وما بعد « ما » النافية لا يعمل فيما قبلها •

الرابع اختلاف وقتي الشرط والجواب في بعض المواضع نحو « اذا جئتني غدا أجيئك بعد غد »[2] •

ومثال ذلك قوله في باب « الاضافة » بعد ان نقل الآراء المختلفة في معنى الاضافة وهل هي بمعنى « اللام » أو بمعنى « من » أو بمعنى « في » ، يقول « وذهب أبو الحسن الضائع الى ان الاضافة بمعنى « اللام » على كل حال ، وان التي بمعنى « من » هي بمعنى « اللام » • قال الشيخ أثير الدين والذي أذهب اليه ان الاضافة تفيد اختصاصا ، وانها ليست على تقدير حرف مما ذكروه ولا على نيته »[3] •

وقد يذكر الآراء الجديدة التي انفرد بها أبو حيان كقوله عند كلامه على أدوات التعليق « وذكر الشيخ أثيرالدين انه ظهر له ان من المعلقات « لعل » ثم وقف في كلام الفارسي على شيء من ذلك في قوله « وما يدريك لعله يزكى »[4] فأجاز أن تكون الجملة في موضع نصب »[5] •

---

(١) سورة الجاثية ، الآية ٢٥
(٢) شرح التسهيل ج١ باب المفعول فيه
(٣) شرح التسهيل ج٢ باب الاضافة
(٤) سورة عبس ، الآية ٣
(٥) شرح لتسهيل للمرادي ج١ (باب ظن)

ولم تكن هذه الآراء والنقول هي كل ما استشهد به المرادي ، بل ذكر آراء أبي حيان في مواضع أخرى لا حاجة الى الاطالة بذكرها وعرضها بالتفصيل[1] .

ومن هذه النقول التي ذكرناها من « شرح التسهيل » للمرادي يتبين لنا موقفه من أبي حيان الذي كان يظهر فيه اجلاله لشيخه وتقديره واعتماده على آرائه ، وقد كان يستغني بهذه الآراء عن أن يبين رأيه في المسألة فيختم الخلاف في أكثر الاحيان برأي أبي حيان تعظيما له وتقديرا .

تقي الدين السبكي :

هو علي بن عبدالكافي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي تقي الدين ابو الحسن الفقيه الشافعي المفسر الحافظ الاصولي النحوي اللغوي . ولد في مستهل صفر سنة ٦٨٣هـ وقرأ القراءات على التقي الصانع ، والتفسير على العلم العراقي ، والفقه على ابن الرفعة ، والاصول على العلاء الباجي ، والنحو على أبي حيان ، والحديث على الشرف الدمياطي ، ورحل وسمع من ابي الحسن بن الصواف وأبي جعفر الموازيني ، وبرع في الفنون وتخرج به خلق ، وولي قضاء الشام بعد جلال الدين القزويني ، وولي مشيخة دار الحديث الاشرفية والشامية البرانية ، والمسرورية . وكان محققا بارعا في العلوم وصنف نحو مائة وخمسين كتابا مطولا ومختصرا منها « تفسير القرآن » ، و « شرح المنهاج في الفقه » و « نيل العلا في العطف بـ (لا) » ، و « بيان الربط في اعتراض الشرط على الشرط » .

---

(١) ينظر شرح التسهيل ج١ (باب المفعول به عند كلامه على زيادة «ان» بعد « بينا » و « بينما » واعراب « اذا » مفعولا به على التوسع) ، و (باب تعدي الفعل ولزومه في جواز الاستفناء عن حرف الجر مع « أن ») ، و (باب نائب الفاعل) ، و (باب التمييز) و (باب كان واخواتها) ، و « باب التحذير والاغراء » .

توفي بمصر بعد ان قدم اليها سنة ٧٥٥هـ[١] .

وكان تقي‌الدين السبكي يعظّم شيخه ابا حيان وينقل عنه كثيرا من آرائه في كتبه . ويكفينا برهانا على علو منزلة ابي حيان عنده ما ذكره ولده تاج‌الدين في « طبقات الشافعية الكبرى » في ترجمة ابي حيان ، يقول « وشَغَلَ الناس بالنحو والقراءات ، سمع عليه الجَمّ الغفير وأخذ عنه غالب مشيختنا واقراننا منهم الشيخ الامام الوالد ، وناهيك بها لابي حيان منقبة ، وكان يعظمه كثيرا وتصانيفه مشحونة بالنقل عنه . ولما توجهنا من دمشق الى القاهرة في سنة اثنتين واربعين وسبعمائة ، ثم امرنا السلطان بالعود الى الشام لانقضاء ما كنا توجهنا لاجله ، استمهله الوالد اياما لاجلي فمكثت حتى اكملت على ابي حيان ما كنت اقرؤه عليه ، وقال لي يا بني هو غنيمة ولعلك لا تجده في سفرة اخرى . وكان كذلك »[٢] .

وفي هذا دلالة اكيدة على اعتبار تقي‌الدين استاذه ابا حيان فلتة من فلتات الزمان .

تاج‌الدين السبكي :

وهو ابن تقي الدين السبكي اخذ النحو عن ابي حيان سنة ٧٤٢هـ وتبع والده في تعظيم أبي حيان . وقد ترجم له ترجمة وافية أشاد فيها بعلمه وغزارة ثقافته وذكر من أخذ عنه من الشيوخ والاقران واشار الى مدح والده له . ومما قاله فيه « وكان الشيخ ابو حيان اماما منتفعا به اتفق اهل العصر على تقديمه وامامته ، ونشأت اولادهم على حفظ مختصراته وآباؤهم على النظر في مبسوطاته ، وضربت الامثال باسمه مع صدق اللهجة وكثرة الاتقان والتحري ، وشدا طرفا صالحا

---

(١) تنظر ترجمته في طبقات الشافعية ج٦ ص ١٠٥ ، والدرر الكامنة ج٣ ص ٦٣ و ٧٠ ، وبغية الوعاة ص ١٢١ و ٣٤٢ ، والدارس في تاريخ المدارس ج١ ص ١٣٤ ، وشذرات الذهب ج١ ص ١٢٥ ، وفهرس الفهارس ج١ ص ١٠٨

(٢) طبقات الشافعية ج٦ ص ٣٢

من الفقه[1] .

ويكفينا دلالة على منزلة ابي حيان عند تاج الدين ووالده قوله « واقول ما رأيت بعد ابي حيان انحى منه ... وكان ابي يقول انه لم يلق في صناعة اللسان كأبي حيان ، ولا رأت عيناي في المعقولات باسرها وفي علم الكلام على طريقة المتكلمين مثله »[2] .

صلاح الدين الصفدي :

هو المؤرخ الشاعر ابو الصفاء خليل بن ايبك صلاح الدين الصفدي . ولد في صفد سنة ٦٩٦هـ وتلقى دروسه في دمشق وأخذ عن ابن نباتة وابي حيان وابن جماعة والمزي واشتغل بالانشاء في صفد والقاهرة وحلب وولي وكالة بيت المال بدمشق وقعد للتدريس بالجامع الاموي . واشتهر بالادب والتأريخ والفقه ، ومن مصنفاته « الوافي بالوفيات » و « الشعور بالعور » ، و« نكت الهميان في نكت العميان» و « الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم » و « اعيان العصر واعوان النصر » . توفي بدمشق في شوال سنة ٧٦٤هـ[3] .

وكان ابو حيان يقدر الصفدي ويجله وينزله منزلة رفيعة بين تلاميذه، ولولا تقديره له وتقريبه اياه لما كان الوحيد الذي اشار الى ان لابي حيان ديوان شعر قرأه عليه وانتقى منه وكتبه ، واسمعه ما اختار من كتابه « مجاني الهصر » . وقد اعترف الصفدي بتقدير ابي حيان له فقال وهو يتحدث عن الكتب التي قرأها عليه « وقرأت عليه « الاشعار الستة » وكان يحفظها ، و « المقامات الحريرية » وحضرها جماعة من افاضل الديار المصرية وسمعوها بقراءتي عليه ، وكان بيده نسخة صحيحة يثق بها وبايدي الجماعة قريب من اثنتي عشرة نسخة واحداهن بخط الحريري . ووقع منه ومن الجماعة في اثناء القراءة فوائد ومباحث

---

(١) طبقات الشافعية ج٦ ص ٣٢

(٢) طبقات الشافعية ج٦ ص ١٨١

(٣) ينظر الدرر الكامنة ج٢ ص ٨٨

عديدة وقال لي « لم ار بعد ابن دقيق العيد افصح من قراءتك » .
ولما وصلت الى المقامة التي اورد الحريري فيها الاحاجي قال ما اعرف مفهوم الاحجية المصطلح عليها بين أهل الادب ، فاخذت في ايضاح ذلك وضرب الامثلة له . فقال لي لاتتعب معي ، فاني تعبت مع نفسي في معرفة ذلك كثيرا ولا افاد ولا ظهر لي . وهذا في غاية الانصاف منه والعدالة ، لاعترافه لي في مثل ذلك الجمع وهم يسمعون كلامه بمثل ذلك .

وقرأت عليه « سقط الزند » لابي العلاء المعري ، وبعض الحماسة لابي تمام الطائي ، ومقصورة ابن دريد ، وسمعت من لفظه كتاب « الفصيح » لثعلب ، وكان يحفظه ، وسمعت من لفظه كتاب : « تلخيص العبارات بلطيف الاشارات في القراءات السبع » لابن بليمه ، وسمعت من لفظه خطبة كتاب « ارتشاف الضرب من لسان العرب » ، وانتقيت ديوانه وكتبته وسمعته منه ، وسمعت من لفظه ما اخترته من كتابه « مجاني الهصر » وغير ذلك »[1] .

وكان التقدير متبادلا بينهما . وترجم الصفدي لشيخه في « نكت الهميان » و « اعيان العصر واعوان النصر » و « الوافي بالوفيات » وذكر بعض شعره في « الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم » وفي غيره من كتبه التي تقدم ذكرها .

ويتبين لنا رأي احدهما في الآخر وتقديره له من رسالته التي ارسلها لابي حيان طالبا فيها اجازته مروياته وكتبه في العلوم المختلفة ، ومن استجابة أبي حيان لطلبه ، كما تدل على ذلك القصائد التي قالها الصفدي في شيخه كقوله في رثائه

مات اثيرالدين شيخ الورى فاستعر البارق واستعبرا

وهي قصيدة طويلة مرّ ذكرها في ترجمة ابي حيان . وكرسالته التي كتبها اليه من رحبة مالك بن طوق في سنة تسع وعشرين وسبعمائة

(١) نكت الهميان ص ٢٨١

في ورق احمر ، ومطلعها

لو كنت املك من دهري جناحين   لطرت لــكنه فيكم جنى حيني

وفيها يقول

يا واحد العصر ما قولي بمتّهم   ولا احاشي امــرءا بين الفريقين
هذي العلوم بدت من سيبويه كما   قالوا ، وفيك انتهت يا ثاني اثنين[1]

الاســنوي :

هو عبــدالرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن ابراهيم الاموي الاسنوي نزيل القاهرة الشيخ جمال الدين ابو محمد . ولد في العشر الاخير من ذي الحجة سنة ٧٠٤هـ بأسنا من صعيد مصر ، وقــدم القاهرة سنة ٧٢١ هـ وقد حفظ « التنبيه » ، وسمع الحديث من الدبوسي وعبدالقادر بن الملوك والحسن بن اسد بن الاثير ، واخــذ العلم عن القطب السنباطي ، وجلال الدين القزويني والقونوي ، واخذ العربية عن أبي الحسن النحوي والد سراج الدين بن الملقن وعن أبي حيان . وكتب له ابو حيان « بحث عليّ الشيخ فلان كتاب « التسهيل » ، ثم قال له « لم اشيخ احدا في سنك » . وذكر هو في كتابه « الكواكب » انه كان لا يعرف الا بالنحو في اول امره حتى اقرأه وله نحو العشرين سنة وبرع في الفقه والاصلين والعربية ، وانتهت اليه رياسة الشافعية ، وصار المشار اليه بالديار المصرية ، ودرّس وافتى وازدحمت عليه الطلبة وانتفعوا به وكثرت تلامذته . توفي ليلة الاحد الثامن والعشــرين من جمادى الاولى سنة ٧٧٢هـ[2] .

ومن مصنفاته « الهداية الى اوهام الكفاية » ، و « شرح منهــاج الفقه » ، و « الاشباه والنظائر » ، و « التمهيد في تنزيل الفروع على الاصول » . وله في النحو كتاب « شرح الالفية » لم يكمله ، وكتاب:

---

(١) نكت الهميان ص ٢٨٦

(٢) ينظر بغية الوعاة ص ٣٠٤ ، والدرر الكامنة ج٢ ص ٣٥٦

« الكواكب الدرية في تنزيل الفروع الفقهية على القواعد النحوية » ، وقد اعتمد فيه كثيرا على كتابي « ارتشاف الضرب من لسان العرب » و « التذييل والتكميل في شرح التسهيل » لشيخه ابي حيان ، وكان يرى انه لم يصنف مثلهما في علم النحو . يقول في مقدمة كتابه « ... استخرت الله تعالى في تأليف كتابين ممتزجين من الفنين المذكورين[1] ، ومن الفقه ، لم يتقدمني اليهما أحد من اصحابنا احدهما في كيفية تخريج الفقه على المسائل الاصولية ، والثاني في كيفية تخريجه على المسائل النحوية ، فاذكر اولا المسائل الاصولية او النحوية مهذبة منقحة ، ثم اتبعها بذكر جملة ما يتفرع عليها ليكون ذلك تنبيها على ما لم اذكره . ثم ان الذي اذكره على اقسام : فمنه ما يكون جواب اصحابنا[2] فيه موافقا للقاعدة ، ومنه مايكون مخالفا لها ، ومنه ما لم اقف فيه على نقل بالكلية ، فاذكر فيه ما تقتضيه القاعدة ، مع ملاحظة القاعدة المذهبية والنظائر الفرعية فيعرف الناظر في ذلك مأخذ ما نص عليه اصحابنا وفصلوه ، ويتنبه به على استخراج ما اهملوه ، هذا مع ان الفروع المذكورة مهمة مقصودة في نفسها بالنظر وكثير منها قد ظفرت به في كتب غريبة كما ستراه مبينا ان شاء الله تعالى ..

واعلم انني اذا اطلقت شيئا من المسائل النحوية فهو من كتابي شيخنا ابي حيان اللذين لم يصنّف في هذا العلم اجمع منهما وهما « الارتشاف » و « شرح التسهيل » فان لم تكن المسألة فيهما صرحت بذلك . واذا اطلقت شيئا من الاحكام الفقهية فهو من «الشرح الكبير» للرافعي ، او من « الروضة » للنووي »[3] .

ويقول في « المضمرات » « مسألة الضمير اذا سبقه مضاف ومضاف اليه وامكن عوده على كل منهما على انفراده كقولك « مررت بغلام زيد فاكرمته » فانه يعود على المضاف دون المضاف اليه ، لان

---

(١) يعني اصول الفقه وعلم العربية

(٢) يعني الشافعية

(٣) الكواكب الدرية ص ٢ ، وينظر في اصول النحو للافغاني ص ٩٥

المضاف هو المحدث عنه ، والمضاف اليه وقع ذكره بطريق التبع ، وهو تعريف المضاف أو تخصيصه . كذا ذكره أبو حيان في تفسيره وكتبه النحوية وابطل به استدلال ابن حزم ومن نحا نحوه كالماوردي في « الحاوي » على نجاسة الخنزير بقوله تعالى « اولحمَ خِنزير فانه رِجس » [1] حيث زعموا ان الضمير في قوله تعالى (فانه) يعود الى الخنزير وعللوه بانه اقرب مذكور » [2] .

وبذلك ينقل الاسنوي آراء شيخه ابي حيان من غير ان يناقشها ، ويفضلها على آراء غيره من النحاة .

ابن مرزوق التلمساني :

هو محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن ابي بكر بن مرزوق ابو عبدالله التلمساني العجيسي ولد سنة ٧١١هـ . ومهر في العربيةوالاصول والادب وسمع من منصور المشدالي وابراهيم بن عبدالرفيع ، ورحل الى المشرق وسمع بمكة من عيسى الحجي،وبمصر من أبي حيانالنحوي وابي الفتح اليعمري وجلال الدين القزويني والبدر الفارقي والتقي السبكي وبلغ شيوخه الفي شيخ . كان مليح الترسيل ، حسن اللقاء ، كثير التودد ، ممزوج الدعابة بالوقار ، والفكاهة بالتنسك ، غاص المنزل بالطلبة مشاركا في الفنون . يقول السيوطي « ثم رجع الى الاندلس فاقبل عليه سلطان الاندلس اقبالا عظيما وقلده الخطابة ثم وقعت له كائنة بسبب قتيل اتهم بمصاحبته فانتهبت امواله ، واقطعت رباعه ، واصطفيت أم اولاده ، وتمادى به الاعتقال الى أن وجد الفرصة فركب البحر الى المشرق وتقدمه اهله واولاده . قال ابن حجر فوصل الى تونس فاكرم اكراما عظيما وفوضت اليه الخطابة بجامع السلطان ، وتدريس اكثر المدارس ، ثم قدم القاهرة فاكرمه الاشرف شعبان ، ودرّس بالشيخونية والصرغتمشية والنجمية . وكان حسن الشكل

---

(١) سورة الانعام ، الآية ١٤٥

(٢) الكواكب الدرية (فصل المضمرات) ، وينظر في اصول النحو ص ٩٦ .

جليل القدر . مات في ربيع الاول سنة احدى وثمانين وسبعمائة »[1] .

وكان المرزوقي يجل شيخه ابا حيان ويقدره ويكفي ما قاله في حقه حينما تكلم على ما اخذه عنه ، يقول « سمعت عليه وقرأت وانشدني الكثير ، واذا انشدني شيئا ولم اقيده استعاده مني فلم احفظه »[2] .

واهتم ابن مرزوق بأخبار أبي حيان ، ونقل أبياتا له وذكر الكتب التي قرأها عليه ، والاسانيد التي اقرأه عليها كتب السنن ، يقول « ورويت عنه تآليف ابن أبي الاحوص منها « التبيان في أحكام القرآن » و « المعرب المفهم في شرح مسلم » ، و « الوسامة في احكام القسامة » ، و « المشرع المسلسل في الحديث المسلسل » ، وغير ذلك. وحدثني بسنن أبي داود عن ابن خطيب المزة عن أبي حفص بن طبرزد عن أبي البدر الكروخي ومفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب عن أبي عمر الهاشمي عن اللؤلؤ عن أبي داود . وسنن النسائي عن جماعة عن ابن بامّا عن أبي زرعة عن أبي حميد الدوسي عن أبي نصر الكسار عن أبن السني عن النسائي . وبالموطأ عن أبي جعفر بن الطباع بسنده » .

ثم يقول وشكوت اليه يوما ما يلقاه الغريب من اذاية العداة فأنشدني لنفسه

عداتي لهم فضل عليّ ومنة ... فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ... وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وذكر بعدها عدة أبيات في اغراض مختلفة »[3] .

المقدسي الحنبلي :

هو محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن عبدالحميد بن عبدالهادي

---

(1) بغية الوعاة ص ١٩ ، وتنظر ترجمته في الدرر الكامنة ج٣ ص ٣٦٠ ــ ٣٦١
(2) نفح الطيب ج٣ ص ٢٨٩
(3) نفح الطيب ج٣ ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠

ابن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي شمس الدين المولود في رجب سنة ٧٠٥ هـ • سمع من التقي سليمان وله كتاب « الاحكام» في ثماني مجلدات ، و « شرح التسهيل » في مجلدين ، وله مناقشات لابي حيان فيما اعترض به على ابن مالك في الالفية ، وغير ذلك •توفي في جمادى الاولى سنة ٧٤٤ هـ [١] •

---

(١) الدرر الكامنة ج٣ ص ٣٣٢

تلاميذ ينقدونه ويراجعونه

والى جانب تلاميذ ابي حيان الذين نقلوا عنه واخذوا بآرائه كان بعض طلابه يجلونه ويحترمونه كاحترام اولئك الاوائل ولكنهم لم يأخذوا بكل آرائه وانما نقدوه في بعضها ورجحوا آراء غيره • ومن هؤلاء

السمين :

هو شهاب الدين احمد بن يوسف بن عبدالدائم بن محمد الحلبي المعروف بالسمين ، قال ابن حجر « تعانى النحو فمهر فيه ولزم ابا حيان الى ان فاق اقرانه »(١) •

اخذ القراءات عن التقي الصائغ ومهر فيها وولي تدريس القراءات بجامع ابن طولون ، والاعادة بالشافعي ، وناب في الحكم ، وله « تفسير القرآن » ، و « الاعراب » و « شرح التسهيل » و « شرح الشاطبية » • توفي في جمادى الاولى وقيل الآخرة سنة ٧٥٦ هـ(٢) •

وفي دار الكتب بالقاهرة نسخة من كتابه المسمى بـ « الدر المصون في علم الكتاب المكنون » والموجود منه اربع مجلدات هي

---

(١) الدرر الكامنة ج١ ص ٣٤٠

(٢) ينظر بغية الوعاة ص ١٧٥ ، وحسن المحاضرة ج١ ص ٢٥٧ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٧٩

الثاني والثالث والرابع والخامس برقم ١٠٨ نحو • وقد ضاع الجزء الاول منه ولو وصل لكان لمقدمته اثر في تبيان رأيه في شيخه ابي حيان ••

ويتضح من كتاب السمين انه كان هادئا في رده في كثير من الاحيان ، وقد يكتفي بان يرد عليه فيما خطأ به المفسرين في الاعراب وغيره كما فعل في تفسير قوله تعالى « ولا تؤمنوا الا لمن تَبِعَ دِينَكم قُل إنَّ الهُدَى هُدَى اللهِ أن يُؤْتَى أحدٌ مثلَ ما أوْتيتُم او يُحاجُّوكُم عندَ ربِّكم قُلْ إنْ الفضلَ بيدِ اللهِ يُؤتيهِ من يشاءُ واللهُ واسعٌ عليمٌ »[1] • يقول « الا لمن تبع دينكم » ،على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم ، أي الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم ، لان رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان أغبط لهم • وقوله « أن يؤتى احد » معناه لأن يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر ، يعنى ان ما بكم من الحسد والبغي أن يؤتى مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم • والدليل عليه قراءة ابن كثير « أأن يؤتى أحد ؟» ــبزيادة همزة الاستفهام والتقرير والتوبيخــيعني: الا ان يؤتى احد • فان قلت فما معنى قوله « أو يحاجوكم على هذا » ؟ قلت معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به في محاجتهم لكم عند ربكم • أو ان ينتصب « ان يؤتى » بفعل مقدر يدل عليه « ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم » كأنه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى احد مثل ما أوتيتم •و«لا تنكروا» ناصب لـ « أن » وما في خبرها ، لان قوله « ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم » انكار لان يؤتى أحد مثل ما اوتوا •

قال الشيخ وهذا بعيد ، لان فيه حذف حرف النهي وحذف

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧٣

معموله ولم يحفظ ذلك من لسانهم .

قلت متى دل على العامل دليل جاز حذفه على أي حالة كان»[1] .

ومثال ذلك رده عليه تخطئته للزمخشري عند تفسير قوله تعالى « قائماً بالقسط »[2] ، يقول « قال الزمخشري واتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله تعالى « هو الحق مصدقا »[3] . قال الشيخ وليس من باب الحال المؤكدة ، لانه ليس من باب « ويوم يبعث حيا »[4] ولا من باب « أنا عبد الله شجاعا » ، و « هو زيد شجاعا» ، لكن هذا التخريج قلق في التركيب اذ يصير كقولك « أكل زيد طعاما وعائشة وفاطمة جائعاً » فيفصل بين المعطوف عليه والمعطوف بالمفعول ، وبين الحال ورب الحال بالمفعول والمعطوف ، لكن يمشيه كونها كلها معمولة لعامل واحد . انتهى .

قلت مؤاخذته له في قوله « مؤكدة » غير ظاهرة ، وذلك ان الحال على قسمين اما مؤكدة ، واما مبينة وهي الاصل . فالمبينة لا يجوز أن تكون ههنا لان المبينة تكون منتقلة ، والانتقال هنا محال اذ عدل الله لا يتغير . فان قيل لنا قسم ثالث على الحال اللازمة فكان للزمخشري منه وجه عن قوله « مؤكدة » الى قوله « لازمة » فالجواب ان كل مؤكدة لازمة ، وقيل لازمة مؤكدة فلا فرق بين العبارتين وان كان الشيخ زعم ان اصلاح العبارة يحصل بقوله « لازمة » . ويدل على ما ذكرته من ملازمة التأكيد للحال اللازمة وبالعكس الاستقراء »[5] .

وقد لا يبقى السمين على طبيعته في الرد الهاديء الرزين ، بل

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون ج٢

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٨

(٣) سورة البقرة ، الآية ٩١ ، وسورة فاطر ، الاية ٣١

(٤) سورة مريم ، الآية ١٥

(٥) الدر المصون ج٢

تشتد فيه ويطعن في أبي حيان وفي علمه ويرميه بعدم العدل وبانكاره ما جاء به من تقدمه من المفسرين ، ومثال ذلك رده عليه في تفسير قوله تعالى « شَهِدَ اللهُ أنّه لا الهَ إلا هُوَ والملائكةُ وأولو العلمِ قائما بالقسطِ لا اله الا هو العزيزُ الحكيمُ • إنّ الدين عندَ اللهِ الاسلامُ »[1] • يقول « وكان الشيخ لما ذكر الفصل والاعتراض بين كلمات هذه الآية قال ما نصه واما قراءة ابن عباس فخرجت على ان « الدين عند الله الاسلام » هو معمول « شهد» ويكون في الكلام اعتراضان

أحدهما بين المعطوف والمعطوف عليه وهو انه لا اله الا هو •

والثاني بين المعطوف والحال ، وبين المفعول لـ « شهد » وهو « لا إله الا هو العزيز الحكيم » •

واذا اعربنا « العزيز الحكيم » خبر مبتدأ محذوف كان ذلك ثلاثة اعتراضات • فانظر الى هذه التوجيهات البعيدة التي لا يقدر أحد أن يأتي بنظيرهن من كلام العرب • وانما حمل على ذلك العجمة وعدم الامعان في تراكيب كلام العرب وحفظ أشعارها ، وكما أشرنا اليه في خطبة هذا الكتاب انه لن يكفي النحو وحده في علم الفصيح من كلام العرب بل لا بد من الاطلاع على كلام العرب والتطبع بطباعها والاستكثار من ذلك » •

ثم يقول السمين راداً عليه « قلت ونسبة كلام اعلام الامة الى العجمة وعدم معرفتهم بكلام العرب وحملهم كلام الله على مالا يجوز ، وان هذا الوجه الذي ذكره هو تخريج سهل واضح ، غير مقبول ولا مسلم به ، بل المتبادر الى الذهن ما نقله الفارسي • وتلك الاعتراضات بين اثناء كلمات الآية الكريمة موجود نظيرها في كلام العرب ، وكيف يجهل الفارسي والزمخشري والفراء واضرابهم ذلك ؟ وكيف يتبجح

---

(١) سورة ال عمران ، الآيتان ١٨ و ١٩

باطلاعه على ما لم يطلع عليه هؤلاء ؟ وكيف يظن بالزمخشري انه لا يعرف مواقع النظم وهو المسلم له في علم المعاني والبيان والبديع ، ولا يشك احد انه لا بد لمن يتعرض لعلم التفسير ان يعرف جملة صالحة من هذه العلوم . وانظر الى ما حكى صاحب « الكشاف » في خطبته عن الجاحظ في حق الجاهل بهذه العلوم ، ولكن الشيخ ينكر ذلك ويدعي انه لا يحتاج الى هذه العلوم البتة ، فمن ثم صدر عنه ما ذكرته عنه »[1] .

ولكثرة ردود السمين على أبي حيان ومخالفته له وتخطئته اياه اختلف من جاء بعدهما من النحاة في الارجح والافضل ، فذهب فريق الى أن ابا حيان أفضل من السمين وان السمين مخطيء في أكثر ردوده على أبي حيان ، وذهب فريق آخر الى ان السمين أفضل من أبي حيان وانه محق في جميع ما رد به .

وقد نقل الحاج خليفة في « كشف الظنون » مثالا من اختلاف الآراء في الترجيح بين هذين الرجلين . يقول « فائدة أوردها تقي الدين في طبقاته وهي ان المولى الفاضل علي بن امر الله المعروف بابن الحنائي القاضي بالشام حضر مرة درس الشيخ العلامة بدرالدين الغزي لما ختم في الجامع الاموي من التفسير الذي صنفه وجرى فيه بينهما أبحاث منها اعتراضات السمين على شيخه أبي حيان، فقال الشيخ ان اكثرها غير وارد . وقال المولى علي والذي في اعتقادي ان اكثرها وارد . واصرا على ذلك ، ثم ان المولى المذكور كشف عن ترجمة السمين فرأى ان الحافظ ابن حجر وافقه فيه حيث قال في الدرر « صنف في حياة شيخه وناقشه فيه مناقشات كثيرة غالبها جيد » . فكتب الى الشيخ أبياتا يسأله فيها ان يكتب ما عثر الشهاب من أبحاثه فاستخرج عشرة منها ورجح فيها كلام أبي حيان وزيف اعتراضات السمين عليها وسماه بـ « الدر الثمين في المناقشة بين

---

(١) الدر المصون ج٢ ، وينظر البحر المحيط ج٢ ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨

أبي حيان والسمين » وارسلها الى القاضي • فلما وقف عليها انتصر للسمين ورجح كلامه على كلام أبي حيان ، وأجاب عن اعتراضات الشيخ بدرالدين ورَدّ كلامه في رسالة كبيرة وقف عليها علماء الشام ورجحوا كتابته على كتابة البدر وأقروا له بالفضل والتقدم »[1] •

وفي الخزانة التيمورية رسالة عنوانها « رد على اعتراضات أبي حيان للسمين » وهي رسالة تتعلق باجوبة السمين عن اعتراضات أبي حيان على مواضع من الكشاف • وقد الفها العلامة علي جلبي قنالي زادة المعروف بابن الحنائي — الذي سبق الكلام عليه — المتوفى سنة ٩٧٩هـ • اولها « يا من شرف كتاب الرسالة بختم الانبياء » وهي مع « الدر الثمين » في مخطوط خط سنة ١٩١٤ م برقم (٣٨٥) • ومنها نسخة اخرى ضمن مجموعة برقم (مجاميع ٢٦٦) وتوجد نسخة من كتاب « الدر الثمين في بعض ما ذكره أبو حيان وعارضه السمين » وهي من تأليف العلامة بدرالدين الغزي المتوفى سنة ٩٨٤هـ اولها « الحمد لله الذي شرف من رفقه بالعلم والعمل » • وهو في تزييف كلام السمين وترجيح كلام أبي حيان جزء في مجلد خط سنة ١٩١٤ برقم (٣٨٥)[2] •

من هذه المناقشات الطويلة والردود التي انتشرت بين النحاة قام فريقان ، فريق يؤيد أبا حيان ومن دافع عنه ، وآخر يؤيد السمين وأصحابه ، ومن هذه النقول نستطيع أن نعرف الى أي حد كانت ردود السمين شديدة وكثيرة ،ونستطيع أن نعلم منزلة الشيخ عند تلميذه السمين •

ابن هشام :

هو عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الانصاري الشيخ جمال‌الدين الحنبلي • ولد في ذي القعدة سنة ٧٠٨ هـ ، ولزم

(١) كشف الظنون ج١ ص ١٢٢ عن طبقات تقي‌الدين السبكي ، وينظر الدررالكامنة ج١ ص ٣٣٩ — ٣٤٠

(٢) تنظر فهرس الخزانة التيمورية ج١ ص٢٥ و ١٩٩ و ٢٠٣

الشهاب عبداللطيف بن المرحل وتلا على ابن السراج وسمع على ابي حيان ديوان زهير بن ابي سلمى ولم يلازمه ولا قرأ عليه ، وحضر دروس التاج التبريزي ، وقرأ على التاج الفاكهاني ، وتفقه للشافعي ، ثم تحنبل فحفظ مختصر الخرقي ، واتقن العربية وفاق الاقران • توفي ليلة الجمعة خامس ذي القعدة سنة احدى وستين وسبعمائة ورثاه الكثيرون •

وقد الف كتبا كثيرة في علوم مختلفة اشهرها « اوضح المسالك الى الفية ابن مالك » ، و « مغني اللبيب عن كتب الاعاريب » و « كتاب التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل والتكميل » وهو في عدة مجلدات ، و « الكواكب الدرية في شرح اللمحة البدرية » ، و « فوح الشذا في مسألة كذا » ، و « شرح شذور الذهب » ، و « قطر الندى وبل الصدى » وغيرها •

وكان ابن هشام شديد المخالفة لابي حيان شديد الانحراف عنه، وقد علل الدكتور عبداللطيف حمزة هذا الانحراف بقوله « تصدر ابن هشام لنفع الطالبين وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات الغريبة والتحقيق البارع والاطلاع المفرط والاقتدار على التصرف في الكلام والملكة التي كان يتمكن من التعبير بها عن مقصودة بما يريد مسهبا وموجزا مع التواضع والبر والشفقة ودماثة الخلق ورقة القلب ، لذلك امتازت كتب ابن هشام بالوضوح اولا وبالدقة ثانيا • ومن أجل هاتين الصفتين خالف ابن هشام استاذه في كثير من آرائه كما خالفه في طرق ادائه ، فقد كان أبو حيان معقدا بعض التعقيد بينما كان ابن هشام واضحا كل الوضوح ، وكان أبو حيان قوي الحافظة معتمدا على الرواية والنقل ، بينما كان ابن هشام

---

(١) ينظر الدرر الكامنة ج٧ ص ٣٠٨ ، وبغية الوعاة ص ٢٩٤ ، ومفتاح السعادة ج١ ص١٥٩ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٩٢

أقدر منه على الاستنباط في القياس وأكثر منه ميلا الى المناقشة »[1].

وقد أشار القدماء الى هذا الخلاف ، ويتضح موقف ابن هشام من شيخه أبي حيان في كتبه النحوية التي شرح فيها كتب شيخه أو رد عليه فيها ، ومنها « الكواكب الدرية في شرح اللمحة البدرية» وهو شرح لـ « اللمحة البدرية في علم العربية » لابي حيان . وكان غرض ابن هشام من تأليف هذا الكتاب أن يضع نكتا تكمل من أبواب « اللمحة » ما نقص ، يقول « أما بعد حمد الله حق حمده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده وآله الكرام من بعده . فهذه نكت حررتها على اللمحة البدرية في علم العربية لابي حيان الاندلسي مكملة من أبوابها ما نقص ، ومسبلة من أذيالها ما قلص ، ومستهوية لواضعها من اولي الالباب دعاء يستجاب وثناء يستطاب . والله المسؤول منه حسن التوفيق وان يسلك سالكي الخيرات أسهل طريق بمنه ويمنه »[2] .

ولما كانت « اللمحة البدرية » كتابا صغيرا مختصرا ، لان أبا حيان وضعه للمبتدئين من الطلاب ،أكثر ابن هشام من الرد عليه والاستدراك في مواضع كثيرة . وردوده على انواع فمنها ما يخطئه فيها لتحديد اصطلاح يرد عليه رأيا من الآراء مثال ذلك ما رد به عليه تحديده « الكلمة » فقد قال أبو حيان « الكلمة قول موضوع لمعنى مفرد» وقال ابن هشام « وليس قوله « موضوع لمعنى » وحده فصل كما قد توهم من لا نظر له ، لان ذلك يقتضي ان القول أعم من الموضوع المعنى وغيره ، وانه احترز عن غير الموضوع ، وهذا خطأ لما ذكرناه آنفا من ان القول لا يكون الا موضوعا . وأشد من هذا فسادا ان يتوهم ان قوله « موضوع » وحده فصل ، ولـ « معنى » فصل ثان. وفساد ذلك لامرين

---

(١) الحركة الفكرية في مصر ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩

(٢) مقدمة شرح اللمحة البدرية ص ١

أحدهما ! ما ذكرناه •

والثاني ان الوضع لا يكون الا لمعنى •

وتلخص انه لا فائدة لقوله « موضوع لمعنى » ، لان ذلك مستفاد من الجنس فلو انه قال « الكلمة قول مفرد » لكان أولى من وجهين:

احدهما انه أخصر مع تحصيله للمعنى المقصود •

الثاني انه لا يوهم غير الواقع •

فان كلامه ربما أوهم أمرين باطلين

أحدهما ان القول قد يكون غير موضوع •

والثاني ان المركب يفيد معناه بالوضع •

وانما هذا شأن المفردات التي يتولى بيانها اللغوي ، فأما المركبات فدلالتها على معناها التركيبي دلالة عقلية لا وضعية ، فان من عرف مسمى « زيد » ومسمى « قائم » وسمع « زيد قائم » باعرابه المخصوص فهم بالضرورة معنى هذا الكلام وهي نسبة « القيام » الى « زيد »[1] •

ومثال ذلك رده عليه في تحديد التمييز ، يقول بعد أن حد التمييز وقسمه « فاما ان يكون مراده ادخال ذلك في الحد او لا ، فان اراده فيكون ادخل جميع أحكام الباب تحت الحد ، وهي طريقة رديئة ركيكة ، وان اراد الثاني فباطل »[2] •

وقد يرد عليه عبارته في الكتاب مثال ذلك رده على قول أبي حيان: « واسم الفاعل ان كان فيه الالف واللام عمل ماضيا ومستقبلا وحالا نحو « جاءني الضارب زيدا أمس أو الآن أو غدا » وان لم يكونا

---

(١) شرح اللمحة البدرية ص ٢ ب

(٢) شرح اللمحة البدرية ص ٥٠

فيه لم يعمل ماضيا ، لا تقول « جاءني ضارب زيدا امس » بل يجب اضافته فتقول « ضارب زيدٍ » .

يقول ابن هشام « قوله ان كان فيه « ال » عبارة عجمة ونقص ، فاما العجمة فحصل في اسم الفاعل وكان الجيد ان يقول « ان كان بـ « أل » أو « كان مقرونا بـ « أل » ، وأما النقص فحقه أن يقيد « أل » بان تكون موصولة لانها متى قدرت للتعريف اقتضى القياس ان لا تعمل شيئا نص على ذلك اصحاب الاخفش وهو الحق لمن تأمل . وقوله « لم يعمل » كان الاولى ان يقول « لم ينصب » لانه يعمل في الفاعل الظاهر أو المضمر على الصحيح والعذر له ان كلامه في عمل النصب ولهذا قال لا تقول « جاءني ضارب زيدا أمس » بل يجب اضافته »[1] .

وقد يرد عليه في تفصيله بعض الموضوعات أو تسميته بعض الابواب بمصطلحات غير التي تعارف النحاة عليها ، مثال ذلك قوله في باب « المفعول المطلق » « وقد حرّف المؤلف ترجمة هذا الباب اذ ترجم عنه بالمصدر ، وكان الصواب ان يترجم عنه بالمفعول المطلق لثلاثة أمور

أحدها ان ذلك هو اسمه الخاص به ، والا فقولك « اعجبني القيام » ، و « كرهت الذهاب » يصدق فيه على كل من الفاعل والمفعول انه مصدر .

الثاني ان ذلك هو الاسم الصريح بكونه من المنصوبات ، وهو انما ذكر هنا لذلك لا لامر آخر .

الثالث انه يشمل جميع مسائل الباب بخلاف المصدر فانه ليس بجامع « كل » و « بعض » وما ذكر معه »[2] .

---

(١) شرح اللمحة البدرية ص ٣٦

(٢) شرح اللمحة البدرية ص ٤٥ ب

وقــد يرد عليه نقصـــا في التمثيل ، أو نقصا في التعريف ، أو اختصارا شديدا ، يقول « ولقد بالغ المصنف في الاجحاف به ماشاء، ولو يشاء أحد أن يسرد جميع أبواب النحو على هذا النحو في نحو ورقة اقتدر على ذلك ولكن لا فائدة فيه »[1] •

ومن الآراء التي خالفه فيها ذهاب أبي حيان الى أن « أو »و«أم» يشتركان في الاعراب دون الحكم ، يقول « وما اختاره هذا المؤلف من أن « أو » و « أم » يشتركان في الاعــراب دون الحكــم وهو المشهور في التصانيف ، والصحيح خلافه • وقــد بين الصبح لذي عينين »[1] •

وقد يرد عليه ويصفه بالخطل كما فعل في باب « البدل » فقد قال أبو حيان « وهو على نية تكرار العامل ، وان كان حرف جر جــاز اظهاره نحو « مررت بزيد أخيك » ، وقال ابن هشام « أقول هذه المسألة لا تليق بهذا المختصر وكان ينبغي ان يضع مكانها أهم منهــا ولكنه كما قيل

وذوخطل في القول يحسب انه مصيب فما يلمم به فهو قائله[3]

والكتاب الثاني الذي ألفه ابن هشام على كتب أبي حيان هو « فوح الشذا بمسألة كذا » وقد قال في سبب تأليفه « وبعــد فاني لما وقفت على كتاب « الشذا في أحكام كذا » لابي حيان رحمه الله تعالى رأيته لم يزد على أن نسج أقوالا وحدها ، وجمـــع عبارات وعددها ، ولم يفصح كل الافصاح عن حقيقتها واقسامها ، ولا بيّن ما يعتمد عليه مما أورده من أحكامها ، ولا نبّه على ما أجمع عليــه أرباب تلك الاقوال واتفقوا ، ولا أعرب عما اختلفوا فيــه وافترقوا ،

---

(١) شرح اللمحة ص ١٨ ب
(٢) شرح اللمحة ص ٦٩ ب
(٣) شرح اللمحة ص ٦٦

فرأيت الناظر لا يحصل منه بعد الكد والتعب الا على الاضطراب والشغب ، فاستخرت الله في وضع تأليف مهذب أبين فيه ما اجمل واستئناف تصنيف مرتب اورد فيه ما اهمل وسميته « فوح الشذا بمسألة كذا » وبالله تعالى أستعين ، وهو حسبي ونعم المعين »[1] .

ومن هذه المقدمة يتضح لنا ان الغرض من الكتاب الاستدراك على أبي حيان وتكملة ما نقص من أحكام « كذا » .. وليس في هذه الرسالة النحوية الصغيرة اشارات الى أبي حيان الا ما جاء في مقدمتها ومن هنا لا نستطيع ان نحكم على ما جاء به ابن هشام ولا نقدر أن نتصور مآخذه عليه لان رسالة الاول ضاعت ولم نعثر الا على قطعة منها في كتاب « التذييل والتكميل » وهي قطعة لا تنفع كثيرا في المقارنة بين عمل الرجلين في مسألة « كذا » .

ولم يقتصر ابن هشام في رده على ابي حيان ومخالفته اياه على ما جاء في شروحه لبعض كتبه ، انما تعرض له وخطأه وفند آراءه في أكثر كتبه النحوية الاخرى . ومن ذلك رده عليه في ذهابه الى ان « حرى » اسم وتخطئة ابن مالك في ذهابه الى انها فعل . يقول «ولا أعرف من ذكر « حرى » من النحويين غير ابن مالك ، وتوهم أبو حيان انه وهم فيها وانما هي « حرًى » بالتنوين اسما لا فعلا ، وأبو حيان هو الواهم ، بل ذكرها أصحاب كتب الافعال من اللغويين كالسرقسطي وابن طريف ، وانشدوا عليها شعرا وهو قول الاعشى

ان يقل هن من بني عبد شمس فحرى ان يكون ذاك وكانا[2]

ومن ذلك رده عليه في ذهابه الى جواز اختلاف مادتي الظرف وعامله كما في قوله تعالى « واقعدوا لهم كلَّ مرصَد »[3] فقد ذهب

---

(١) فوح الشذا بمسألة كذا ص ١٤

(٢) شرح شذور الذهب ص ٢٦٨

(٣) سورة التوبة ، الآية ٥

أبو حيان الى ان « اقعدوا » ليس على حقيقته بل معناه ارصدوهم كل مرصد ، ولما كان يصح « ارصدوهم كل مرصد » فكذا يصح « قعدت كل مرصد » ، ويجوز « قعدت مجلس زيد » و « قعدت مقعده » • يقول ابن هشام « وهذا مخالف لكلامهم اذ اشترطوا توافق مادتي الظرف وعامله ولم يكتفوا بالتوافق المعنوي كما في المصدر • والفرق ان انتصاب هذا النوع على الظرفية على خلاف القياس لكونه مختصا فينبغي ان لا يتجاوز به محل السماع • وأما نحو « قعدت جلوسا » فلا دافع له من القياس ، وقيل التقدير « اقعدوا لهم على كل مرصد » فحذف « على » كما قال

وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

أي لقضى عليّ • وقياس قول الزجاج ان يقول في « لأقعُدَنَّ لهُم صِراطَك المستقيم »[1] مثل قوله في « واقعدوا لهم كل مرصد » • والصواب في الموضعين انهما على تقدير « كل » كقولهم « ضرب زيد الظهر والبطن » فيمن نصبهما ، وان « لاقعدن » و « اقعدوا »ضمنتا معنى لالزمن والزموا »[2] •

ويصفه بانه لا يفهم نص سيبويه وانه قد أفسد كلامه فيقول في عطف الخبر على الانشاء وبالعكس « منعه البيانيون ، وابن مالك في شرح باب المفعول معه من كتاب التسهيل ، وابن عصفور في شرح الايضاح ، ونقله عن الاكثرين واجازه الصفار تلميذ ابن عصفور وجماعة مستدلين بقوله تعالى « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات »[3] في سورة البقرة ، و « بشر المؤمنين »[4] ، في سورة الصف •

---

(١) سورة الاعراف ، الاية ١٦

(٢) مغني اللبيب ج٢ ص ٥٧٦ ـ ٥٧٧

(٣) سورة البقرة ، الاية ٢٥

(٤) سورة الصف ، الاية ١٣

قال ابو حيان   وأجاز سيبويه « جاءني زيد ومن عمرو العاقلان »
على ان يكون « العاقلان » خبرا لمحذوف ، ويؤيده قوله

وان شفائي عبرة مهراقـــة   فهل عند رسم دارس من معول ؟

وقوله

تناغي غزالاً عند باب ابن‌عامر   وكَحّلْ أماقيك الحسان بأثمد

واستدل الصفار بهذا البيت

وقائلـة خولان فانكح فتاتهم   واكرومةالحيَّيْنِ خلو كما هيا

فان تقديره عند سيبويه   هذه خولان ....(1)

وأما ما نقله أبو حيان عن سيبويه فغلط عليه وانما قال   واعلم انه لا يجوز « من عبدالله وهذا زيد الرجلـين الصالحين » رفعت أو نصبت لانك لا تثني الا على من اثبته وعلمته ولا يجوز أن تخلط من تعلم ومن لا تعلم فتجعلهما بمنزلة واحدة . وقال الصفار   لما منعهـا سيبويه من جهة النعت علم ان زوال النعت يصححها . فتصـرف أبو حيان في كلام الصفار فوهم فيه ، ولا حجة فيما ذكر الصفار اذ قـد يكون للشيء مانعان ويقتصر على ذكر احدهما ، لانه الذي اقتضـاه المقام . والله اعلم »(2) .

وردود ابن هشام على أبي حيان كثيرة جدا وقد وقف من ابن مالك موقف المدافع الذي لا يكل ازاء آراء ابي حيان ومناقشاته له. وكان اشد النحاة تعصبا لابن مالك واكثرهم دفاعا عنه .

ولما كنا لا نستطيع ان نذكر جميع المواضع التي رد فيهـا ابن

---

(1) مغني اللبيب ج2 ص 483 ــ 485

(2) ينظر كتاب سيبويه ج1 ص 70 ــ 72 ، وتحصيل عين الذهب للاعلم الشنتمرى ج1 ص 70ــ72 حاشية الكتاب

هشام على أبي حيان فاننا نكتفي بذكر امثلة لذلك • منها رده عليه في جواز مجيء « كل » توكيدا لنكرة محدودة ، يقول ابن هشام :«قال الاخفش والكوفيون او لنكرة محدودة ، وعليه ففائدتها العموم وتجب اضافتها الى اسم مضمر راجع الى المؤكد نحو « فَسجد الملائكة كلهم »[1] ، قال ابن مالك وقد يخلفه الظاهر كقوله

كم قد ذكرتك لو اجزى بذكركم يا اشبه الناس كل الناس بالقمر

وخالفه أبو حيان وزعم ان « كل » في البيت نعت مثلها في «اطعمنا شاة كل شاة » وليست توكيدا » • ثم يقول مفندا رأي أبي حيان « وليس قوله بشيء ، لان التي ينعت بها دالة على الكمال لا على عموم الافراد »[2] •

ومن ذلك رده عليه في « حسب » يقول « ومنها « حسب » ولها استعمالان

احدهما ان تكون بمعنى « كافٍ » ••

والثاني ان تكون بمنزلة « لا غير » في المعنى فتستعمل مفردة وهذه هي « حسب » المتقدمة ولكنها عند قطعها عن الاضافة تجددلها اشرابها هذا المعنى ، وملازمتها للوصفية أو الحالية أو الابتدائية ، وبناؤها على الضم ، تقول « رأيت رجلا حسب » و « رأيت زيداً حسب » • قال الجوهري كانك قلت « حسبي » و « حسبك » فاضمرت ذلك ولم تنون • انتهى • وتقول « قبضت عشرة فحسب » أي فحسبي ذلك ، واقتضى كلام ابن مالك انها تعرب نصبا اذا نكرت كـ « قبل » و « بعد » • قال أبو حيان ولا وجه لنصبها لانها غير ظرف الا انه نقل عنهم نصبها حالا اذا كانت نكرة ، انتهى • » •

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٣٠ ، وسورة ص ، الاية ٧٣

(٢) مغني اللبيب ج١ ص ١٩٤

ثم يقول ابن هشام رادا على أبي حيان « ان أراد بكونها نكرة قطعها عن الاضافة اقتضى ان استعمالها حينئذ منصوبة شائع ، وانها كانت مع الاضافة معرفة وكلاهما ممنوع ، وان اراد تنكيرها مع الاضافة فلا وجه لاشتراطه التنكير حينئذ لانها لم ترد كذلك . وايضا فلا وجه لتوقفه في تجويزه انتصابها على الحال حينئذ فانه مشهورحتى انه مذكور في كتاب « الصحاح » قال تقول « هذا رجل حسبك من رجل » وتقول في المعرفة « هذا عبدالله حسبك من رجل » فتنصب حسبك على الحال ، انتهى . وايضا فلا وجه للاعتذار عن ابن مالك بذلك ، لان مراده التنكير الذي ذكره في « قبل » و « بعد » وهو ان تقطع عن الاضافة لفظا وتقديرا »[1] .

ومن ذلك تفنيده قول أبي حيان الذي رد به على ابن مالك في زيادة « الباء » في الحال المنفي عاملها ، يقول « تزاد في الحال المنفي عاملها كقوله

فما رجعت بخائبة ركاب حكيم بن المسيب منتهاها

وقوله

كائن دعيت الى بأساء داهمة فما انبعثت بمزؤودٍ ولا وكل

ذكر ذلك ابن مالك ، وخالفه أبو حيان وخرج البيتين على ان التقدير « بحاجة خائبة،وبشخص مزؤود»،أي:مذعور، ويريد بالمزؤود نفسه على حد قولهم « رأيت منه أسداً » . وهذا التخريج ظاهر في البيت الاول دون الثاني ، لان صفات الذم اذا نفيت على سبيل المبالغة لم ينتف اصلها ولهذا قيل في « وما ربك بظلامٍ للعبيد »[2] ان « فعّالا » ليس للمبالغة بل للنسب كقوله

---

(١) اوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ج٢ ص ٢١٨-٢١٩

(٢) سورة فصلت ، الآية ١٦

وليس بذي رمح فيطعنني به   وليس بذي سيف وليس بنبال

أي وما ربك بذي ظلم ، لان الله لا يظلم الناس شيئا ، ولا يقال « لقيت منه أسدا أو بحرا » أو نحو ذلك الا عند قصد المبالغة في الوصف بالاقدام او الكرم »[1] .

هذه بعض الردود التي ذكرها ابن هشام في كتبه المختلفة ، وقد رد على أبي حيان في مواضع اخرى وفند آراءه[2] . وهذه كلها تعطينا فكرة واضحة عن تحامل ابن هشام على أبي حيان .

بهاءالدين السبكي :

هو احمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي العلامة بهاءالدين أبو حامد بن شيخ الاسلام تقيالدين أبي الحسن . ولد بعد المغرب ليلة العشرين من جمادى الآخرة سنة ٧١٩ هـ ، وحضر على الحجار وسمع من يونس الدبوسي وبدر الدين بن جماعة ، واخذ العلم عن ابيه والاصبهاني وابن القماح وابي حيان ، وتلا على التقي الصائغ. تقول السيوطي « وانجب وبرع وهو شاب ، وكانت له اليد الطولى في اللسان العربي والمعاني والبيان » واسرع اليه الشيب وهو في حدود العشرين وتولى تدريس المنصورية والهكارية والسيفية والميعاد بالجامع الطولوني ، وغيرها من وظائف ابيه لما اخذ قضاء الشام ، ثم ولي تدريس الشافعي في جامع الحاكم والشيخونية اول ما بنيت وقضاء الشام سنة عوضا عن اخيه ، ولم يصنع ذلك الا حفظا للوظيفة على اخيه ، ثم ولي قضاء العسكر وافتاء دار العدل ثم خطابة الجامع

---

(١) مغني اللبيب ج١ ص ١١١

(٢) ينظر مغني اللبيب ج١ ص٢٩ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٢٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ ، و ج٢ ص٢٣٥ ، ٣٦٧ ، ٤٠٤ ، ٤٣٦ ، ٤٧٦ ، ٤٩٣ ، ٤٤٨ ، ٤٨٢ ، ٤٨٥ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥٦٧ ، ٦٩٦ ، وشرح اللمحة ص ٦٠ ، ٧٦ ، وشذور الذهب ج١ ص ١٣ ، ٩٩ والاشباه والنظائر ج ٣ ص ١٨٧ – ١٩١

الطولوني ثم ولي تدريس التفسير بالجامع الطولوني بعد الاسنوي فاجتمعت له هذه الوظائف المعظمة . وكان غالب المصريين يخدمونه لكثرة عطائه »[١] .

والف عدة كتب منها « عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح »، و « شرح مطول على الحاوي » و « وشرح مطول على مختصر ابن الحاجب » . توفي ليلة الخميس السابع والعشرين من رجب سنة ٧٧٣هـ بمكة[٢] .

وقد كانت منزلة أبي حيان عنده كمنزلته عند والده وأخيه تاج الدين ويكفينا دليلا على ذلك قصيدته التي يمدحه فيها ، ومنها

فداكم فؤاد حان للبعد فقده وصب قضى وجدا وما حال عهده
وقلب جريح بالغرام متيم وطرف قريح طال في الليل سهده

وكان أبو حيان يقابله بالمثل ولذلك أجابه على قصيدته المتقدمة بقوله

أبو حامد حتم على الناس حمده لما حاز من علم به بان رشده
غذِيّ علوم لم يزل منذ نشئه يلوح على أفق المعارف سعده
ذكي كأن قد جاحم النار ذهنه ذكاء ومن شمس الظهيرة وقده
ومن حاز في سن البلوغ فضائلا زمان اغتذى بالعي والجهل ضده[٣]

وقد نقل بهاء الدين عن شيخه كثيرا في كتابه « عروس الافراح » ومن ذلك نقله عنه عند كلامه في نوع « الباء » المقدرة في قوله تعالى: « لا تدخلوا بيوتَ النبي الا ان يؤذنَ لكم الى طعامٍ غيرَ ناظرين

(١) بغية الوعاة ص ١٤٨
(٢) ينظر بغية الوعاة ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ، والدارس في اخبار المدارس ج١ ص ٣٨ ، والدرر الكامنة ج١ ص ٢١٦
(٣) بغية الوعاة ص ١٤٩

إناه »[١]، يقول السبكي « المختار أن « أن يؤذن لكم » حال، و « الباء » مقدرة، و « غير ناظرين » حال ثان • وجوز الشيخ أبو حيان ان « الباء » للسببية، ولم يقدر الزمخشري حرفا بل قال « ان يؤذن » في معنى الظرف أي وقت ان يؤذن • وأورد عليه أبو حيان أن المصدر لا يكون في معنى الظرف وانما ذلك في المصدر الصريح نحو « أجيئك صياح الديك »، ويمتنع من جهة المعنى ان يكون « غير ناظرين » حالا من « يؤذن » وان صح من جهة الصناعة »[٢] • ونقل عنه في موضوع الاستفهام وفي مواضع اخرى[٣] •

ولم يقف بهاءالدين السبكي عندالنقل عن استاذه ابي حيان ولكنه كان ينقده ويرجح عليه غيره من علماء العربية، مثال ذلك ترجيحه رأي ابن مالك في انفصال الضمير بعد « انما »، يقول « واعلم ان انفصال الضمير بعد « انما » فيه ثلاثة اقوال

احدها انه ضرورة لايجوز الا فيالشعر وهوالمنقولعنسيبويه•

والثاني انه يجوز الفصل والوصل واليه ذهب الزجاج •

والثالث انه يجب الفصل قاله ابن مالك، وقال الشيخ أبو حيان انه غلط فاحش وجهل بلسان العرب وقول لم يقله احد ثم ردّه بقوله تعالى « إنما اشكو بَثّي وحُزني الى الله »[٤]، وقوله « إنما اعظكم بواحدة »[٥] وقوله تعالى « إنما اُمِرتُ ان اعبد ربَّ هذه البلدة »[٦]، وقوله تعالى « وانما تُوَفّون اجورَكم يوم القيامة »[٧] •

---

(١) سورة الاحزاب، الآية ٥٣

(٢) عروس الافراح ج٢ ص ٢٢٨ـ٢٢٩ (شروح التلخيص)

(٣) ينظر عروس لافراح ج٢ ص ١١٨، ١٨٩، ٢٤٧ وغيرها

(٤) سورة يوسف، الآية ٨٦

(٥) سورة سبأ، الآية ٤٦

(٦) سورة النمل، الآية ٩١

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٨٥

قال ولو كان على ما زعم لكان التركيب انما يشكو بثي وحزني انا ، وانما يعظكم بواحدة أنا وكذلك الجميع •

قلت لسان حال ابن مالك يتلو « انما اشكو بثي وحزني الى الله » ، وكلام ابن مالك هو الصواب وليس منفردا به ، وتحقيق ذلك ان ابن مالك بنى كلامه على قاعدتين •

احداهما ان « انما » للحصر وهو الذي عليه اكثر الناس •

والثاني ان المحصور بها هو الاخير لفظا وهذا الذي اجمع عليه البيانيون ، وعليه غالب الاسعمالات •

واذا ثبتت له هاتان القاعدتان صح ما ادعاه ، لانك لو وصلت لما فهم والتبس قولك « انما قمت » موضوعة لـ « لم يقع إلا القيام » فلو اردت به « ما قام الا انا » لم يفهم ذلك ولا سبيل الى فهمه الا بان تقول « انما قام انا » كما تقول « ما قام الا انا » وبهذا علم انه لا يرد ما ذكره الشيخ من الآيات ، لان كلا منها لم يقصد فيه حصر الفاعل بل حصر الاخير ، ولو قصد حصر الفاعل لانفصل كما قاله ابن مالك واجمع عليه من سلم هاتين القاعدتين وهم اكثر الناس • وقول سيبويه ان الفصل ضرورة لا يرد عليه ، لانه بناه على أن « انما » ليست للحصر فليس من شرط المحصور ان يكون هو الاخير بل يجوز ان يفصل ليكون قرينة في حصر الفاعل ، وان يصل ويريد حصر الفاعل بقرينة معينة كما صرح الشيخ ابو حيان بنقله عنه ، فثبت ان من خالف ابن مالك في المسألة لم يخالفه في هذا الحكم انما خالفه فيما بنى عليه من القاعدتين اما في الاولى واما في الثانية ، فيظهر ان الحق مع ابن مالك • وانظر الى قول ابن مالك يتعين انفصال الضمير ان حصر بـ « انما » فانك ان تأملته لم تستطع ان تقول خلافا لسيبويه فانه لم يقل يتعين انفصاله بعد « انما » بل قال ان حصر بـ « انما » وسيبويه لا يقول ان حصر بـ « انما » لا ينفصل بل يقول الحصر

بـ « انما » لا وجود له فهما كلامان لم يتواردا على محل واحد ، ولو قيل لسيبويه ما تقول لو وقع الحصر بـ « انما » في انفصال الضمير ؟ لما علمنا ما يقول ، والظاهر انه يقول بالفصل »[1] •

ناظر الجيش :

هو محمد بن يوسف بن احمد بن عبدالدائم الحلبي محب الدين ناظر الجيش • ولد سنة ٦٩٧ هـ واشتغل ببلاده ثم قدم القاهرة ولازم أبا حيان وجلال‌الدين القزويني وتاج‌الدين التبريزي ، وتلا بالسبع على التقي الصائغ ومهر في العربية وغيرها • ودرس بالمنصورية في التفسير، وكان له في الحساب يد طولى ، ثم ولي نظر الجيش وغيره ، توفي في ثاني عشر ذي الحجة سنة ٧٧٨هـ[2] • ومن كتبه « شرح التلخيص » و « شرح التسهيل » • والثاني هو الذي يعنينا في هذا البحث ، لان مؤلفه اعتنى فيه بالاجوبة الجيدة عن اعتراضات ابي حيان •

و « شرح التسهيل » لناظر الجيش هو المسمى بـ « تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد »،ومنه ستة اجزاء في دار الكتب بالقاهرة وهي

الاول وقد سقطت الورقة الاولى منه ، والثاني كله مفقود الا الورقة الاولى والاخيرة منه ، والثالث والرابع والخامس ، والسادس وقد سقطت ست عشرة صفحة من آخره •

وقد مدح ناظر الجيش شيخه أبا حيان في مقدمة الكتاب وسماه « شيخ زمانه وعالم أوانه ، وحيد دهره في علم العربية ، وفريد عصره في الفنون الادبية » • ويقول عنه « شيخنا أثيرالدين أبو حيان محمد بن يوسف الجياني الغرناطي امتع الله بفوائده الجمة ، وأهدى الى روحه روح الرضى والرحمة ، ففتح مغالقه المعضلة ، وفك تراكيبه

---

(١) عروس الافراح ج٢ ص ١٩٤ – ١٩٦

(٢) ينظر بغية الوعاة ص ١١٨ – ١١٩ ، وحسن المحاضرة ج١ ص ٢٥٧

المشكلة ، وأجمل في تفصيل معانيه المجملة ، فتم بذلك التكميل الارب، واقبل المشتغلون ينسلون اليه من كل حدب ، ثم اقتضت همه العلية ، ومقاصده المرضية ان يضيف الى ما وضعه شرح بقية الكتاب ليكون مصنفا مستقلا ، وغماما على المتعطشين مستهلا ، فوضع كتابا كبيرا سابغ الذيول جم النقول ، عزيز الفوائد كثير الامثلة والشواهد ، اطال فيه الكلام ونشر الاقسام »[1] .

ثم أخذ يبين عيوب هذا الشرح فيقول « الا انه جمع فيه بين الدر والصدف ، ومزج بسنا نوره غبشة السدف ، وتحامل في الرد والمؤاخذات تحاملا بينا ، وبالغ حتى صارت المناضلة عن المصنف لازمة والانتصار له متعينا . ولقد خرج الكتاب المذكور بسبب الاطالة عن مقصود الشرح ، وصار فيه للمتأمل سبيل الى القدح ، مع ان المعتني بحمل الكتاب لا يحظى منه بطائل ولا يظفر ببغيته الا بعد قطع مهامه وطي مراحل » .

وقد ألف ناظر الجيش كتابه هذا ليردّ فيه على أبي حيان تحامله على ابن مالك ، ويجيب عن اعتراضاته عليه ، ويخرج شرحا جيدا يكون بين شرح أبي حيان وشرح ابن مالك ، يقول « وأما شرح المصنف فالناظر فيه لا يرضيه الاقتصار عليه ، ولا يقنعه ما يجده لديه ، بل تتشوق نفسه الى زيادات الشرح الكبير ، ويرى انه اذ لم يحظ بها علما كان منسوبا الى التقصير ، فرأيت ان أضرب بقدح وارجو ان يكون القدح المعلى بين القدحين ، وان اضع على هذا التصنيف ما هو جامع لمقاصد الشرحين ، واتوخى الجواب ما يمكن عن مؤاخذات الشيخ ومناقشاته بالبحوث الصحيحة والنقود الصريحة مع ذكر زيادات انفرد بها هذا الكتاب ، وتنقيحات يرغب فيها المتيقظون من الطلاب ، فشرعت في ذلك مستمدا من الله تعالى أن يوفقني لسبيل الرشاد ، وان

---

(١) تمهيد القواعد جا ص ٢ (نسخة دار الكتب برقم ٣٤٩)

يهديني الى الصحة والسداد ، وان يعينني بتوفيقه على بلوغ الغرض واكمال المراد ، وسميته « تمهيد القواعد »[1] •

من هذه الكلمات نستطيع ان نعرف منزلة أبي حيان عند ناظر الجيش ، فهو يقدره ويعظمه ويعتبره عالم زمانه وفريد عصره ووحيد دهره ويقدر عمله في كتابه « التكميل لشرح التسهيل » لكنه يعيب عليه كثرة تعصبه على ابن مالك وردوده المتحاملة عليه • ولما كان أبو حيان يرد على ابن مالك في اكثر موضوعات « التسهيل »كان ناظر الجيش يفند آراء أبي حيان ويخطئها في جميع أبواب كتابه الكبير، ولا يخلو باب من أبواب الكتاب من رد أو ردين ، بل ربما تستمر الردود ويلحق بعضها بعضا • ولما كانت الردود كثيرة جدا وليس من السهل حصرها نكتفي هنا بذكر بعض الامثلة

فمن ذلك رده على أبي حيان عند شرحه قول ابن مالك «الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تخصيصا أو تقديرا أو منوي معه لذلك » • يقول ناظر الجيش « ثم هنا أبحاث المبحث الاول استدرك الشيخ على المصنف ان « اللفظ جنس » بعيد لصدقه على المهمل والمستعمل، و « القول » أقرب منه لعدم صدقه على المهمل فكان الاتيان به اولى• والجواب انه انما يلزم الاتيان بالجنس القريب في الحد التام ، ولم يذكر ذلك المصنف على انه تام ، بل لم يتمحض كونه حدا فقد سماه رسما ، وبتقدير كونه حدا تاما فالاتيان باللفظ أولى ، لان « القول» يطلق على الرأي والاعتقاد مجازا،وطلب حتى صار كأنه حقيقة فرفض ذكره في الحدّ لئلا يوهم دخول غير المراد فيه • وعدل الى الجنس البعيد لعدم الابهام ، ولا يكفي في الجواب ان يقال « القول » يطلق على المهمل كما هو رأي بعضهم ، لان المصنف لا يرى ذلك ، والقول عنده مخصوص بالمستعمل » • ثم يقول « قال الشيخ انما احتاج

---

(١) تمهيد لقواعد ج١ ص ٢

المصنف للاحتراز عن بعض اسم وبعض فعل لانه أحد الجنس البعيد وهو اللفظ ، ولواحد القريب وهو القول لم يحتج الى التحرز بـ « مستقل » لان بعض فعل لا يقال له قول . انتهى .

وليس كما ذكره ، لانه اذا صدق عليه انه لفظ دال بالوضع كما يراه المصنف صدق عليه انه قول جزما ، فلو ذكر القول عوض اللفظ لم يستغن عن « مستقل » ايضا » . ويقول بعد ذلك « وقال الشيخ أيضا يقول المصنف انه احترز بقوله « دال بالوضع » عن المهمل ، ليس بجيد ، لان قبل هذا الفصل فصل الاستقلال ، واللفظ المهمل لا يدخل تحت قوله « مستقل » فيحتاج ان يحترز عنه بما ذكره . انتهى .

وهذا عجب من الشيخ فان الفصل الذي هو « مستقل » مقدم لفظا والنية به التأخير ، وقد تقدم ان المصنف حكم على ياء النسب واخواتها بان كل واحد منها لفظ دال بالوضع ، وليس بكلمة لكونه غير مستقل فبين ان مراده ما قلناه ، واذا كان كذلك لا يتوجب ما ذكره الشيخ »[1] .

ومن ذلك رده عليه في « اسماء الافعال » ، يقول « اورد الشيخ على قول المصنف في « وشكان »و « بطآن » « وامتنعت الحرفية بكونهما عمدتين » ، فقال العمدة في الاصطلاح ما كان مرفوعا ولا يصح ذلك في هذين الاسمين ، لانه لم يذهب احد الى انهما في موضع رفع ، ومن جعل لاسماء الافعال موضعا من الاعراب انما جعله نصبا » قال « ويحتمل ان يريد بالعمدة هنا انها أحد ركني الاسناد ولكنه ليس المصطلح ، ويلزم منه ان يكون « قام » من قولنا « قام زيد » عمدة » . انتهى .

أما قوله انه لم يذهب أحد الى انهما في موضع رفع ، فقد ذكر ابن

---

(١) ينظر تمهيد القواعد ج١ ص ٥-١٢

الحاجب رحمه الله تعالى في موضع اسماء الافعال انه يجوز ان يكون رفعا وان يكون نصبا وقرر ذلك بما يوقف عليه في كلامه ، والتزام ان « قام » من « قام زيد » عمدة لا يغير ، لان العمدة هنا المراد بها ما لا يستغنى عنه في التركيب الاسنادي و « قام » أحد ركني الاسناد »[1] .

ومن ذلك رده عليه عند شرح قول ابن مالك في باب المستثنى « وهو المخرج تحقيقا أو تقديرا من مذكور أو متروك بـ « لا » أو ما بمعناها شرط الفائدة » . يقول ناظر الجيش « قال الشيخ بدأ المصنف بـ « لا » لانها أم الباب لكثرة تصرفها اذ يستعمل ما قبلها تاما وغير تام ولا يستعمل غيرها الا حيث يكون تاما الا « غير » فانها تستعمل استعمال « الا » الا ان الغالب عليها الوصفية بخلاف « الا » فان الغالب عليها الاستثناء ، ويستعمل « الا » بين الصفة والموصوف ، وبين الحال وصاحبها ، وتقع بعدها « قلما » فصح ان تكون صفة كالجمل الاسمية والفعلية ، وكذا قال سيبويه حرف الاستثناء « الا » بمعنى انه حرفه الموضوع له الاصلي فيه . قال الشيخ قدم المصنف ذكر نوعي الاستثناء المتصل والمنفصل ، وذكر ان الاخراج يكون بـ « الا » او ما بمعناها ولا يستوي في الادوات التي بمعنى « الا » الاستثناءات فان الافعال لا يستثنى بها المنفصل كـ « خلا » و «عدا» وأختيها ، فكان ينبغي ان يبين ذلك اذ ظاهر كلامه التسوية . انتهى .

وليس هذا موضع تبيين ما يختص بالمتصل والمنقطع من الادوات حتى ينبغي له ذلك ، وليس أيضا في كلامه ما يقتضي عموم ادخال كل الادوات في الاستثناء فلزم من كلامه التسوية المشار اليها »[2] .

ومن ذلك ردّه عليه اضطرابه وتناقض آرائه عند شرحه قول

---

(١) تمهيد القواعد ج١ ص ١٥
(٢) تمهيد القواعد ج٣ ص ٢٧ب–٢٨

ابن مالك « ينتصب الفعل بـ « أن » لازمة الاضمار بعد اللام المؤكدة لنفي في خبر « كان » ماضية لفظا أو معنى ، وبعد « حتى » المرادفة لـ « الى » او « كي » الجارة او «الا أن » .

يقول ناظر الجيش « ومنها ان المصنف انما قيد « حتى »بقوله: المرادفة لـ « الى » او « كي » الجارة احترازا من « حتى » التي هي لابتداء الغاية ومن « حتى »العاطفة ، واما قوله انها ترادف «الا ان» مستدلا بقول الشاعر

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

وقال الشيخ الذي ذكره معظم النحويين في معنى « حتى » اذا انتصب ما بعدها انها تكون للغاية أو التعليل فهي تنصب عندهم على أحد هذين المعنيين ، واما ان تكون بمعنى « الا ان » فتكون للاستثناء فذكره هذا المصنف . قال وقد اغنانا ابنه في الرد على ابيه في ذلك فقال ــ يعني بدرالدين ــ « وارى انك لو جعلت « الى ان» مكان « حتى » لم يكن المعنى فاسدا . قال الشيخ « واذا احتمل ان يكون « حتى » فيه للغاية فلا دليل في البيت على ان « حتى » بمعنى « الا ان » . انتهى .

ولا شك ان تقدير « الى ان » في البيت المذكور يلزم منه ان يكون مقصود الشاعر ان السماحة انما يوصف بها من كان له مال كثير فكان يجود منه الى ان قل ما له ثم انه استمر يجود مع قلة ماله ، والظاهر ان مقصود الشاعر ان السماحة لا يوصف بها الا من يجود مع كونه قليل المال في الاصل ، وجاء منه ابتداء . واذا كان كذلك تعين في البيت تقدير « الا ان » وامتنع تقدير « الى ان » ، على ان الشيخ بعد كلامه الذي نقلناه عنه قال « وقال ابن هشام في حديث « كل مولود يولد على الفطرة » بعد بحث كثير قال « وعندي انه يجوز ان يكون « على الفطرة » حالا من الضمير ، و « يولد » في

موضع الخبر بسبب هـــذه الافادة ، و « حتى » بمعنى « الا ان » المنقطعة كأنه قيل الا ان يكون ابواه يهودانه او ينصرانه والمعنى ولكن ابواه يهودانه أو ينصرانه ، وقد ذكر النحويون هذا المعنى في اقسام « حتى » ومنه قول امريء القيس

والله لا يذهب سخي باطــلا حتى ابيد مالكا وكاهـــلا

المعنى الا ان يبيد ، وهو منقطع بمعنى « لكن أبِيد » ، وقال سيبويه: « واما قولهم « والله لا افعل الا ان يفعل » فان « يفعل » في موضع نصب وليس بمبتدأ ، والمعنى « حتى يفعل » وكأنه قال « او يفعل» وقد بين ان « او يفعل » اذا نصب الفعل بعدها بمعنى « الا ان » فهذا بيان من كلامهم • انتهى •

ويكفي هذا الذي نقله الشيخ عن ابن هشام وما ذكره ابن هشام من كلام سيبويه في صحـــة ما ذكره المصنف فكيف يقول الشـــيخ « واما ان تكون بمعنى « الا ان » فيكون للاستثناء فذكره هـــذا المصنف ثم تقول وقد اغنانا ابنه عن الرد على ابيه في ذلك ؟ »[1] •

وقد ردّ ناظر الجيش على ابي حيان عند شرحه قول ابن مالك « فان تماثلت اربعة ولا اصل المكلمة غيرها عمهما الاصالة مطلقا خلافا للكوفيين والزجاج في نحو « كبكبه » مما يفهم المعنى بسقوط ثالثه، فان كان للكالمة اصل غير الاربعة حكم بزيادة ثاني المتماثلات وثالثها في نحو « صَمَحْمَح » ، وثالثها ورابعها في نحو « مرمريس » •

وثاني المثلين اولى بالزيادة في نحو « اقعنسس » لوقوعه موقع الف « احرنبى » ، واولهما اولى في مثل « علّم » لوقوعه موقع الف « فاعل » وياء « فيعل » وواو « فوعل » •

---

(١) تمهيد القواعد ج٥ ص ١٠٨-١٠٩ وينظر ص ١٠٦ ، وينظر كتاب سيبويه ج٢ ص ٤٠٧ و ٤١٣ و وما بعدها

قال ناظر الجيش بعد ان نقل الآراء المختلفة فيها « وقال الشيخ: لم يتعرض المصنف هنا لتحرير مذهبه في أحد المضاعفين على الاطلاق ايهما زائد ، انما حكم بزيادة الثاني والثالث من « صَمَحْمَح »ونحوه، والثالث والرابع في « مرمريس » ، وان الثاني في نحو « اقعنسس» والاول في نحو « علّم » اولى بالزيادة قال وهذا التفصيل الذي ذكره ليس مذهبا لاحد وانما هو احداث قول ثالث جريا على عادته • انتهى •

وقد تبين ان كلام المصنف يوافق كلام الناس ولا يخالفه ، اما في « صمحمح » فقد تقدم ان النحاة متفقون على ان الحاء الاولى من «صمحمح »هي الزائدة لقول العرب في الجمع«صَمامح»وفي التصغير: « صُمَيْمِح » فلو لم تكن الحاء زائدة لم تحذف • وأما نحو « اقعنسس » و « علّم » فقد تقدم ذكر الخلاف في الزائد اي حرف هو ، وتقدم ان سيبويه جوز أن يكون الاول وان يكون الثاني[1] ، فالمصنف غاية ما فعل انه جوز الامرين كما هو رأي سيبويه لكنه جعل الاولى في بعض المواضع الاول وجعله في بعضها الثاني ، واذا كان كذلك فكيف يقال انه احدث قولا ثالثا ؟ وقد فعل ابن ابي الربيع كما قال المصنف فانه جزم بزيادة الحاء الاولى من « صَمَحْمح » وبزيادة السين الثانية في « اقعنسس » للدليل الذي تقدم ذكره ، وجوز في نحو « سلّم » الوجهين ، واذا حملنا الاولوية في كلام المصنف على الرجحان وهو الظاهر افاد انه يجوّز الوجهين ثم انه رجح احدهما لما ذكره • وقد تبين لك ان الحاء الاولى في « صَمَحْمَح » هي الزائدة للدليل الذي ذكروه • وقد علمت ان الميم الواقعة بعدها محكوم بزيادتها ايضا اذ لو لم يحكم بزيادتها لزم الفصل بين المكررين بحرف اصلي وانما يفصل بينهما بحرف زائد •• واما « مرمريس » فانما حكم

(١) ينظر كتاب سيبويه ج٢ ص ٣٥٤ – ٣٥٥

فيه بزيادة الميم الثانية لقولهم « مرمريس » و « مراريس » فحذفوها في التصغير والتكسير ، واما الراء الثانية فانما حكم بزيادتها ، لانه قد علم مما تقدم ان الفاء لا تكرر وحدها وانما تكرر مع العين فلزم من اجل ذلك الحكم بزيادة « الراء » تبعا للحكم بزيادة « الميم » .

واما « اقعنسس » فانما حكم بزيادة السين الثانية فيه وجوبا او اختيارا ، على رأي المصنف لوقوعها موقع الف« احرنبى » ... ، واما على رأي ابن ابي الربيع فلانه ملحق بـ « احرنجم » والنون من « احرنجم » واقعة بين اصلين فيجب وقوعها بين اصلين ايضا ، واذا كانت السين الاولى هي الاصلية تعين ان الزائدة هي الثانية . واما « علّم » فقد حكم المصنف فيه بزيادة الاول لوقوعه موقع احرف العلة في « فاعل » و « فيعل » و « فوعل » ... ولكن هذا الذي علل به المصنف معارض بان يقال الزائد هو الثاني لوقوعه موقع واو « جهور » وياء « عثير » وقد علمت ان ابن ابي الربيع اجاز الامرين على السواء من غير ترجيح وهذا هو الظاهر.»[1] .

واطال ناظر الجيش الرد على ابي حيان وناقشه في رده على قول ابن مالك في « باب المصادر » « وربما ورد كذلك مصدر « فوعل » ويقال « فَعّل ــ فعّالا » » و « فاعل ــ فيعالا » و « تفعّل ــ تفعّالا » و « افعللّ ــ فُعَلّيلَة » و « فعْلَل ــ فعللى و فعلُلا » وندر « فعّال » غير مصدر ما لم تبدل اول عينيه ياء ،واندر منه « فيعال » غير مصدر ، وقد يغني في التكثير عن « التفعيل » « التفعال » او « الفعيلى » ويغني « الفعيلى » ايضا عن « التفاعل »» . ثم تعجب من اضطرابه في رده على ابن مالك .

يقول ناظر الجيش « قال الشيخ « كذلك » اشارة فيها ايهام،

---

(١) تمهيد القراعد ج٦ ص ١٠٢ وينظر ص ٩٩ و ١٠٠

لانه تقدمت له ثلاثة احكام منها قوله ان مصدر الملحق بـ « فعلل »
يأتي على مماثلة « فعللة » او « فعلال » ، ومنها ان فتح « فعلال » ان
كان مضعفا جائز ، ومنها ان الغالب ان يراد به حينئذ اسم الفاعل ،قال:
وانما يريد من هذه المحتملات بقوله وربما ورد كذلك ، أي بكسر
اوله وزيادة الف قبل آخره مصدر « فوعل » ومثّل ذلك بالحيقال
فانه يقال « حوقل حوقلة وحيقالا » و « حوقلة » هو المصدر المنقاس،
وقالوا « الحيقال » كما قالوا « سرهاف » واصله « حوقال »
فانقلب الواو ياء لانكسار ما قبلها . انتهى .

ولا يظهر لي ان مراد المصنف كما قاله الشيخ وذلك لان
« حوقل » ملحق بـ « دحرج » ولا شك ان مجيء مصدر الملحق انما
يكون على قياس مجيء مصدر الملحق به حتى كان المصدر ملحقا بالمصدر
ايضا ، وقد قال ابن يعيش في شرح المفصل لما انشد هذا البيت وهو

يا قوم قد حوقلت او دنوت وشر حيقال الرجال الموت

قال « ففيعال هنا ملحق بـ « فعلال » نحو « سرهاف » انتهى»[1]،
وعلم من هذا ان مصدر « حوقل » يتعين كونه على مثال « فيعال »
واذا كان كذلك فالمصنف قد عرفنا ان مصدر « فعلل » والملحق به كما
يأتي على « الفعللة » يأتي على « الفِعلال » بكسر اوله وزيادة
الف قبل آخره ، فما كان بعد ذكره ذلك ليذكره ثانيا اذ لا فائدة في
ذلك ، والظاهر ان المراد من قوله «وربما وردكذلك مصدر «فوعل»»:
الاشارة الى الفتح في قوله « وفتح اول هذا ان كان كالزلزال جائز
لكن اذا فتح الاول وجبت سلامة الواو فيقال « حَوقال » ، اذ
لا موجب حينئذ لقلب الواو ياء ، ثم ان المصنف اشار بعد ذلك الى
مصادر لخمسة افعال جاءت على غير القياس الذي تقدمت الاشارة اليه
وهي « فَعَّل » و « فاعل » و « تفعَّل » و « افعَلَلّ »و « فعلل ».

(١) ينظر شرح المفصل لابن يعيش ج٧ ص ١٥٥

فأما « فَعَّل » ، فان مصدره جاء على « فعّال » قالوا « كلمته كِلاما » وقد عرف ان قياسه « التكليم » وقال الله تعالى « وكذبوا بآياتنا كِذّابا »[1] ، واما « فاعل » فان مصدره جاء على «الفيعال» قالوا « ضاربته ضيرابا » وقد عرفت ان قياسه « الضِراب والمضاربة » ، وأما « تَفَعَّل » فان مصدره جاء على « تفعال » قالوا « تحملته تحمّالا » ، وقد عرف ان قياسه « التحمّل » ، واما « افعَلَلّ » فان مصدره جاء « فُعلِّيلة » كـ « قشعريرة وطمأنينة » ، وقد عرف ان قياسه « الاقشعرار والاطمئنان » ،

ويقول ناظر الجيش بعد ذلك « واعلم ان الشيخ ناقش المصنف في جعله « القشعريرة ، والطمأنينة » من المصادر مستندا الى قول سيبويه رحمه الله تعالى:« فمنزلة اقشعررت من القشعريرة ، واطمأننت من الطمأنينة بمنزلة « انبت » من النبات »[2] ، ، قال الشيخ «يريد يعني سيبويه ــ ان القشعريرة والطمأنينة اسمان وليسا بمصدرين لهذين الفعلين وان كانا قد يوضعان في موضع المصدر كما ان«النبات» ليس بمصدر لـ « انبت » ولكن يوضع موضعه ، انتهى ،

واذا حقق الامر لا يتوجه على المصنف مناقشة ، لانه لم يصرح بالمصدرية ، وانما ذكر انه يقال « افعلل » « فعلّيلة » ، فان ثبت ان « فعلّيلة » مصدر فيها والا فهي اسم موضوع موضع المصدر كما ان النبات ليس بمصدر ولكنه وضع موضعه كما في قوله تعالى « والله انبتكم من الارض نباتا »[3] ،والحاصل ان المصنف قال « وقديقال « فعّل فعّالا » وكذا وكذا الى آخرها ، فما كان منها مصدرا حكم بمصدريته وما لم يكن مصدرا حكم بانه اسم للمصدر ، والعجب ان الشيخ ناقش المصنف كما عرفت في كونه يطلق المصدر على ما هو اسم

---

(١) سورة النبأ ، الآية ٢٨

(٢) كتاب سيبويه ج٢ ص ٢٤٥-٢٤٦

(٣) سورة نوح ، الآية ١٧

مصدر ثم انه اورد بعد ذلك جملة الفاظ ذكر انها مصـادر وانما هي اسماء للمصادر ، اما « فَعلَل » فان مصدره جـاء على « فعللى » كقهقرى وقرطبى ، يقال « قرطب القرطبى » اذا زلق فوقع على قفار ظهره ، وجاء أيضا على « فُعللاء » مثاله « قرفص القرفصاء » قال الشاعر

جلوس القرفصاء لذي مكاو فما تنسـاخ نفسـي لانبسـاط

قال الشيخ وقد تعرض المصنف في هذا الباب لبعض المصـادر الخارجة عن القياس في ما زاد فعلها على ثلاثة احرف ، ونحن نذكر من ذلك جملة ، ثم ذكر من مصادر « افعل » « فَعال » نحو :«انبت نباتا» و«اعطى عطاء»،و«فَعْلاً » كـ « اقرض ـ قرضا » و « اغلق ـ غلقا » ، و « فُعلَى » و « فَعْلَى » نحو « افتى فُتيا وفتوى » و « ابقى عليـه بقيا ـ وبقوى » ، و « ارعى عليه » ـ بمعنى « ابقى عليه » ـ « عيا ورعَوى » و « اعدى ـ عدوى » ، و « فعيلـة » نحو « آلى ـ اليّة » ، و « فَعْلَة » نحو « اطاق ـ طاقة » و « اجاب ـ جابة » ، و « أطاع ـ طاعة » و « اغار ـ غارة » • هـذا في المعتل ، وجاء في الصحيح « ارزمت السماء ـ رزمة » و « أجلب القوم ـ جلبـة » ، و « فُعْلاً » كـ « الحضـر » و « اليُسر » و « العسر » و « النذر » و « القبل » و « الدبر » و « الفحش » و « الهجر » ، قال « كلها بمعنى « الافعال » من « افعل » تقول « ايسر ايسارا » وكذا باقيها » • قال « فهذه سبعة ابنية جاءت مصادر لـ « افعل » وهي مخالفة للقياس » •

وذكر في مصادر :«تفعّل » « فعلياء » نحو « تكبّر كبرياء »، و « فعلوتـا » نحو « تجبَّر ـ جبروتـا » ، و « فعولا » نحو « توضأ ـ وضوءا » ، و « تطهر ـ طهورا » • ومنهم من لم يثبت « فعولا»في المصادر الا قليلا،وخرج هذا على ان « وضوء وطهوراً »• صفتان لمصدرين محذوفين ، الاصل توضأ توضؤٌ وضوءٌ ، وتطهر

تطهراً طهوراً ، واقول ان بُعْدَ هذا التخريج لا يخفى •

قال الشيخ ولم يحك احد موثوق به « الوضوء » بضم الواو لشيء من الاشياء ، وقد يكون « الطهور » • و « تفعُلة » مثاله « تقدم تقدمة » • وذكر من مصادر « افتعل » « فُعَلَــة » نحو « اتأد ــ تؤدة » ، و «اتأب ــ تؤبة » ، و « فِعَلَةَ » نحو « احتاط ــ حِوَطة و حيطة » ، و « فِعْلَة » نحو « اختلف ــ خلفــة » ، و « اغتاب ــ غيبة » و « فَعْلَة » نحو « احتار ــ حيرة » • وذكر من مصادر « تفعّل » « فِعْلَة » نحو « اطَّيَّر ــ طيرة » ، و « فَعَلَة » نحو « تأنى ــ أناة » • وذكر من مصادر « استفعل « فَعْلَة » نحو « استراح ــ راحة » • وذكر من مصادر: «فاعَلَ»: « فاعلة » نحو « عافاه الله عافية » ، بمعنى معــافاة ، ثم قال « وجميع هذا الفصل يسميه بعض النحويين اسما بمعنى المصدر انتهى » •

ثم قال ناظر الجيش « واذا كان الامر عند معظم النحويين كما ذكر فكيف اورد ما ذكره على انه من المصادر على ما يعطيه كلامه في الشرح ؟ ولا شك ان هــذه الكلمات التي ذكرها اســماء مصادر واذا كانت كذلك فلا استدراك بها على المصنف ولا على غيره ، وربما بقيت اسماء اخر للمصادر لم يذكرها الشيخ اذ لا حاجة الى ذكر ذلك من أصله ، لان المقصود انما هو معرفة ما هو مصدر اذ التبويب له فاذا علمنا الصيغة التي يختص بها مصدر كل فعل علمنا أنَّ ما ورد غير ذلك مما فيه دلالة على ما دل عليه المصدر يُعَدّ من اسماء المصادر •

وقال واعلم ان المصنف لما ذكر ان « فعّالاً » و « فيعالا » يكونان مصدرين اشار الى ان هاتين الصيغتين قد تأتيان غير مصدرين في الندور بقوله « وندر « فعّالاً » غير مصدر ما لم يبدل اول عينيه ياء ، واندر منه « فيعال » غير مصدر ، فاما « فعّال » غير مصــدر فنحو « قثّاء » و « حنّاء » ، واما « فيعال » غير مصــدر فنحو

« ناقة ميلاع » ، فان « ميلاعا » صفة ، ونحو « ديماس » ايضا .
واما تقييده « فِعّالا» بقوله « ما لم يبدل اول عينيه ياء » ، فقال فيه الشيخ « ذلك نحو شيراز وقيراط وديباج في قول من قال « ديبيج ودياييج » بالياء فانه يكون من باب « فيعال » غير المصدر ، وغير المبدل من اول عينيه ياء وزنه « فعّال » واصله « قرّاط ودبّاج وشرّاز » بدليل قولهم في الجمع « قراريط » و « دبابيج » في احد القولين فيه و « شراريز » . انتهى . .

ولم يظهر لي انطباق ما قاله على عبارة المصنف . ثم اشار — اعني المصنف — الى ان « التفعال » يغني في التكثير عن « التفعيل » وان « الفعّيلى » يغني فيه عنه أيضا ، فاما « التَّفعال » فمثاله «التضراب» و « الترداد » و « التجوال » و « التقتال » و « التطواف » ، ومنه قول طرفة

وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي

وقال الشيخ « وليس بمصدر جار الا ان ظاهر كلام النحويين فيه انه مقيس » .

ثم قال « وقوله — يعني المصنف — « وقد يغني عن«التفعيل»» ، مشعر بان « التفعال » يغني عن « التفعيل » وانه يكون مصدرا للفعل الذي يراد به التكثير الذي هو على وزن « فعّلَ » اذ مصدره « تفعيل » ، وليس الامر كذلك على مذهب البصريين ، لان « التفعال» عندهم يدل على المصدر الكثير لا انه مبني على « فعّل » الذي يراد به الكثرة ، قال سيبويه رحمه الله تعالى « هذا باب ما تكثر فيه المصدر من « فعّلت » حين كثرت الفعل ، وذلك قولك في « الهدر التهدار » ، وفي « اللعب التلعاب » وفي « الرد الترداد » وفي « الصفق التصفاق » وفي « الجولان التجوال » و « التقتال » و « التسيار » ليس شيء من هذا مصدر « فعّلت » ولكن لما اردت

التكثير بنيت المصدر على هـذا كما بنيت « فَعَلْتُ » على « فَعَّلْتُ »[1] .

قال الشيخ « فجعل سيبويه « التفعال » تكثيرا للمصدر الذي هو للفعل الثلاثي ، « فالتهدار » بمنزلة الهدر الكثير و « التلعاب » بمنزلة اللعب الكثير . وذهب الفراء وغيره من اهل الكوفة الى ان « التفعال » بمنزلة « التفعيل » والالف عوض من الياء فيجعلون الف « التكرار » ونحوه بمنزلة « يا » « التكرير » ونحوه وهو ظاهر قول المصنف اذ قال « ويغني عن « التفعيل » « التفعال » فيرى الفراء ومن قال بقوله ان « الترداد » من « رَدَّدَ » و « التطواف » من « طوّف » بتشديد العين ، والصحيح ما ذهب اليه سيبويه ، لانه يقال « التلعاب » ولا يقال « التلعيب » فلو كان « التفعال » مصدرا لـ « فعّلَ » المشدد العين لسمع فيه « التلعيب » كما سمع في كل مصدر لـ « فعّل » .

قال ناظر الجيش :«واقول ان ما يدل على صحة ما قالهسيبويه بيت طرفة المتقدم الانشاد ، لانه يريد :« وما زال شربي الحمور » .

ثم قال الشيخ « وهذه المصادر التي جاءت على « تفعال » هي بفتح التاء ، فاما قولهم « التبيان » و « التلقاء » فانهما اسمان وضعا موضع المصدر قال الراعي

املت خيرك هل تدنو مواعده فاليوم قصر عن تلقائك الامل

يريد بالتلقاء اللقاء . وزعم الاعلم ان هذه المكسورة الاول جاءت نادرة على الشذوذ بالكسر ومعناها التكثير ، وهو فاسد مخالف لنص سيبويه[2] ، ومعنى البيت انه اعطاه عند لقائه اكثر مما امل » .

ولم يبين الشيخ فساد القول بان « التبيان » و « التلقاء »

---

(١) كتاب سيبويه ج٢ ص ٢٤٥

(٢) الكتاب ج٢ ص ٢٤٥ ، وينظر الهامش للاعلم الشنتمري ج٢ ص ٢٤٥ ايضا

مصدران،واما نص سيبويه فلم يذكره ، وقد حكم ابو البقاء العكبري بمصدريتهما ، فانه قال « وليس في المصادر المبنية على هذا البناء مكسور التاء الا « التبيان » و « التلقاء » • ثم قال ابو البقاء « فاما الاسماء التي جاءت على هذا البناء فمكسورة التاء نحو « التمثال » و « التمساح » و « التجفاف » •

واما « الفعّيلى » فمثاله الدليلى والهزيسى والمكيثى والخصيصى والحجيزى والخليفى والهجيرى والرميثى والفخيرى والمنينى

قال الشيخ بعد ذكر هذه الامثلة وهو بناء يدل على التكثير في المصدر ، وقول المصنف انه يعني عن « التفعيل » ليس بجيد ، لان هذه المصادر لم تجر على « فعّل » بتشديد العين وانما هي من «فعل» الثلاثي نحو ذلّ وهرم ومكث وخصّ وفخر ومنّ ، فهي بمنزلة أن لو قال « الدلالة الكثيرة ، والهرم الكثير ، ونحو ذلك ، وهذا النوع منهم من حكم باطراده والمشهور انه غير مطرد • قال وهذا النوع الذي جاء على « فعيلى » انما جاء اكثره مقصورا وقد سمع المد في الفاظ منه •• ثم ناقش المصنف في ذكره « الفعّيلى » انه من المصادر كما ناقشه في ذكره « التفعَال » ايضا قال لان « الفعّيلَى » ليس بمصدر لفعل غير ثلاثي كما ان «التفعال» ليس كذلك أيضا »[1] •

ولم يقتصر ناظر الجيش في ردوده على ابي حيان على هذه المواضع انما ردّ عليه في مواضع كثيرة جدا ، ولعل اشدّ ردوده الرد الذي اعترض به عليه لطعنه في ابن مالك قلة اساتذته وأخذه بالحديث واعتماده عليه كثيرا • فقد قال ابن مالك « وكون فعلي الشرط ماضيين وضعا أو بمصاحبة « لم » احدهما او كلاهما او مضارعين دون لم » اولى من سوى ذلك • ولا يختص نحو « إن يفعل فعلت » بالشعر عند ابن مالك خلافا لبعضهم » •

---

(١) تمهيد القواعد ج٥ ص ١٩ب–٢١ب ، وينظر كتاب سيبويه ج٢ ص٢٢٧–٢٢٨

قال ناظر الجيش « واقل منه كون الشرط مضارعا والجواب ماضيا ، اراد التنبيه على ذلك فاشار اليه[1] بقوله « ولا يختص نحو: « ان يفعل فعلت » بالشعر خلافا لبعضهم » .

ولما ذكر هذه المسألة في شرح الكافية انشد ابياتا شواهد على ذلك وهي قول الشاعر

من يكدني بسيءٍ كنت منه كالشجا بين حلقـــه والوريد

وقول الآخر

ان تصرمونا وصلناكم وان تصلوا ملأتم انفس الاعـداء ارهابـا

وقول الآخر

ان يسمعوا سبة طاروا بها فرحا مني وما يسمعوا من صالح دفنوا

ثم قال « واكثر النحويين يخصون ذلك بالضرورة ، ولا ارى ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من يقم ليلة القـدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » . قال لان قائـل البيت الاول متمكن من ان يقول بدل « كنت منه » « الـك منه » ، وقائل الثاني متمكن من ان يقول بدل « وصلناكم » « نواصلكم » ، وبدل « ملأتم » « تملأوا » ، وقائل الثالث متمكن من ان يقول بدل « ان يسمعوا » « ان سمعوا » وبدل « ما يسمعوا » و «ما سمعوا » فاذا لم يقولوا ذلك مع امكانه علم انهم غير مضطرين ، قال وقـد صرح بجواز ذلك في الاختيار الفراء رحمه الله تعالى وجعل من ذلك قوله تعالى « إن نَشَأْ نُنَزِّل عليهم من السماءِ آيةً فَظَلَّتْ اعناقُهُم لها خاضعين »[2] ، لان « ظلت » بلفظ الماضي ، وقـــد عطف على « ننزل » ، وحق المعطوف ان يصلح لحلوله محل المعطوف عليه .

قال الشيخ « هذا البعض الذي خالفه المصنف هو الجمهور

---

(١) المقصود ابن مالك

(٢) سورة الشعراء ، الآية ٤

نصوا على انه مخصوص بالشعر ثم قال فاما استدلاله بالاثر فنقول « قد لهج هذا المصنف في تصانيفه كثيرا بالاستدلال بما وقع في الحديث في اثبات القواعد الكلية في لسان العرب بما روي وما رأيت احدا من المتقدمين ولا المتأخرين سلك هذه الطريقة غير هذا الرجل ، على ان الواضعين الاولين لعلم النحو المستقرئين الاحكام من لسان العرب والمستنبطين المقاييس كابي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من ائمة البصريين ، وكمعاذ والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الاحمر وهشام الضرير من ائمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من المتأخرين وغيرهم من نحاة الاقاليم كنحاة بغداد واهل الاندلس ... الخ »(١)

ثم قال ابو حيان « .. واما هذا المصنف الذي كملنا شرح كتابه فانه كان رجلا صالحا معنيا بهذا الفن النحوي كثير المطالعة لكتبه منفردا بنفسه لا يحتمل ان ينازع ولا يجادل ولا يباحث ، ونظم في هذا الفن كثيرا ونثر ، وجمع باعتكافه على الاشتغال بهذا الفن واشتغل به وبمراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربية وطول السن من هذا العلم غرائب وحوت مصنفاته منها نوادر وعجائب ، ومنها كثير استخرجه من اشعار العرب وكتب اللغة ، ولم يكن ممن لازم في هذا الفن اماما مستبحرا به ولا يعلم له فيه شيخ ، ولا ذكر هو من اشتغل عليه بهذا الفن ...»

قال ناظر الجيش واستمر في كلام يشبه ذلك ثم قال « وقال لي قاضي القضاة ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن جماعة الكناني الحموي ، وكان ممن قرأ على المصنف وكتب عنه نكتا على مقدمة ابن الحاجب ، وقد جرى ذكر ابن مالك واستدلاله بما اشرنا اليه قال له « يا سيدي هذا الحديث روته الاعاجم ووقع فيه بروايتهم ما يعلم انه ليس من لفظ الرسول عليه السلام فلم يجب بشيء » . قال وانما

---

(١) التذييل والتكميل ج٥ ص ١٦٩ب-١٧٠ وما بعدها

امعنت الكلام في هذه المسألة لئلا يقول مبتديء ما بال النحويين يستدلون بقول العرب وفيهم المسلم والكافر ولا يستدلون بما روي في الحديث بنقل العدول كالبخاري ومسلم واضرابهما ؟ فاذا طالع ما ذكرناه ادرك السبب الذي لاجله لم يستدل النحاة بالحديث .

وبعد ان انتهى ناظر الجيش من نقل نصوص ابي حيان وردوده على ابن مالك قال رادا على ابي حيان « واقول اما انكاره على المصنف الاستدلال بما ورد من الاحاديث الشريفة معتلا لذلك بان الرواة جوزوا النقل بالمعنى فيقال فيه لا شك ان الاصل في المروي ان يروى باللفظ الذي سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم والرواية بالمعنى وان جازت فانما تكون في بعض كلمات الحديث المحتمل لتغيير اللفظ بلفظ آخر يوافقه معنى ، اذ لو جوزنا ذلك في كل ما يروى لارتفع الوثوق عن جميع الاحاديث بانها هي بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا امر لا يجوز توهمه فضلا عن ان يعتقد وقوعه ، ثم ان المصنف اذا استدل على مسألة بحديث لا يقتصر على ما في الحديث الشريف بل يستدل بكلام العرب من نثر ونظم ثم يردف ذلك بما في الحديث اما تقوية لما ذكره من كلام العرب ، واما استدلالا على ان المستدل عليه لا يختص جوازه بالشعر بل انه يجوز في الاختيار ايضا ، ولا يخفى عن اللبيب ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه في ابن صادٍ « ان يكنه فلم تسلط عليه وان لا يكنه فلا خير لك في قتله » يبعد ان يكون مغيرا ، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم « انه ملككم اياهم ولو شاء ملكهم اياكم » .

واما قوله « ان المصنف ما امعن النظر في ذلك » فما علمت الامر الذي اشار اليه بان المصنف ما امعن فيه نظره ما هو ، واما قوله «ولا صحب من له التمييز في هذا الفن ولا استبحار ولا امامة » فما اعرف من اين له علم ذلك حتى ينفيه وكان يشير بذلك الى انه ما صحب ابا علي الشلوبين ولا قرأ عليه كما اتفق ذلك للحلبة الشلوبينية كابن

عصفور وابن الضائع والابدي وابن هشام وابن ابي الربيع واصحابهم، وهذا امر عجيب فان الله تعالى من كرمه وانعامه على عباده لم يحصر العلم في ناحية ولا في انسان بل فضل الله تعالى منتشر في الجهات ومبثوث في العباد ، ولا يختص بجهة دون جهة ولا بانسان دون اخر ، وهي انه صحب من له الامامة في الفن او من ليست له الامامة ، اليس الله تعالى قد انعم عليه واوصله من هذا العلم الى ما لم يصل اليه من صحب من له التمييز في هذا الفن والاستبحار كما ذكروا الامامة ».

ثم يقول « واما قوله عنه انه تضعف استنباطاته من كلام سيبويه وينسب اليه مذاهب ويفهم من كلامه مفاهيم لم يذهب سيبويه اليها ولا ارادها وان منها كذا وكذا ومنها كذا وكذا الى آخر كلامه ، فهذا عجب من الشيخ كيف يصدر عنه هذا في حق مثل هذا الامام الكبير المشهود له بالتبريز الذي قال هو في حقه انه نظم في هذا الفن كثيرا ونثر وانه جمع باعتكافه على الاشتغال بهذا الفن والشغل به ومراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربية من هذا العلم غرائب ، وحوت مصنفاته منها نوادر وعجائب ، وان منها كثيرا استخرجه من أشعار العرب وكتب اللغة فمن شهد له بانه وصل الى هذه الرتبة التي هي رتبة الاجتهاد لقوله انه استخرج كثيرا من اشعار العرب وكتب اللغة ، ولا شك ان هذه وظيفة المجتهد كيف يقول فيه انه ضعيف الاستنباط من كلام سيبويه وانه يفهم غير المراد وانه وانه .

واما قوله انه لم يعلم له شيخ ، فما اعرف كيف يكون ذلك نقصا في رجل انتشر علمه وانتهى الى رتبة بلغ بها ان يصحح ما ابطله غيره ليبطل ما صححه غيره بالادلة الواضحة والمستندات الراجحة ؟ وكم من طالب فاق شيخه وخادم برز على استاذه ، وانظر الى العلماء الكبار المشهورين من أهل الفنون الذين اعترف الناس لهم بانهم ارتقوا في فنونهم المراتب السنية التي لا تلحق هل كانوا متقدمين في الذكر على من اشتغلوا عليه واخذوا عنه اولا ؟ والطالب لا بد له من شيخ موفق

ولكن انما يحتاج اليه في حل الكتاب الذي يقرؤه عليه وتبين المقصود من كل باب من ذلك الكتاب وتقرير مسائله تصورا وتصديقا بحيث تصير له اصلية لفهم ما يطالعه من كتب ذلك الفن والتمييز بين الصحيح والفاسد من مسائله فاذا اعطاه الله تعالى مع ذلك صحة فكر وقوة ادراك واستمر عاكفا محصلا ما هو بصدده فقد يصل الى اضعاف ما وصل اليه شيخه ، وقد قال المصنف « واذا كانت العلوم منحا الهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يذخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين » . ولكن الشيخ رحمه الله تعالى كان في خاطره ان النحو الذي وصل اليه المتأخرون من المغاربة كالاستاذ أبي عليّ الشلوبين وتبّاعه رحمهم الله تعالى لم يصل اليه غيرهم ، فلما رأى كتب المصنف وما ابرزه من النوادر والغرائب والعجائب لم يبعد ان حصل في النفس حسد مّا ، وكأنّ المصنف استشعر وقوع ذلك فلهذا قال بعد كلامه الذي تقدم « اعاذنا الله من حسدٍ يسد باب الانصاف ويصد عن جميل الاوصاف » ولكن لله در ابي تمام الطائي حيث قال

واذا أراد اللهُ نشرَ فضيلةٍ طُويت اتاح لها لسان حسود
لولااشتعالُ النارِ فيماجاورت ما كانيُعرفطيبُ نَشرِ العود

واما قوله ـ اعني الشيخ ـ « ان الفاضل من يحل كتابا او كتابين في الفن المنسوب اليه مع مزاولته لذلك الكتاب » ، فهذا الكلام منه دليل على ان المصنف لم يحل كتابا في هذا الفن على احد ، وكفى الكلام من قائله قبحا ويزيد هذا القبح قبحا انشاده لنفسه عقب ذلك الابيات التي اولها

يظن الغمر ان الكتب تهدي اخافهم لادراك العلوم

وقوله فيها

اذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم

لان هذا انما يقال لانسان جاهل لا قرى ولا درى ، ولا اقتبس

من احد شيئا ، فيأخذ كتابا وينظر فيه ظانا انه يدرك معانيه بنظره من غير توفيق مرشد ، ولا يقال هذا لواحد من الطلبة المتميزين فضلا عن أن يقال في معرض التعريض بامام يشهد له بالفضل اهل المشـرق والمغرب من أهل فنه وقد كان هو ــ اعني الشيخ رحمه الله تعالى ــ يقول « من عرف ما في هذا الكتاب ــ يعني التسهيل ــ لا يكون تحت السماء انحى منه » • ثم لم يقنع الشيخ ما قاله في حق المصنف حتى تعـداه الى آخر وهو الذي ذكر انه من اهل الصعيد الاعلى وانه تولى قضاء القضاة بديار مصر فقال عنه « انه لم يقرأ النحو ، وقرأ منـه نزرا يسيرا على مبتديء في النحو ، وهذا الرجل الذي اشـار اليـه هو الشيخ تقي الدين المشهور بابن دقيق العيد رحمـه الله تعالى ، وهو الرجل الذي يعترف بفضله الحاضر والبادي والداني والقاصي والصديق والعدو ، لم ينازع في علمه احد بل كان في زمن فيه رؤوس العلمـاء المعتبرين • والراسخون في الفنون والكل خاضعون له ماثلون بين يديه يتلقون منه ما يقوله معترفون بانه اوحد اهل وقتـه ، ويدلك على صحة ذلك ما ابرزه من مصنفاته ، والناظر اذا وقف على كلامه وتأمله علم انه فوق ما ذكرنا وكيف لا يكون كذلك وله استنباطات احكام من السنة النبوية انفرد بها ، ولقد استنبط من حديث واحد من الاحاديث التي اوردها في كتابه « الالمام » اربع مائة وستة وثلاثين حكما ، اترى من له هذه القوة والتمكن يقال عنه انه لم يقرأ النحو وانه قرأ منه نزرا يسيرا على مبتديء ، وكيف يصل من يستنبط الاحكام الشرعية الى ما يقصده دون تضلع بعلم العربية والاصول وغيرهما مما يتبعهما أو لا يبعد أن غضّ الشيخ منه له سبب مخرج اوجب له ان تكلم بذلك • ويحكى ان قضية جرت بين الشيخ تقي الدين وبينه ولكنني لم انحقق انها وقعت فما امكنني تسطيرها ، وبعد فرحمهم الله تعـالى اجمعين بمنه وكرمه »[1] •

---

(١) تمهيد القواعد جـ٥ ص ١٧٠ــ١٧٣ب ، وينظر التذييل والتكميل جـ٥ ص١٦٩ب ــ ١٧٠ب و ١٦٩ــآ وغيرها

تلاميـــذ اخرون

اولئك أشهر تلاميذ أبي حيان الذين تعصبوا له أو ناقشوه وردوا عليه ، وليس من اليسير ان نتكلم على كل من درس عليه ، لانهم بلغوا المئات وقديما قالوا عن ابي حيان انه « اقرأ الناس قديما وحديثا حتى الحق الصغار بالكبار وصارت تلامذته ائمة واشياخا في حياته »[1]

وقال لسان الدين بن الخطيب عنه « وان لم ألق هذا الرجل فهو من بلدي ، وتأخرت وفاته عن مولدي الى ان اجاز ولدي »[2] .

ولكثرة تلاميذه نكتفي بذكر بعضهم ممن لا نستطيـــع ان نقرر انهم ممن تعصبوا له او عليه . ومنهم :

العقيلي الهمداني :

عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن محمـــــد بن عقيل القرشي الهاشمي العقيلي الهمداني الاصل البالسي المصري قاضي القضاة بهـــاء الدين بن عقيل الشافعي . ولد يوم الجمعة تاسع المحرم سنة ٦٩٨ هـ ، واخذ القراآت عن التقي الصائغ ، والفقه عن الزين الكتاني ، ولازم جلال الدين القزويني وابا حيان وكان من اجل تلاميذ الاخير حتى صار يشهد له بالمهارة في العربية ، وفيه يقول ابو حيـــان « ما تحت اديم السماء انحى من ابن عقيل » . شرح الفية ابن مالك والتسهيل ولكنه لم يشر في شرحه للالفية الى شيخه ولا نقل عنه . ولم يصل الينا شرحه

(١) الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٠٢ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٤٥ ـ ١٤٦

(٢) الكتيبـــة الكامنة ص ٨٢ .

للتسهيل ، ولا نعلم منزلة ابي حيان عنده وان نقل المؤرخون لنا تقدير شيخه له .

توفي ليلة الاربعاء في الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة ٧٦٩هـ ودفن بالقرب من الامام الشافعي[١] .

الكناني الشافعي :

ومنهم عزالدين عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن صخر الكناني الشافعي . ولد في التاسع عشر من شهر محرم سنة ٦٩٤ هـ واحضر على عمر بن القواس وابي الفضل بن عساكر ، والعز الفراء بدمشق وتفقه على والده والجمال الوجيزي واخذ عن علاءالدين الباجي ودرس النحو على ابي حيان وروى عنه كثيرا من اشعاره. مات في العشر الثاني من جمادى الأولى ٧٦٧ هـ[٢] .

الناصري :

ومنهم الامير ارغون بن عبدالله الناصري نائب السلطنة . واصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون اشتراه ورباه وتبنى به وامره بملازمة العلم والاشتغال . وسمع صحيح البخاري بقراءة ابي حيان وكتبه بخطه . توفي في ليلة السبت ثامن شهر ربيع الاول وقيل ربيع الآخر سنة ٧٣١ هـ[٣] .

محمد بن ارغون :

ومنهم محمد بن ارغون ناصرالدين ابن النائب ، كان احد الامراء الطبلخاناة بالقاهرة ، قرأ على أبي حيان في العربية ، وسكن حلب لما

---

(١) ينظر الدرر الكامنة ج٢ ص ٢٦٨ ، وبغية الوعاة ص ٢٨٤ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٢١٤ واكتفاء القنوع ص ٣٠٢

(٢) ينظر الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٨٠ ، وجلاء العينين ص ١٧

(٣) ينظر النجوم الزاهرة ج٩ ص ٢٨٨ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٩٥

توجه اليها نائبا فاقام بها الى ان مات في شعبان سنة ٧٢٧هـ[١] •

بكتوت المحمدي :

ومنهم بكتوت المحمدي اشتغل وقرأ على ابي حيان وقال الشعر ، ومات بعد السبعمائة[٢] •

القوصي :

ومنهم عبدالرحمن بن محمود بن قرطاس القوصي مجـدالدين ، أخذ عن ابن الوكيل وابي حيان والطوخي والمجير عمر بن اللمطي ، وولي الخطابة بجامع الصارم بقوص ومات في سنة ٧٢٤هـ[٣] •

القيراطي :

ومنهم عبدالله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم بن شادي ابن هلال شرف الدين أبو محمد القيراطي • ولد سنة ٦٧٢ هـ ببلبيس ، وسمع من الدمياطي وابن دقيق العيد وشهاب بن علي المحسني ، وقرأ الاصول على الباجي والجزري ، والعربية على ابي حيان • مات سـنة ٧٣٩ هـ[٤] •

الاسنائي :

ومنهم محمد بن عبدالوهاب بن علي الاسنائي جمال‌الدين ، ولد سنة ٦٧٨ هـ ، وقرأ الفقه على بهاءالدين القفطي ، واخذ بالقاهرة عن الدمياطي وابن دقيق العيد وابن جماعة وابي‌حيان•مات سنة٧٣٩هـ[٥]•

الربعي :

ومنهم عبدالرحمن بن عمر بن حماد بن عبـدالله بن ثابت الربعي

---

(١) الدرر الكامنة ج٣ ص ٣٧٩

(٢) الدرر الكامنة ج١ص ٤٨٩

(٣) الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٤٧

(٤) الدرر الكامنة ج٢ ص ٢٩٨

(٥) الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٦

الخلال البغدادي الحريري ولد سنة ٦٧٦هـ ، وقرأ القرآن على ابي العباس ابن المحروق وسمع من محمد بن احمد بن حلاوة ببغداد ، ومن اسحاق الآمدي بحماة ، ومن أبي حيان بمصر . مات ببغداد في شعبان سنة ٧٣٩ هـ [(١)] .

الحنفي :

ومنهم علي بن بلبان الفارسي الامير علاءالدين الحنفي ولد سنة ٦٧٥ هـ ، وقرأ النحو على أبي حيان ، والاصول على العلاء القونوي ، والفقه على الفخر بن التركمان والسروجي ، واتقن النحو وتقدم في المذهب والاصول . مات سنة ٧٣٩ هـ [(٢)] .

الملثم :

ومنهم احمد بن عبدالله بن هاشم ابو العباس المعروف بالملثم ، نشأ أبوه ببلاد الترك وقدم القاهرة فولد له الملثم في رمضان سنة ٦٥٨ هـ ، واشتغل في الفقه على مذهب الشافعي ، ولازم الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في الفقه ، وسمع الحديث عشرين سنة وسمع على ابن الانساطي صحيح مسلم بقراءة ابي حيان . مات في سنة ٧٤٠ هـ وقد جاوز الثمانين [(٣)] .

الحكري :

ومنهم ابراهيم بن عبدالله بن علي بن يحيى بن خلف المقريء النحوي برهان الدين الحكري اعتنى بالعربية والقراآت وسمع الحديث من الابرقوهي والدمياطي وابن الصواف ، ولازم درس أبي حيان واخذ عنه الناس . وكان مولده سنة نيف وسبعين وستمائة ومات في الطاعون في ذي القعدة سنة ٧٤٦ هـ . وجعله ابن العماد مع من توفي في سنة

---

(١) الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٣٨

(٢) بغية الوعاة ص ٣٣١

(٣) الدرر الكامنة ج١ ص ١٨٥

٧٤٩ هـ[١] .

الادفوي :

ومنهم جعفر بن تغلب بن جعفر بن علي بن المطهر بن نوفل كمال الدين ابو الفضل الادفوي الشافعي ، ولد بعد سنة ٦٨٠ هـ واشتغل في بلاده ولازم ابن دقيق العيد وتأدب بجماعة منهم ابو حيان وحمل عنه كثيرا . مات في اوائل سنة ٧٤٨ هـ[٢] .

الاموي :

ومنهم محمد بن عبدالله بن محمد بن لبّ ابو عبدالله محب الدين ابن الصائغ الاموي المري . قرأ على ابي الحسن بن ابي العيش والخطيب ابن علي الغنجاطي ، ولازم ابا حيان وانتفع بجاهه . مات في رمضان سنة ٧٤٩ هـ وقيل سنة ٧٥٠ هـ[٣]

العمدي :

ومنهم احمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلى بن دعجان بن خلف ابن نصر القرشي العمدي الشافعي . ولد في ثالث شوال سنة ٧٠٠ هـ وتخرج في الادب بالشهاب محمود والوداعي وشمس الدين بن الصائغ الكبير وابن الزملكاني وابي حيان . توفي سنة ٧٤٩ هـ بعد يوم عرفة[٤] .

الحضرمي :

ومنهم عبدالمهيمن بن محمد بن عبدالمهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الحضرمي . قرأ على أبي جعفر بن الزبير وأبي بكر بن

---

(١) الدرر الكامنة ج١ ص ٢٩ ، وبغية الوعاة ص ١٨١ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٥٨

(٢) الدرر الكامنة ج١ ص ٥٣٦ ، وشذرات الذهب ج٦ ص١٥٣

(٣) الدرر الكامنة ج٣ ص ٤٨٤، وبغية الوعاة ص ٦٠، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٦٥

(٤) الدرر الكامنة ج١ ص ٣٣١ وما بعدها ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٦٠

عبيدة وروى عن ابن رشيد وابن ابي الربيع واجاز له مـــالك بن المرحل والفتح بن سيد الناس ووالده ابو عمر،ومن المشرق الابرقوهي وابن عبدالهادي وخليل المراغي وابو حيان والدمياطي وست الفقهاء بنت الواسطي • ولد في سبتة سنة ٦٧٦ هـ ، ومات في تونس ســنة ٧٤٥ هـ(٥) •

الاندرشي :

ومنهم احمد بن سعد بن محمد ابو العباس العسكري الاندرشي انصوفي اخذ عن ابي حيان وابي جعفر بن الزيات • ولد بعـــد سنة ٦٩٠ هـ ، ومات في ذي القعدة سنة ٧٥٠هـ(٢) •

المراكشي :

ومنهم محمد بن ابراهيم بن يوسف بن حامد الشـيخ تاجالدين المراكشي الفقيه الشافعي • ولد بالقاهرة بعــد السبعمائة وتفقه على علاءالدين القونوي وابي حيان • مات في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ هـ(٣) •

الرومي :

ومنهم احمد بن لؤلؤ الرومي شهابالدين بن النقيب • ولد سنة ٧٠٦ هـ واخذ العربية عن ابي الحسن بن الملقن وابي حيان(٤) •

البلي :

ومنهم ابراهيم بن احمد بن عبدالواحد بن عبدالمؤمن بن ســعيد

---

(١) بغية الوعاة ص ٣١٥
(٢) بغية الوعاة ص ١٣٣ وشذرات الذهب ج٦ ص ١٦٦
(٣) الدرر الكامنة ج٣ ص٣٠٠ ، والدارس في تاريخ المدارس ج١ ص ٤٥٨ ،وشذرات الذهب ج٦ ص ١٦٩ وما بعدها
(٤) الدرر الكامنة ج١ ص ٢٣٩

ابن كامل بن علوان التنوخي البلي الاصل ، الدمشقي المنشأ ، نزيل القاهرة ابن القاضي شهاب‌الدين الحريري • ولد سنة ٧٠٩ هـ وعني بالقراءات فأخذ عن الرقي والمرادي وابي حيان[١]

السبكي :

ومنهم الحسين بن علي بن عبدالكافي بن علي بن يوسف بن تمام جمال‌الدين ابو الطيب السبكي ولد في رجب سنة ٧٢٢ هـ وحفظ التنبيه واشتغل في النحو والعروض ، واخذ عن الشيخ شمس‌الدين الاصبهاني وابي حيان ، وناب في الحكم بعد وفاة ابن ابي الفتح سنة ٧٤٥ هـ ، وقد اثنى عليه ابن كثير وابن رافع • ومات في شهر رمضان سنة ٧٥٥ هـ[٢] •

التلمساني :

ومنهم محمد بن احمد بن ابي بكر بن يحيى القرشي ابو عبدالله التلمساني قاضي الجماعة بفاس • اخذ العلم عن جماعة منهم عبدالمهيمن أبن محمد الحضرمي وأبو حيان وشمس الدين الاصبهاني • توفي في شهر محرم سنة ٧٥٩ هـ[٣] •

التغلبي :

ومنهم علي بن محمد بن عبدالعزيز بن فتوح بن ابراهيم بن‌ابي‌بكر ابن القاسم بن سعيد بن محمد ابن هشام بن عمر التغلبي الشافعي الموصلي تاج‌الدين المعروف بابن الدريهم وهو لقب سعيد جده الاعلى• ولد في شعبان سنة ٧١٢ هـ ، وقرأ القرآن بالروايات على ابي بكر بن العلم سنجر الموصلي،وتفقه على الشيخ نورالدين علي بن‌شيخ العوينة،

---

(١) الدرر الكامنة ج١ ص ١١

(٢) الدرر الكامنة ج٢ ص ٦٣ ، وطبقات الشافعية ج٦ ص ٨٧ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٧٧ — ١٧٨

(٣) بغية الوعاة ص ٩

وحفظ الفيتي ابن معط وابن مالك وبحث في « التسهيل » ، وقرأ على أبي حيان بعض تصانيفه ثم دخل مصر في سنة ٧٦٠ هـ فبعثه الناصر حسن رسولا الى الحبشة وهو مكره على ذلك فوصل الى قوص فمات بها في صفر سنة ٧٦٢هـ(١) •

الدكاكي :

ومنهم محمد بن علي بن عبدالواحد بن يحيى بن عبدالرحيم الدكاكي المصري ابو امامة ابن النقاش • ولد في منتصف شهر رجب سنة ٧٢٠ هـ ، واخذ القراءات عن البرهان الرشيدي ، والعربية عن المحب ابن الصائغ وابي حيان ، وحفظ الحاوي الصغير وكان يقول انه اول من حفظه بالقاهرة ، صنف شرحا على « التسهيل » وشرحا على الالفية » ، ثم شرع في املاء تفسير على الفاتحة فاقام فيه مدة طويلة ثم شرع في كتابة التفسير والتزم ان لا ينقل فيه حرفا عن كتاب من تفسير أحد ممن تقدمه • مات في شهر ربيع الاول سنة ٧٦٣ هـ(٢) •

البعلبكي :

ومنهم احمد بن عبدالرحمن البعلبكي ثم الدمشقي الشيخ شهاب الدين المعروف بابن النقيب ، كان والده نقيبا فولد هو سنة ٦٩٤ هـ ، ونشأ في طلب العلم ، واخذ بمصر عن ابي حيان والاصبهاني وغيرهما توفي في رمضان سنة ٧٦٤ هـ(٣) •

الغماري :

ومنهم شمس‌الدين الغماري ابو عبدالله محمد بن محمد بن علي ابن الرزاق الغماري المصري المالكي النحوي • قال ابن حجر اخذ

---

(١) الدرر الكامنة ج٣ ص ١٠٦–١٠٧

(٢) لدرر الكامنة ج٤ ص ٧١–٧٢ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ١٩٨

(٣) الدرر الكامنة ج١ ص ١١٥ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٢٠٠

العربية والقراءات عن ابي حيان وغيره ، وسمع من اليافعي والشيخ خليل المالكي وحدث ، وكان عارفا باللغة والعربية بارعا فيهما كثير المحفوظ للشعر لا سيما الشواهد • تخرج به الفضلاء • مولده سنة ٧٢٠ هـ في شهر ذي القعدة ، ووفاته سنة ٧٨٢ هـ[١] •

الزواوي :

ومنهم علي بن عيسى بن مسعود بن منصور الزواوي ثم المصري نورالدين ابن الشيخ شرفالدين ، ولد بمصر سنة ٧١٣ هـ وتفقه على ابيه وعلى برهانالدين السفاقسي واخذ عن الشيخ برهانالدين الرشيدي في عدة علوم وسمع من التقي الدلاصي وابن القماح وابي حيان وغيرهم • وعاد الى مصر فمات بها في سنة ٧٦٩ هـ[٢] •

الشبلي :

ومنهم محمد بن عبدالله الشبلي الدمشقي ثم الطرابلسي الحنفي بدرالدين بن تقيالدين ، كان ابوه قيم الشبلية بدمشق وولد هو سنة ٧١٢ هـ ، واسمع وهو صغير على ابي بكر بن احمد بن عبدالدائم وعيسى المطعم وغيرهما ، وطلب بنفسه بعد الثلاثين فاكثر ، ورحل الى القاهرة واخذ عن ابي حيان وابن فضل الله وغيرهما • مات وهو على قضاء طرابلس في صفر سنة ٧٦٩ هـ[٣] •

الفيومي :

ومنهم احمد بن محمد الفيومي ثم الحموي • قال في « الدرر » ، اشتغل ومهر وتميز في العربية عند ابي حيان ثم قطن حماة وخطب بجامع الدهشة ، وكان فاضلا عارفا بالفقه واللغة صنف « المصباح المنير

---

(١) بغية الوعاة ص ٩٩ ، وعصر المماليك ج٤ ص ١٦٢
(٢) الدرر الكامنة ج٣ ص ٩٣-٩٤
(٣) الدرر الكامنة ج٣ ص ٤٨٧ - ٤٨٨

في غريب الشرح الكبير » • توفي سنة نيف وسبعين وسبعمائة[1] •

المسلاتي :

ومنهم محمد بن عبدالرحيم بن علي بن عبدالملك بن المنجا بن علي ابن جعفر السلمي المسلاتي جمال‌الدين بن زين الدين المالكي ، سمع بالاسكندرية من ابن مخلوف جزء الدعاء • ومن عزّ القضاة ابن المنير الموطأ بمصر وبالشام من الحجار وغيره ، واخذ عن ابي حيان والقونوي وغيرهما ، وولي نيابة الحكم بدمشق ثم ولي قضاء دمشق اكثر من عشرين سنة • مات بمصر في ثالث عشر ذي القعدة سنة ٧٧١ هـ بالقاهرة[2] •

الملياني :

ومنهم سعيد بن محمد بن سعيد الملياني المغربي المالكي‌النحوي• قال في الدرر كان شيخا فاضلا في العربية من اعيان المالكية خيرا متحرزا من سماع الغيبة لا يمكن احدا يستغيب فان لم يسمع نهيه قام من المجلس • وكان شيخ الخانقاه السامرية ، رحل من المغرب الى القاهرة سنة ٧٢٠ وسمع بها من جماعة واخذ عن ابي حيان ، ثم تحول الى دمشق وتصدر بها لاقراء العربية الى ان مات في سادس شوال سنة ٧٧١ هـ[3] •

اللخمي :

ومنهم اسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن عبدالله بن هانيء اللخمي الغرناطي المالكي شرف‌الدين ابو الوليد بن بدر الدين ولد سنة ٧٠٨ هـ بغرناطة ، واخذ عن جماعة من اهل بلده منهم ابو القاسم بن جزي ، وقدم القاهرة وذاكر ابا حيان ثم قدم الشام واقام بحماة

---

(١) بغية الوعاة ص ١٧٠
(٢) الدرر الكامنة ج٤ ص ١١
(٣) الدرر الكامنة ج٢ ص ١٣٦ ، وبغية الوعاة ص ٢٥٧

واشتهر بالمهارة في العربية وكان يحفظ « الموطأ » ويرويه عن ابن جزي . توفي في ربيع الآخر سنة ٧٧١ هـ [١] .

الاصبحي :

ومنهم احمد بن محمد بن محمد بن علي الاصبحي الاندلسي الشيخ شهاب الدين ابو العباس العناني النحوي ، اشتغل ببلاده ثم قدم فلزم ابا حيان وحمل عنه كثيرا واشتهر به وبرع في زمانه ثم تحول الى الشام فعظم قدره واشتهر ذكره ،وانتفع الناس بهوصنفكتبا منها: « شرح التسهيل » ، و « سيبويه » . مات في التاسع والعشرين من المحرم سنة ٧٧٦ هـ [٢] .

ابن اللبان :

ومنهم محمد بن احمد بن علي بن الحسن بن جامع الدمشقي شمس الدين ابن اللبان المقريء ولد سنة ٧١٠ هـ أو ٧١٣ هـ ، قرأ على ابي حيان القراءات بالثماني يعني مقتصرا على منظومته في السبعة وعلى منظومته في قراءة يعقوب وقرأ على غيره كابن السراج سنة ٧٣١ هـ . مات في شهر ربيع الآخر سنة ٧٧٦ هـ [٣] .

الزمردي :

ومنهم محمد بن عبدالرحمن بن علي بن ابي الحسن الزمردي الشيخ شمس الدين ابن الصائغ الحنفي النحوي . ولد قبل سنة ٧١٠هـ واشتغل بالعلم وبرع في اللغة والنحو والفقه واخذ عن الشهاب المرحل وابي حيان والقونوي والفخر الزيلعي ، وسمع الحديث من الدبوسي

---

(١) الدرر الكامنة ج١ ص ٣٨٠-٣٨١ ، وبغية الوعاة ص ١٩٩ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٢٢٠-٢٢١

(٢) الدرر الكامنة ج١ ص ٢٩٨ ، وبغية الوعاة ص ١٦٧ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٢٤٠

(٣) الدرر الكامنة ج٣ ص ٣٤٠-٣٤١ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٢٤٣-٢٤٤

والحجار وابي الفتح اليعمري كان فاضلا بارعا حسن انظم والنثر • وله تصانيف كثيرة منها « شرح المشارق في الحديث » و « شرح الفية ابن مالك » قال السيوطي عنه « وهو في غاية الحسن والجمع والاختصار »[1] ، و « التذكرة » عدة مجلدات في النحو ، و « المباني في المعاني » و « المنهج القويم في القرآن العظيم » وله حاشية على المغني لابن هشام • مات في خامس عشر شعبان سنة ٧٧٦ هـ ومن نظمه:

لا تفخرن بما اوتيت من نعم على سواك وخف من مكر جبار
فانت في الاصل بالفخار مشتبه ما اسرع الكسر في الدنيا لفخار[2]

السبكي :

ومنهم محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد السبكي بهاء الدين أبو البقاء • ولد في ربيع الاول سنة ٧٠٧ هـ وسمع الحجار وست الوزراء وغيرهما ولازم ابا حيان ومهر في العربية والفقه واصول الفقه والتفسير • واخد عن قريبه تقي الدين السبكي والجلال القزويني • وكان الشيخ جمال الدين الاسنوي يقدمه ويفضله على أهل عصره ، صنف قطعة من مختصر المطلب ، وقطعة من شرح الحاوي ، وقطعة من شرح مختصر ابن الحاجب • مات في ربيع الآخر سنة ٧٧٧ هـ[3] •

العسقلاني :

ومنهم عبدالله بن محمد بن ابي بكر بن عبدالله بن خليل بن ابراهيم ابن يحيى بن أبي عبدالله بن فارس بن أبي عبدالله بن يحيى بن ابراهيم بن سعيد بن طلحة بن موسى بن اسحق بن عبدالله بن محمد

(١) بغية الوعاة ص ٦٥
(٢) الدرر الكامنة ج٣ ص ٤٩٩ـ٥٠٠ ، وبغية الوعاة ص ٦٥ـ٦٦ وشذرات الذهب ج٦ ص ٣٤٨
(٣) الدرر الكامنة ج٣ ص ٤٩٠ ، وبغية الوعاة ص ٦٣ـ٦٤ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤

ابن عبدالرحمن بن ابان بن عثمان بن عفان العسقلاني ثم المكي الشيخ بهاءالدين ، ويعرف بالقاهرة باليمني وعند المحدثين بابن خليل . ولد سنة ٦٩٤ هـ بمكة واشتغل بالحديث ، وكانت بيده مشيخة الخانقاه الكريمية . مات ليلة ثالث جمادى الأولى سنة ٧٧٧ هـ . اخذ القرآن عن العفيف الدلاصي . والعربية عن ابي حيان ، والفقه عن علاءالدين القونوي ، وسمع منه الهيثمي والابناسي وعامة المصريين[1] .

الاعمى الرعيني :

ومنهم احمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي ابو جعفر الاندلسي رفيق محمد بن جابر الاعمى شارح الالفية وهما المشهوران بالاعمى والبصير . تعانى الادب ورافق ابا عبدالله بن جابر الاعمى فحجا معا ودخلا القاهرة فلقيا ابا حيان وغيره ، ثم دخلا دمشق . كان عارفا بالنحو وفنون اللسان مقتدرا على النظم والنثر دينا حسن الخلق كثير التآليف في العربية وغيرها[2] . مات في منتصف رمضان سنة ٧٧٦ هـ ورثاه رفيقه ابو عبدالله بن جابر[3] ، وقيل سنة ٧٧٩هـ[4] .

الهوادي :

ومنهم محمد بن احمد بن علي بن جابر الاندلسي الهوادي المالكي أبو عبدالله الاعمى النحوي ولد سنة ثمان وتسعين وستمائة . ثم رحل الى الديار المصرية صحبته احمد بن يوسف الرعيني وهذان هما المشهوران بالاعمى والبصير ، فكان ابن جابر يؤلف وينظم والرعيني يكتب ولم يزالا هكذا على طول عمرهما . وسمعا بمصر عن ابي حيان . مات علي بن جابر في سنة ثمانين وسبعمائة[5] .

---

(١) لدرر الكامنة ج٢ ص ٢٩١-٢٩٢ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٢٥١-٢٥٢
(٢) الدرر الكامنة ج١ ص ٣٤٠ ، وبغية الوعاة ص ١٧٦
(٣) الدرر الكامنة ج١ ص ٣٤٠
(٤) بغية الوعاة ص ١٧٦ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٢٦٠ - ٢٦١
(٥) بغية الوعاة ص ١٤ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٢٦٨

الكويك :

ومنهم محمد بن عبداللطيف بن احمد بن محمود بن ابي الفتح ابو اليمن عزالدين ابن الكويك • ولد في شعبان سنة ٧١٥ هـ • وسمع بالاسكندرية ، وبالقاهرة من ابن جماعة وابن قريش وابن الصابوني ومحمد بن زكرياء السويداوي ومحمد بن عثمان التوزري ومحمد بن غالي وابي حيان وغيرهم ، وكان مكثرا وحدث بالكثير • مات في الثاني عشر من جمادى الاولى سنة ٧٩٠ هـ[١] •

البابرتي :

ومنهم محمد بن محمود بن احمد البابرتي الشيخ اكمل الدين الحنفي ويقال محمد بن محمد بن محمود • اخذ عن ابي حيان وعن الشيخ شمس الدين الاصبهاني وعظم عنده جدا ثم عند من بعده الى ان زادت عظمته عند الظاهر برقوق • مات سنة ٧٨٦ هـ وقد جاوز السبعين[٢] •

الفوي :

ومنهم علي بن احمد بن اسماعيل بن احمد بن ابراهيم بن محمد ابن مهدي الفوي ثم المدني المدلجي النحوي نورالدين • قال الحافظ ابن حجر مهر في العربية والحديث وسمع بالشام والعراق ومصر وغيرها من ابن شاهد الجيش وابي حيان والميدومي وغيرهم • مات بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ٧٨٦ هـ • وقيل سنة ٧٨٢ هـ[٣] •

---

(١) الدرر الكامنة ج٤ ص ٢٥

(٢) الدرر الكامنة ج٤ ص ٢٥٠ – ٢٥١ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٢٩٣ – ٢٩٤ ، والفوائد البهية للكنوي ص ١٩٥–١٩٦ وبغية الوعاة ص ١٠٣

(٣) الدرر الكامنة ج٣ ص ١٠–١١ ، وبغية الوعاة ص ٣٢٦ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٢٧٥

الحراني :

ومنهم احمد بن عبدالعزيز بن يوسف بن ابي العز عزيز بن يعقوب ابن يعمور الحراني شهاب الدين ابن المرحل نسبة لصناعة ابيه . ولد سنة ٧٠٤هـ ، واسمع على ابي الحسن ابن الصواف وعلى بن عيسى بن القيم وغيرهما ، واشتغل في الفقه فقرأ على الزين الكتاني وابي حيان وغيرهما . مات في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة ٧٨٨ هـ(١) .

الانصاري :

ومنهم احمد بن محمد بن عبد المعطي بن احمد بن عبد المعطي بن مكي بن طراد بن حسين بن مخلوف بن أبي الفوارس بن سيف الاسلام ابن قيس بن سعد بن عبادة الانصاري المكي المالكي النحوي أبو العباس . اشتغل كثيرا ومهر في العربية وشارك في الفقه واخذ عن ابي حيان وغيره وانتفع به اهل مكة في العربية وكان عارفا بمذهب المالكية . وكان بارعا ثقة ثبتا وله تآليف ونظم كثيرة . مولده سنة ٧٠٩ هـ . ومات في المحرم سنة ٨٨٨ هـ(٢) .

البلقيني :

ومنهم البلقيني شيخ الاسلام سراج الدين ابو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني مجتهد عصره وعالم المائة الثامنة . ولد في ثاني عشر رمضان سنة ٧٢٤ هـ واخذ الفقه عن ابن عدلان والتقي والسبكي ، والنحو عن ابي حيان ، وبرع في الفقه والحديث والاصول ، وانتهت اليه رياسة المذهب والافتاء وبلغ رتبة الاجتهاد . وله تصانيف في الفقه والحديث والتفسير . توفي في عاشر ذي القعدة

---

(١) الدرر الكامنة ج١ ص ١٧٤ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٣٠٠

(٢) الدرر الكامنة ج١ ص ٢٧٧ ، وبغية الوعاة ص ١٦١ ، وشذرات الذهب ج٦ ص ٣٠٠-٣٠١

سنة ٨٠٥ هـ[1] .

هؤلاء اشهر تلاميذ ابي حيان عرضنا لهم بايجاز ، ولعل فيما ذكرناه الدليل الواضح على ما كان يتمتع به أبو حيان من منزلة كبيرة وأثر عظيم في عصره . ولم يقف أثره عند معاصريه وتلاميذه ، وانما امتد الى العصور التي تلته وكان لكتبه وآرائه أثر لا يقل عما احدثه في جيله .

(١) حسن المحاضرة ج١ ص ١٥٠ وما بعدها ، وينظر الحياة الفكرية فى مصر ص ١٨٠-١٨١ ، وشذرات الذهب ج٧ ص ٥١-٥٢

مع التـــاريخ

اعتمـــد كثير من النحاة المتأخرين على كتب أبي حيـــان ونقلوا آراءه واستفادوا منها وردوا على بعضها . ومن اشهرهم

ابن الدماميني :

هو محمـــــد بن ابي بكر بن عمر بن ابي بكر بن محمـــــد ابن سليمان بن جعفر القرشي المخزومي الاسكندري بدرالدين . ولد بالاسكندرية سنة ٧٦٣ هـ ، وتمقه ودرس الآداب ودرس بعدة مدارس وتصدر بالجامع الازهر لاقراء النحو ، واشتغل بامور الدنيا ولكنه ركبه الدين فذهب الى اليمن ودرس بجامع زبيد ثم ركب البحر الى الهند ومات ببلد « كلبرجا » في شعبان سنة ٨٣٧هـ ، وقيل ٨٣٨ هـ . ومن كتبه « تحفة الغريب في حاشية مغني اللبيب » ، و « شـــرح البخاري » و « شرح التسهيل »[١] .

وقد استفاد من ابي حيان في شرحه للتسهيل المسمى بـ « تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد » ، وذكره في مقدمـــة الكتاب ونقل عنه وردّ عليه في بعض المواضع منها قوله شـــارحا كلام ابن مالك على المواضع التي ينصرف فيها الماضي الى الاستقبال ، يقول « وبالنفي بـ « لا » و « ان » بعد القسم . فالاول كقوله

---

(١) بغية الوعاة ص ٢٧

ردوا فوالله لاذذناكم ابــداً　　ما دام في مائنـــا ورد لنزّال

ونازعه ابو حيان في الاستدلال بهذا البيت اذ الاستقبال فيه انما استفيد من الظرف . قلت لان وقوع الظرف المستقبل هنا هو المؤثر للاستقبال حتى انه لو لم يكن انتفى استقبال الفعل ، الا ترى انه اذا قيل « والله لا فعلتَ كذا » لا يفهم منه الا المستقبل ولهـذا لم تكرر « لا » كمالا يلزم تكرارها مع المستقبل .

والثاني كقوله تعالى « ولئِن زالتا إِن امسكَهُما من احـدٍ من بعدِه »[1] ، ونازعه أيضا أبو حيان في ذلك بانه لا يمتنع ان يقال « والله ان قام زيد » بمعنى « ما قام زيد فيما مضى » .

قلت هذا متجه وقد يتوهم ان قول المصنف في « لا » مناقض لما سبق ، لقوله فيما مضى « خلافا لمن خصها ــأي: خص « لا » ــ بالمستقبل » ، وجوابه ان مراده خلافا لمن خص «لا» داخلة على المضارع بالمستقبل ، ولم يرد خلافا لمن خص « لا » بالمستقبل مطلقا »[2] .

ومنها قوله عند شرحه قول ابن مالك في « باب اعراب الصحيح الآخر » وهو ــ اي الاعراب ــ في الاسم اصل لوجوب قبوله بصيغة واحدة معاني مختلفة والفعل والحرف ليسا كذلك » . يقول « اي ليسا مثل الاسم في وجوب قبول معان مختلفة بصيغة واحدة .ونقضه أبو حيان بنحو « من » فانها للابتداء وللتبعيض ولبيان الجنس مثلا.

قلت ولا يرد ، لان الكلام في المعاني الطارئة بالتركيب لا المعاني الافرادية ، نعم يرد ان الحرف انما نفي عنه وجوب القبول ولا يلزم منه انتفاء الجواز والمقصود نفي القبول عنه اصلا ورأسا ولذا لم يعرف في وقت من الاوقات ، وخالفه المضارع فقبل جوازا لا وجوبا فاعرب

---

(١) سورة فاطر ، الآية ٤١

(٢) تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد لابن الدماميني مطبوع على هامش التذييل والتكميل ج١ ص ٥٧

بشرطه على جهة الفرعية كما هو مقرر »[1] .

البرماوي :

واهتم بكتب ابي حيان الشيخ الامام شمس الدين ابو عبدالله محمد بن عبدالدائم البرماوي الشافعي المتوفى سنة ٨٣٦ هـ[2] ، وقد شرح كتاب « اللمحة البدرية في علم العربية » لاعتناء النـــاس به ولحاجتهم اليه في تعليم اولادهم ، وبين ذلك في مقدمة شرحه يقول: « الحمد لله حمد من أناب الى ربه ، وصلواته وسلامه على محمـــد وآله وصحبه وبعد فهذا تلويح بتوضيح للمحة الامام العلامة أثيرالدين أبي حيان الاندلسي النفزي عفا الله عنـــه ، سألنيها بعض اخواني المبتدئين في علم العربية على وجه سهل من غير تشاغل بتحرير عبارة ولا تقيود ولا استيعاب شروط ، ولا ذكر خلاف بل التمثيل والايضاح لما في الكتاب فاجبتهم لذلك لما رأيته من الصواب في مثل هده المسالك لان المبتديء يعسر عليه السلوك في غير هذه الطريق ، والمنتهي مشتغل عن مثل هذه المقدمات بالبسط والتحقيق . والقصد بهـــذا الوضع تسهيل مطالعته للمبتديء ، وتعليم المنتهي كيف اقراء المبتديء ، ففي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى « كونوا ربانيين حكماء فقهاء » ، ويقال الرباني الذي يربى الناس بصغار العلم قبل كباره . والله تعالى يمدنا بحسن التوفيق الى أقوم طريق بمنه وكرمه وجميع المسلمين »[3] .

وطريقة البرماوي في شرح اللمحة لابي حيان بسيطة سهلة ، فهو لم يطل في الشرح ولم يوجزه ايجازا كبيرا وانما شرحه شرحا وســطا ليفهمه الطالب ، ومثل للقواعد التي تركها ابو حيان من غير تمثيل . ولم يرد على المصنف أو يناقشه أو يعقب عليه بل كان ينقل عبارة أبي

---

(١) تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ج١ ص ٦٣

(٢) تنظر ترجمته في شذرات الذهب ج٧ ص ١٩٧ـ١٩٨

(٣) شرح اللمحة للبرماوي ص ٢ ب

حيان ثم يشرحها ، ومثال ذلك قوله

« قوله وهو طلب نحو اضرب ولا تضرب » .

ش هذه أقسام الكلام وهي ثلاثة طلب وخبر وانشاء ، فالاول منها الطلب وهو اما طلب فعل وهو الامر نحو « اضرب » او طلب ترك وهو النهي نحو « لا تضرب » ، او طلب اخبار وهو الاستفهام نحو « هل قام زيد » وهذا الاخير لم يذكر المصنف تمثيله » .

« قوله وخبر نحو « زيد قائم » .

ش هذا القسم الثاني من اقسام الكلام وهو الخبر وضابطه ما يحتمل الصدق والكذب فان القائل اذا قال « زيد قائم » احتمل من حيث هو ان يكون صادقا وان يكون كاذبا » .

قوله « وانشاء نحو « بعت » .

ش هذا القسم الثالث من أقسام الكلام وهو الانشاء،وضابطه ان يقترن معناه المقصود منه بلفظه من غير تقديم ولا تأخير كقول البائع مثلا في الايجاب « بعت » ، وقول المشتري « قبلت » او «ابتعت»، فان حصول البيع من الاول والشراء من الثاني مقترن بلفظهما ولم يكن البيع والشراء صدرا قبل وجود لفظهما ، ولا يتأخران عنه وكذلك قول المطلق لزوجته « انت طالق » ، والمعتق لعبده « أنت حر » ثم هذا يسمى انشاء، لان المقصود منه مقارن لوجود لفظه »[١]

الازهــري :

هو خالد زين الدين بن عبدالله المصري الازهري الوقاد النحوي ، ولد في الصعيد وتحول وهو طفل مع ابيه الى القــاهرة وحفظ القرآن واشتغل بالعلم على كبر قيل كان عمره ست وثلاثين سنة فسقطت منه يوما فتيلة على كراس احد الطلبة فشتمه وعيره بالجهل فترك الوقادة

---

(١) شرح اللمحة للبرماوي ص ٤ب–٥

واكب على طلب العلم وبرع ، وقرأ في العربيـــة على يعيش المغربي والسنهوري واخذ قليلا عن الشمني والمناوي والف عدة كتب منها « التصريح بمضمون التوضيح» و « الازهرية » و«شرحها»و « شرح الاجرومية »و « شرح قواعد الاعراب لابن هشام »و« اعراب الالفية» . توفي سنة ٩٠٥هـ (١) .

وقد استفاد الازهري من ابي حيان واستشهد بآرائه وأقوالـه وبالاخص في كتابه « شرح التصريح على التوضيح » ، وليس في هذا الكتاب ردود على ابي حيان ، لان المؤلف انصرف الى شرح كتاب ابن هشام ولم يذكر ابا حيان الا حينما يريد ان يوضح مسألة او يزيدها شرحا ، وقد رأى في آراء ابي حيان وأقواله ما يعينه على الشرح ويفتح امامه الطريق .

السيوطي :

وكان العلامة الحافظ جلال الدين عبدالرحمن ابن ابي بـــكر بن محمد بن سابق الدين ابي بكر بن عثمان ابن الشـــيخ همام الدين الخضيري السيوطي الشافعي ، المولود سنة ٨٤٩ هـ والمتوفى ســنة ٩١١ هـ(٢) اكثر النحاة عناية باخبار ابي حيان وبآرائه النحوية . وقد ترجم له في « بغية الوعاة » و « حسن المحاضرة » واعتمد اعتمـــادا كبيرا على كتبه وبالاخص « ارتشاف الضـــرب من لسان العرب » ، و « التذييل والتكميل في شرح التسهيل » ، و « التذكرة في العربية » . وصرح بذلك فقال وهو يعدد كتب ابي حيان « والتذييل والتكميل في شرح التسهيل مطول ، والارتشاف مختصره ، ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين ولا اجمع ولا احصى للخـلاف والاحوال . وعليهما اعتمدت في كتابي « جمع الجوامع » نفع الله تعالى به ...

---

(١) شذرات الذهب ج٨ ص ٢٦

(٢) تنظر ترجمته في شذرات الذهب ج٨ ص ٥١ وما بعدها

التذكرة في العربية اربع مجلدات كبار وقفت عليها وانتقيت منها كثيرا »[1] .

وقال وهو يتحدث عن « همع الهوامع في شرح جمع الجوامع » « واستعين في اكمال ما قصدت اليه من تأليف مختصر في العربية جامع لما في الجوامع من المسائل والخلاف ، حاو لوجازة اللفظ وحسن الائتلاف محيط بخلاصة كتابي « التسهيل » و « الارتشاف »[2] .

ويقول الخوانساري « وكان اوفرهم رواية عنه وعناية بتحقيقاته هو الفاضل السيوطي في اغلب مطولاته وتذييلاته ، وذكره ايضا على سبيل التفصيل في طبقاته »[3] .

ولذلك نجد السيوطي يعتمد كل الاعتماد على آراء ابي حيان في كتبه « همع الهوامع » و « الاشباه والنظائر » ، و « البهجة المرضية في شرح الالفية » ، ولا تكاد تمر مسألة نحوية في هذه الكتب الا وفيها رأي لابي حيان، وخلاصة القول فان كتب السيوطي منبع فياض لآراء أبي حيان النحوية ، ويستطيع الباحث ان يعتمد عليها في دراسته والتعرف على آرائه . وليس من اليسير جمع ما نقله السيوطي عنه لكثرته وقد ذكرنا بعض ذلك عند حديثنا عن آراء ابي حيان النحوية .

الاشموني

ونقل أبو الحسن علي نورالدين بن محمد بن عيسى الاشموني الفقيه الشافعي المقرىء الاصولي المتوفى سنة ٩٢٩ هـ[4] بعض اقوال ابي حيان في كتابه الكبير المسمى « منهج السالك الى الفية ابن مالك » ولكنه لم يرد عليه او يفند آراءه .

---

(١) بغية الوعاة ص ١٢٢ ، وينظر شذرات الذهب ج٦ ص ١٤٧
(٢) همع الهوامع ج١ ص ٢
(٣) روضات الجنات ج٤ ص ٢٠٤
(٤) تنظر ترجمته في شذرات الذهب ج٨ ص ١٦٥

ومن آراء ابي حيان التي نقلها الاشموني في شرحه للالفية رأيهفي الجر بـ « الفاء » و « بل » ، وفي كيفية تأكيد المثنى والمجموع بالنفس والعين وفي جواز العطف على الضمير المستكن ، وفي الوقف على المرخم بحذف الهاء ولحاق هاء السكت اياه ، وفي حكم الفعل الواقع بعد اللام[1] .

العليمي :

ونقل ياسين بن زين الدين المتوفى سنة ١٠٦١ هـ كثيرا من آراء أبي حيان في حاشيته على«شرح التصريح على التوضيح » لخالد الازهري وكان موقفه منه موقف الناقل الواثق بآرائه لذلك لا نجد ردوداعليه.

كتب ترد وتناقش :

والف بعضهم كتبا في الرد على ابي حيان او مناقشته او الفصل بينه وبين الذين رد عليهم من المفسرين والنحاة ، ومن هذه الكتب

١ـ « الرد على ابي حيان في تعصباته على ابن مالك » لعلي بن يوسف الانباري المتوفى سنة ٨١٤هـ[2] .

٢ ـ « بين ابي حيان وابن عطية والزمخشري » للشيخ يحيى الشاوي المغربي ، وقد جمع فيه اعتراضات ابي حيان على الزمخشري وابن عطية وقصد به توضيح الصواب في هذه المناقشات . ومنه نسخة نقلت عن نسخة بخط المؤلف في المكتبة الازهرية برقم ١٢٥٤ (رافعي) تفسير ، ونسخة اخرى كتبت سنة ١٠٧٩ هـ محفوظة فيمكتبة « لالي » ومنها مصورة في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية .

---

(١) ينظر شرح الاشموني ج٢ ص ٣٠٠ و٤٠٣ و٤٣٣ ـ ٤٣٤ و ٤٦٨ـ٤٦٩ وج٣ ص ٥٥٧

(٢) ينظر كشف الظنون ج٢ ص ٨٣٨

٣ ـ « بغية الظمآن من فوائد ابي حيان » لعيسى بن عبدالرحمن السكتاني المغربي المالكي المتوفى سنة ١٠٦٢ هـ[١] .

الاعتناء باخباره :

واعتنى بنقل اخبار ابي حيان كثير من المؤرخين ، وكان اول من ترجم له فيما نقل صاحب نفح الطيب ، ابن راجح محمد بن علي بن الحسن بن راجح الشريف الحسني المتوفى سنة ٧٦٥ هـ ، وأبو عبدالله محمد المكودي الفاسي[٢] واهتم بنقل اخباره صاحب فهرس الفهارس حتى انه لشدة اعتنائه بذلك ذكر لنا الاسانيد التي نقل عنها أخبار أبي حيان فقال « اروي فهرسته وغيرهما مما له باسانيدها الى السيوطي عن ولي الدين السمنودي عن سراج الدين بن الملقن عن أبي حيان ، وأروي جميع ماله أيضا باسانيدنا الى المقري عن عمه سعيد عن محمد بن الجليل القنسي عن أبيه عن ابن مرزوق عن جده الخطيب عن أبي حيان ، حدثنا عنه باسانيدنا الى السراج عن الرعيني عنه ، وحدثنا عنه باسانيدنا عن الحافظ ابن حجر عن حفيد أبي حيان محمد ابن حيان عن جده أبي حيان »[٣] . وقال « حدثنا عنه حفيده حيان والشيخ برهان الدين الشامي والشيخ سراج البلقيني وآخرون »[٤] واعتنى باخباره وفوائده الشيخ تاج الدين السبكي في كتابه « طبقات الشافعية الكبرى » ، وروى عنه القصيدة التي قالها أبو الحسن حازم ابن ابي عبدالله بن خازم النحوي الاديب في مدح بعض خلفاء الغرب الذين ملكوا مدينة تونس ، وهي قصيدة تتضمن علوم النحو ، وروى شرحه لهذه القصيدة ، وكثيرا من الاحاديث مع اسانيدها التي روى عنها أبو حيان[٥] .

---

(١) كشف الظنون ج١ ص ٢٤٩

(٢) ينظر نفح الطيب ج٨ ص ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٣٥٠ .

(٣) فهرس الفهارس ج١ ص ١٠٩

(٤) فهرس الفهارس ج١ ص ١٠٨ ، وينظر الدرر الكامنة ج٤ص ٣١٠

(٥) ينظر طبقات لشافعية ج٦ ص ٣٨-٤١ ، ٣٣ ـ ٣٥

هذا موقف المتأخرين من النحاة والمؤرخين من ابي حيــان ومن آرائه وكتبه ، ومنه يتضح ان هذا الرجل بعث حركة قوية في التأليف والمناقشات التي حدثت بين من تعصب له او عليه ، وتتضح منزلته عند تلاميذه وغيرهم على مدى الاجيال •

وهكذا كان ابو حيان رجلا عظيما اه جولات موفقة في علوم اللغة العربية وله آراء تفيد في دراسة النحو وتطوره ، وسيبدو أثر هــدا الرجل واضحا جليا حينما تطبع كتبه ويطلع الناس عليها •

خاتمة

لقد آن أن نلقي القلم بعد هـذا التطواف في كتب أبي حيـان ومنهجه النحوي ، ونقف الآن لنتساءل ماذا حققنا في هذه الدراسة ، وما النتائج العامة التي انتهينا اليها ؟

ليس البحث في أبي حيان بالامر السهل اليسير وذلك لقلة الاخبار عنه وضياع بعض كتبه المهمة كـ « النضار في المسلاة عن نضار » الذي ترجم فيه لنفسه وشيوخه واحواله ، ولكننا استطعنا بعد العناء والبحث الطويل في كتب التراجم والتأريخ أن نجمع العبارات والاسطر المتناثرة عنه وان نضم بعضها الى بعض لنصور حياته منذ نشأته ورحيله حتى وفاته في القاهرة سنة ٧٤٥هـ ، ولنرسم صورة واضحة لثقافته الواسعة وكتبه الكثيرة المتنوعة . ويمكن القول بعد هذا كله اننا أول من عرض سيرة أبي حيان بالتفصيل ، وأول من حاول جمع مصنفاته وعرضهـا عرضا حسنا بعد أن حصلنا على نسخ مخطوطاتها المبعثرة في المكتبات . ومن هنا جاء عملنا جديدا في بابه لم نسبق اليه وان كنا نعترف ان هذا الباب يحتاج الى مزيد من البحث ولكن المصادر التي وقعت بين أيدينا لم تكن كافية لتسد كثيرا من الثغرات التي نحسها والتي نتمنى ان نملأها في يوم من الايام . ونرى بعد هذا العرض انه لا تزال هنـاك

مسألتان تحتاجان الى تدقيق ودراسة أوسع ، وهاتان المسألتان هما

الاولى سيرته وحياته الخاصة التي تقلب فيهــا بين الأندلس وشمال افريقية ومصر ، ولعل الايام تكشف لنا عن كتابه « النضار » ليسد هذه الثغرة ويلقي أضواء كشافة على جوانب حياته التي لا تزال مجهولة أو لا تزال المعلومات قليلة عنها •

والثانية مصنفاته حيث لا يزال بعضها مفقودا وان العثور عليها جميعها ليكشف كثيرا من جوانب حياته الاجتماعية والعلمية •

هذا من ناحية سيرة أبي حيان وآثاره ، أمــا من حيث منهجــه النحوي فاننا صورنا هذا المنهج بقدر ما استطعنا ، واوضحنا علاقته بالمدارس النحوية والنحاة المتقدمين عليه كسيبويه وابن عصفور وابن مالك ، وبينا موقفه منهم جميعا •

وقد ظهر جليا ان هذا الرجل لم يكن مقلدا لهؤلاء ولم يكن ذا مذهب اتباعي دائما ، وانما كانت له نظرات فاحصة وآراء دقيقــة صائبــة •

أما منهجه النحوي فقد أظهرنا فيه انه كان صــاحب فكرة واضحة واتجاه نحوي بقي يسعى اليه حتى في آخر كتبه:« الارتشاف» واتضح ان له منهجا نحويا يقوم على الملاحظة القوية والادراك الثاقب، واستطعنا بعد هذا كله ان نصور آراءه في السماع والقياس والعلــة والشاهد والضرورة ، ولعل أهم ما في هذا البحث حديثنا عن ظاهريته وأثرها في النحو ومنهجه ، فقد اثبتنا انه كان ظاهريا حتى في النحو ، وانتهينا الى انه لو انساق مع مذهبه الظاهري الذي كان عليه في مطلع حياته العلمية وتمسك كل التمسك بآراء ابن مضاء القرطبي صــاحب « الرد على النحاة » لجاء بكل جديد طريف ، ولكنه كان شديد التأثر بالبصريين وامامهم سيبويه فمال اليهم وجنح الى نحوهم واستفاد منه في توجيــه آرائه وعرض أقواله • ومن هنــا كانت الغلبــة للمذهب البصري •

واستطعنا بعد تصوير منهج أبي حيان النحوي أن نضع أيدينا على آرائه النحوية ، وانتهينا الى ان له آراء خاصة به قسمناها الى ضربين:

الاول الآراء الانفرادية وهي الآراء التي انفرد بها ولم يذكرها غيره •

والثاني الآراء الاجتهادية وهي الآراء التي قال بها المتقدمون ورجحه أبو حيان وأخذ بها •

وهذا ليس بقليل من رجل عاش في القرن السابع وما بعده وعكف على كتب ابن عصفور وابن مالك يلخصها ويشرحها ويعلق عليها • وكم كنا نود او ان المتأخرين اهتموا بابي حيان ونحوه ولكنهم انصرفوا عنه الى كتب ابن مالك يلخصونها ويشرحونها ، وكاديصبح نسيامنسيا لولا بعض الاشارات والمناقشات التي ذكرها تلاميذه وبعض المتأخرين وقد استطعنا ان نصور كل هذه الجوانب في الفصل الاخير من البحث وفيه انتهينا الى ان ابا حيان كان مظلوما حينما لم يهتم به المتأخرون اهتماما كبيرا ، ولعل السيوطي كان من اشهر الذين حفظوا لهذا الرجل آراءه النحوية في « همع الهوامع » و « الاشباه والنظائر » اللذين يعدان من اهم الكتب المتأخرة التي اهتمت بأبي حيان • •

ويمكننا ان نلخص عملنا في هذا البحث بما يأتي

١ ــ جمعنا المعلومات والاخبار المتناثرة في الكتب عن أبي حيان وكوّنا منها صورة تكادتكون واضحة لسيرته واخلاقهوثقافتهوعقيدته•

٢ ــ وجمعنا كتبه المطبوعة والمخطوطة وبوبناها تبويبا موضوعيا ، وتحدثنا عن كل كتاب وبينا قيمته وأهميته في الدراسات المختلفة •

٣ ــ وبينا علاقة أبي حيان بالمدارس النحويةوموقفه من النحاة المشهورين كسيبويه وابن عصفور وابن مالك •

٤ ــ ورسمنا صورة واضحة لمنهجه النحوي وتأثره فيه بالمذهب

الظاهري وبابن مضاء القرطبي ، وموقفه من اصول النحو ومسائله العامة كالسماع والقياس والعلة والشاهد والضرورة .

٥ ـ وجمعنا آراءه النحوية المختلفة وصنفناها الى صنفين:الاول ما يتعلق بآرائه الانفرادية ، والثاني ما يخص آراءه الاجتهادية .

٦ ـ واوضحنا بعد هذا كله موقف النحاة المتأخرين منه ، وأثبتنا انه لم ينل اهتماما كبيرا ولم يثر حركة نحوية عنيفة ، وانما كانت كتبه تقرأ فيعلق عليها أو يرد على بعض آرائه .

هذا ما استطعنا ان نقوم به في هـذا البحث ، وليس عملنا الا مقدمة لدراسة أبي حيان ومنهجه في النحو ، واننا لنـأمل ان نقوم بدراسات أوفى وأعمق في هذا الحقل ، وندرس الرجـل من جميع جوانب ثقافته فنخصص بحثا لابي حيان المفسر ، وبحثا لابي حيـان اللغوي ، وبحثا لابي حيان الاديب المؤرخ .

ومن الله العون والتوفيق .

خديجة عبدالرزاق الحديثي

مصادر البحث ومراجعه

١ ـ المخطوط :

ابن تغري بردى جمال الدين يوسف بن تغري بردى الاتابكي .

١ ـ المنهل الصافي . مخطوطة دار الكتب بالقاهرة ـ ١١١٣ تأريخ .

ابن عصفور علي بن مؤمن بن محمد بن علي النحوي الحضرمي الاشبيلي .

٢ ـ المقرب . مخطوطة دار الكتب ـ ٤٥٩ نحو .

ابن قاضي شهبة الاسدي الشافعي

٢ب ـ طبقات النحاة واللغويين . مخطوطة دار الكتب العربية ١٢٣٨هـ ـ ١٩١٩ بدمشق .

ابن مالك محمد جمال الدين الجياني الاندلسي .

٣ ـ الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد . مخطوطة دار الكتب ـ ٥٧٦ لغة .

٤ ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد . مخطوطة دار الكتب ٥٧٩٨هـ نحو

ابن هشام جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبدالله بن هشام الانصاري .

د ـ شرح اللمحة البدرية في علم العربية . مخطوطة دار الكتب ـ

١٢٢٢ نحو •

أبو حيان أثيرالدين محمد بن يوسف الغرناطي الاندلسي •

٦ ــ الادراك للسان الاتراك • مخطوطة مصورة في دار الكتب •

٧ ــ ارتشاف الضرب من لسان العرب • مخطوطة معهد احياء المخطوطات في جامعة الدول العربية سنة ١١١٧هـ(مصورة)•

٨ ــ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب • مخطوطة دار الكتب ٢/٩ تفسير ، وهي مصورة عن نسخة باريس برقم ٦١٤

٩ ــ التدريب في تمثيل التقريب ــ مخطوطة بشير آغا ــ ٢٧١٧٣•

١٠ ــ التذييل والتكميل في شرح التسهيل • مخطوطات دار الكتب •

١١ ــ تقريب المقرب ــ مخطوطة بشير أغا ــ ١٧٣ أ •

١٢ ــ غاية الاحسان في علم اللسان • مخطوطة دار الكتب رقم ٢٤ ش نحو

١٣ ــ لغات القرآن • مخطوطة المكتبة التيمورية بدار الكتب ــ ٧٤ لغة •

١٤ ــ اللمحة البدرية في علم العربية • مخطوطة دار الكتب •١٠٥٠•

١٥ ــ المبدع الملخص من الممتع • مخطوطة دار الكتب ــ ٢٤ ش نحو •

١٦ ــ الموفور من شرح ابن عصفور ــ مخطوطة دار الكتب ــ ٢٤ ش نحو •

١٧ ــ النكت الحسان في شرح غاية الاحسان • مخطوطة دار الكتب ــ ٣٦٤ •

١٨ ــ الهداية في النحو • مخطوطة دار الكتب ضمن مجموعة وفي المكتبة التيمورية •

الاسنوي عبدالرحيم بن الحسن الاسنوي •

١٩ ــ الكواكب الدرية في تنزيل الفروع الفقهية على القواعد النحوية • نسخة دار الكتب بالقاهرة برقم ٥١٤٤ هـ نحو•

البرماوي شمس الدين محمد بن عبدالدائم •

٢٠ ــ شرح اللمحة البدرية • مخطوطة دار الكتب ــ ١٢٢١ •
السمين   شهاب‌الدين احمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن ابراهيم الحلبي •
٢١ ــ الدر المصون في علم الكتاب المكنون ــ مخطوطة دار الكتب ــ ١٠٨ نحو •
الصفدي   صلاح‌الدين خليل بن أيبك •
٢٢ ــ أعيان العصر واعوان النصر • مخطوطة دار الكتب ــ ١٠٩١ تأريخ •
المرادي   حسن بن قاسم بن عبدالله •
٢٣ ــ شرح التسهيل في النحو ــ مخطوطة دار الكتب ــ ٦٣ نحو •
ناظر الجيش   محب‌الدين محمد بن يوسف بن احمد بن عبدالدائم الحلبي •
٢٤ ــ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ــ مخطوطة دار الكتب ــ ٣٤٩ نحو •

٢ ــ المطبوع :

ابراهيم أنيس (دكتور) •
٢٥ ــ اللهجات العربيه • دار الفكر بالقاهرة •
أحمد أمين •
٢٦ ــ ضحى الاسلام • الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٥٣هـ ــ ١٩٣٥م
٢٧ ــ ظهر الاسلام • مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة •
ادورد فنديك
٢٧ب ــ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أجل التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية • صححه محمد علي الميلاوي ــ مصر ١٨٩٦ م ــ ١٣١٣ هـ •
الازهري   خالد بن عبدالله •
٢٨ ــ شرح التصريح على التوضيح • القاهرة الطبعة الاولى

١٣٧٤ ــ ١٩٥٤ •
الاعلم الشنتمري
٢٩ ــ شرح شواهد الكتاب • تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب على هامش كتاب سيبويه•
الأشموني :
٣٠ ــ شرح الاشموني على ألفية ابن مالك المسمى « منهج السالك الى الفية ابن مالك » • تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد• الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٧٥ ــ ١٩٥٥ •
ابن الآلوسي البغدادي نعمان خيرالدين •
٣١ ــ جلاء العينين في محاكمة الاحمدين • القاهرة ١٢٩٨ هـ •
ابن الانباري أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد •
٣٢ ــ نزهة الالباء في طبقات الادباء • تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي • بغداد ١٩٥٩ •
٣٣ ــ الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين • تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد • الطبعة الثانية بالقاهرة ١٩٥٣ •
ابن اياس محمد بن احمد الحنفي المصري
٣٤ ــ بدائع الزهور في وقائع الدهور • الطبعة الاولى بولاق ١٣١١•
ابن بطوطة :
٣٥ ــ تحفة النظار في غرائب الامصار (رحلة ابن بطوطة) • القاهرة ١٣٥٨ ــ ١٩٣٨
ابن تغري بردى جمال الدين أبو المحاسن يوسف
٣٦ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة • دار الكتب بالقاهرة ١٣٥٣ ــ ١٩٣٥ •
ابن جني : ابو الفتح عثمان الازدي •
٣٧ ــ الخصائص • دار الكتب بالقاهرة تحقيق محمد علي النجار

١٣٧١ ـ ١٩٥٢ •

ابن الجزري • شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد

٣٨ ـ غاية النهاية في طبقات القراء • القاهرة ١٣٥٢ ـ ١٩٣٣ •

٣٩ ـ النشر في القراءات العشر • القاهرة • مطبعة مصطفى محمد •

ابن حزم علي بن احمد بن سعيد الاندلسي الظاهري •

٤٠ ـ الاحكام في اصول الاحكام • تحقيق احمد محمد شاكر •
الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٤٧ •

ابن الخطيب لسان الدين بن الخطيب •

٤١ ـ الاحاطة في اخبار غرناطة • دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٦ ،
تحقيق محمد عبدالله عنان •

ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي •

٤٢ ـ مقدمة ابن خلدون • بيروت •

ابن خلكان

٤٣ ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان • تحقيق محمد محيي
الدين عبدالحميد • القاهرة ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨ •

ابن عقيل بهاء الدين عبدالله بن عقيل •

٤٤ ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك • الطبعة السادسة
بالقاهرة ١٣٧٠ ـ ١٩٥١ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد •

ابن قطلوبغا أبو العدل زين الدين قاسم •

٤٥ ـ تاج التراجم في طبقات الحنفية • بغداد ١٩٦٢ •

ابن كثير عمادالدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر •

٤٦ ـ البداية والنهاية في التأريخ • مطبعة السعادة بالقاهرة •

ابن مضاء احمد بن عبدالرحمن بن محمد بن سعد اللخمي
القرطبي •

٤٧ ـ الرد على النحاة • تحقيق الدكتور شوقي ضيف • الطبعة

الاولى بالقاهرة ١٣٦٦ ــ ١٩٤٧ ٠

ابن مكتوم احمد بن عبدالقادر القيسي النحوي
٤٨ ــ الدر اللقيط من البحر المحيط ٠ مطبوع على حاشية البحر المحيط ، الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٢٨ هـ ٠

ابن منظور جمال‌الدين محمد بن جلال الدين الانصاري ٠
٤٩ ــ لسان العرب ٠

ابن النديم
٥٠ ــ الفهرست ٠ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ٠

ابن هشام جمال‌الدين بن يوسف بن احمد الانصاري
٥١ ــ اوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ٠ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ٠ الطبعة الرابعة بالقاهرة١٣٧٥ــ١٩٥٦٠
٥٢ ــ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ٠ تحقيق محمد محيي‌الدين‌عبدالحميد٠الطبعة السابعة بالقاهرة١٣٧٦ــ١٩٥٧٠
٥٣ ــ شرح قطر الندى وبل الصدى ٠ تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ٠ الطبعة التاسعة بالقاهرة ١٣٧٧ ــ ١٩٥٧ ٠
٥٤ ــ فوح الشذا بمسألة كذا ٠ تحقيق الدكتور أحمد مطلوب٠ بغداد ١٩٦٣ ٠
٥٥ ــ مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ٠ تحقيق محمدمحيي‌الدين عبدالحميد ٠ القاهرة ٠

ابن الوردي زين‌الدين عمر بن الوردي ٠
٥٦ ــ تأريخ ابن الوردي ٠ القاهرة ١٢٨٥ ٠

ابن يعيش
٥٧ ــ شرح المفصل ٠ طبعة ادارة الطباعة المنيرية بمصر ٠

أبو حيان أثير‌الدين محمد بن يوسف الغرناطي الاندلسي ٠
٥٨ ــ البحر المحيط ٠ الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٢٨ ٠

٥٩ ــ الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء • تحقيق الشيخ محمد حسين آل ياسين • بغداد ١٣٨٠ ــ ١٩٦١ •

٦٠ ــ منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك • تحقيق سدني جليزر نيوهافن ١٩٤٧ •

٦١ ــ النهر الماد من البحر • مطبوع على حاشية البحر المحيط •

أبو الطيب اللغوي عبدالواحد بن علي

٦٢ ــ مراتب النحويين • تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم • القاهرة •

أبو الفدا عمادالدين اسماعيل صاحب حماه •

٦٣ ــ المختصر في اخبار البشر • الطبعة الاولى بالقاهرة •

بالانثيا انخل جنثالث

٦٤ ــ تأريخ الفكر الاندلسي • ترجمة الدكتور حسين مؤنس • الطبعة الاولى بالقاهرة ١٩٥٥ •

بدوي احمد احمد (الدكتور) •

٦٥ ــ الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام • القاهرة •

بروكلمان كارل

٦٦ ــ تأريخ الادب العربي • ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار • دار المعارف بالقاهرة ١٩٦١ •

البغدادي اسماعيل باشا بن محمد امين بن مير سليم البابانى

٦٧ ــ هدية العارفين • استانبول ١٩٥٥ •

٦٨ ــ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١٣٦٤ ــ ١٩٤٥ استانبول •

البغدادي الخطيب البغدادي

٦٩ ــ تأريخ بغداد • طبعة مصر •

البغدادي   عبدالقادر بن عمر •
٧٠ ــ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب • الطبعة الاولى بولاق بالقاهرة •

البقاعي   برهان الدين
٧١ ــ مصرع التصوف أو تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي وتحذير العباد من أهل العناد • تحقيق عبدالرحمن الوكيل • الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٧٢ ــ ١٩٥٣ •

جولد تسيهر   اجنتس
٧٢ ــ مذاهب التفسير الاسلامي • ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار القاهرة ١٣٧٤ ــ ١٩٥٥ •

حاجي خليفة   مصطفى بن عبدالله
٧٣ ــ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون • استانبول ١٣٦٠ ــ ١٩٤١ •

الحديثي (الدكتورة خديجة الحديثي)
٧٤ ــ ابنية الصرف في كتاب سيبويه • الطبعة الاولى • بغداد ١٣٨٥ ــ ١٩٦٥ •

حسن ابراهيم حسن (دكتور)
٧٥ ــ تأريخ الدولة الفاطمية • الطبعة الثانية بالقاهرة

حسن عون   (دكتور)
٧٦ ــ اللغة والنحو • الطبعة الاولى بالاسكندرية ١٩٥٢ •

الحموي   ابن حجة تقي الدين ابي بكر •
٧٧ ــ خزانة الادب وغاية الارب • الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٠٤ •

الحموي   ياقوت
٧٨ ــ معجم البلدان • الطبعة الاولى بالقاهرة •

الحميري   محمد بن نشوان
٧٩ ــ مختصر في الفرق بين الضاد والظاء • تحقيق الشيخ محمد

حسين آل ياسين • بغداد ١٣٨٠ ــ ١٩٦١ •
الحنبلي عبدالحي بن العماد
٨٠ ــ شذرات الذهب في اخبار من ذهب • القاهرة ١٣٥١ •
الخاقاني علي
٨١ ــ مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة • بغداد ١٩٦١
الخوانساري ميرزا محمد باقر الموسوي الاصفهاني •
٨٢ ــ روضات الجنات • طبعة حجرية في طهران •
الدسوقي محمد بن محمد عرفة •
٨٣ ــ حاشية الدسوقي على الشرح المختصـــر للتفتازاني •
القاهرة ١٩٣٧ •
الذهبي شمس الدين ابو عبدالله •
٨٤ ــ تذكرة الحفاظ • الطبعة الثانية في حيدر آباد ، ١٣٣٤ •
الذهبي محمد حسين
٨٥ ــ التفسير والمفسرون القاهرة ١٣٨١ ــ ١٩٦١ •
الزبيدي ابو بكر محمد بن الحسن
٨٦ ــ طبقات النحويين واللغويين • القاهرة ١٣٧٣ ــ ١٩٥٤ •
الزركلي خيرالدين
٨٧ ــ الاعلام • الطبعة الثانية القاهرة ١٣٧٦ ــ ١٩٥٦ •
زيدان جرجي
٨٨ ــ تأريخ آداب اللغة العربية• مراجعة الدكتور شوقي ضيف•
القاهرة •
السبكي بهاءالدين
٨٩ ــ عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح•القاهرة ١٩٣٧ •
السبكي تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب بن تقي الدين
٩٠ ــ طبقات الشافعية الكبرى • الطبعة الاولى بالقاهرة١٣٢٤•

سركيس يوسف اليان
٩١ ــ معجم المطبوعات العربية والمعربة ٠ القاهرة ١٣٤٦ــ١٩٢٨٠
سعيد الافغاني :
٩٢ ــ في اصول النحو ٠ الطبعة الثانية بدمشق ١٣٧٦ هــ١٩٥٧م
٩٣ ــ نظرات في اللغة عند ابن حزم ٠ مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٣ م
سيبويه :
٩٤ ــ الكتاب ٠ الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣١٦ ٠
سيدة اسماعيل كاشف
٩٥ ــ مصر في عصر الاخشيديين ٠ القاهرة ١٩٥٠ ٠
السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الشافعي
٩٦ ــ الاشباه والنظائر في النحو ٠ الطبعة الثانية بحيدر آباد ١٣٥٩ ٠
٩٧ ــ الاقتراح في علم اصول النحو ٠ الطبعة الثانية بحيدر آباد الدكن ١٣٥٩ ٠
٩٨ ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٠ الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٢٦ ٠
٩٨ب ــ البهجة المرضيّة في شرح الالفية طبعة المكتبة العلمية الاسلامية بطهران ٠ طبع حجر سنة ١٢٩٧ هـ ٠
٩٩ ــ حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ٠ طبعة القاهرة ١٢٩٩ ٠
١٠٠ ــ المزهر في علوم اللغة وانواعها ٠ تحقيق احمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ٠ القاهرة ٠
١٠١ ــ همع الهوامع ــ شرح جمع الجوامع ٠ الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٢٧ ٠
شكيب ارسلان (الامير)
١٠٢ ــ الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية ٠ الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٥٨ ــ ١٩٣٩ ٠

شلبي   الدكتور عبدالفتاح اسماعيل
١٠٣ ــ أبو علي الفارسي ــ حياته ومكانته بين أئمة العربية وآثاره في القراءات والنحو • القاهرة ١٣٧٧ •
شوقي ضيف (دكتور)
١٠٤ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي • بيروت ١٩٥٦ •
الشوكاني   محمد بن علي
١٠٥ ــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع • الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٤٨ •
الصفدي   صلاح‌الدين خليل بن أيبك
١٠٦ ــ الغيث المنسجم في شرح لامية العجم • الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٥٥ •
١٠٧ ــ نكت الهميان في نكت العميان • القاهرة ١٣٢٩ ــ ١٩١١ •
طاش كبري   احمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده
١٠٨ ــ مفتاح السعادة ومصباح السيادة • الطبعة الاولى بحيدر آباد ١٣٢٨ ، ١٣٥٦ •
طه الراوي
١٠٩ ــ تأريخ علوم اللغة العربية • الطبعة الاولى ببغداد ١٣٦٩ ــ ١٩٤٩ •
١١٠ ــ نظرات في اللغة والنحو • الطبعة الاولى ببيروت ١٩٦٢ •
عباس العزاوي
١١١ ــ تأريخ الادب العربي في العراق • بغداد ١٣٨١ ــ ١٩٦١ •
١١٢ ــ النقد الادبي ومصادره (مقالة نشرت في مجلة المجمع العلمي العراقي • المجلد السابع ١٣٧٩ ــ ١٩٦٠) •
عبدالحميد حسين :
١١٣ ــ القواعد النحوية ــ مادتها وطريقتها • الطبعة الثانية

بالقاهرة ١٩٥٣ .
عبداللطيف حمزة (دكتور)
١١٤ ــ الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول . الطبعة الاولى بالقاهرة .
عبدالوهاب حمودة :
١١٥ ــ القراءات واللهجات . الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٦٨ ــ ١٩٤٨ .
العسقلاني : شهاب‌الدين احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي
١١٦ ــ الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة . الطبعة الاولى بحيدر آباد ١٣٥٠ .
علي ضافي حسين
١١٧ ــ ابن دقيق العيد . دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٠ .
العليمي الشيخ ياسين بن زين الدين
١١٨ ــ حاشية على شرح التصريح على التوضيح للازهري . الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٧٤ ــ ١٩٥٤ .
القفطي جمال‌الدين أبو الحسن علي بن يوسف (الوزير)
١١٩ ــ إنباه الرواة على أنباه النحاة . دار الكتب بالقاهرة ١٣٦٩ ــ ١٩٥٠ .
القلقشندي الشيخ ابو العباس احمد
١٢٠ ــ صبح الاعشى في صناعة الانشا . دار الكتب بالقاهرة ١٣٤٠ ــ ١٩٢٢ .
الكتبي محمد بن شاكر بن احمد
١٢١ ــ فوات الوفيات . تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد . القاهرة ١٩٥١ .
كحالة : عمر رضا
١٢٢ ــ معجم المؤلفين . دمشق ١٣٨٠ ــ ١٩٦٠

كوركيس عواد

١٢٣ ــ جولة في دور الكتب الامريكية • بغداد ١٩٥١ •

اللكنوي أبو الحسنات محمد بن عبدالحي الهندي

١٢٤ ــ الفوائد البهية في تراجم الحنفية • الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٢٤ •

محمد الخضر حسين (شيخ الجامع الازهر)

١٢٥ ــ دراسات في العربية وتأريخها • الطبعة الثانية بدمشق ١٣٨٠ ــ ١٩٦٠ •

محمد رزق سليم

١٢٦ ــ عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي • القاهرة ١٣٧١ ــ ١٩٥٢ •

محمد عبدالله عنان

١٢٧ ــ نهاية الاندلس وتأريخ العرب المنتصرين • الطبعة الثانية بالقاهرة ١٣٧٨ ــ ١٩٥٨ •

المراكشي

١٢٨ ــ المعجب في تلخيص أخبار المغرب•المطبعة التجاريةبالقاهرة•

المقري أحمد بن محمد المقري التلمساني

١٢٩ ــ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب • تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد • الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٦٧ ــ ١٩٤٩ • •

الموصلي الدكتور داود الجلبي

١٣٠ ــ مخطوطات الموصل • بغداد ١٣٤٦ ــ ١٩٢٧ •

مهدي المخزومي (دكتور)

١٣١ ــ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو • بغداد ١٣٧٤ ــ ١٩٥٥ •

النعيمي عبدالقادر بن محمد الدمشقي
١٣٢ ــ الدارس في تأريخ المدارس • تحقيــق جعفر الحسني •
دمشق ١٣٦٧ ــ ١٩٤٨

٣ ــ الفهارس ودوائر المعارف والمجلات :

١٣٣ ــ دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) •
١٣٤ ــ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة •
١٣٥ ــ مجلة المجمع العلمي العراقي •
١٣٦ ــ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق •
١٣٧ ــ فهارس دار الكتب بالقاهرة •
١٣٨ ــ فهرس الخزانة التيمورية بدار الكتب في القاهرة •
١٣٩ ــ فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعــاجم والمشيخات
والمسلسلات لابي المفاخر محمد الحسني الادريســـي •
الطالعة ١٣٤٦ •
١٤٠ ــ فهرس المخطوطات المصورة في معهــد احياء المخطوطات
العربية لجامعة الدول العربية •
١٤١ ــ فهرس مكتبة البلدية بالاسكندرية •

المراجع الاجنبية :

142- Handlist of Arabic manuscr ipts in the Library of the university of Leiden. 1957.

143- The Chester Beatty library, a handlist of the Arabic manuscripts. Arthur j .Arberrey, Dublin, 1955.

144- Geschichte der Arabischen Literatur, von, Carl Brocklmon. Leiden 1949.

الفهارس العامة

الموضوعات

الباب الاول

أبو حيان وآثاره

١٧ ـ ٢٦١

الباب الثاني

منهجه النحوي

٢٦٣ ـ ٥٨٥

القوافي

الهمزة

البـــاء

(*) اعانني الاستاذ عبدالله الجبوري فى وضع هذه الفهارس فجزاه الله خيرا

أول البيت	القافية	الصفحه
كم	العلى	٤٤٨
ما	صول	٤٦٥
لميـــة	طلل	٤٦٧
تبادرن	البديل	٤٦٨
لهــا	الحبل	٤٩٠
والمرء	الاهلال	٤٩٠
وذو	قائله	٥٣٠
وان	معول	٥٣٣
كأن	وكل	٥٣٥
وليس	بنبال	٥٣٦
والله	كاهلا	٥٤٦
ليس	قديل	٥٤٥
املت	الامل	٥٥٤
ردوا	لنزال	٥٧٩
	الميم	
صنائع	النعما	٤٤
رجاؤك	العقم	٥٤
لقد زادني	تعلما	٥٦
خليفتنا	الكريم	٧٧
تعشقته	البغام	٨٧
كلفت	ناعم	٨٨
ويعجبني	القرام	٩١
يظن	العلوم	٩٦
فارتموا	الكليم	٩٩

الاعلام

الهمزة

الباء

التاء

الثاء

الجيم

الخاء

الدال

الذال

الراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

الظاء

الفـــاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

الكتب

الهمزة

الباء

التاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الراء

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

العين

الغين

الفـــاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

الاماكن

الهمزة

الباء

التاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الطاء

الظاء

العين

الغين

الفـــاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الياء

للمؤلفة

١ ـ لغتي للصفوف الخامسة الابتدائية ـ بالاشتراك ـ الطبعة الاولى ـ بغداد ١٩٥٩ .

٢ ـ لغتي للصفوف السادسة الابتدائية ـ بالاشتراك ـ الطبعة الاولى ـ بغداد ١٩٥٩ .

٣ ـ التمام في تفسير أشعار هذيل ـ تحقيق بالاشتراك ـ بغداد ١٩٦٢ .

٤ ـ التبيان في علم البيان ـ تحقيق بالاشتراك ـ بغداد ١٩٦٤ .

٥ ـ البخلاء للخطيب البغدادي ـ تحقيق بالاشتراك ـ بغداد ١٩٦٤

٦ ـ أبنية الصرف في كتاب سيبويه ـ رسالة ماجستير ـ بغداد ١٩٦٥ .

٧ ـ أبو حيان النحوي ـ رسالة دكتوراه ـ بغداد ١٩٦٦ .

٨ ـ من شعر أبي حيان الاندلسي ـ تحقيق بالاشتراك ـ بغداد ١٩٦٦ .

٩ ـ كتاب سيبويه وشروحه . بغداد ١٩٦٧ .

